





قسم علم الاجتماع
السنة الأولى
مقرر علم الاجتماع العام



منشورات جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

علم الاجتماع العام

الدكتور بلال عرابي الدكتور محمد العبد الله
أستاذ في قسم علم الاجتماع أستاذ مساعد في قسم علم الاجتماع

1430 - 1431 هـ

2009 - 2010 م

جامعة دمشق



9		المقدمة
15		الفصل الأول: موضوع علم الاجتماع
19		أولاً- الجماعة
34		ثانياً- علم الاجتماع في دراسته للمجتمع
41		ثالثاً- خصائص علم الاجتماع
44		رابعاً- مكانة علم الاجتماع في ميدان المعرفة
45		الفصل الثاني: الفكر الاجتماعي القديم
47		أولاً- الفكر الاجتماعي في الحضارات القديمة
53		ثانياً- الفكر الاجتماعي عند اليونان
69		ثالثاً- الفكر الاجتماعي في العصور الوسطى
71		رابعاً- الفكر الاجتماعي عند المسلمين
85		خامساً- الفكر الاجتماعي في عهد النهضة الأوروبية
91		سادساً- فلسفة التاريخ
95		الفصل الثالث: رواد علم الاجتماع
97		* أوغست كونت
120		* كارل ماركس
130		* هربرت سبنسر
136		* إميل دوركهايم

159.....	* ماكس فيبر
178.....	* وستر ليستر وارد
185	* ولیم سمندر
190	* لیبون سمول
193	* ماكيفر
200	* بېتریم سوروكین
204	* بارسونز
208	علم الاجتماع في إيطاليا
210	علم الاجتماع في روسيا
221	الفصل الرابع: أهم المؤشرات المعاصرة في علم الاجتماع
223	أولاً- النسوية
224	ثانياً- النزعة المعادية للعنصرية
225	ثالثاً- علم الاجتماع الراديكالي
226.....	رابعاً- النزعة البيئية
227.....	خامساً- العولمة
227.....	سادساً - الوظيفية
235	الفصل الخامس: النظم الاجتماعية
238	أولاً- النظام الاقتصادي
247.....	ثانياً- النظام الديني
250.....	ثالثاً- النظام الأسري
254.....	رابعاً- النظام الطبقي

259		الفصل السادس: علاقة علم الاجتماع بالعلوم الاجتماعية الأخرى
262		أولاً- علاقة علم الاجتماع بالفلسفة
264		ثانياً- علاقة علم الاجتماع بالسياسة
266		ثالثاً- علاقة علم الاجتماع بالسكان
270		رابعاً- علاقة علم الاجتماع بالتاريخ
282		خامساً- علاقة علم الاجتماع بعلم النفس
284		سادساً- علاقة علم الاجتماع بالانثروبولوجية
288		سابعاً- علاقة علم الاجتماع بالاقتصاد
293		الفصل السابع: ميادين علم الاجتماع
296		أولاً- علم الاجتماع التربوي
300		ثانياً- علم الاجتماع البدوي
305		ثالثاً- علم الاجتماع الريفي
310		رابعاً- علم الاجتماع الحضري
322		خامساً- علم الاجتماع الأسري
333		سادساً- علم الاجتماع الديني
343		سابعاً- علم الاجتماع الطبي
353		ثامناً- علم الاجتماع الأدبي
365		مصطلحات علم الاجتماع
457		الأعلام في الكتاب
479		ملاحق الكتاب
481		ملاحظات عن حلقة البحث
485		نموذج من استمارات البحوث الميدانية
493		المصادر والمراجع



نودع بين يدي طلابنا الأعزاء مقررأ على درجة كبيرة من الأهمية، هو علم الاجتماع العام، حيث يهدف هذا الكتاب إلى إعطاء فكرة عامة للطالب عن ماهية هذا العلم وطبيعته، بوصفه أحد أهم العلوم الاجتماعية التي تدرّس في الجامعات اليوم، وعلى نطاق واسع، وعليه فإن هذا الكتاب سيكون مقدمة لطالب علم الاجتماع والفلسفة لمعرفة العلوم الاجتماعية جميعها في كلية الآداب.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن علم الاجتماع واجّة منذ نشوئه وتطوره صعوبات عديدة إلى أن أصبح علماً مستقلاً، له موضوعاته ومناهجه وطرائقه وقوانينه وأساليه التي تحكم وتفسر حركة الظواهر الاجتماعية، والمتتبع لنشأة الفكر الاجتماعي يسترعي انتباهه أن هذا الفكر لم يسر في خط مستقيم إلى الأمام دائماً، وإنما اعترته صعوبات في بعض الأحيان، وظهرت فيه إرهابات في أحيان أخرى، وذلك تبعاً للظروف التي مرت بها المجتمعات الإنسانية، ولكن توجت النهاية بظهور علم الاجتماع علماً له استقلالته وصلته الكبيرة بالعلوم الاجتماعية. ولقد اتسع نطاق هذا العلم إلى أن أصبحت اهتماماته عديدة وفروعه كثيرة، منها علم الاجتماع العائلي، وعلم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع الصناعي وعلم اجتماع الإدارة وعلم الاجتماع الديني وعلم الاجتماع الجنائي..... إلخ. كما تعددت المدارس الاجتماعية واتسع نطاق الاجتهاد العلمي واختلفت آراء الكثيرين من العلماء حول هذا العلم، غير أن اختلافاتهم لم تمثل عائقاً أمام تطور هذا العلم، بل شكلت هذه الاختلافات حافزاً لمزيد من البحث العلمي والارتقاء بمستوى هذا العلم نظرياً وميدانياً.... ويعدّ علم الاجتماع علماً قديماً حديثاً في آن واحد... فقد بدأ علماً مستقلاً منذ قرون طويلة على يد العلامة العربي عبد الرحمن

بن خُلدُون الذي وضع البذور أو اللبّات الأولى لهذا العلم، ثم عاد إلى الظهور حديثاً على أيدي بعض العلماء في الغرب، خاصةً عالم الاجتماع الفرنسي أوغست كونت الذي أوجد مصطلح أو لفظ السوسيولوجيا /Sociology/ وكان ذلك عام 1830م.

وأخذت الحاجة تزداد إلى هذا العلم مع التقدم العلمي والتكنولوجي، حيث بدأ ينظر إلى علم الاجتماع وخاصة من قبل الأكاديميين والساسة وصنّاع القرار في العالم: بوصفه علماً مجتمعيّاً وسياسيّاً، علماً أن هذا العلم هو علم دراسة المشكلات الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية، حيث دخل هذا العلم بقوة جميع المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا درسها من خلال المرشدين أو الاختصاصيين الاجتماعيين، من هنا برزت الدراسات التي تؤكد أهمية العلوم الاجتماعية، ومنها علم الاجتماع في فهم الواقع الاجتماعي، وفهم الثقافة السائدة لعلاج ما حدث، وللوقاية مما قد يحدث في المستقبل، مما يدل على عظمة علم الاجتماع وأهميته ومكانته ودوره، فما هو هذا العلم؟ وما هي اهتماماته وموضوعاته؟ وما هي القضايا التي يثيرها؟ والمشكلات التي يتصدى لها؟ وما هي النظم الاجتماعية؟ وما هي علاقة علم الاجتماع بالعلوم الاجتماعية الأخرى؟ وما هي ميادين علم الاجتماع؟ ومن هم رواد علم الاجتماع؟.

وفي ضوء هذه الأهمية، وهذا السعي، كان ظهور هذا الكتاب، الذي نقدمه لطلابنا الأعزاء وللقرّاء الأكارم، ليقدّم صورة واضحة عن علم الاجتماع ونشأته وتطوره، وأهم الاتجاهات الفكرية السائدة، وأهم المفاهيم والمصطلحات التي تشكل لغة هذا العلم وبيان الإطارين: النظري والمنهجي الذي يقدّمهما لدراسة الواقع وفهمه، ولقد قسم الكتاب إلى سبعة فصول:

الفصل الأول: يدرس موضوع علم الاجتماع- حيث يمثل هذا الفصل محاولة جادة تستهدف إلقاء الضوء على موضوع علم الاجتماع، أي: الظواهر والمشكلات التي يتناولها ومفاهيمه الأساسية.

والفصل الثاني: يتطرق إلى بدايات الفكر الاجتماعي حيث يستعرض الكتاب نشأة وتطور التفكير الاجتماعي من أقدم العصور إلى ظهور علم الاجتماع علماً مستقلاً. ولم نستعرض التفكير الاجتماعي في كل دول العالم، وإنما اكتفينا بعدد من البلاد التي نعدّها رائدة دون غيرها في هذا المجال، وهذه البلاد هي مصر، اليونان، والإمبراطورية الرومانية، والفكر الإسلامي ممثلاً برافدين عربيين إسلاميين هما ابن خلدون والفارابي، ثم انتقلنا إلى الدراسات الاجتماعية لظهور علم الاجتماع، وخاصة ما تعلق منها بالسياسة وفلسفة التاريخ وإصلاح المجتمع.

أما الفصل الثالث: فقد جاء تحت عنوان رواد علم الاجتماع، حيث تطرقنا إلى أهم الرواد الذين كانت لهم بصمات خالدة في علم الاجتماع من بينهم: أوغست كونت، ودوركهايم، سبنسر، زميل، ماكس فيبر، وارد، سمنر، سمول، ماكيفر، سوروكين، بارسونز، إلخ....

أما الفصل الرابع: فقد تطرق إلى أهم المؤشرات المعاصرة في علم الاجتماع.

أما الفصل الخامس: فيعالج النظم الاجتماعية Social Institution على اعتبار أن النظم الاجتماعية هي الأنساق المنظمة الدائمة نسبياً للتصرف والاتجاهات والأغراض والأشياء المادية والرموز والمثل التي تواجه أغلب نواحي الحياة الاجتماعية. ويتطرق **الفصل السادس** إلى العلاقة بين علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى- منطلقين من فكرة أن جميع العلوم يكمل بعضها بعضاً حيث تتحدد هذه العلاقة من خلال الموضوعات التي يدرسها كل علم من هذه العلوم، والقاسم المشترك بين هذه العلوم هو الإنسان،

والإنسان لا يمكن تجزئته للتعامل معه على دفعات من خلال تخصص كل علم، وإنما الإنسان نسيج متشابك مترابط يتطلب فهمه والتعامل معه كوحدة واحدة، ومن خلال انتماءاته وعلاقاته المجتمعية المختلفة.

ويتطرق **الفصل السابع:** إلى بعض ميادين علم الاجتماع على اعتبار أن علم الاجتماع كغيره من العلوم الاجتماعية قد تأثر بظاهرة التخصص نتيجة للتقدم الحضاري الذي شهدته المجتمعات الإنسانية، حيث تعددت ميادينه وتوسعت اهتماماته، وأصبح كل ميدان من ميادين علم الاجتماع مختصاً بجانب معين من جوانب الحياة الاجتماعية، ومن بين هذه الميادين: علم الاجتماع العائلي، علم الاجتماع الديني، علم الاجتماع السياسي، علم الاجتماع الريفي.... الخ.

كما يشير الكتاب إلى الأعلام الواردة فيه، حيث أفردنا نبذة عن حياة كل عالم من علماء الاجتماع والمفكرين المتصلين بتطور علم الاجتماع وتطور ميادينه.

كما تضمن الكتاب بعضاً من المصطلحات في علم الاجتماع، وذلك لتعريف طلابنا بأهم المصطلحات المتداولة في علم الاجتماع، والتي تشكل لغة فهم العلم وتداوله بين جميع المهتمين بعلم الاجتماع. كما يتضمن الكتاب ملاحق ونماذج من استمارات البحوث الميدانية/ نرى فيها الفائدة لطالب العلم.

بعد هذا العرض السريع لمضمون هذا الكتاب لا يسعنا إلا أن نقول لكل من تقع عينه أو يده على هذا الكتاب - ونخص بالذكر طلابنا في قسمي الفلسفة وعلم الاجتماع - إن هذا الكتاب بمثابة صيد وفير نضعه أمانة بين أيديكم، ورحم الله القائل:

العلم صيدٌ والكتابة قيده
قَيِّدْ صُيُودَكَ بِالْحَبَالِ الْوَائِقَةِ
فَمَنْ الْحَمَاقَةُ أَنْ تَصِيدَ غَزَالَةً
وَتَتْرَكَهَا بَيْنَ الْخَلَائِقِ طَالِقَةِ

وما علينا أعزائي الطلبة إلا أن نتمسك بناحية هذا الصيد الوفير لأنه الأساس، أو الآلية والإستراتيجية التي من خلالها يمكن النهوض بالوطن والوقوف في وجه الغزاة الطامعين.

وأخيراً لا نقول في عملنا هذا إننا وفينا بالمراد، أو أتينا به على وجه التمام، ولكننا أجهدنا أنفسنا على قدر طاقتنا لعلنا نوافق الصواب، ونهتدي إلى الرشاد، فإن أصبناه فذاك ما أردناه ورجوناه، وإلا فما نحن إلا إنسان، شأنه الخطأ والنسيان، وقلما يخلص باحث من المفوات أو ينجو دارسٌ من العثرات... نرجو أن نستفيد من ملاحظات كل قارئ لإتمام العمل، وهذا ما نرجوه للطبعات القادمة من الكتاب.

كما استفدنا من ملاحظات اللجنة العلمية التي قومت هذا الكتاب ليصبح على حاله بداية صالحة لفهم العلوم الاجتماعية وإدراك تضامنها وتطورها لمصلحة الإنسان ولمصلحة المجتمع... المجتمع العربي بحاجة للعلوم الاجتماعية لينهض ويحقق كرامة أمة العرب وعزتها ضد الطامعين بشروات أمتنا من كل حذب وصوب.

والله من وراء القصد

المؤلفان



الفصل الأول

أولاً- الجماعة

ثانياً- علم الاجتماع في دراسته للمجتمع

ثالثاً- خصائص علم الاجتماع

رابعاً- مكانة علم الاجتماع في ميدان المعرفة



تتناول العلوم الطبيعية دراسة الظواهر الطبيعية، فعلم الكيمياء يدرس خواص المواد وتفاعلاتها وتبدلاتها بالعوامل المختلفة، وتدرس الفيزياء حركة المادة وتبدلاتها الميكانيكية.

ومن الظواهر الطبيعية تمدد الأجسام بالتسخين وسقوط الأجسام بسبب الجاذبية.

أما علم الاجتماع فيدرس الأفراد في حياتهم المشتركة مع الآخرين، وكيفية تصرفهم مجتمعين، وما يمكن أن يكونوه بهذا الاجتماع من أبنية اجتماعية ومؤسسات ومنظمات تنظم العلاقة بين الأفراد، وكذلك شبكة العلاقات التي تتكون من حاجة الأفراد بعضهم إلى بعض.

فمن ظواهر علاقة الأفراد بعضهم ببعض هناك ظاهرة الزواج والطلاق والجريمة، ومن المؤسسات التي يكونها الأفراد: جماعة الأسرة والمدرسة والمصنع.

وليس المقصود بالمصنع الأبنية والآلات، وإنما يدرس علم الاجتماع العلاقات التي يكونها المصنع بين رب العمل والعمال، والأفراد فيما بينهم، وخاصة الإدارة.

نلاحظ هنا أن ظاهرة تمدد الأجسام بالحرارة حيادية بالنسبة إلى الزمان والمكان، فهي منذ الأزل تحدث، وستبقى تحدث في مختلف الأزمنة والأمكنة وحيادية بالنسبة للمجتمع والأشخاص، وليست هي محل خلاف.

أما ظاهرة تكوين الأسرة فهي محل خلاف بين الناس في أسسها وأشكالها، فالأسرة تختلف مكانياً بين أوروبا وسورية، وتختلف زمانياً، فهي في العصر الحجري غير الأسرة في العصر الحاضر.

ورغم أن الإنسان قد فُكّر في القضايا الاجتماعية وحياته المشتركة مع الآخرين منذ زمن بعيد، فإن علم الاجتماع بوصفه علماً مستقلاً عن الفلسفة وعن التفكير الحر للإنسان هو علم حديث في الجامعات العالمية.

وكما تطور علم الفيزياء واتخذ لنفسه مناهج متعددة، وانقسم إلى علوم متعددة مثل: علم الكهرباء - علم التربة - علم الميكانيك... إلخ. كذلك ظهر لعلم الاجتماع مناهجه، وانفصلت عنه علوم جديدة، مثل علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع الصناعي وعلم الاجتماع السياسي.. إلخ.

إن موضوع علم الاجتماع هو دراسة الحياة الاجتماعية للناس؛ فهو يقدم فروضه ونظرياته لفهم النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه الناس ويتحركون لتحسين حياتهم وفهم الواقع الاجتماعي بصورة أكبر من أجل تغييره، وهنا يمكن فرز السمات والخصائص الأساسية التي تميز خاصية الاجتماع:

الاجتماعي هو تلك الصفة العامة الملازمة لمختلف مجموعات الأفراد، والتي تعد نتيجة استيعابهم للعلاقات الاجتماعية.

إن الاجتماع يعبر عن الوضع المتبادل بين الأفراد والدور الذي يضطلعون به في مختلف البنى الاجتماعية.

يتجلى الاجتماعي في علاقات مختلف الأفراد بالظواهر وعمليات الحياة الاجتماعية.

الاجتماع هو نشاط الأفراد وحياتهم المشتركة وتفاعلهم الحياتي. (أوسيو، 1989، 15)

إن الظاهرة الاجتماعية أو العملية الاجتماعية تنشأ عندما يتبدل سلوك فرد واحد تحت تأثير فرد آخر، أو مجموعة من الأفراد، بصرف النظر عما إذا كان هذا الفرد أو المجموعة حاضرين جسدياً أم لا.

ففي عملية التفاعل المتبادل بالذات يمارس الأفراد بعضهم على بعض تأثيراً ويسهمون في استيعاب هذه أو تلك من الصفات والعلاقات الاجتماعية بصورة متبادلة.

تنشأ الظاهرة الاجتماعية إبان التفاعل بين الناس، وتتحدد بالفوارق في مكانهم ودورهم في البنى الاجتماعية الملموسة من خلال عمليات الحياة الاجتماعية.

فالحياة ذات الصفة الاجتماعية تتمثل في معيشة الأفراد ضمن نظام اجتماعي هو دولة أو قبيلة أو أمة أو أسرة أو شكل من أشكال حياة الجماعة، حيث يكون لكل فرد في هذه الجماعة دور يقوم به تجاه الآخرين، وعلى هذا الدور تترتب حقوق وواجبات، مثل دور الأب في الأسرة أو دور شيخ القبيلة في القبيلة، وبجياة هذه الجماعة تنشأ بين أفرادها علاقات تعبر عن حاجة الأدوار بعضها إلى بعض، مثل حاجة الزوج للزوجة، وحاجة الطفل لأمه، وحاجة الطالب للمدرس.. هذه العلاقات الاجتماعية بين الأفراد تتم من خلال العمليات والظواهر الاجتماعية التي تحمل أطر المجتمع ونظامه. فعلاقة الرجل بالمرأة تتأطر بالزواج المعترف به اجتماعياً، وعلاقة الطفل بأمه تتأطر من خلال الأسرة، وحاجات الطالب المعرفية للمدرس تتحقق من خلال المدرسة أو العملية التعليمية التربوية الاجتماعية.

— : —

يمكن تعريف الجماعة الاجتماعية بوصفها تجمعاً للأفراد، تنشأ بينهم علاقات يكون كل فرد واعياً بالجماعة ذاتها وبالرموز السائدة فيها.

وبعبارة أخرى إن للجماعة الاجتماعية بناءً أو تنظيمًا أساسياً يتضمن القواعد والطقوس، وأساساً نفسياً يتمثل في وعي أعضاء الجماعة بوجودهم.

بهذا المعنى تصبح الأسرة والقرية والأمة والحزب السياسي جماعات اجتماعية . أما تلك التي تشبه الجماعات فهي (تجمع) يُعَدَم فيه البناء أو التنظيم، وقد لا يكون الأعضاء فيه على وعي بوجود الجماعة، ومن ثم فإن الطبقات الاجتماعية، وجماعات

المكانة، وجماعات العمر والجنس، والحشد... تشبه الجماعات، غير أن هذه الأمثلة تجعلنا نذهب إلى أن الحد الفاصل بين الجماعات والجماعات الشبيهة غير ثابت وشمعي، ذلك أن الثانية قد تساعد على ظهور جماعات اجتماعية منظمة، مثلما تؤدي الطبقات إلى تأسيس الأحزاب السياسية، أو أن تؤدي جماعة الإناث إلى إنشاء منظمات نسائية، وكذلك جماعات العمر التي أصبحت في بعض المجتمعات البدائية طبقات للعمر. (Ginsberg, 1956, 98)

ويميز ديفرجيه في كتابه علم الاجتماع السياسي بين المجتمع الكلي والتجمعات:

أ- المجتمع الكلي:

يمكن تعريف مفهوم المجتمع الكلي بثلاثة عناصر: إنه يفترض أولاً: أن المجموعات الإنسانية المتعددة والمختلفة- العائلات، الطوائف المحلية، النقابات، الجمعيات، الأحزاب الكنائس، الزمر، العصابات، إلخ- تترابط الواحدة مع الأخرى في مجموعات أوسع، ويفترض ثانياً أن تكون هذه المجموعات مندمجة بقوة، بشكل يشعر فيه أعضاؤه بتضامن عميق بينهم، يترجم نفسه بوساطة أفعال متبادلة مطابقة لتلك التي تحصل في إطار المجموعات الخاصة، وهو يفترض ثالثاً: أن يكون لهذا التضامن ولهذه العلاقات بين أعضاء المجتمع الكلي قوة أعلى من قوة تضامنهم وعلاقاتهم مع الخارج، كل هذه العناصر تنجم عن سمة أساسية تكون تلك من نتائجها، فالمجتمع الكلي يشكل المجتمع الثقافي الأساس. (ديفرجييه، 1991، 39).

ب- التجمعات:

يتحرك كل فرد في إطار العديد من أنظمة التفاعل المتبادل، فالواحد يكون متزوجاً ومواطناً فرنسياً ونقائياً وعضواً في الحزب ومنتسباً إلى جمعية المحاربين القدامى وعاملاً في

مصنع للأحذية ومرتبلاً ببناء رياضي ومشاركاً في حفل شعبي يوم السبت، وعضواً في عصبة من الرفاق، إلخ. والآخر يكون طالباً، إيطالياً، نزيلاً في أحد بيوت المدينة الجامعية، ملتقياً مع أصدقاء العمل ومجموعة عشاق السينما، ونادٍ للمتسلقين، إلخ. كل نظام من العلاقة المتبادلة يشمل مجموعة الناس الذين يشتركون فيه ويمكن أن يعرف بوساطتها.

ثمة نظام واحد من بين هذه النظم للعلاقات المتبادلة بين هذه المجموعات، يشكل بالنسبة لكل شخص المجتمع الكلي الذي حاولنا تعريف خصائصه. إنه النظام الأوسع عبر تنوع العلاقات المتبادلة التي يشملها، وهو ينطوي في التحليل الأخير على الإكراه الأشد وينتصر إذن بصورة عامة من الأنظمة الأخرى في حال النزاع بينها، ويختص بالمجموعة الأكبر من المعايير والقيم التي تشكل ثقافة يعد اكتسابها الإطار الرئيسي لمجتمعية الأفراد. ويمكن للأفراد أن يكونوا ممزقين بين عدة مجتمعات كلية.

يعرف معجم مصطلحات التنمية الاجتماعية الصادر عن جامعة الدول العربية (الجماعة) Group (فئة من الناس تنشأ بينهم أواصر نفسية يعتمد كل منهم على المجموع في تحقيق أهداف محدودة أو تلبية حاجات معينة). (معجم مصطلحات التنمية الاجتماعية مصطلح رقم 378)

يعيش الإنسان طول حياته وهو جزء أو عضو في جماعة أو جماعات، فهو يعيش بين أعضاء أسرته، كما أنه يلعب مع أصدقائه، ويلتحق بالمدرسة، ثم ينتقل إلى الجماعة وبعدها إلى العمل. كل هذه المؤسسات تضم فيها جماعات من أنواع مختلفة. ومن النادر أن يعمل أحداً منعزلاً عن الآخرين، ففي كل النظم نجد جماعات تعمل جنباً إلى جنب لتحقيق أغراض أو أهداف اتفقوا على تحقيقها.

إننا حين نصبح أعضاء في جماعة فإن سلوكنا يتأثر بتلك الجماعة.

الجماعة هي مجموعة من اثنين أو أكثر يدركون بأنفسهم أنهم جماعة يعتمد بعضهم على بعض لتحقيق هدف أو أهداف، ويتصلون ويتفاعلون بشكل مباشر أو غير مباشر. فالعمال الذين يصنعون سلعة ما لا يصنعون فقط جزءاً واحداً منها، وإنما يتعاونون ويعتمد بعضهم على بعض لإخراجها متكاملة. ومن ذلك فإنهم ينشئون علاقات اجتماعية وشخصية اجتماعية ندعوها بالبنية الاجتماعية للجماعة Group Structure. هذه البنية الاجتماعية تقدم خدمة لهم، وتكون مهمة كأهمية العمل نفسه. الجماعة إذن تستطيع أن تحفز أعضائها من خلال وظائفها التي تعد وسيلة عامة لتقديم الخدمات. أو من خلال طبيعتها بوصفها نظاماً أولياً يتم فيه تكوين العلاقات الشخصية، أو الوظيفيتين معاً. (ديفرجي، علم السياسة، ص 39).

والجماعات الاجتماعية تعتمد على الوظائف التي يجب أن ينجزها الأعضاء، وعملهم هذا يستلزم التداخل والاعتماد بعضهم على بعض.

وقد نالت الجماعات الصغيرة بصورة عامة الاهتمام خلال الحرب العالمية الثانية، وكانت محور كتابات كل من تشارلز هورتون كولي (1864-1929) وجورج زميل (1858-1918). ميّز كولي حول الجماعات الأولية والجماعات الثانوية، أما دراسة زميل فإنها تحتوي على مقالات فذة تتعلق بأوجه العلاقات الاجتماعية وأثرها في دينامية الجماعة، كما ضمنها مجموعات من العلاقات، منها بحثه في طبيعة العلاقة بين الرئيس والمرؤوس، كما بحث صفات وميزات الجماعات السرية وظواهر اجتماعية أخرى.

ويفضل كثير من علماء الاجتماع دراسة دينامية الجماعة في تفاعلها، ودراسة العلاقات المتداخلة بينها وبين البيئة التي توجد فيها، والتي تتضمن الجماعات الأخرى: أن يستعملوا عبارة تحليل الجماعات الصغيرة على افتراض أن جميع أوجه الحياة الاجتماعية هي دينامية متطورة ومتغيرة، وأن دراسة الجماعات الصغيرة تعد جزءاً تكاملياً

Integrate في التحليل الاجتماعي. ودينامية الجماعة أيضاً تعني دراسة الأوجه النفسية للسلوك في الجماعات الصغيرة، كما أنها علم تطبيقي يتعلق باهتمامات معينة مثل فعالية القيادة والاتصال، وعمليات اتخاذ القرارات في العمل.

دراسة دينامية الجماعة إذن هي البحث في الطريقة التي تتكيف فيها الجماعات الصغيرة، وتتغير نتيجة المتغير الذي يحدث في أي جزء منها.

الجماعة كما نعرف معنى مجرد ليس له حدود، إذن هي ليست عدد الأعضاء الذين يختارونها وينظمونها، فالأعضاء يدخلون في عضويتها ويتركونها، ومع ذلك تستمر الجماعة والعكس صحيح، إذ قد تتشكل الجماعة ثم تختفي، ويبقى الأفراد الذين شكلوها سابقاً في تواصل بعضهم مع بعض لسنوات خارج إطار الجماعة. فالجماعة إذن مجموعة من العلاقات بين الأعضاء كونت وحددت ودعمت بواسطة الاتصال فيما بينهم. والاتصال هنا يؤكد أهمية دور الجماعة الذي يعد أهم من دور الفرد. ومن المهم أن الفرد العضو في الجماعة هو أيضاً عامل منجز لوظائف متخصصة. وبما أن حاجات الجماعة تتغير بتغير البيئة وحاجاتها فإن أدوار الأعضاء أيضاً تتغير، إلا أن الاستمرارية تعزز تكامل الفرد مع الجماعة بصورة كلية.

ويعد الضبط الاجتماعي أساسياً في فهم آلية عمل الجماعة، ومن دونه لا تستطيع الجماعة أن تستمر، وبالطبع فقد يبقى الأفراد جزءاً من تجمع أو تنظيم أو يكونون أعضاء في جماعات أخرى، إلا أن الجماعة المتماسكة توجد فقط عندما تكون ضابطة لسلوك أفرادها بصورة فعالة، لذلك فإننا نعرف أن الجماعة تضبط سلوك الفرد مما يسمح لها بالتنبؤ بهذا السلوك. (فهيم الغزوي، 1992، ص132).

ولكي يتطابق سلوك الأفراد مع بنية الجماعة يجب أن يتحقق هذا التطابق من خلال أعمال معينة نسُميها بالجزاءات Sanctions سواء اتخذت هذه الجزاءات أشكال

الغرامات Fines أو توبيخات Whippings أو مديح Praise أو لامبالاة. فإنها كلها لها تأثير في الثواب أو العقاب، فهي تشبع أو تحبط حاجات الفرد، ويمكن أن تكيّف سلوكه إلى مستوى استجابة انعكاسية أو سلوك عقلائي مدروس.

على أية حال فإن وظيفة الجماعة هي تخفيف المتغيرات السلوكية الفردية والدوافع المختلفة لتصبح أنماطاً من الفعل تفيد بنية الجماعة.

تصنيف الجماعات الاجتماعية:

يمكن تصنيف الجماعات الاجتماعية بطرق مختلفة، فقد نهتم أولاً بطبيعة العلاقة بين الأعضاء. والفرقة الشهيرة في هذا الصدد هي التي اقترحها تونيز Tonnie لأول مرة بين المجتمع المحلي والرابطة للمجتمع. ويشير المجتمع المحلي إلى نموذج «للحياة المشتركة القائمة على الروابط الأولية الخاصة». وقد عرض تونيز لأمثلة لهذا النوع من العلاقات، كالأسرة وجماعة القرابة والحوار (القرية) وجماعة الأصدقاء. أما الرابطة فيعرفها أنها «حياة عامة»، حيث تكون عضويتها شعورية ومتعمدة، والأمثلة الأساسية التي يشير إليها تونيز في هذا الصدد هي الجماعات التي تهتم أساساً بالمصالح الاقتصادية. وقد استخدم تونيز معيارين أساسيين في تعريفه للمجتمع المحلي والرابطة: الأول: أن الأفراد في المجتمعات المحلية يندمجون في الجماعة تماماً كأشخاص، حيث يستطيعون إشباع رغباتهم، بينما لا يندمج الأفراد بهذه الصورة الكلية في الرابطة، بل ينظرون إلى إشباع غايات نوعية خاصة. والثاني: أن المجتمع المحلي يعتمد على الرباط الشعوري أو العاطفة المشتركة بين الأفراد، بينما تستمد الرابطة وحدتها من الاتفاق العقلي بين المصالح.

لدينا عدد من المعايير التي يمكن تطبيقها في تصنيف الجماعات الاجتماعية، وهي: الهدف الذي توجد الجماعة من أجله، والطابع العاطفي أو الفكري للعلاقات السائدة بين أعضاء الجماعة والطبيعة الشخصية أو اللا شخصية لهذه العلاقات، وحجم الجماعة، واستمرارها.

وقد حظيت بعض هذه العوامل باهتمام أكثر من غيرها، فحجم الجماعات دُرِس من زوايا مختلفة، حيث فحص زيمل في مقال شهير له العلاقة بين عدد الأعضاء وبناء الجماعة. كما أوضح في دراسة أخرى كيف يؤدي تركيز السكان في المدن إلى تغيير طبيعة العلاقات الاجتماعية للأفراد، ولقد ناقش غيره من علماء الاجتماع المشكلة العامة الخاصة بالمتغيرات في درجة التنظيم الاجتماعي. (G. Simmel, 1902, 125).

وهناك مدخل آخر لدراسات الجماعات، وهو الذي تبناه ريدفيلد R. Redfield في مؤلفه «المجتمع المحلي الصغير» حيث كتب يقول: «لقد اخترت المجتمع المحلي الصغير لأنه يمثل وحدة إنسانية تزداد خبرة علماء الإنسان بها، ولأنه من الأيسر تطوير مجموعة أفكار حول القرى والقرى بصفة خاصة، أكثر مما هو ممكن بالنسبة للشخصيات والحضارات والآداب». يضاف إلى ذلك أن «المجتمع المحلي الصغير كان هو الشكل السائد للحياة الإنسانية خلال تاريخ البشرية، ولا يزال حتى الآن ثلاثة أرباع بني البشر يعيشون في القرى» وقد عرف ريدفيلد المجتمع المحلي من خلال أربعة خصائص هي: (1) التمييز distinctiveness «إن بداية المجتمع المحلي ونهاية حدوده واضحة» (2) الصغر Smallness «سواء كان المجتمع نفسه هو وحدة الملاحظة الشخصية أم مجتمع آخر أكبر فإنه يعبر عن وحدة مثله تماماً للملاحظة الشخصية للكل» و(3) التجانس homogeneity «تشابه الأنشطة والحالات العقلية إلى حد بعيد لدى كل الأشخاص الذين ينتمون إلى جماعات جنسية وعمرية واحدة، كما أن مستقبل جيل معين يعكس حياة الجيل السابق» و(4) الاكتفاء الذاتي Self-sufficiency «إنه يغطي الأنشطة والاختيارات الخاصة بالأشخاص الذين يقيمون فيه كافة. إن المجتمع المحلي الصغير هو قاعدة البناء الكبير». (بوتيمور، 1981، ص142).

يميز دوركهام بين المجموعات القائمة على التضامن بواسطة التشابه والمجموعات القائمة على التضامن بواسطة تقسيم العمل، ويسمى الأول تضامناً آلياً، وهكذا تقوم

بعض التجمعات على التشابه الفيزيائي أو التشابه اللغوي أو التشابه في السن، أو التشابه في الجنس أو التشابه في العادات أو التشابه في الإقامة المحلية أو التشابه في المعتقدات، إلخ.

يعبر المثل عن هذه الظاهرة حين يقول «المتشابهون يترافقون»، على العكس يؤدي تقسيم العمل إلى تضامن عقلاني قائم على الترابط المتبادل بين أشخاص المجموعة الواحدة، الذين تكون مهامهم متكاملة. وهو يطلق تسمية «العضوي» على هذا الشكل من التضامن الذي يراه أعلى من السابق.

وقليلاً ما يظهر الفرد من الجماعة في المجموعات ذات التضامن الآلي، إنه يذوب فيها بشكل من الأشكال. لكن التضامن العضوي، على عكس السابق، يوحد أشخاصاً يكون كل واحد منهم قد طور شخصيته وفرديته، إنهم يشعرون بالحاجة المتبادلة فيما بينهم ويعون عقلانياً هذه التبعية المتبادلة. (ديفرجييه، 1991، 48).

إن تمييز تونيز بين «الجماعة» و «المجتمع» يستند جزئياً إلى نظرية سيكولوجية تميز بين شكلين من الإدارة هما: الإرادة «العضوية» والإرادة المفكرة، تولد الأولى الأفعال المستوحاة بوساطة القلب: الأهواء، الحب أو الكراهية، الجرأة أو الخوف، حسن الطوية وسوء السريرة، إلخ. وتولد الثانية الأفعال القائمة على العقل، والتقدير والمصلحة: البحث عن المال، والسلطة، إلخ. ترتبط الجماعة بالإرادة العضوية، فهي تتطور بين أشخاص يوحد بينهم القلب. وهكذا، يميز تونيز بين جماعة الدم مثل: العائلة والقرابة والعشيرة؛ وجماعة المكان القائمة على الحوار، والجماعة الفكرية القائمة على الصداقة ووحدة الفكر وتوافق المشاعر وعلى العكس من ذلك يتكون المجتمع بوساطة العلاقات القائمة على المصالح: المشاريع الصناعية، المؤسسات التجارية، مجموعات الضغط، جمعيات الدفاع، إلخ. يشكل تبادل المنافع والخدمات العلاقة المجتمعية النمطية.

ومن المحاولات المهمة للتصنيف محاولة تشارلز كولي على أساس طبيعة العلاقات القائمة بين الأفراد: ميّز كولي (1864-1929) في تصنيفه للجماعات بعددين متميزين هما:

أ- بعد العلاقات الأولية:

بين تشارلز هورتون كولي Charles Harten Cooley الحالات التي تكون فيها الجماعات أولية: بما أن سلوك الجماعة الأولية هو وظيفة التفاعل فإن حالات التفاعل تعد أساسية، فالحجم يعد مهماً بالنسبة للجماعات الأولية؛ إذ إنه كلما كانت الجماعة أقل عدداً ازدادت العلاقات كثافة، وتميل الجماعات الأولية دائماً لأن تكون صغيرة الحجم. واستمرار التفاعل وديمومته ضروري لتشكيل الجماعة الأولية، إضافة إلى وجودها في مكان جغرافي واحد وتجانس أفرادها.

مميزات الجماعات الأولية:

بينما تتميز العلاقات الأولية بأنها محددة ومباشرة؛ إذ هي في الجماعات الثانوية غير مباشرة.

أعطى كولي أمثلة عن الجماعات الأولية مثل الأسرة، وجماعات اللعب والجوار وجماعات العمل التخصصية، وتتميز كل منها بالاهتمامات والمصالح المشتركة، وهذا ما عبر عنه بضمير الجماعة (نحن) وهذا الشعور الوجداني هو شعور تجريدي في الجماعة الأولية، إذ قد ينفصل الأعضاء بعضهم عن بعض فيزيقياً (جغرافياً) بسبب العمل أو السفر أو الحرب، إلا أنه لا يزال بينهم وجود عاطفي؛ ولذلك فإن البعد الجغرافي تقل أهميته لأنه استبدل بالبعد العاطفي المتبادل بين الأعضاء مثل سفر بعض أفراد الأسرة، وهنا يبدو لنا التحول من جماعات تتميز بالشعور الجمعي Collective feeling إلى

جماعات أولية صغيرة أصبحت أجزاء من جماعات أكبر، ولذلك نجد الطفل لا يعرف سوى أفراد أسرته التي ينشأ فيها إلى أن تصبح له علاقات أوسع في مجتمعه الأكبر.

ب- بعد العلاقات الثانوية:

تخضع شخصية الجماعة الثانوية للمتغيرات نفسها التي ذكرناها في البعد الأولي، وهي: الحجم، الزمن، المكان، التجانس. ولكن بصورة معكوسة، فكلما أصبحت الجماعة أكبر حجماً انتشر أفرادها في مكان أوسع، وأصبح وقت اهتمام الأعضاء ضيقاً، كما أنه كلما أصبح أعضاؤها متباينين فإن هذه الجماعات تصبح جماعة ثانوية في طبيعتها وعلاقتها.

مميزات الجماعة الثانوية:

تتميز الجماعات الثانوية بالتخطيط المدروس، ويهتم أعضاؤها بحاجاتهم وشؤونهم الخاصة وأحياناً يطلق عليها الجماعات ذات الاهتمام الخاص، والعلاقات فيها غير شخصية، وتتكون الجماعات الثانوية من أفراد لا يعرف بعضهم بعضاً بصورة شخصية، وقد لا يكون بينهم تفاعل مباشر.

معايير جورج غورفيتش (1894-1965) للتجمعات:

لعلّ الجهد الأكبر الذي أنجز في تصنيف الجماعات الاجتماعية كان جهد جورج غورفيتش الذي أعد عام 1950 مخططاً عاماً متضمناً ثلاثة وستين قسماً أساسياً تم جمعها حول خمسة عشر معياراً، وهذه الأقسام تتقاطع وعلى سبيل التوثيق. نقوم باختصار هذا التصنيف فالمعيار الأول هو «المحتوى»، الذي يواجه بين التجمعات أحادية الوظيفة «الفرق الرياضية، النقابات، النوادي، الجمعيات، المؤسسات، التعاونيات، المرافق العامة، التجمعات المهنية، إلخ» والتجمعات متعددة الوظيفة (تجمعات محلية مثل

البلدة والمحافظه والمنطقة والدولة؛ تجمعات القرابة مثل العائلة، تجمعات السن إذا كانت تشكل حقيقة مجموعة إنسانية)، والتجمعات فوق-الوظيفية (الأقليات الأثنية، الطوائف الروحانية، الكنيسة القروسطية، الطبقات الاجتماعية، ونلاحظ أن غورفيتش وهو فدرالي لا يدخل في تصنيفه الدول - الأمم).

والمعيار الثاني هو «الاتساع»، أي عدد المشاركين الذي يؤدي إلى التمييز بين التجمعات الصغيرة والتجمعات المتوسطة والتجمعات الواسعة. والمعيار الثالث هو «المدة» التي تسمح بعزل التجمعات المؤقتة والتجمعات الدائمة والتجمعات الباقية باستمرار. والمعيار الرابع هو «الوتيرة»: فغورفيتش يقدر أنه يوجد العديد من الأزمنة الاجتماعية، «وأن الزمن في بعض التجمعات أسرع منه في بعضها الآخر، وأن بعض التجمعات تملك تقريباً مبططات للزمن، في حين تملك أخرى مسرعات له»، (Gurvitch, 3-5, 1957) وهو يميز بين التجمعات ذات الوتيرة البطيئة والتجمعات ذات الوتيرة المتوسطة والتجمعات ذات الوتيرة المتسارعة. والمعيار الخامس هو «مدى الانتشار»، الذي يميز بين التجمعات ذات المدى (الكنائس والدول والطبقات الاجتماعية والمهن)، والتجمعات ذات الصلة المصطنعة (التي لا يمكن تمييزها كثيراً من السابقة، فغورفيتش يضع فيها المشتركين بالجملة الدورية نفسها والمتأثرين بها، وأعضاء الحزب الذين لا يحضرون الاجتماعات، والنظارة المختلفين، الخ)، والتجمعات الملتقية دورياً «النقابات، الأحزاب، الشركات المسهمة، الجمعيات، المكاتب، المصانع، الصفوف المدرسية»، والتجمعات الحميمة المجتمعة بصورة دائمة ومستمرة (العائلات، القرية الصغيرة، الطلاب الداخلون، الأديرة، السجون، الوحدات العسكرية).

أما المعيار السادس فهو «أساس التكوين» الذي يواجهه بين التجمعات الواقعية التي يشترك فيها الأعضاء دون انتماء صريح ولا التزام محدد مثل: التجمعات الإثنية والمتنحيين والمستهلكين والطبقات الاجتماعية)، والتجمعات الإرادية التي نشارك فيها بملء

اختيارنا (أحزاب، جمعيات، نقابات، إلخ.) والتجمعات المفروضة (تجمعات مهنية إلزامية، دول، كنائس). المعيار السابع هو «طريقة الدخول» التي تؤدي إلى التمييز بين التجمعات المغلقة (العشار، الفئات المغلقة، الحلقات والنوادي المغلقة، المؤامرات)، والتجمعات المفتوحة (أفواج الجماهير، المظاهرات، الاجتماعات العامة، العاميات، المدارس الابتدائية). والمعيار الثامن هو «درجة التجسد»، التي تواجه بين التجمعات المنظمة التي ليس لها بنى (العاطلون عن العمل، المستهلكون، المنتجون، مختلف النظارة)، والمجموعات ذات البنى ولكن غير المنظمة (التجمعات الإثنية، الأقليات القومية، الطبقات الاجتماعية، المهن بمقدار ما تكون هذه التجمعات محرومة من التنظيم)، والمجموعات ذات البنى والمنظمة بصورة غير كاملة (على سبيل المثال، تجمعات القرابة والتعاطف الأخوي، التي تنتظم بشكل أصعب من غيرها)، وأخيراً التجمعات المنظمة بصورة كاملة.

أما المعيار التاسع فيتكون من «الوظائف» ويواجه بين تجمعات القرابة وتجمعات التعاطف الأخوي والتجمعات المحلية وتجمعات النشاط الاقتصادي والتجمعات الوسيطة بين التعاطف الأخوي والنشاط الاقتصادي (الفئات الثانوية، حسب غورفيتش) وتجمعات النشاطات غير النفعية (الجمعيات الرياضية والثقافية، إلخ.) والتجمعات الصوفية - الذهولية. والمعيار العاشر المسمى «توجهاً» يميز بين تجمعات الانقسام ذات التوجه الصراعى (الفئات الثانوية الاقتصادية، الأحزاب، نقابات العمال وأرباب العمل، الرهبانيات) وتجمعات التوحيد ذات التوجه التوفيقى (المصانع، المؤسسات التجارية، التجمعات الخيرية، التجمعات المحلية، إلا أن بعضها يكون خاضعاً لتجمعات الانقسام).

والمعيار الحادي عشر هو «طريقة الاختراق» من قبل المجتمع الكلي، فغورفيتش يميز بين المجموعة الراضة لهذا الاختراق (هؤلاء الذين يشعرون أنهم مستبعدون، مثل الأقليات القومية وتجمعات المهاجرين أو العاطلين عن العمل والأقنان والأرقاء؛ هؤلاء الذين يشعرون أنهم محرومون من الرتبة التي كانوا يحتلون سابقاً، مثل النبلاء بعد الثورة الفرنسية،

المهن المهجورة، الأحزاب السياسية التي تجاوزها الزمن؛ هؤلاء الذين يعدون أنفسهم موهوبين بصفات خاصة، مثل الكنائس العالمية، هؤلاء الذين يهدفون إلى قلب المجتمع الكلي)، والتجمعات التي تقبل إلى حد ما اختراق المجتمع الكلي (تجمعات القرابة والتعاطف الأخوي، تجمعات اقتصادية، تجمعات محلية)، التجمعات الخاضعة كلياً للاختراق من قبل المجتمع الكلي (جمعيات علمية وفنية وأدبية، المعاهد الجامع العلمية، الجامعات، الثانويات، المدارس). أما المعيار الثاني عشر فهو «درجة الملائمة بين التجمعات»، الذي يواجه بين خمس فئات: التجمعات المختلفة الأنواع التي تكون غالباً متلائمة فيما بينها، التجمعات من النوع نفسه والمتلائمة تماماً فيما بينها (التي تكون قليلة الانتشار. مع ذلك يمكننا الانتساب في آن واحد إلى عدة شركات علمية وتعاونيات ورابطات وجامعات، إلخ.) والتجمعات من النوع نفسه المتلائمة فيما بينها بصورة خاصة (المهن، الحرف، النقابات، المصانع) والتجمعات من النوع نفسه غير المتلائمة فيما بينها (وهي الأكثر انتشاراً: تجمعات السن والجنس، الفئات المغلقة، الطوائف والمنظومات الدينية، الأحزاب السياسية، الدول، الكنائس)، وأخيراً التجمعات الحصرية التي على أعضائها المشاركة في أي تجمع آخر (الدول التوتاليتارية، خلايا السجن) والمعيار الثالث عشر هو «طريقة الإكراه»: فهو يميز بين التجمعات التي تملك إكراهاً مشروطاً (تلك حال الأغلبية بينها، والمشاركون يستطيعون الانسحاب للتخلص من الجزاءات) والتجمعات التي تملك إكراهاً غير مشروط (تجمعات محلية، عائلة، إلخ. كل تلك التي لا تستطيع الخروج منها للتخلص من جزاءاتها).

إن المعيار الرابع عشر هو «المبدأ الذي يحكم المنظمة»: فهو يميز بين تجمعات التعاون ذات السمة الديمقراطية وتجمعات الهيمنة ذات السمة الاستبدادية. وأخيراً المعيار الخامس عشر، وهو «درجة الوحدة»، الذي يؤدي إلى التمييز بين التجمعات التوحيدية المتكونة «عبر تسلسلية مباشرة للأشكال المجتمعية أو عبر رجحان مجموعة مركزية على

تجمعات ثانوية. لا تمثل سوى دور ثانوي»، والتجمعات الفيدرالية التي «يقوم تنظيمها على تركيب التجمعات الثانوية... المنظم بشكل يؤكد فيه التجمع المركزي مساواته مع التجمعات الثانوية في تكوين وحدتها»، والتجمعات الفيدرالية التي «يقوم تنظيمها على تركيب التجمعات الثانوية... المنظم بشكل تؤكد فيه التجمعات الثانوية هيمنتها على التجمع المركزي» (ديفرجييه، 1991، 42).

ونجد أن معيار وتصنيفات علماء علم الاجتماع المرتبطة بالجماعات انعكست على تقسيمات الموسوعات العلمية التي تذكر تعريفات الجماعات الأولية والثانوية، الرسمية وغير الرسمية، جماعات الضغط، الجماعات المرجعية، جماعات المصالح... إن الجماعة تحفز أعضائها من خلال وظائفها التي ينجزها الأعضاء، وعملهم هذا يستلزم التداخل والاعتماد المتبادل.

الرابطة الاجتماعية:

هي التي تشد أواصر الجماعات البشرية وتجعلها متماسكة؛ من الأسرة إلى القبيلة إلى الأمة... وهي تعمل تلقائياً على دفع المجتمع الواحد نحو البقاء، مثلما تعمل جاذبية الشيء "تلقائياً" على إبقائه كتلةً واحدةً حول النواة.

وهذه الرابطة هي التماسك والألفة والمحبة والانسجام، وهي أقوى على مستوى الأسرة منها على مستوى القبيلة، وأقوى على مستوى القبيلة منها على مستوى الأمة، وأقوى على مستوى الأمة منها على مستوى العالم.

فالمنافع والمزايا والقيم والمثل العليا المترتبة على الرابطة الاجتماعية توجد حين تكون درجة هذه الرابطة قوية، ولكنها تتلاشى وتفقد قيمتها كلما تلاشت أو فقدت الأسرة والقبيلة والأمة قيمها.

فمن المهم جداً للمجتمع الإنساني أن يحافظ على الروابط الاجتماعية التي تبدأ من الأسرة والقبيلة والأمة؛ ليستفيد من هذه المزايا والمنافع والقيم المتمثلة في الترابط والتماسك والوحدة والألفة والانسجام المتوافرة في الأسرة الواحدة والقبيلة الواحدة والأمة الواحدة. لقد حاول "دوركهايم" أن يقيم الروابط بين الناس اعتماداً على تقسيم العمل.

تقسيم العمل:

1- هو تقسيم أي عملية أو وظيفة إلى أجزاء كل منها يقوم به شخص منفصل.

وإذا حدد معناه علمياً "بال تخصص" فإنه يمتد إلى نطاق واسع، ويشمل الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والبيولوجية والتكنولوجية.

ويشير "التخصص" في مجال التحليل الاجتماعي إلى السمات الخاصة التي يتميز بها الأفراد أو الجماعات، أو المشروعات الاقتصادية أو النظم الاجتماعية، أما تقسيم العمل: فإنه ينصب عادة على الواجبات الخاصة التي يكلف بها الأفراد والجماعات، وعلى النتائج الاجتماعية والاقتصادية لهذا التكليف.

2- وقد اعترف بأهمية تقسيم العمل في دراسة النظم الاجتماعية والاقتصادية منذ ظهور كتابات "آدم سميث" الذي عزا إلى هذه الظاهرة الرخاء العام الذي امتد إلى الطبقات الدنيا من الشعب.

ووجه "دوركهايم" (1858-1917) عناية خاصة لدراسة ظاهرة تقسيم العمل بوصفها تؤدي دوراً مهماً في عملية التطور الاجتماعي، وفي الانتقال من التضامن الآلي إلى (التضامن العضوي) وهذا الانتقال يقضي على التفتت في العلاقات الاجتماعية من حيث: الكيف والاتساع والتنوع.

وقد انصبت دراسة العمل على الأثر الذي يحدثه بالنسبة لنظام معين من نظم الإنتاج، وخاصة من حيث تبسيط العمليات الإنتاجية وتيسير أدائها (في الإنتاج

الصناعي بالذات) وازداد الاهتمام بهذه الناحية مع تقدم علماء علم الاجتماع الصناعي؛ بوصفها جزءاً من دراسة «التغيير التكنولوجي» فحاول «فريدمان» في فرنسا دراسة أثر الإنتاج الآلي في أحوال العمال ومواقفهم الاجتماعية. كذلك درس «ابن خلدون» ظاهرة تقسيم العمل حينما ذكر في مقدمته: «أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من الغذاء» وأنه: «لا بد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل التعاون».

تقسيم العمل اجتماعياً هو أيضاً «توزيع الوظائف الاجتماعية لتخصص بها فئات معينة من الناس "الصناعية، الزراعية، العلم، الفن...»
والتقسيم التكنيكي للعمل: هو تجزئته إلى عدة وظائف أو عمليات يتولاها أناس مختلفون في إطار المنظمة أو المؤسسة. وينعكس هذان اللونان في التقسيم المهني للعمل. والتخصص في الإنتاج بين المناطق ضمن البلد الواحد يدعى بـ: «التقسيم الإقليمي للعمل». وبين مختلف البلدان: «التقسيم الدولي للعمل»، وأول أشكاله التاريخية كان «التقسيم الطبيعي للعمل»: تبعاً للجنس والعمر.

— ′
:

لا يتحتم على علم الاجتماع أن يقتصر على دراسة جانب واحد فقط من جوانب الحياة الاجتماعية، وإنما يمكنه أن يدرس الكيان الكلي. أي أن علم الاجتماع يمكن أن يكون علماً خاصاً مستقلاً يتخذ المجتمع وحدة للتحليل. وهنا يصبح هدفه الكشف عن الصلات التي تربط النظم التي تكون المجتمع في ظل الأنساق الاجتماعية المختلفة. فالمتخصص في نظم الحكم يمكن أن يدرس أنماط الحكومات، ويبحث في كيفية تحديد وظائف السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية، وكيفية ارتباط الوحدات التي

تضطلع بهذه الوظائف، والنتائج التي تترتب على مركزية الإدارة الحكومية، في الوقت الذي تكون فيه السلطة التشريعية موزعة على أجزاء الدولة المختلفة. على هذا النحو تماماً يمكن أن يكون هناك فرع من فروع الدراسة يركز على المجتمع بوصفه وحدةً للتحليل، ويمكن أن تتضمن مثل هذه الدراسة للمجتمع قسمين رئيسيين على الأقل. يختص الأول بالتباين الداخلي بين المجتمعات المختلفة. ويتناول الثاني المجتمعات بوصفها مجموعةً من الناس تتميز ببعض السمات الخارجية المحددة. وفي الحالة الثانية يستطيع علم الاجتماع أن يطرح تساؤلات من النوع التالي: هل هناك أي شواهد على أن أنماطاً معينة من المجتمعات كالإمبراطوريات الكبرى مثلاً، يمكن أن تستمر فترة معينة من الزمن؟ هل تمر المجتمعات بمراحل تطور معينة؟ وقد سيطرت مثل هذه الموضوعات ذات يوم على الفكر السوسيولوجي في مرحلة معينة من مراحل تطوره، خاصة في صورة النظرية التطورية في تفسير النمو الاجتماعي. ويبدو أن الانتقادات التي وجهت إلى النظريات التطورية لم تعد تشجع على بذل مزيد من الجهود في هذا السبيل.

أمّا اليوم فنجد أن الدراسات الأكثر شعبية والأكثر نجاحاً هي تلك الدراسات الاجتماعية التي تركز أساساً على البناء الداخلي للمجتمع. ومن التساؤلات الطرازية التي يطرحها هذا النوع من الدراسات: ما هي المشكلات الداخلية التي يتحتم على كل مجتمع أن يواجهها؟ ما هي أكثر المكونات شيوعاً في معظم المجتمعات؟ كيف تحدد المجتمعات — بشكل طرازي — مسؤولية أداء الوظائف المختلفة؟ ما هي النتائج التي تترتب على ارتباط بعض النظم الاجتماعية ببعضها؟ من هذا مثلاً: إلى أي مدى يتفق النمط الصناعي من الحياة الاقتصادية مع نمط الأسر (الممتدة)؟

ويسير على هذا النمط قدر كبير من دراسات ما يعرف باسم علم الاجتماع التاريخي وعلم الاجتماع المقارن. وقد أجرى ماكس فيبر (1864-1920) مجموعة من

الدراسات الكلاسيكية التي طرح فيها مجموعة الأسئلة التالية: هل تنطوي كل الأخلاق الدينية على بعض الدلالات التي توجه السلوك في العالم الواقعي، وخاصة السلوك الاقتصادي؟ وإذا كان ذلك صحيحاً: فهل يترتب على ذلك أن أتباع أديان معينة قد يكونون أكثر نشاطاً أو أكثر فعالية في الحياة الاقتصادية من أتباع أخلاق دينية أخرى؟ وقد حاول فيبر أن يجيب عن هذه التساؤلات من خلال مجموعة من الدراسات البارزة لتأثير الدين في النشاط الاقتصادي في الصين والهند، والأجزاء البروتستانتية من أوروبا. خرج من دراسته للنموذج الأخير بدراسة تعد من أشهر الدراسات التي عرفتھا العلوم الاجتماعية، ومن أكثرھا إثارة للجدل، هي: «الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية». وقد أشرنا إلى ماكس فيبر مثلاً لدراسة المجتمع، لأن اهتمامه لم يكن منصباً على الدين في ذاته، وإنما على تأثير أنماط معينة من التنظيم الديني في جوانب أخرى من جوانب الحياة الاجتماعية، وخاصة في الحياة الاقتصادية. (أليكس إنكلز، 1977، 57).

علم الاجتماع كدراسة للنظم الاجتماعية:

إن الفكرة التي مؤداھا أن الوحدة المتميزة للتحليل السوسيولوجي هي المجتمع، أو بصورة أدق العلاقات التي تربط بين عناصر المجتمع، فكرة قديمة تحظى بقبول واسع النطاق. وإن كان بعضهم يرى أن النظم الاجتماعية بذاتها – كالأسرة، الكنيسة، المدرسة، الحزب السياسي – موضوع أكثر تمييزاً لعلم الاجتماع، على أساس أن المجتمع كلياً يمثل فعلاً وحدة التحليل في علمي التاريخ والأنثروبولوجية. ويمكن أن نسوق فيما يلي أمثلة للموضوعات التي يتناولھا علم متخصص في دراسة النظم: ما هي السمات المشتركة بين كافة النظم الاجتماعية؟ ما هي الأبعاد التي يمكن على أساسھا التمييز بينها؟ وكيف تختلف هذه الأبعاد عندما نكون بصدد مقارنة النظم التي تؤدي وظائف

مختلفة؟ وهل تشترك بعض النظم في السمات الأخرى - بغض النظر عن وظائفها- بسبب تشابهها في الحجم، في درجة التخصص، وفي درجة الاستقلال؟ وما إلى ذلك.

وقد كتب دوركهيم (1858-1917) في عام 1901 أنه يمكن تعريف علم الاجتماع أنه «علم دراسة النظم» إلا أن هذا النوع من أنواع التحليل السوسيولوجي لم يتم بشكل مركز، والأهمية المتزايدة لنمط معين من أنماط النظم- هو التنظيم الواسع النطاق في العالم المعاصر- قد أدت إلى تحديد الاهتمام وتنشيط البحوث في موضوع الخصائص العامة للنظم الاجتماعية.

علم الاجتماع في دراسته للعلاقات الاجتماعية:

كما أن المجتمعات تعد أنساقاً معقدة من النظم، كذلك تعد النظم أنساقاً معقدة من علاقات اجتماعية أكثر بساطة. فالأسرة - على سبيل المثال- تتكون من مجموعات عدة من العلاقات، منها العلاقات القائمة بين الرجل وزوجته، والعلاقات بين الأبوين والطفل، وتلك بين الأخ وأخته، وبين الجدين والحفيد. فكل علاقة من هذه العلاقات يمكن أن تدرس بوصفها نمطاً متميزاً من العلاقات. ونستطيع في دراستنا لكل العلاقات الاجتماعية أن نتبع بعض الجوانب المشتركة، من هذا بعض الخصائص المتعلقة بحجم الجماعة (ثنائية، أو ثلاثية، إلخ..). أو نوع العلاقة، كما نجد مثلاً في دراسة السيطرة والخضوع.

ونستطيع من وجهة النظر التحليلية أن ندعي أن مثل هذه العلاقات تكون موضوعاً مستقلاً متميزاً للدراسة. كما نستطيع أن ندرس الخصائص التي تؤدي إلى خلق التشابه والتباين بين النظم، كذلك نستطيع دراسة العلاقات الاجتماعية بالطريقة ذاتها. بل إننا نستطيع أن نذهب إلى أبعد من هذا فندعي أن هذه العلاقات ليست سوى «جزيئات» الحياة الاجتماعية، وأنه ما تزال هناك وحدة أصغر، هي «الفعل الاجتماعي»

الذي يمثل (الذرة) الحقيقية للحياة الاجتماعية، التي يمكن أن تكون موضوعاً خاصاً في دراسة علم الاجتماع.

وسوف نناقش مدلول هذه المصطلحات بشكل أكثر تفصيلاً في فصل لاحق من فصول هذا الكتاب. ولكننا نكتفي في هذا المقام بالإشارة إلى أن ماكس فيبر (1864-1920) قد التزم التزاماً جاداً بالفكرة التي مؤداها أن علم الاجتماع يقوم أساساً على دراسة العلاقات والأفعال الاجتماعية، كما وضع مجموعة من المقولات لوصفها وتحليلها. وقد شاركه في هذه النظرية بعض علماء الاجتماع الألمان البارزين فقد دافع ليوبولد فون فيزه Leopold Von Wiese دفاعاً مفصلاً عن الفكرة التي مؤداها أن دراسة العلاقات الاجتماعية تمثل الموضوع الوحيد المتميز لعلم الاجتماع. كما أن الجانب الأكبر من كتابات جورج زيمل George Simmel (1858-1918) في علم الاجتماع كان تطبيقاً لهذا المبدأ الأساسي. وكان تالكوت بارسونز Talcott Parsons من بين علماء الاجتماع المعاصرين الذين عبروا عن آراء مشابهة لهذه. إلا أنه لم تجر بحوث إمبريقية منظمة عن الفعل الاجتماعي والعلاقة الاجتماعية على نطاق واسع إلا حديثاً فقط، وقد تركزت أساساً في دراسة الجماعات الصغيرة في البحوث الصناعية. (Parsons, 1975).

فإذا انطلقنا من المبدأ القائل بأن لكل علم من العلوم موضوعاً خاصاً متميزاً، اتضح أن هناك مجموعة من النظم التي لم تفلح في أن تصبح موضوعاً لأي علم راسخ مستقل، وأصبحت بدلاً من ذلك موضوعات لفروع من علم الاجتماع. وقد رأينا أيضاً أنه إذا استطاعت بعض النظم الاجتماعية - كالأسرة مثلاً - أن تصبح موضوعات لدراسة علوم مستقلة متميزة، فإن المجتمعات، والنظم، والعلاقات الاجتماعية، والعمليات الاجتماعية (كالتباين، والتعاون، والتقويم، والمنافسة) سوف تظل تمثل بؤراً متميزة للتحليل السوسيولوجي. والمعروف طبعاً أن الانتروبولوجية تتناول هذه الموضوعات جميعاً، كما

أصبح التاريخ يهتم بدراسة المجتمعات والنظم الاجتماعية. ولكي نميز بين أي علمين تمييزاً دقيقاً يجب أن لا تقتصر على مقارنة الموضوع في كل منهما فقط، وإنما يجب أن تمتد المقارنة إلى الأهداف التي يسعى كل منهما إلى تحقيقها، والمناهج التي يستخدمها.

علم الاجتماع يدرس طائفة كبيرة من النظم والعمليات الاجتماعية وادعاء علم الاجتماع ملكية بعض هذه الموضوعات لا يطرح مشكلة خاصة. فمن غير المعقول ألا يكون نظام اجتماعي يمثل هذه العمومية - كالأسرة - أو عملية اجتماعية تمثل هذه الأهمية - كالتدرج الاجتماعي - موضوعاً لدراسة مركزة ومتخصصة. ولذلك يمكن أن يعد علم الاجتماع مجموعة من الفروع التي تتناول النظم والعمليات الاجتماعية التي لا يدعيها لنفسه أي من العلوم الأكثر تخصصاً.

ومع ذلك يجب أن ندرك أنه وإن كانت هناك بعض النظم - كالنظام الاقتصادي أو السياسي - تمثل موضوعاً لدراسة علوم مستقلة ومتخصصة، فإنها ستظل مع ذلك موضوعات البحث السوسيولوجي. وليس في هذا شيء من التزيد، أو نزعة علم إلى سيطرة على علوم أخرى. وذلك الجانب من جوانب أي نظام أو عملية اجتماعية الذي يربطه بأي نظام آخر أو عملية أخرى هو خاصيته بوصفه نسقاً متشابكاً من الأفعال. ولذلك نستطيع أن نقول: أن علم الاجتماع هو دراسة أنساق الفعل الاجتماعي والعلاقات المتبادلة بينها. وأبرز هذه الأنساق تبعاً للحجم ودرجة التعقيد ما يلي: الأفعال الاجتماعية المستقلة، العلاقات الاجتماعية، التنظيمات والنظم، المجتمعات المحلية، والمجتمعات.

ولا يتضح لنا هذا على الفور من دراسة كتب المدخل في علم الاجتماع، لأننا لا نقف من هذه الكتب إلا على النظم التي تدرس، دون أن نقف بالتحديد على الجانب الذي يتم التأكيد عليه فيها. وإذا استرجعنا مرة أخرى الموضوعات التي يعد علماء علم

الاجتماع أنفسهم متخصصين فيها، فإننا نشكر أنه كان من بين أكثر التخصصات توتراً: «نظرية علم الاجتماع» و «علم الاجتماع العام». ولم نعرض فيما سبق لمعاني هذين المصطلحين. ولو كنا فعلنا لاتضح لنا أن كثيراً من علماء الاجتماع يعبرون باختياراتهم هذه عن رأي مؤداه أن علم الاجتماع ليس مجرد مجموعة من الفروع التي تشمل كل مجالات الحياة، وإنما هو دراسة تلك الجوانب من الحياة الاجتماعية المتمثلة في الأشكال الاجتماعية كافة. والمعروف بالطبع أن هذه الفكرة قد وجدت تعبيراً واضحاً عنها في الكتابات الكلاسيكية في علم الاجتماع. كذلك ستواجهنا الفكرة ذاتها حتماً إذا ما حاولنا عن طريق التحليل المنطقي أن نحدد موضوعاً متميزاً لعلم الاجتماع، لا يتصارع مع دعاوى علوم أخرى تهتم بنظم معينة كالنظام السياسي أو النظام الاقتصادي.

ومن الواضح أننا نحتاج لكي نفهم علم الاجتماع أن نعرف شيئاً عن موضوعه: ولكن النقطة الأكثر أهمية والأخطر وزناً في تعريف طبيعة أي علم هي التساؤلات التي يطرحها عن موضوعه وعن الأساليب التي يتبعها. في الإجابة عن هذه التساؤلات نجد أن قوائم الموضوعات تطلعنا على موضوعات الدراسة في علم الاجتماع، ولكن دون أن نجيب إجابة واضحة نهائية عن السؤال المهم: «ما هو موضوع علم الاجتماع برؤيته؟». فالموقف الذي نحن فيه الآن يشبه إلى حد كبير موقف الطالب الذي طُلب منه أن يكتب بحثاً عن البيولوجية البشرية فرعاً من فروع العلم، ثم عاد يقول إنها تدرس الأذرع، والأقدام، والرؤوس وما إلى ذلك، وإنما تدرس الدورة الدموية، والتنفس، والهضم، وكذلك تجري دراسات مقارنة بين الرجل والمرأة. فمن المؤكد أن هذه المعلومات يمكن أن تعين بعض الشيء على التقدم في دراسة هذا العلم، ولكنها لا تقدم تعريفاً وافياً لموضوعه.

وعلىنا أن نستكشف فيما يلي وجهة النظر الخاصة التي ينظر بها علم الاجتماع إلى هذه الموضوعات، كيف يتناولها؟ وما هي المناهج التي يستخدمها في دراسته لها؟ وما نوع النتائج التي يتوصل إليها من دراستها؟

:

هنالك اهتمامات ميدانية وعلمية متباينة، كاهتمام بعضهم بالعائلة أو المجتمع المحلي أو العلاقات الصناعية أو علم الجريمة وإدارة السجون والخدمات العسكرية، والصحة والمرض، والوظائف والمهن والعلاقات الدولية وغير ذلك.

ومع ذلك فلم يستمر علم الاجتماع علماً هامشياً، ولم يصبح - كما أراد له كونت - العلم الاجتماعي العام، فتطوره لم يستدع حذف العلوم الاجتماعية الأخرى أو الاستغناء عنها، بل إنه صار علماً مستقلاً في صيرورة وتكون دائمين. وقد أدى تباين ميادينه إلى الاتفاق على مستوى نظري عام، وعلى الأقل هناك ثلاث مميزات لعلم الاجتماع تميز بها حتى الخمسينات من هذا القرن هي:

1- العمومية والشمول:

يمكن تقسيم العلوم إلى نوعين: العام والخاص. ويهتم في الأخير بالمنفرد من الأحداث والمواضيع، أو تلك التي تقع مرة ولا تتكرر.. ولعل موضوع الجغرافية أقرب إلى هذا، أما في العلوم الإنسانية فالتاريخ والأنثوغرافيا (دراسة وصفية لثقافة المجتمع) يمثلان هذا النوع. فالتاريخ عادة يهتم بأوقات وفترات محددة، أو مجتمعات خاصة أو دراسة شخص أو معركة. ومن جهة أخرى يدرس المؤرخ السلسلة السببية للأحداث. فقد يهتم بأسباب تدهور الحكم الأموي مثلاً، وما نتج عن ذلك، وهنا يصبح في غاية الأهمية للدراسات الاجتماعية، وذلك لأن المنهج التاريخي يقدم البيانات الأولية التي يمكن أن يبني على أساسها التعميمات، والتي يمكن الاستفادة منها في التطبيق أو التوصل إلى

نظريات اجتماعية. هذا مع العلم أن التوقف عند الوصف وإعطاء المعلومات الدقيقة المفصلة لا يكفي لتكوين علم واحد.

وفي معظم الحالات يستحيل بالطبع أن نحصل على جميع البيانات والحالات، ولهذا فإن عملية التعميم تبقى مستمرة وفي تجديد دائم، فباكتشاف بيانات جديدة وعن طريق دراسة حالات أخرى نتمكن من زيادة تهذيب نتائج ومبادئ العلم العامة. والتعميمات العامة العلمية ليست مطلقة ولا تشمل على جميع الحالات، وبذلك تختلف عن الحقائق الدينية والفلسفية في أنها قابلة للتجدد، وبهذا تستدعي القيم العلمية الباحث إلى أن يأمل أن تعاد تجربته للتحقق من نتائجه بشكل ما. وعلم الاجتماع علم عام شامل يسعى الباحث فيه إلى التوصل إلى المبادئ العامة والبناء النظري.

2- النظر إلى المجتمع بوصفه وحدة كلية متكاملة:

يدرس علم الاجتماع المجتمع كلياً ويدرس وحدته لا الأجزاء، وإن كان يهتم بالعلاقات بين تلك الأجزاء. فعندما يتناول الباحث في علم الاجتماع العائلة والمصنع أو النظم السياسية أو الدينية أو التطبيقية فإنه يهدف عادة إلى شيئين:

أ- إظهار مكانة وعلاقة ذلك الجزء بالمجتمع كلياً، كدراسة أثر كل منهما في الآخر، وذلك للتوصل إلى كيفية سير وعمل المجتمع تحت ظروف معينة.

ب- استعمال تلك النظم والجماعات الاجتماعية المختلفة كوحدات صغرى للتوصل أو التحقق من التعميمات الاجتماعية. وهنا يظهر التباين بين علم الاجتماع النظري والبحث الميداني، وذلك لأغراض إدارية، يمكن الاكتفاء في حالة البحث الميداني بالنتائج الخاصة حول دراسة مصنع أو مؤسسة ما؛ ومع هذا ليس هناك سبب لعدم استخدام تلك النتائج في التوصل أو التحقق من نظرية عامة، فالتوصل إلى نظرية عامة

بين الحالات والبدائل المختلفة في الموقف الاجتماعي، وبالتالي يكون ذلك أجدى حتى للإداريين على المدى البعيد.

3- المجتمع حقيقة قائمة بذاتها:

توصل الباحثون في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين إلى أن المجتمع الإنساني جزء فريد في الكون، لا يمكن دراسته وفهمه بنظريات تنطبق على الأجزاء الأخرى، فلا يمكن فهم المجتمع الإنساني على أنه نتيجة للبيئة الجغرافية فقط، أو على أنه آلة تسير بحسب قوانين الميكانيكا، أو نتيجة للتطور البيولوجي، أو ظاهرة سببتها العوامل الاقتصادية - وسائل الإنتاج وأساليب التبادل - أو نتيجة لنفسيات الأفراد الذين يكونون المجتمع. فالحقيقة الاجتماعية - كما قال دوركهيم - يجب أن تدرس وتفهم في ذاتها، كما يجب أن تفسر بحقائق اجتماعية، فالمجتمع كالعالم الطبيعي أو البيولوجي يجب أن يدرس وينظر إليه بوصفه حقيقة قائمة بذاتها. فالحقيقة الاجتماعية معقدة يدخل في تفسيرها جميع العوامل السابقة وتتميز من غيرها بتميز موضوعها القائم على دراسة الإنسان اجتماعياً، والقادر على اتخاذ القرارات والاختيار من بين بدائل ضمن مواقف متباينة. ويؤدي تكرار السلوك وتنميته وتنظيمه إلى أن تصبح هذه الحقائق القائمة بذاتها خارجة عن الأفراد المكونين لها. ينظر إليها بعضهم بوصفها أشياء مادية وآخرون يركزون على أهمية المعنى العقلي لدى المتفاعلين.

:

ظهر علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية عامة نتيجة للتأزم والصراع في الموقف الفكري، والذي أطلق عليه C.P.now عالم الفيزياء البريطاني بالثقافتين، وعنى بذلك الدراسات الإنسانية والعلوم الطبيعية، فعالم اللاهوت والفيلسوف والفنان من جهة،

وعلماء الفيزياء والكيمياء والأحياء من جهة أخرى، ينظرون إلى الفرد والمجتمع نظرات متباينة ومتضادة. فالإنسان بالنسبة للفئة الأولى مسؤول أخلاقياً، له قدرة اتخاذ القرارات، وبذلك فهو يريد أن يكون فريداً في هذا العالم. أما علماء العلوم الطبيعية فقد نظروا إلى الإنسان على أنه كائن تتحكم فيه القوانين الطبيعية الخارجة عن ذاته، وبذلك ليس الفرد والمجتمع إلا جزأين من الكون أو العالم الطبيعي. وفي عالم تتزايد في بنائه وهدمه نتائج العلوم الطبيعية لا يمكن الاعتماد على نتائج الفلسفة والفنون فقط في التوصل إلى صورة للحياة الاجتماعية، وكانت هذه المعضلة التي واجهها الفكر الإنساني، والتي يحاول علماء الاجتماع وضع أيديهم عليها. (عثمان، إبراهيم عيسى، 1983، ص21)

وهكذا عندما حاول علماء الاجتماع الاعتماد على نماذج العلوم الطبيعية أخفقوا في فهم الأسس الكيفية لمقدرة الإنسان على اتخاذ القرارات، واستطاعته الاختيار من البدائل أو إمكانياته الإبداعية أو الهدامة. ويظهر من الدراسات الاجتماعية الآن: أن هذه المعضلة لن تحل أبداً، إذ يبدو أن العلوم الاجتماعية تميل حيناً إلى موقف الدراسة الإنسانية، وأحياناً أخرى إلى موقف العلوم الطبيعية، ومع هذا ففي هذا الصراع نفسه الفرصة للإبداع المستمر في العلوم الاجتماعية.

الفصل الثاني

أولاً: الفكر الاجتماعي في الحضارات القديمة

ثانياً: الفكر الاجتماعي عند اليونان

ثالثاً: الفكر الاجتماعي في العصور الوسطى

رابعاً: الفكر الاجتماعي عند المسلمين

خامساً: الفكر الاجتماعي في عهد النهضة الأوروبية

سادساً: فلسفة التاريخ



الفكر الاجتماعي قديم قدم المجتمعات الإنسانية، والحديث عنه يتطلب منا استعراض الخلفية التاريخية لهذا الفكر... الذي هو انعكاس للواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمجتمع الذي ظهر فيه، والخلفية التاريخية للفكر الاجتماعي تتناول المراحل التالية:

:

الحضارات التي سيتم الحديث عنها هي مصر القديمة، بابل، الهند، الصين..

أ- الفكر الاجتماعي في مصر القديمة :

أدت الزراعة في مصر إلى استقرار القبائل وتكوين القرى ونشأة المدن حول أماكن التقاء الأسواق، وكان لنهر النيل دور رئيس في تكوين المجتمع المصري الموحد. وعملت الزراعة في مصر على ظهور النظام الأسري الذي أوجد تبعاً له النظام الأخلاقي للمصريين، كالطيبة، والكرم، وحب الخير، والتعاطف، كما أن النظام الأسري أدى إلى تأكيد التوحيد وحب الإله بدلاً من الخوف منه، (بيومي، 1983، 15). وإن ملامح الفكر الاجتماعي عند المصريين القدماء تتجلى في النواحي التالية:

- التدرج الطبقي: حيث كان البناء الاجتماعي متركزاً على تقسيم طبقي، وعلى قمة هذا البناء الطبقي يجلس الفراعنة بوصفهم حكاماً سياسيين، آلهة أو أشباه آلهة أو منحدرين من الآلهة، وكانوا يجمعون في أيديهم السلطتين الزمنية والدينية، ويولي هذه الطبقة طبقة الكهنة أو الذين يقومون بالخدمة في المعابد، ثم طبقة قادة الجيش، ثم طبقة الفنيين والصناع، وأخيراً طبقة الفلاحين، ويرتكز هذا النظام كله على النظام الديني، وعندما يتغير النظام الديني تتغير النظم السياسية والاقتصادية،

والعكس أيضاً صحيح. وهذا يعني أن للسلطة الدينية مركزية في النواحي السياسية والاقتصادية، وقد ساعد هذا الأمر على نشأة تشريعات وقوانين عامة للدولة، وصارت هذه القوانين تحكم سلوك الأفراد وعلاقاتهم ومعاملة بعضهم مع بعض، ويتضح من هذا كله أن التفكير الاجتماعي كان يحمل في ثناياه بواكير النضج التشريعي والقانوني، إلى جانب بواكير التنظيمات الاجتماعية. (الجوهري، عبد الهادي، 1991، ص33).

- الأفكار الاقتصادية: أثبتت الوثائق التاريخية أن الفكر الاجتماعي قد اهتم بفكرة الملكية، وكان نظام الملكية يرتكز على حقوق إلهية لا يجوز للفرد تجاوزها، وكان كبار الملاك يمنحون الكهنة بعض الأملاك بقصد الصلاة على أرواحهم وتقديم القرابين بعد وفاتهم، ويعمل بالأرض الفلاحون وهم طبقة أنصاف الأحرار، وعرف المجتمع في ذلك الوقت نظام العبيد الذي تنتقل ملكيتهم بالميراث، فقد كان الرق مشروعاً للزواج وأسرى الحرب من الأجانب. (الجوهري، عبد الهادي، 1991، ص34).

- الأفكار الدينية: حيث كانت المظاهر الدينية لقدماء المصريين تعكس حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية، كما كانت السلطة السياسية ترتكز على الحكومة الدينية التي جعلت من الفراعنة آلهة، وجعلت من الكهنة هم طبقة الأشراف المثقفين والقضاة. (الجوهري، 1991، ص34).

- كما ترك المصريون القدماء العديد من مظاهر الثقافة التي تشير إلى فكرهم الاجتماعي، مثل قصائد وجدت في قبور ملوكهم، وكذلك أوراق البردي التي احتوت على العديد من النصائح التي كتبها الحكماء للأجيال

اللاحقة، وكلها تدور حول مراعاة الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية،
(بيومي، محمد أحمد، 1983، ص16)

وهكذا يتبين لنا أن الفكر الاجتماعي عند المصريين القدماء كان مطبقاً بالصيغة الدينية؛ إذ إن الدين له التأثير الكبير في الكثير من النواحي في مصر القديمة.... هذه الأفكار الاجتماعية عند المصريين القدماء لم تَرَقَّ إلى مرتبة العلم بعد..

ب- الفكر الاجتماعي في بابل:

إن أهم ما يميز هذا الفكر:

- التدرج الطبقي: حيث كان الكلدانيون- وهم أقدم سكان بابل- متخصصون في المظاهر الدينية، ويقضون حياتهم في التأمل والفلسفة، ويلجأ إليهم العامة في تفسير أحلامهم، لذلك كان مقامهم عالياً، ويؤلفون طبقة معفاة من الضرائب والالتزامات العامة. ويلي هذه الطبقة طبقة الجنود، وكانت الظروف هي التي تطلبت أن يحتل الجنود مكانة مرتفعة، لأن آشور كانت مملكة شاسعة بعيدة الحدود مؤلفة من عناصر مختلفة، ولذلك لا بد من أن يكون الحكم قوياً يعتمد على جيش قوي، وانعكس هذا الوضع في الفن الآشوري، فاللوحات التي تركوها تمثل أبشع وأفظع المواقف في معاملة الأعداء وأسرى الحرب، وكان الملك على قمة هذا البناء الطبقي فهو الذي يقود جيوشه، وهو بمنزلة الإله الأعظم (آشور) على الأرض، وكان الملك يؤلف كل سنة جيوشاً لاستيعاب الأمن في البلاد. وتعسكر الجيوش خارج كل مدينة، ثم تسرح كل عام وتعود إلى أوطانها. وتتألف طبقة العامة من التجار والفلاحين، ويتميزون من غيرهم بأنهم كانوا كانوا حُفَاة الأقدام عُراة الرؤوس، بخلاف الكهنة ورجال

القصر الذين يرتدون القلانس التي تختلف أشكالها باختلاف الوظائف والمراكز، وكان لبس الشعار مقصوراً على الأمراء ورجال الحرب، ولكل شخص من الطبقات العليا زحرف رمزي يستخدم للتوقيع. (الجوهري، عبد الهادي، 1991، ص39-40).

- الديانة السومرية: يقوم الدين السومري على مجموعة كبيرة من الآلهة مرتبة على أنساق، ومجموعة أخرى إلهية تعبر في الواقع عن الصفات التي تتصف بها الآلهة الأم، وهناك آلهة ترتبط بأسطورة الموت والبعث الذي يموت شتاء ثم يعود في الربيع، وللمدن المختلفة آلهة محلية على نحو ما نجده في مصر القديمة، ولم يكن الآشوريون يميزون بين الآلهة والملوك، وكان احترامهم للملك أشبه بالعبادة، ولم يكن أحد من أفراد الشعب يجرؤ على توجيه الكلام إليه وكان الملك هو المصدر الذي تنبعث منه كل ما يختص بالمسائل الدينية والحرية. وهناك دلائل تشير إلى انتقال الديانة الكلدانية إلى الإغريق عن طريق آسيا الصغرى، كما كان شائعاً عند البابليين نظام تعدد الزوجات. (الجوهري، 1991، ص40).
- وهكذا تبين لنا أن الفكر الاجتماعي عند البابليين كان ممزوجاً بالفلسفة والسياسة تارة، وبالدين تارة أخرى، مما جعل هذا الفكر لا يرقى إلى مرتبة العلم بعد..

ج- الفكر الاجتماعي في المجتمع الهندي القديم:

تعد الأشعار الهندية القديمة المعروفة باسم (ماها بهارتا) من أقدم المصادر الهندية التي تعكس الأفكار الاجتماعية للحضارة الهندية القديمة، فكانت الأفكار الاجتماعية

والسياسية ممزوجة بالدين والممارسات الطقوسية، وقد ورد في تعاليم نبي الهند (مانو) *أن الإله براهما خلق الملوك مزودين بمجموعة من العناصر للقوى المقدسة التي اصطنعت من الوهج أو النار المقدسة، ويتضح من ذلك أن السلطة السياسية من طبيعة دينية لأنها مستمدة من سلطة الإله الأكبر براهما* : وهو أحد الآلهة الثلاثة العليا في الديانتين البراهمانية والهندوكية (براهما، فيشنو، سيغا) الإله الخالق للكون وللأشياء جميعاً، ونصت تعاليم مانو على تقديس طبقة رجال الدين من البراهمة، وأوجب على الملوك احترامهم، وجعل أملاكهم مقدسة لا يعتدى عليها، وهم أعوان الملوك في سلطاتهم، والملاحظ أن المجتمع الهندي متفاوت من حيث الطبقات، ويعود هذا التفاوت إلى الدين الذي أرسى قواعده ونظم علاقة كل طبقة بالطبقات الأخرى، ويقف في قمة السلم الطبقي طبقة البراهما وهي طبقة رجال الدين، وهي طبقة تمارس الطقوس الدينية بقصد حماية الإنتاج الزراعي وزيادته، وقد فرضت عليها التعاليم المانوية خضوعها لكثير من التحريمات، فحرمت عليها الزواج أو الاختلاط بغيرهم من السلالات، وخاصة من القبائل التي كانت تسكن الهند قبل هجرة البراهما إليها، وهي في عزلة أرستقراطية عن بقية الطبقات التي تؤلف المجتمع، وقد ظل هذا اللون من التقليد الاجتماعي مسيطراً على المجتمع الهندي حتى ظهور المصلح الاجتماعي (ساكياموني) صاحب التعاليم الدينية المقدسة التي عرفت باسم الديانة البوذية، وتمثل تعاليم بوذا ثورة جذرية على الأسس الاجتماعية التي ارتكزت عليها الديانة البراهمية. فالتفكير الاجتماعي البوذي ذو طابع أخلاقي سلوكي ساعد على خلاص المجتمع الهندي من براثن النظام الطائفي عن طريق هدم العقيدة البراهمية وأثبتت البوذية بالتفسيرات العقلية لأسفار (الفيدا) * (المرحلة المبكرة من تطور الديانة الهندوسية هي الألف الأول قبل الميلاد موروثاً أساساً من خلال كتب الفيدا التي تؤله قوى الطبيعة وتعنى بالقرايين) أن كل الطبقات تتساوى في طبيعتها الحيوية والاجتماعية، وأنه باستطاعة أي إنسان مهما كانت الطائفة التي ينتمي إليها أن يكتسب هذه الصفة عن طريق بعض

الفضائل السلوكية العملية، وهي الاستقامة والتأمل والحكمة. لكن التأملات البوذية لم تَرَقْ بتفكيرها إلى حد استخلاص مفاهيم أساسية في النظريات السياسية أو الحقوق المدنية، بل حاولت صبغ السلوك والنشاط الفردي والاجتماعي بصبغة صوفية ذات مسحة دينية، ولم يصل المجتمع الهندي القديم في تفكيره إلى التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي بلغته المدينة المصرية القديمة. (الجوهري، 1991، ص41-42).

د- الفكر الاجتماعي عند الصينيين:

تقترب الحياة الصينية في كثير من مظاهرها من الحياة المصرية، كالا اعتماد على الأنهار، كما كان الحاكم الصيني أقرب إلى كونه حاكماً دينياً من كونه حاكماً سياسياً، فالملك يتولى رئاسة حفلات الأضحية وتقديم القرابين لأجداده وللآلهة، لكي تجود الأرض بالمحاصيل الزراعية، علاوة على توليه شؤون الحكم والتوفيق بين الأمراء. أما امتلاك الأراضي وتولي الوظائف فكان مقتصراً على الطبقة الأرستقراطية، وكان جميع الفلاحين يعيشون حياة مشاعة في الحقول صيفاً وفي القرى شتاءً، وكانوا يخضعون للسخرة لأسيادهم، وقام نظام الزواج لديهم على قاعدة الخطف، وكان النظام الاقتصادي الذي ساد في الصين سبباً في ظهور المركزية والبيروقراطية والطبقية في المجتمع الصيني، وبالتالي ظهور الفقر والجهل والمرض والضعف، وأصبح المجتمع الصيني نخباً للدول الاستعمارية، وتعد إنكلترا أقرب مثل على ذلك، خاصة في تجارتها للأفيون لتخدير الشعب، إلا أن ثورة الصين الأخيرة استطاعت أن تغير الكثير من العقائد والتقاليد القديمة، وأقامت دولة جديدة لها أفكار وتطلعات حضارية حديثة. (بيومي، 1983، ص19-20).

وهكذا نستنتج أن التفكير الاجتماعي في الحضارات الشرقية كان مشتتاً ومتفرقاً، ينصب حول الدين والسياسة والأسرة والطبقات والزواج. وهي أفكار اجتماعية من

صميم علم الاجتماع، إلا أنه كان يعبر عنها بصورة ممزوجة بالدين تارة والسياسة تارة أخرى، وهذا التفكير لم يرق إلى مرتبة العلم بعد.

:

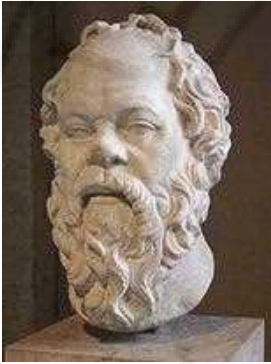
لقد انتقل التفكير الإنساني في المجتمع نقلة أساسية بظهور الفلسفة اليونانية، لذلك يعد التفكير اليوناني في المجتمع أول تفكير منظم؛ لأنه كان جزءاً من إطار المذاهب الفلسفية التي أرست قواعد المعرفة الإنسانية في كل نواحيها، فقد كان هذا التفكير غنياً وعميقاً إلى الدرجة التي رسم بها الخطوط وحدد المعالم التي لا زال الفكر الاجتماعي بصورة ما يترسمها حتى اليوم. لقد احتوت كتابات اليونان على أصالة وعمق ومنطق لكننا لا نستطيع أن ننسب أصالة الفكر الاجتماعي هذا إلى البيئة الاجتماعية وحدها، على الرغم من أثرها في اتجاهه، وما اتخذته من صور لا يمكن إنكاره، فلم تكن هناك دولة تجمع في نظامها السياسي الموحد جميع الشعوب المتنافرة التي كانت تعيش في اليونان وقتئذ، الأمر الذي أدى إلى قيام النزعات القبلية، والتي أثرت إلى حد كبير في تفكير اليونان، وخاصة فيما يتعلق بالظواهر الاجتماعية. (بيومي، 1983، ص20).

ويحتل التفكير الاجتماعي عند الإغريق القدماء مكاناً بارزاً في تاريخ الفكر الاجتماعي الإنساني، فقد حددوا بصورة ما المواقف والاتجاهات لكثير من المدارس الاجتماعية في العصور الحديثة، فنجد أن أفلاطون يمثل الاتجاه المخطط الذي لا يؤمن بالعشوائية أو التلقائية، كما يمثل أرسطو الاتجاه الديناميكي، وأن اختلافات البيئة والبناء الديموغرافي يفرض عليها صفة التنوع وتقسيم العمل. إن الفكر اليوناني قد التقى واحتك بالفكر الشرقي القديم، وخاصة الفكر البابلي الآشوري والفكر الفارسي والفرعوني، فالاتصال الحضاري والاحتكاك الثقافي له دوره في توجيه الفكر الاجتماعي نحو الموضوعية، فقد اتصلت الحضارة اليونانية بالحضارات الأخرى نتيجة لهجرة بعض القبائل

من الشعوب المجاورة، ونتيجة الحروب اليونانية، فضلاً عن حركة التبادل التجاري التي راجت في تلك المرحلة، خاصة أن اليونانيين كانوا يشتغلون بالتجارة، وزيارة بعض حكماء اليونان وفلاسفتها لمصر القديمة ومعابدها، والتقاءهم مع الكهنة الذين كانوا يقومون بوظيفة التعليم، فقد زار هيروودوت وغيره مصر، ونقلوا عنها الكثير من المعارف، وهذا الاتصال والاحتكاك أدى إلى انتقال قيم وعادات جديدة إلى المجتمع اليوناني. (الجوهري، عبد الهادي، 1991، ص 47).

وأهم ما في التفكير الاجتماعي عند اليونان:

1 - سقراط (Socrates) (469 - 399 ق.م)



فيلسوف يوناني من أثينا، أبوه نحاس وأمه قابلة، لم يترك أثراً مكتوباً، لكن سجل حياته وتعاليمه أوردتها تلميذه أفلاطون في (محاوراته) وأكسانوفون في (مذكراته). لقد أدت الحروب التي استمرت قرناً ونصف بين اليونان وجيرانها إلى تغيير أوضاع المجتمع اليوناني، فما خلفته الحرب من دمار وفقر وشقاء، أدى إلى أن يجد المواطن اليوناني نفسه في شك في كل ما آمن به من قيم الخير والحق والجمال، فمال الناس إلى تغيير أفكارهم واعتناق أفكار جديدة تناسب الظروف الجديدة. كذلك قام لتلبية هذه الحاجات الجديدة جماعة من الفلاسفة يسمون بالسفسطائيين، من أشهرهم: جورجياس - زينوفون و بروتوغوراس. وكانوا يعلمون الناس البلاغة والخطابة لقاء أجور عالية على تعليمهم طرائق الإقناع، فالمهم هو إقناع خصمك وبلوغ الخديعة. وكانت مهمة هذه الجماعة تشكيل الناس في المعتقدات الدينية والأوضاع الاجتماعية السائدة، حيث عدّوها مسؤولة عن جمود المجتمع اليوناني، وأنكر السفسطائيون إمكان الوصول إلى حقائق موضوعية ثابتة، إذ إن الحقائق عندهم نسبية تختلف باختلاف الأفراد، ووصل بهم

الحال إلى الفخر بأنهم يستطيعون أن يؤكدوا قولاً ويهدموه بحجج متعارضة في آن واحد، إذ إن الحق ليس واحداً بل هو متعدد بتعدد الأشخاص، فالحق ليس مطلقاً، لكنه أمر نسبي للإنسان الذي أنشأه، ولولا الإنسان لما كان هناك حق ولا باطل؛ لأن الإنسان وحده هو مصدر الأحكام والقيم، وبذلك هدم السفسطائيون القول بثبات القيم الاجتماعية والحقائق العلمية، ورأوا نسبيتها واختلافها بين الأفراد. وكان السفسطائيون يقولون بأن اللذة غاية الأفعال عند الإنسان، اعتقاداً منهم بأن الطبيعة البشرية لا تعدو أن تكون شهوة وهوى، فقالوا: لن تكون سعيداً متى خضعت لقانون، فمن حقاك أن تستخدم ذكاءك في إشباع شهواتك وتحقيق سعادتك، وإن اقتضاك الحرص على مصلحتك أن تتخفى وتظاهر بالتقوى والسعادة. واستبعد السفسطائيون عن الفكر الإنساني احتمال الوصول إلى أدلة موضوعية عن طبيعة الكون والظواهر الكونية كالشمس والنجوم. تحت هذه الظروف ظهر سقراط ليعبر عن الحياة الاجتماعية في عصره، وليعارض أسلوب الميتافيزيقين، وجمال سقراط الطرقات والأسوار والملاعب يتحدث ويناقش الناس، وكان يتبع في حوارهِ منهج التوليد، فكان يعاون من يحاوره على استخراج المعرفة من دخيلة نفسه، فإذا كان سفسطائياً تهكم به، وقد وجد بذلك فريقاً من المعجبين كما وجد كذلك فريقاً من الأعداء ممن كان يوجه إليهم النقد... أسهم سقراط في إبراز المنهج التجريبي عن طريق الشك في كل شيء، وذلك بعد أن وجد أن الفرق كبير بين التخمين والمعرفة الحقيقية، مما جعله يطالب بدليل تجريبي لأي موضوع يناقشه. وقد جعله هذا يرفض إبداء الرأي في أي موضوع يبعد عن تجربته الشخصية، كما كان يبتعد عن كل ما لا يمكن إثباته، كان يبتعد عن المناقشة التي تدور حول الشمس وما إذا كانت حجراً أو إلهاً، ويكتفي بالمناقشة في الموضوعات التي توجهها الأدلة، خاصة ما تعلق منها بالمشكلات الأخلاقية، وهاجم سقراط كذلك الحواس ومن اتخذوها أساساً للمعرفة اليقينية، كما نبه سقراط إلى أهمية ضرورة الأفعال بين الناس لتعرف الشيء العام

بينهم. ذلك أن هناك حقائق علمية ودينية واجتماعية لا ينفي اختلاف الناس في بعض مظاهرها أن فيها عناصر ثابتة عقلية جعلت الناس يتعارفون فيما بينهم، ويتوافقون على نظم معينة للحياة البشرية، لقد تطرق سقراط في أبحاثه إلى الأمور الإنسانية الخلقية التي لها معان كلية، كالحكمة، والشجاعة، والعدل، والفضيلة، والصلاح، والسعادة، والقناعة، وعلى ذلك يعد سقراط مؤسس علم الأخلاق. لقد جعل سقراط من العقل محكماً لكل خلاف، فذكر أن هناك خصائص عقلية ثابتة في كل شيء، ويمكن استنباطها من الحالات الجزئية المتغيرة، تجعل من السهل وصفه وتعريفه، وبذلك يمكن نقل العلم من شخص إلى آخر بناء على الاعتقاد بأن في كل إنسان عقلاً هو خاصته التي تميزه من سائر المخلوقات، وأن هذا العقل يتكون من عدد من الأفكار الأساسية والبدييات التي تميز الحق من الباطل، وأنه عنصر مشترك بين الأفراد، فهناك إذن روابط مشتركة تجمع بين الناس وتحتم التفاهم، وأول هذه الروابط هي الفلسفة؛ لأنها تقوم على مفاهيم تجعل من السهل اكتساب المعرفة وتبادلها، وبهذه المعرفة استطاع الإنسان أن يميز بين الحق والباطل، فمال إلى الخير لأنه حق، وكره الشر لأنه باطل، والفرد الذي يرتكب الشر، يجهل أنه كذلك؛ لأنه لو عرف حقيقته لما فعله، وهكذا بدت العلاقة وثيقة بين الفضيلة والمعرفة، فالفضيلة علم والرذيلة جهل. دافع سقراط عن العرف والتقاليد والعادات الشعبية التي توارثها الإثنون جيلاً بعد جيل، والتي أراد السفسطائيون أن يخطموها، ونفر سقراط من القول بأن اللذة غاية لأفعالنا، وطالب بالسعادة التي تقوم عنده في سيطرة الفعل على دوافع الشهوة ونوازع الهوى، ورد الإنسان إلى حياة الاعتدال حتى يعرف ماهيته، فرأى في معرفة المرء نفسه والعالم الخارجي عنصراً مهماً إذا ما أضيف إليه معرفة المرء كيف يوفق بين مطالبه وظروف بيئته، فهو القائل: (اعرف نفسك بنفسك) الذي اتخذه شعاراً له في مواجهة السفسطائيين. وقد اتهم رجال الدولة في أثينا سقراط بإفساد عقائد الشباب،

فحوكم وحُكِمَ عليه بالموت بشرب السم عام 399 ق.م. (رشوان، 1997، 71-74).

2- أفلاطون Plato (427 - 347 ق.م):



فيلسوف يوناني، تتلمذ على يد سقراط وأسس 387 مدرسة فلسفية بأثينا، تعرف بالأكاديمية الأفلاطونية، جاء مذهبه أول صياغة كلاسيكية للمثالية الموضوعية، فمنه أخذت المثاليات اللاحقة، فالمثُل -وعلى رأسها الخير- هي الوجود السرمدى الحق، والنماذج التي صنعت على غرارها الأشياء الحسية عابرة ومتعددة. انتسب أفلاطون إلى أسرة أرستقراطية، ثرية، كان أبوه من نسل قدروس الملك الأخير من ملوك أثينا، وأمه من نسل صولون الحكيم، درس أفلاطون في شبابه الشعر ونظم القصائد، وكان مهتماً بالرياضيات، ثم اتجه إلى الفلسفة على يد أتباع هيراقليطس، وعندما بلغ العشرين تعرف إلى سقراط وأعجب به، وأخلص لمبادئه السياسية التي تقوم على النظام الأرستقراطي المعارض للنظام الديمقراطي، فهو القائل: (أشكر الله أني ولدت يونانياً لا بربرياً، حراً لا عبداً، رجلاً لا امرأة، ولكن علاوة على ذلك أشكره لأنني ولدت في عهد سقراط).

تأثر أفلاطون في تفكيره بطبيعة الأزمة الاجتماعية التي كان يعانيها المجتمع الأثيني في ذلك الحين، إذ عاصر الفترة الأخيرة من حرب البلوونيز التي انهزمت فيها أثينا عام 404 ق.م، ثم انتقل إلى مجارى وهي مدينة يونانية في صقلية، وبعد موت سقراط سافر طويلاً على ما قيل، فزار القيروان وتونس ومصر وإيطاليا ثم صقلية، وكذلك زار بابل وفارس وفلسطين، كما تأثر تفكيره بما أحدثه السفسطائيون من هدم لقيم ذلك المجتمع. عرض أفلاطون نظرياته السياسية في مؤلفات ثلاثة: الجمهورية، السياسة، القوانين. وكانت مؤلفاته على شكل محاورات يشترك فيها سقراط (469-339 ق.م) واعتمد في ذلك

على المنهج القياسي Deductive method. وتمثلت آراؤه في تصورات ذهنية وتطلعات مثالية، فهو لا يصف المدينة كما هي، ولكن كما ينبغي أن تكون. كان أفلاطون مفكراً عضوياً، استند في تحديد أسس المدينة الفاضلة إلى تشبيه المدينة بالفرد- بمعنى أن المدينة الفاضلة عبارة عن وحدة مكونة من أجزاء كما يتكون جسم الإنسان من أعضاء، هذه الأجزاء يرتبط بعضها ببعضها الآخر ارتباطاً وثيقاً، وكل جزء يؤدي وظيفة خاصة كما تختلف أعضاء الجسم الإنساني في أداء وظائفها... ويحدد أفلاطون وظائف الدولة بثلاث: الإنتاج، الدفاع، الإدارة، وهذه الوظائف تقابل القوى الثلاث في النفس الإنسانية، ولكل قوة من هذه القوى فضيلة خاصة بها وهي: القوة الفكرية أو ميل الإنسان إلى الحكمة، وفضيلتها الإدراك والفهم ومركزها الرأس، والقوة الثانية هي القوة الشهوانية، ومركزها البطن وفضيلتها العفة، أما القوة الثالثة فهي القوة الغضبية أو ميل الإنسان إلى العاطفة، ومركزها القلب وفضيلتها الصبر، ولا يتحقق صلاح الفرد في نظره ولا تتحقق فضائل قواه إلا إذا تغلبت قوته الفكرية على قوته الآخرين، ومن توازن هذه القوى الثلاث تنبع العدالة.. ارتكزت فلسفة أفلاطون عن المجتمع على أساس الحاجة الاقتصادية؛ إذ لاحظ أهمية العوامل الاقتصادية وأثرها في السياسة والمجتمع، فليس هناك فرد يستطيع أن يسد حاجته بنفسه، لأن لكل منا حاجات تستلزم عدة أشخاص لكي يمدونا بها، وافتقار كل فرد إلى الآخرين هو سبب نشأة الدولة أو المدينة، وذهب أفلاطون إلى أن أول حاجاتنا الطبيعية هي القوت، وثانياً المسكن، وثالثاً الكساء، وإلى أن التعاون يقتضي نوعاً من تقسيم العمل، فيظهر المزارع والبناء وأصحاب الحرف الأخرى كل بحسب استعداداته الخاص وموهبته. (رشوان، 1997، ص75).

رأى أفلاطون (427-347 ق.م) أن الغرض من حياة الأفراد هو الحكمة والفضيلة والمعرفة، ولكن الأفراد لا يستطيعون إدراك غايتهم إلا بواسطة الدولة التي قال

فيها: إن من واجبها إسعاد أفراد الأمة وإعانتهم على الحصول على أغراضهم، وخير وسيلة لذلك في رأيه تربية الشعب على تحقيق أغراضه، لذلك لا بد أن تؤسس الدولة على الفكر والتعقل حتى يكون ما صدر عنها من نظم ناتج عنهما، ولا يتم ذلك إلا أن يكون الحكام هم الفلاسفة، ولكن لما كان عدد هؤلاء في أي أمة ليس كثيراً كان من الطبيعي إذن أن تكون هناك حكومة أرستقراطية تتمتع بأوفى نصيب من الحكمة والتفكير... وعلى أساس التقسيم السابق الذي ذكرناه يرى أفلاطون أن خيرية النفس تقاس بمدى سيطرة العقل على القلب والشهوة، فإذا استطاع العقل أن يسيطر عليهما سار الإنسان في طريق الخير، والعكس صحيح. فأول عنصر من عناصر الدولة - كما يراها أفلاطون - هو العقل، ثم يليه عنصر القوة، ثم العمل، ولكل عنصر من هذه العناصر طائفة في الأمة. وقد انتهى بتقسيمه هذا إلى أن المجتمع المثالي يتكون عنده من: أولاً- طائفة الفلاسفة والحكام، وهي بمنزلة العقل في النفس الإنسانية، وفضيلة هؤلاء الحكمة.

ثانياً- طائفة الجنود والمحاربين، وهي بمنزلة القلب في النفس، وفضيلة هؤلاء هي الشجاعة.

ثالثاً- طائفة المزارعين والتجار الذين تتنازعهم الرغبات المختلفة، وهي بمنزلة الشهوة في النفس، وفضيلة هؤلاء العفة.

يرى أفلاطون أن التعاون بين هذه الطوائف الثلاث ضروري لمسيرة الدولة، فإذا تضافرت حكمة الفلاسفة وشجاعة الجنود وعفة العمال؛ نشأ عن هذا التضافر العدل الاجتماعي المثالي (المجتمع المثالي الذي ينشده أفلاطون) ولما كان من واجب الدولة أن تمكن الأفراد من الوصول إلى سعادتهم، فإن عليها أن تشجع الخير وتهدم الشر، ولكن كيف يتم لها تحقيق ذلك؟ هنا تكمن أخطر آراء أفلاطون وأكثرها خيالاً وبعداً عن

الواقع... فهو يرى مثلاً أن من وسائل حصر الشر ومنع تسربه وأخطاره إعدام الأولاد الذين يولدون لآباء أشرار. وعدم السماح للضعفاء والمرضى من الأولاد بالبقاء. دعا الدولة من أجل تشجيع الخير، كما زعم إلى فصل الأولاد الأسوياء الأصحاء عن آبائهم من وقت ولادتهم، وإلى جعل انتسابهم إلى الدولة لا إلى آبائهم، وأن تشرف على تربيتهم حتى ينشؤوا دون أن يعرف الواحد منهم أباه، ويخرجوا للحياة العامة وليس لهم ولاء إلا للدولة.. ونادى أفلاطون بتشجيع النسل بين أفراد طبقتي الحكام والجنود؛ وذلك بأن حرّم على أفرادها بين الطبقتين الزواج، وأباح لهم الاتصال الجنسي دون أي وازع أخلاقي أو قانوني، وذلك حتى يضيع النسب ولا يعرف الشخص المولود من هو الأب أو الأم، فيتفانى في خدمة الدولة. (عبد أسعيد، 1984، 11-12). وأفلاطون بذلك يتناقض مع المبادئ التي وضعها للجمهورية الفاضلة ومن بينها الديمقراطية... حينما يميز بين طبقة وطبقة أخرى، وخاصة العبيد، ويعد العبودية أمراً طبيعياً في المجتمع.

واهتم أفلاطون بشكل الحكومة، فالحكومة إذا كانت صالحة تستقر المدينة وتستكمل بناءها. والحكومة الأرستقراطية هي الحكومة المثالية، تتألف من نخبة من العلماء والفلاسفة، وتعمل على تحقيق التوافق بين المنظمات والكمال في العلاقات. ولكن المدينة لا تصل إلى هذا الشكل بطريقة عشوائية أو تلقائية، بل عن طريق التجربة السياسية، وتبدأ هذه التجربة عادة بالشكل الديكتاتوري الحركي الذي يتولى السلطة فيه مجموعة من طبقة الجنود، ويبدأ الاستقلال الاقتصادي من التجار وأصحاب رؤوس الأموال، ومن ثم يسود الظلم الاجتماعي، فينشأ شكل جديد من أشكال الحكم يطلق عليه أفلاطون الأوليفاركية، وهو يقابل حكم الأقلية، وينتهي هذا الصراع إلى تغيير سياسي يؤدي إلى حكم الشعب، أو ذلك الشكل السياسي المعروف بالشكل الديمقراطي. (الجوهرى، عبد الهادي، 1991، ص53).

ومهما كانت آراء أفلاطون بعيدة عن الواقعية أو غير مألوفة، إلا أنها تعكس بالضرورة الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي كان يعيش فيه، ويمثل هذا التفكير الهروب من ذلك الواقع، واستحالة وضع تخطيط مثالي للتقسيم الاجتماعي المرتكز على أساس فلسفي أخلاقي.

في السياسة (المدينة الفاضلة):

يعتقد أفلاطون أن مجتمع المدينة هو المجتمع الأمثل، وأن الدول مجتمعات غير طبيعية. وقد تتعاون المدن فيما بينها، إلا أنها يجب ألا تشكل دولاً حتى لا تفقد حريتها. والسياسة عنده تدبير شؤون المدينة، لتحقيق سعادة الأفراد وفضائلهم. ولا بد للمدينة، لذلك، من حكام أفاضل يتبعون نظاماً عادلاً دقيقاً. ولا بد من تربية مدروسة طويلة الأمد لتحقيق ذلك. على أن هذه التربية يجب أن تتفق مع طبيعة المدينة، فالمدينة قبل كل شيء تجمع أفراداً أدركوا بما لا يقبل الشك أن اجتماعهم معاً يكفل لهم الحياة السعيدة الفاضلة وكل متطلبات الحياة، فيكون اجتماعهم نتيجة لإرادة العيش المشترك، في سبيل غايات مشتركة. تتطلب هذه المدينة ثلاث وظائف: الإدارة والدفاع والإنتاج. ولذلك كان لا بد أن تكون في المدينة ثلاث طبقات تقوم كل منها بوظيفة من هذه الوظائف. هذه الطبقات هي الحكام والجند والشعب. ولتخريج الطبقتين الأولين، وهما دعامتا المدينة، أكثر استعداداً للحرب ينشؤون تنشئة خاصة بعيداً عن تأثير الآخرين. ولا فرق في ذلك بين المرأة والرجل، فالاستعداد ممكن عند الطرفين. وتقوم تربية هؤلاء حتى الثامنة عشرة على الرياضة البدنية، وتغذية النفوس بالآداب والفنون، وتعليمهم القصص التي تحث على عمل الخير وأما القصص والأشعار التي تحث على الشر، فنبعدها عنهم، وننفي أصحابها. وبعد الثامنة عشرة يدرّبون على التمرينات العسكرية، حتى بلوغهم العشرين. وعندئذ يفصل أفضلهم ليدرسوا الحساب والهندسة والفلك والموسيقى، ويقضون

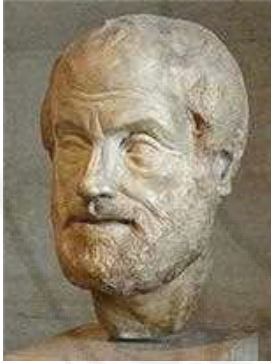
في تعليم ذلك عشر سنين.. ومن ثم يصار إلى اختيار أفضلهم، من حيث شرف النفس ومحبة الحق، وضعف الشهوة، وسهولة الحفظ، ومن ثم يتعلمون الفلسفة لمدة خمس سنين، وبعدها يترسون بالمناهج العلمية. ويعهد إلى هؤلاء بعد الخامسة والثلاثين بالوظائف الحربية والإدارية حتى الخمسين، فيترقى المتميزون منهم إلى رتبة الحكام، فبهم تصلح المدينة، لأنهم وحدهم يستطيعون وعي القوانين وعياً علمياً وتعليمها لغيرهم، فتستمر القوانين في المدينة، وينصرف هؤلاء الحكام إلى التأمل والتحكم، ويحكم كل بدوره. وهذا ما يسمى بالحكم الموناركي (Monarchy) أو حكم الفرد العادل. فإذا تداول الحكم جماعات سمي الحكم أرستقراطياً، أي حكم الطبيعة العادلة، والحكم في الدولة المثالية يجب أن يعطى للفلاسفة، لأنهم أقدر على الاضطلاع به من سائر الناس، لاتصافهم بالمعرفة والفضيلة ولقدرتهم على تصور القوانين العادلة تصوراً علمياً.

أما تحقق العدالة في المدينة، فيكون بقيام كل طبقة بما أعدت له، فلا يغدو الحاكم جندياً ولا الجندي حاكماً، وكما أن قوى النفس عند أفلاطون ثلاث: الحكمة، والشجاعة والعفة؛ وتحقيق التناسب والنظام بينها عدالة، كذلك هي الحال في الجماعة، فإذا كان التناسب والنظام بين فصائلها كانت العدالة.

وإذا اختلت العدالة في المدينة كان الطغيان، فتتحول المدينة إلى إحدى أربع:

- المدينة (أو الدولة) التيموقراطية: في رأي أفلاطون أن تزوج الرجال النساء يجب أن يكون في أوقات فضلى، وبعد حسن اختبار؛ حتى يكون الأبناء أصحاء صالحين للمجتمع الفاضل. فإذا كان التزاوج في أوقات غير مناسبة ينشأ الجيل سيئاً، فأسوأ... ويميل الحراس إلى حب الغنى والملك، ويختلفون، ويتقاسمون الأملاك، ويصارع بعضهم بعضاً؛ فيستلم الحكم صاحب الدهاء، وينصرفون عن المبادئ الحقّة، وهذا معناه اختلال النظام والتناسب في الطبقات.

- المدينة (أو الدولة) الأوليغارشية: وفيها يشتد حب الغنى، ويحكم الغني، وتفقد الدولة وحدتها، وتنقسم إلى فقراء و أغنياء.
- المدينة (أو الدولة الديمقراطية): حيث يتكاثر الفقراء ويشتد عَوُزُهُم، ويستغلهم الأغنياء، ويحتقروهم؛ فيثور الفقراء لاسترجاع مكانتهم، ويتسلمون زمام الحكم، ويبيحون الحرية، وتشتد الفوضى.
- المدينة (أو الدولة الاستبدادية): يرى أفلاطون أن التماذي في الحرية يفسح المجال إلى المزيد من العبودية؛ ذلك لأن الفوضى تفسح لقيام حاكم مستبد، يظنه الشعب حامياً له ومدافعاً عنه، ولكنه في الحقيقة يحصن نفسه، ويكثر حراسه، ويستبد بالشعب، ويلهيه بالحروب الخارجية.



3- أرسطو Aristotle (384 – 322 ق.م):

ولد أرسطو عام 384 ق.م في ستاجيرا Stagira، وهي مدينة يونانية على حدود مقدونيا، وكان والده نيقوماكس Nicomachus طبيباً وصديقاً لأمينتوس Amyntos الثاني ملك مقدونيا، ولما بلغ أرسطو السابعة عشرة رحل إلى أثينا والتحق بالأكاديمية (مدرسة أفلاطون) ومكث بها عشرين سنة يتتلمذ على يد أفلاطون إلى وفاة صاحبه، ثم غادر أرسطو أثينا قاصداً آسيا الصغرى، ومكث بها وتزوج، إلى أن دعاه فيليب المقدوني إلى بيلا Pella عاصمة مقدونيا، ليكون أستاذاً لابنه الإسكندر الأكبر. يطلق على أرسطو مؤسس علم ما قبل الاجتماع، وهو يختلف عن أفلاطون، فإذا كان أفلاطون يعد مؤسس النظرية السياسية، فإن أرسطو يعد مؤسس علم السياسة، وإذا كان أرسطو قد استصوب أستاذه

في دولة المدينة كما كانت محققة في اليونان؛ فإن أرسطو لم يستسغ المجتمع المثالي عند أفلاطون، والذي تمثل في مبادئ عامة مطلقة يمكن اكتشافها بالعقل.

والواقع أن أهم ما أسهم فيه أرسطو هو النهج الذي اتبعه في الوصول إلى الحقائق العلمية؛ إذ كان تفكيره واقعياً، وأبدى وعياً حقيقياً للحقيقة والتجربة والملاحظة الدقيقة للأوضاع القائمة فعلاً، ودرس النظم الاجتماعية والحكومات القائمة بروح واقعية قائمة على الوصف والشرح والتحليل، واكتشف النقص وعلل الفساد مستخدماً فكرة السببية، استخدم أرسطو المنهج الاستقرائي Inductive method واستعان كذلك بالمنهج المقارن، وله الكثير من المؤلفات العلمية والنظرية والأدبية منها: كتاب الأجرام السماوية، وكتاب تاريخ الحيوانات، وكتاب الأخلاق والتدبير المنزلي، وكتاب المنطق والسياسة المدنية وغيرها. وأهم هذه الكتب كتاب السياسة Politics الضخم، والذي يقع في ثمان مجلدات، احتوى على جانبين مهمين يتعلق الأول بالدولة المثالية، والثاني بالدولة القائمة فعلاً، وأسباب انهيارها، وكيف تحقق استقرارها... يقوم فكر أرسطو أساساً على قضية الشهوة الإنسانية حيوان سياسي Political human being أي: كائن اجتماعي Social being. فطبيعته هي التي تدفعه إلى أن يعيش في وسط جماعة ولا يمكن فصله عن المجتمع.. إن الإنسان لا يفسر وحده ولا يكتفي بذاته، لا من ناحية استمرار النوع، ولا من ناحية الدفاع الدائم عن الحياة وصيانتها، ولا من ناحية نمو الأفكار والقوى الأخلاقية التي هي غاية الحياة العليا، ولا سيما أن الطبيعة الإنسانية اختصت اللسان بالنطق، فتوافرت بذلك فرصة للتعبير عن الخير والشر. وقد استمد أرسطو من هذه القضية ضرورة وجود العلاقات الاجتماعية لتمكن الشخصية من أن تنمو وتتخذ الطابع الإنساني، فالفرد بوجوده في المجتمع يكتسب ما نطلق عليه الشخصية الاجتماعية، ونعني بذلك

الوضع الذي يحتله كائن ما في المجتمع، أما الشخصية التي تتجه اتجاهها غير اجتماعي فهي شخصية شاذة.

ومن ذلك تبين لنا أن أرسطو يختلف عن أفلاطون في نظريته للأساس الذي تقوم عليه الحياة الاجتماعية، إذ بينما يرد أفلاطون هذا الأساس إلى الحاجة الاقتصادية التي تدفع إلى الاجتماع مع الآخرين، فإن أرسطو يرده إلى غريزة طبيعية في الإنسان إلى اجتماع الإنسان بأخيه، فالإنسان في رأيه حيوان اجتماعي. (رشوان، 1997، 84-88).

كما تناول أرسطو الظروف التي تجعل الإنسان مسؤولاً عن أفعاله، وميز بين الأفعال الطوعية وغير الطوعية، ففي الأولى يمدح الإنسان فعله أو يلام عليه، أما في الثانية فهي الأفعال الاضطرارية أو التي تمت عن جهل دون وجود محرك لها أو دافع، كالأفعال التي تقوم بها عند الخوف أو ظهور شر. (Rolf, 148-149) وألمح أرسطو إلى تأثير المناخ في العالم الاجتماعي والنفسي، ويرى كذلك أن العناصر الضرورية لوجود المدينة ستة أنواع، وهي: المواد الغذائية والفنون والأسلحة، والاقتصاد، والكهنوت وأخيراً إدارة المصالح العامة وإصدار الأحكام. وشرعية الدولة تقوم على السلطة، وشرعية السلطة هي قيامها لمصلحة المعبود، فإن سلطة السيد على العبد هي لمصلحة العبد، وسلطة الوالد على أولاده وعلى العائلة بأسرها المسماة بالسلطة المنزلية غايتها مصلحة الخاضعين لها أو على الأكثر مصلحة مشتركة بينهم وبين من يدير أمورهم. (عاطف غيث، 1987، ص25-26).

ويضيف أرسطو أن الميل إلى الاجتماع بالآخرين يحتاج إلى قوانين لتنظيم العلاقات بين الأفراد بعضهم ببعض، فالقانون هو قاعدة الاجتماع السياسي، ذلك أن المثل الأعلى عند أرسطو هو دائماً الحكم الدستوري لا الحكم الاستبدادي، مهما كان الاستبداد

صاحباً عن ملك (فيلسوف)، فإن العدالة من الضرورات الاجتماعية كذلك، والأحكام العادلة هي التي تشكل القوانين، وينتهي أرسطو إلى أن الفرد هو الحقيقة الأولى في البناء الاجتماعي يذوب في المجتمع وتلاشى شخصيته في شخصية المجتمع. (عبد الباقي، زيدان، 1972، ص 89).

قارن أرسطو بين المجتمع والكائن الحي، فكلاهما - كما يقول - يخضع لقانون المولد، والنمو، والموت، وهو في هذا يشير إلى التغير الذي هو الشرط الأول والوحيد في بناء المجتمع، وهو بذلك يدحض محاولة أفلاطون في إنشاء نظام ثابت لا يتغير، وهو بهذا إنما يلمح إلى مدة التطور الاجتماعي، واختلاف المجتمعات بحسب الزمان والمكان، وتطور الحياة الاجتماعية من البساطة إلى التعقيد، حيث لا يوجد دستور بعينه يصلح لأن يطبق على جميع الشعوب دون استثناء. ومجد أرسطو الأسرة وعدّها الخلية الأولى في المجتمع، أي: الذرة التي لا تقبل القسمة، والتي تكون مع ذرات أخرى الجسم الاجتماعي، فهي المؤسسة الطبيعية الأولى التي قامت للوفاء بالحاجات اليومية للفرد تحقيق سبل العيش، والأسرة في حاجة ماسة إلى تحصيل الثروة لتقضي حاجاتها الضرورية...

وخالف أرسطو أفلاطون في موضوع المساواة بين الرجل والمرأة، فإذا كان أفلاطون ينادي بالمساواة بينهما، وبتربية واحدة للنساء والرجال حتى في الأمور السياسية والعسكرية، فإن أرسطو يعد هذه المساواة غير واقعية، لأن المرأة في ذاتها أقل من الرجل، كذلك يخالف أفلاطون أرسطو في أنه حاول بآرائه القضاء على الأسرة الذي يرى فيها عنصراً مخرباً للتضامن الكامل الذي ينبغي أن يقوم بين أعضاء المدينة الواحدة، أما أرسطو فقد مجّدها ورأى فيها مجتمعاً بسيطاً يتم فيه تعليم الفضائل. والأسرة - كما يرى أرسطو - هي أدنى مراتب المؤسسة الإنسانية، وتأتي القرية بعدها في درجة أعلى منها، ومن اجتماع

عدة أسر تنشأ القرية، ومن مجموعة من القرى تنشأ المدينة، وعدها أرسطو أرقى صور الحياة السياسية، وذلك مثل المدن اليونانية، أما الكيانات السياسية المترامية الأطراف مثل الإمبراطورية الفارسية فهي تتألف من مدن تشترك بروابط المصلحة الواحدة، وهي مركبات غير متجانسة، ومن هنا تولدت دولة المدينة من حاجات الحياة، واستمدت بقاءها من قدرتها على قضاء تلك الحاجات، ومن ثم فهي تجمّع تلقائي طبيعي من حيث إن الإنسان كائن اجتماعي بالطبع، وهي تحقق سعادة الفرد؛ لأنهم دونها لا يمكن أن يسعدوا، وهي في نظره أسمى من الفرد والعائلة والقرية؛ لأنها تسبقهم، والكل سابق بالضرورة وجود الأجزاء، ولا وجود للجزء إذا فسد الكل، ويضع أرسطو شروطاً يجب توافرها لقيام دولة المدينة الفاضلة، أهمها:

أ- الشرط الأول مساحة المدينة: تكون غير فسيحة الأرجاء وتكون متناسبة مع حاجات المواطنين وموفرة لهم سبل الحياة السهلة.

ب- الشرط الثاني خاص بموقع المدينة وتكوينها المورفولوجي؛ بأن تكون من تربة خصبة سهل استغلالها، وأن تكون صعبة المدخل للأعداء المغيّرين، وأن يتوفر فيها الحصون والقلاع، ومن الضروري أن تكون المواصلات سهلة داخل أراضيها.

ت- الشرط الثالث يتعلق بعدد السكان: بأن لا ينقص عن الحد الأدنى الضروري لكفاية المدينة، وألا يعدو حداً أقصى، حتى لا يختل النظام ويتعذر قيام الحكم الصالح، وضماناً لسلامة الأمور يجب أن يسمع كل مواطن الآخر في مجلس المواطنين، وأن يعرف أعضاء الحكومة بعضهم بعضاً حق المعرفة، أما إذا كثر عددهم فإن الأمور تجري اتفاقاً، وشبه أرسطو ذلك بالسفينة التي لا يجب أن تكون بحجم كبير يعوق حريتها، ولهذا أباح أرسطو عدداً من الإجراءات التعسفية التي من شأنها أن تحد من الكثافة السكانية، مثل إبادة الإجهاض،

وإعدام الأطفال ناقصي التركيب، والمشوّهين، وفاسدي الأخلاق. (محمد، علي محمد، 1980، ص21)

قسم أرسطو الحكومات إلى ملكية وأرستقراطية وديمقراطية وجمهورية، وفي ظل الديمقراطية أو الأرستقراطية أو الأوليجاركية يستحوذ شخص أو أكثر على السلطة، وتقوم على عدم المساواة في المولد والقوة والثروة، ففي النظام الأوليجاركي مثلاً يحكم أغنياء المجتمع، وفي ظل الديمقراطية يحكم فقراء المجتمع، وفي ظل الحكومة الجمهورية يباشر الشعب أمور الدولة. ولهذا وجد أن أفضل أشكال الحكومات من الناحية العملية هو إنشاء دولة مثالية تحقق سيادة القانون، ويسود العقل دون أن ينحرف بتأثير العاطفة أو الهوى، وهو شكل عملي متوسط ومعتدل، يتولد عن تجنب التطرف في الديمقراطية أو الأوليجاركية ويجمع بين العناصر الصالحة فيهما، سماه أرسطو الحكومة الدستورية أو الديمقراطية المعتدلة، وهو شكل مختلط من الدستور ينبع من الجمع بين العناصر الصالحة في الديمقراطية والأوليجاركية، وأساسها الاجتماعي وجود طبقة متوسطة قوية تتألف من أولئك الذين ليسوا أغنياء إلى حد الغنى المطلق، ولا فقراء غاية الفقر، وهذه الطبقة هي التي تستطيع أن تنقذ الدولة، وهي التي تتبع المبدأ العقلاني. (رشوان، 1997، ص93).

وهكذا تبين لنا أن التفكير الاجتماعي عند اليونانيين يعبر عن آراء أصحابه، ولكنه لم يأخذ شكله العلمي والنظري الذي نعرفه الآن.

□

¹ - هي الفترة المتفق عليها بين المؤرخين، منذ سقوط روما (الإمبراطورية الرومانية الغربية) في أيدي القبائل الجرمانية في القرن الخامس الميلادي (476) والتي استمرت حتى سقوط القسطنطينية في يد الأتراك في القرن الخامس عشر عام 1452م.

كان الفكر دينياً بطبيعته وأهدافه، تأثر بالفكر الشرقي القديم، وسخر العقل الإنساني وجميع الظواهر المادية والعقلية لتأييد التعاليم المسيحية وتثبيت اليقين بها في عقول المؤمنين، والتبشير بهذه القيم بين الوثنيين، وقد تأثر الفكر المسيحي بالفكر اليوناني -وخاصة أفلاطون- أعمق تأثير، ومن مفكري المسيحية الذين وضعوا أسس أفكارها الفلسفية والاجتماعية القديس أوغسطين وتوما الأكويني.

1- القديس أوغسطين (354 - 430)م:

كان لسقوط روما في أيدي القبائل الجرمانية، وما أدى إلى ذلك من فساد أثر في نفس القديس أوغسطين، فجاء كتابه (مدينة الله) يرد به على الذين يزعمون أن سقوط روما كان بسبب تخليها عن آلهتها القديمة الوثنية التي كانت تحميها.

وجاء كتابه هذا تحليلاً للأديان في الحضارات القديمة، وخاصة تاريخ روما، وجعل بعض الفصول موسوعة حقيقية عن المعرفة التي تعبر عن عصره، وخصص مقالة منه للفلسفة بغية تحليل النظريات الأفلاطونية وإظهار مشابقتها للتعاليم المسيحية، فاهتدى إلى بعض الملامح الاجتماعية الحديثة، وقامت التصورات التي ذكرها عن الأديان البدائية تتفق مع نتائج الانتروبولوجية وعلم الاجتماع الحديث. فقد حلل أوهام السحر واستدعاء الموتى الذي هو خاصة أسيلة في الأديان البدائية، وبيّن أن الوثنية كانت في أساسها تعبيراً عن عبادة الأسلاف والموتى، ومن ناحية النظرة الاجتماعية الخالصة نجد في كتاب القديس أوغسطين بعض الأفكار والتحليلات التي هي في أساسها أفكار تشريعية واجتماعية حديثة، فكل الأفكار التي أدت فيما بعد دوراً عظيماً مثل القانون الطبيعي وحق القوة، والحرية الطبيعية للإنسان، وأصل السلطة التي تمارسها الحكومة، كلها عُرضت ونوقشت في كتابه، واجتمع عند أوغسطين اشتراك في الفكر والعاطفة بين عدد من الناس جمع بينهم اضطرارهم إلى المعيشة في الأرض بعد انتهاء العصر الذهبي الذي فصل بين

عصري المدينتين -مدينة الله أو مدينة السماء- ومدينة الإنسان أو مدينة الأرض، وأن مجيء المسيح وحّد بين المدينتين وجعل الإنسانية تمهيداً للحياة الأخروية ذات الطهارة الكاملة. (بيومي، 1981، ص32-33)

نادى أوغسطين بالملكية الجمعية، لأن ثروات الأرض قد منحت للأفراد جميعاً، وأن الثروة ملك لله، فإذا ما استولى عليها الأغنياء وجب عليهم أن يقوموا بمساعدة الفقراء. كما كان يرى أن الأحرار والعبيد زملاء في الإنسانية. وبالرغم من عدم تساويهم في الأرض فإنهم متساوون عند الله. وكانت القرون الأربعة التي أعقبت وفاة القديس أوغسطين أعقم القرون إنتاجاً في الفكر الاجتماعي الغربي، وكانت بذلك جديرةً بالاسم الذي أطلق عليها وهو العصور المظلمة السوداء. (لطفی، 1982، ص222).

2- توما الأكويني (1225 - 1274)م:

من فلاسفة الفكر المسيحي أهم كتبه (الخلاصة اللاهوتية) اعتمد على أرسطو في فكره، حيث يرى أن الله خلق الإنسان مدنياً بطبعه، وزوده بالمبادئ الأولى للحق والخير، وغاية الإنسان هو تحقيق إنسانية الفرد، وعلى الدولة أن تعينه على ذلك، كما قال أرسطو. أما مهمة الكنيسة فهي تزويده بالدين والأخلاق. وأفضل الحكومات هي حكومة أتموثرائية القائمة على الفضيلة لا الامتياز العائلي، ولكن ليس ثمة نظام واحد كامل، ففي كل نظام جرثومة فاسدة، وكل الأنظمة يتناولها المجتمع بحسب ظروفه، والانتخاب الشعبي يساعد على اختيار الحكومة المناسبة، وأهم واجبات الدولة تأمين الجماعة من الخطر الخارجي والداخلي، ولهذا كان من واجبها الاستعداد للحرب وكذلك من واجبها التشريع والعقاب، كما رأى أن السلطة العليا في المجتمع تصدر عن الله، وأنه الذي يضعها في أيدي أفراد الشعوب من رجال الدين، وعلى ذلك تكون السلطة السياسية بعد السلطة الدينية من ناحية الأهمية. (لطفی، 1982، ص223).

وأن الملكية أمر اجتماعي نافع، وشيوعية أفلاطون غير مقبولة، ولكن يجوز أن يحقق المجتمع غرضه الإنساني في نظام الملكية المشتركة كما يفعل الرهبان، وهكذا تبين لنا أن توما الأكويني حاول التوفيق بين الدين المسيحي وفلسفة أرسطو، ولكن منهجه كان فلسفياً يغلب عليه الطابع الديني، وأشدّ بعداً عن الاتجاه العلمي. (بيومي، 1992، ص33-34).

:

ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي، ويعد ظهوره حدثاً اجتماعياً مهماً لما كان له من أثر واضح في أغلب جهات العالم المعروفة وقتئذ، وكان هذا نتيجة لما تميزت به الدعوة إلى الإسلام من نشاط وقوة لم تتميز به أي دعوة دينية سابقة لها، وعلى ذلك فلم يكد الإسلام يظهر حتى أخذ ينتشر في كثير من جهات العالم. انتشر أولاً في الجزيرة العربية، ومنها إلى البلاد المتاخمة لها كالشام والعراق، ثم ازداد انتشاراً بعد ذلك حينما وصل إلى بلاد تبعد كثيراً عن مركز دعوته شرقاً وغرباً، كالهند وشمال غرب إفريقيا وجنوب غرب أوروبا، وبانتشار الإسلام انتشر ما جاء معه من آراء ومبادئ اجتماعية جديدة. تلك الآراء والمبادئ التي أسهمت بنصيب كبير في الفكر الاجتماعي بمختلف مجالاته التي وردت في القرآن والأحاديث النبوية، ولم يترك هذا المصدر مجالاً اجتماعياً إلا وكان له نصيب كبير فيه، ويعد هذا المصدر ميداناً خصباً للفكر الاجتماعي عند المسلمين، في الشورى - والأسرة - والزواج - والطلاق - والمرأة - والتعليم - والطفولة - والتربية - إلخ... أما عن المفكرين المسلمين فقد ظهر منهم في مجال الفكر الاجتماعي الكثير، وكان أكثرهم ظهوراً وأهمية في الفكر الاجتماعي: الفارابي، وابن خلدون، وستكلم عن كل منهما على حدة لنرى مدى ما أسهم به كل منهما.

1- الفارابي (870 - 950م) :

هو أبو نصر محمد بن طرفان الفارابي، ولد في مدينة فاراب في إقليم خراسان التركي حوالي سنة 870 ميلادية، وتوفي في دمشق سنة 950م وهو من المفكرين المسلمين الذين لاقت دراساتهم اهتماماً كبيراً حتى لقب بالمعلم الثاني بعد أرسطو. ويتمثل الفكر الاجتماعي عند الفارابي بأشهر مؤلفاته (آراء أهل المدينة الفاضلة) والذي وضع فيه الفارابي أهم ما كتب في الفلسفة والسياسة والاجتماع. (لطفي، عبد الحميد، 1982، ص229).

ذكر كل من ابن أًصبيعة والقفطي أن الفارابي على حداثة سنة تفوق على أستاذه متى بن يونس الذي عوّل عليه علماء بغداد وغيرهم من المسلمين بالشرق، كما أن الفارابي يوضح عدداً من الشروح والملخصات عن منطق أرسطو اتصفت بالدقة والشمول، ومنها: (شرح كتاب البرهان)، (شرح كتاب القياس)، (أغراض ما بعد الطبيعة)، (تحصيل السعادة)، (آراء أهل المدينة الفاضلة)، (كتاب الجمع بين رأي الحكيمين أفلاطون وأرسطو). (نصر، البير، 1980، ص98)

كان الفارابي أكثر الفلاسفة المسلمين فهماً وتعمقاً في الفلسفة اليونانية، اشتغل بالمنطق والفلسفة والعلوم التي صنفها في كتاب أسماه (إحصاء العلوم)، ذلك الكتاب الذي يعده بعض الباحثين أول موسوعة وضعت في العالم، وفي هذا الكتاب تعرض لمفهوم السعادة والحقيقة والأخلاق والشيم لأهل المدن والأمم، بيّد أن فلسفته الاجتماعية تظهر بجملاء في كتابيه (السياسات المدنية) و (آراء أهل المدينة الفاضلة) وكلاهما يبحث في الفلسفة والاجتماع. قال الفارابي - كما جاء على لسان العلامة العربي ابن خلدون من بعده أيضاً- بضرورة الاجتماع الإنساني، أي: أن الإنسان مفطور على حاجته إلى الاجتماع مع الآخرين لبلوغ الكمال، فهو بحاجة إلى أشياء كثيرة لا يقوى

وحده على القيام بها، بل يحتاج إلى جماعة يقدم له كل فرد منها بعض ما يحتاج إليه. كما قسم الفارابي الاجتماعات الإنسانية إلى اجتماعات الجماعة كلها في المعمورة، وإلى اجتماع أمة في جزء من المعمورة، وإلى اجتماع أهل المدينة في جزء من مسكن أمة، ثم إلى اجتماع أهل القرية وأهل المحلة وأهل المنزل، ويمكن القول: إن تطوره أُمِّي، حين عدّ اجتماع الأمم كلها اجتماعاً كاملاً خارجاً بذلك عن تصورات اليونانيين في دولة المدينة. لقد عرّف الفارابي المدينة والاجتماع والمعمورة بقوله: (فالمدينة التي يقصد بالاجتماع فيها والتعاون على الأشياء والتي تنال بها السعادة في الحقيقة هي المدينة الفاضلة، والاجتماع الذي به يتعاون على نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل، والأمة التي تتعاون مدنها كلها على ما تنال به السعادة هي الأمة الفاضلة، وكذلك المعمورة الفاضلة إنما تكون فاضلة إذا كانت الأمم التي فيها تتعاون على بلوغ السعادة (الحكومة العالمية) إن كلاً من المدينة الفاضلة والأمة الفاضلة والمعمورة الفاضلة مجتمع إنساني يحصل من التضامن بين الأعضاء والانسجام في الوظائف ومن الروابط الاجتماعية عند الفارابي: القوة والاشتراك في التناسل والإيمان والتحالف والتعاهد والتشابه الخلقي والشيم الطبيعية والاشتراك في اللغة واللسان. (عبد أسعيد، محمد فايز، 1984، ص18).

يعد الفارابي من أنصار المذهب العضوي، الذي يشبّه المجتمع بالكائن الحي الذي تتعاون أعضاؤه على منفعة البدن كله، حيث يقول: «والمدينة الفاضلة تشبه البدن التام الصحيح الذي تتعاون أعضاؤه كلها على تتميم حياة الحيوان وعلى حفظها كلية، وكما أن البدن أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى، وفيها عضو واحد رئيس هو القلب، وكذلك المدينة أجزاؤها مختلفة وفيها إنسان هو الرئيس» كما يرى أن الطبقات الاجتماعية مرجعها إلى مشيئة الرئيس وفقاً لنصيب كل فرد من الوراثة والتربية.

ومراتب أهل المدينة في الرئاسة والخدمة تتفاضل بحسب فطرة أهلها، وبحسب الآداب التي تأدبوا بها، والرئيس هو الذي يرتب الطوائف، وكل إنسان من طائفة في المرتبة التي هي مستحقة له، والرئيس عنده هو أفضل الناس ديناً وخلقاً، وهو فيلسوف في صورة نبي. (بيومي، 1983، ص37).

ورئيس المدينة الفاضلة - بنظر الفارابي - إنسان تحققت فيه الإنسانية على أكملها، اكتسب عقله جميع المفعولات فأصبح عقلاً بالفعل، عقلاً وسطاً بين العقل الفعّال والعقول الأخرى، يتقبل ما يشرقه عليه العقل الفعّال ويعبر عنه بلغة محسوسة، وهو إذن حكيم وفيلسوف ونبي، وهذا الإنسان هو في أعلى مراتب الإنسانية وفي أعلى درجات السعادة، وتكون نفسه كاملة متحدة بالعقل الفعّال، وهذا الإنسان هو الذي يقف على كل فعل، لكن أن يبلغ السعادة أول شرائط الرئيس، ثم أن يكون له قدرة بلسانه على جودة التخيل بالقول لكل ما يعلمه، وقدرة على جودة الإرشاد إلى السعادة، وإلى الأعمال التي بها تبلغ السعادة. هو الرئيس الذي لا يرأسه إنسان آخر أصلاً، وهو الإمام وهو الرئيس الأول للمدينة الفاضلة، وهو رئيس الأمة الفاضلة، ورئيس المعمورة كلها. (الفارابي، 1959، ص96).

وإلى جوار هذا الشرط الروحي الصعب التحقيق، يضيف الفارابي اثني عشر فضيلة أخرى يجب أن تتوفر في رئيس مدينته، وهي:

- أن يكون تام الأعضاء
- أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له
- أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه، ولا يكاد ينساه.

- أن يكون جيد الفطنة ذكياً، إذا رأى الشيء بأدنى دليل له فطن له على الهيئة التي دل عليها الدليل.
- أن يكون حسن العبارة، للسانه عن كل ما يضره إبانة تامة.
- أن يكون محباً للعلم والاستفادة منقاداً له، سهل القبول، لا يؤلمه التعليم ولا يؤذيه الكد الذي ينال منه.
- أن يكون بلا شره على المأكول والمشروب والمنكوح.
- أن يكون محباً للصدق وأهله، رافضاً للكذب وأهله.
- أن يكون كبير النفس محباً للكرامة، تكبر نفسه بالطبع على كل ما يشين من الأمور، وتسمو نفسه بالطبع إلى الأرفع منها.
- أن تكون الدراهم والدنانير وسائر أغراض الدنيا هينة عنده.
- أن يكون بالطبع محباً للعمل وأهله، مبغضاً للجور والظلم وأهلهم.
- أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى بأنه ينبغي أن يفعل، جسوراً عليه مقداماً، غير خائف ولا ضعيف النفس. (الفارابي، ص106).

هكذا أراد الفارابي لرئيس مدينته خصلاً، وإرادة لا تجتمع في أي إنسان؛ لأنها صفات لا تكون إلا بالأنبياء والملائكة. وقد حلق الفارابي بذلك في الخيال أكثر مما حلق أفلاطون من قبله في تصميمه لمدينته الفاضلة.

ولكنه فطن إلى أن اجتماع مثل هذه الخصال في شخص واحد أمر عسير، ولا يحدث إلا قليلاً، وفي الواحد بعد الواحد، فإذا ما وجد مثله في وقت من الأوقات، يعتمد الناس على الشرائع والسنن التي شرعها هذا الرئيس الأول، ويكون الرئيس الثاني الذي يخلف الأول إذا اجتمعت فيه بعض الشروط /أن يكون حكيماً، حافظاً للشرائع التي دبرها الأولون/ أن يكون له جودة استنباط فيما يحفظ عن سلفه وجودة إرشاد بالقول،

ومنه صناعة الحرب، فإذا لم يوجد إنسان واحد اجتمعت فيه هذه الخصال ولكن وجد اثنان كانا هما الرئيسان. وإذا وجدت هذه الخصال في جماعة كانوا هم الرؤساء على شرط أن توجد كلمة في أحدهم، فإن لم يتفق أن يوجد حكيم لم تلبث المدينة أن تهلك. (الفارابي، 1959، 108).

وكما كتب الفارابي عن المدينة الفاضلة فقد كتب في نفس الكتاب أيضاً فصلاً في مضادات المدينة الفاضلة، حدد لها أمثلة كثيرة، منها:

1- المدينة الجاهلية: أهلها ينغمرون في ممارسة اللذات الحسية وجمع الثروة والحفاظ على سلامة الجسد.

2- المدينة الفاسقة: يتصف أهلها بالعلم دون العمل.

3- المدينة المتبدلة: دب الفساد في آراء أهلها لأنهم غيروا معتقدتهم.

4- المدينة الضالة: أهلها لا يتبعون العقيدة الصحيحة في الله والعقل الفعال. ويخادع رئيسها الناس ويزعم أنه يتلقى الوحي.

5- النوابت: هم أشبه بالبهايم أو الأشواك النابتة بين الزروع وهم مجتمع الجريمة من مجرمين وبغاة وقطاع طرق... (لطفي، 1982، 232).



2- ابن خلدون (1332 - 1406م):

ولد عبد الرحمن ولي الدين بن خلدون بتونس عام 1332م من أسرة اشتهرت بالعلم والسياسة، تتقف ابن خلدون بثقافة إسلامية كاملة، حفظ القرآن وهو في سن مبكرة وتعلم فقه اللغة، وقواعد النحو والنثر والشعر والحساب والفلك والتنجيم والهندسة،

انغمس ابن خلدون في الاطلاع والتعرف إلى كبار العلماء، حتى حدث وباء الطاعون الذي انتشر عام 749هـ وقضى على والديه وجميع أساتذته، فحزن لذلك وأراد أن يلحق بأساتذته في الغرب الأقصى، واتجه بعد ذلك إلى الاشتغال بالمناصب السياسية والوظائف العامة، سافر إلى الأندلس وعُيِّن هناك أيضاً في الوظائف العامة، ثم رحل منها إلى بجاية، وأخيراً إلى المغرب حيث عكف على تأليف كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) ووضع لهذا الكتاب مقدمة كبيرة في العمران والمجتمع الإنساني عرفت بمقدمة ابن خلدون، وهي التي تعد البداية الحقيقية لعلم الاجتماع، ثم سافر إلى تونس للاطلاع على مكتباتها، واعتذر عن الوظائف السياسية التي عرضت عليه، وسافر إلى الإسكندرية حيث قام بالتدريس في الأزهر، وعين في منصب قاضي قضاة المالكية، ثم أُعفي من منصبه وعين في التدريس في المدرسة الظاهرية، ثم أُعفي منها، زار فلسطين ثم عزل من منصبه متفرغاً للتأليف، ثم سافر إلى الشام لمقابلة تيمورلنك، وبعد عودته أعيد لمنصبه، ولكنه ظل في صراع بين خصومه فيعزل ثم يعاد، إلى أن توفي في القاهرة في نيسان عام 1406م. (بيومي، 2000، ص74).

يرى أحد الباحثين أن أهمية ابن خلدون تكمن في ميزتين لم يماثله فيهما أحد من الباحثين الاجتماعيين، أولهما: أنه كان أول من درس المجتمع دراسة واقعية غير وعظمية، وثانيهما: أنه لا يزال أعظم من درس المجتمع العربي على أساس من طبيعة تكوينه الخاص، وخاصة ما جرى من صراع بين البداوة والحضارة، (الحسيني، 1984، ص44). وبالرغم من نواقص هذه النظرية إلا أنها ما زالت خير مصدر لنا في دراسة المجتمع العربي، لأنها انبعثت من طبيعة هذا المجتمع مثلما انبعثت النظريات المعاصرة في علم الاجتماع من المجتمع الغربي الذي وجدت فيه. (الحسيني، 1984، ص44).

على أية حال هناك اعتراف عالمي الآن بأهمية دور ابن خلدون في الدعوة إلى إنشاء علم الاجتماع. والسؤال هنا لمن يرجع الفضل في إنشاء هذا العلم؟

يزعم الإيطاليون أن فيكو Vico (1668 – 1744) هو مؤسس علم الاجتماع، كما يدعي البلجيكيون أن كاتيليه (1796 – 1874) أول من استخدم لفظ الفيزياء الاجتماعية وأشار بها إلى هذا العلم الجديد.

ويدعي الفرنسيون هذا في أوغست كونت (1798 – 1857)، والأمر كذلك عند الإنكليز إذ يعدون هربرت سبنسر المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، فضلاً عن الماركسيين الذين يعدون كارل ماركس (1818 – 1883) المؤسس الحقيقي لهذا العلم، والحق أن تاريخ علم الاجتماع يشهد الآن بأن هناك مفكر عربي سبق هؤلاء جميعاً بنحو أربعة قرون، أقام صرح هذا العلم على أسس منهجية سليمة، وصار يدرس وسائله ويستنبط قوانينه، ذلك هو عبد الرحمن أبو زيد بن خلدون، والمشهور بابن خلدون، فهو بحق واضع المبادئ الأولى لهذا العلم، والمؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع الذي كان يسميه آنذاك بعلم العمران البشري، ونسوق هنا أقوال بعض الذين اعترفوا بفضل ابن خلدون في الفكر السوسيولوجي، يقر جمبلوفيتش Gumplouioz بعد أن درس فكر ابن خلدون بأنه قبل أوغست كونت، بل قبل فيكو الذي أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول عالم أوروبي في علم الاجتماع، جاء مسلم عربي درس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن، وأتى في هذا الموضوع بآراء عميقة، وما كتبه هو ما نسميه اليوم علم الاجتماع، وهذا كذلك نجده عند كولوزيو Colosio الذي صرح بأن ابن خلدون أول من أشار إلى مبدأ الحتمية في الحياة الاجتماعية، وإلى الجبرية في ظواهر علم الاجتماع، كذلك سميث Schmitt (1723 – 1790) يقر بأن ابن خلدون قد تقدم في علم الاجتماع إلى حدود لم يصل إليها كونت نفسه في النصف الأول من القرن التاسع عشر. ولو أن المفكرين الذين وضعوا أسس علم

الاجتماع من جديد اطلعوا على مقدمة ابن خلدون واستعانوا بحقائق الأمور التي كان قد اكتشفها والمناهج التي أحدثها في الدراسة ذلك العبقرى العربى قبلهم بمدة طويلة؛ لاستطاعوا أن يتقدموا بهذا العلم الجديد بسرعة أكبر مما هي عليه. (بيومى، 2000، ص73).

الأسباب التي دعت ابن خلدون إلى تأليف المقدمة:

- الحق أن مقدمة ابن خلدون هي محاولة في النقد التاريخي، يناهض فيها ابن خلدون جيل المؤرخين في جمعهم لأخبار التاريخ دون نقد وتمحيص، وفي هذا يقول ابن خلدون: أما الإخبار عن الوقائع فلا بد من صدقها وصحتها: من اعتبار المطابقة إذا فعلنا ذلك كان ذلك قانوناً في تمييز الحق من الباطل في الأخبار، والصدق من الكذب، بعرض برهاني لا يدخل شك فيه، وهذا هو غرض هذا الكتاب الأول، فدراسة المجتمع عند ابن خلدون هي إذن وسيلة لدراسة التاريخ.
- أما الهدف الثاني فهو إيضاح الحوادث الاجتماعية، بمعنى أن ابن خلدون كان مهتماً بأصل المجتمعات وبيان أوجه اختلاف بعضها عن بعض وبيان القوانين التي تخضع لها، وينتقد ابن خلدون المؤرخين السابقين، فهم لا يتعرضون لبداية المجتمعات ولا يذكرون السبب الذي رفع رايته.
- كذلك يعطي ابن خلدون اهتماماً خاصاً بالنظام السياسي وتكوين السيادة والسلطة واتساع الدولة زماناً ومكاناً وتطورها وتدهورها. (بيومى، 2000، ص78)

يقسم ابن خلدون كتابه إلى ستة فصول تستوعب تقريباً كل فروع الظواهر الاجتماعية المتجانسة في طبيعتها، وهذه الأقسام هي:

- أ- في العمران البشري وأصنافه، ويقابل عند المحدثين علم الاجتماع العام.
 - ب- في العمران البدوي والأمم المتوحشة، ويقابل علم الأنثروبولوجية.
 - ت- في الدول والخلافة والملك، ويقابل علم الاجتماع السياسي.
 - ث- في العمران الحضاري والبلدان والأمصار، وهو ما يقابل علم الاجتماع الحضري والريفي.
 - ج- في البضائع والمعاش والكسب، وهو ما يقابل علم الاجتماع الاقتصادي.
 - ح- في العلوم واكتسابها وتعلمها، وهو ما يقابل علم الاجتماع التربوي.
- وفي ثنايا القسم الأخير كثير من الظواهر المختلفة، كالظواهر القضائية والعائلية، والخلقية والدينية واللغوية والجمالية. (الجهري، عبد الهادي، 1989، ص 30-31).

موضوع علم الاجتماع عند ابن خلدون:

فطن ابن خلدون إلى أن هناك طائفة من الظواهر لا تنتمي إلى العلوم المادية، ولكنها تنتمي إلى الاجتماع الإنساني وحده، وأنها تنشأ عن هذا الاجتماع بحكم طبيعته لا بأي مصدر خارج عن الاجتماع، وأطلق ابن خلدون على الظواهر الاجتماعية اسم (واقعات العمران البشري) أو (أصول الاجتماع الإنساني)، وأوضح أهم خصائص الظواهر الاجتماعية وهي أنها حتمية، وأنها خارجة عن شعور الأفراد، وأنها ذات قوة قاهرة، وأنها تنشأ عن طبيعة الاجتماع الإنساني، وأنها قوالب للتفكير والسلوك والعمل.

وإذا كان دوركهايم قد رأى أن علم الاجتماع ينقسم ثلاثة أقسام رئيسة هي:

- أ- المورفولوجيا الاجتماعية، أي: ترتيب المجتمع من السكان وأنواع تجمعهم وأثر البيئة الجغرافية في حياتهم.
- ب- الفسيولوجيا الاجتماعية وتنقسم إلى عدد من الأنظمة، مثل الاجتماع الاقتصادي والسياسي والأخلاقي والتربوي.
- ت- علم الاجتماع العام، ويقوم باكتشاف الطابع العام للوقائع الاجتماعية والقوانين العامة التي تحكم الحياة الاجتماعية.
- نقول: إن ابن خلدون قد فطن إلى الأقسام الثلاثة التي ذكرها دوركهائم، ولهذا نجده يقسم الكتاب الأول إلى المقدمة، وهي الخاصة بطبيعة العمران في الخليقة، وما يعرض فيها من البدو والحضر والكسب والبضائع والعلوم ونحوها، وما لذلك من العلل والأسباب، أي: اهتم ابن خلدون بدراسة أثر البيئة الجغرافية في هذه الظواهر وغيرها من شؤون الاجتماع. وهذا ما أسماه دوركهائم المورفولوجيا الاجتماعية، (بيومي، 2000، ص82) وعرض ابن خلدون في الفصول العشرين الأولى من الباب الثاني الظواهر المتصلة بالبدو والحضر وأصول المدينيات، وعرض في الفصول السبعة عشر الأخيرة من الباب الثاني وجميع فصول الباب الثالث أنظمة الحكم وشؤون السياسة، وعرض في سبعة فصول من الباب الخامس الظواهر الاقتصادية، وعرض في الباب السادس الظواهر التربوية والعلوم وأصنافها، والتعلم وطرقه، وتناول في مناقشته لهذه الظواهر ظواهر أخرى مثل الظواهر القضائية والخلقية والجمالية والدينية واللغوية.

المنهج عند ابن خلدون:

هدفُ العلم عند ابن خلدون هو جمع المادة العلمية وإعطاء عللٍ وأسباب لتفسير الحوادث، ثم الوصول إلى القوانين العامة. وفي هذا يقول ابن خلدون عن عمله: إنه

استوعب أخبار الخليقة استيعاباً، وأعطى لحوادث الدول عدلاً وأسباباً، للوصول إلى هذا يتبع ابن خلدون الخطوات التالية:

- الاعتماد على ملاحظة ظواهر الاجتماع في الشعوب التي أتى له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها.
- تعقب الظواهر في تاريخ هذه الشعوب نفسها في العصور السابقة لعصره.
- تعقب أشباهها ونظائرها في تاريخ شعوب أخرى لم يُتَخ له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها.
- الموازنة بين هذه الظواهر جميعاً والتأمل في مختلف شؤونها؛ للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتها العرقية، وما تؤديه من وظائف في حياة الأفراد والجماعات التي تربطها بما عداها من الظواهر الكونية، وعلل تطورها واختلافها.

ويلاحظ أن ابن خلدون أقام منهجه العلمي على ثلاث دعائم رئيسة، وهي :

أ- ملاحظات حسية: تشمل جميع البيانات الأولية لموضوع بحثه عن المشاهدات.

ب- التأصيل التاريخي: أي الرجوع إلى التاريخ. ج- عمليات عقلية يجريها على هذه المواد، ويصل بنقلها إلى الكشف عن القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية، وقد يلجأ ابن خلدون إلى الاستقراء التمثيلي للحكم على صدق ما تبين ، ثم يلجأ إلى الاستدلال، ولا يقتصر في هذا الاستدلال على ما شاهد أو اطلع عليه في كتب التاريخ من ظواهر اجتماعية تدل على صحة هذا القانون الذي يناقشه، بل يلجأ كذلك أحياناً إلى الاستدلال المنطقي الخالص، وإلى التعليل بحقائق العلوم الطبيعية أو علم النفس بحسب طبيعة الظاهرة التي يعالجها. إضافة إلى ذلك، فإن ابن خلدون غالباً ما يمهّد منهجه للظواهر والأحداث الاجتماعية ببحوث ودراسات تمهيدية، ولهذا يخصص بعض الفقرات لهذه الدراسات قبل أن يتناول البحث موضوع دراسته.

والحق أن ابن خلدون كان لديه منهج واضح في فهم الظواهر الاجتماعية في ذاتها، وكما هي في الواقع، ومن دون أن يتأثر برأي سابق أو يهدف إلى إصلاح اجتماعي أو إنشاء مدينة فاضلة خيالية... إنما اعتمد في دراسته على الملاحظة والاستقراء التاريخي والاستدلال المنطقي، واستخدم العلوم كافة لتأييد أو رفض رأي المؤرخين. إضافة إلى كثرة أسفاره وتجرّبه ومشاركته في الوظائف العامة والسياسية. أدرك ابن خلدون أن العلم لا ينتهي بإنسان واحد أو بكتاب واحد، فهو يقول -بتواضع العلماء-: عزمنا أن نقيض العناية عن القول في هذا الكتاب الأول الذي هو طبيعة التمدن وما يعرض فيه، فقد استوفينا من مسائله ما حسبناه كفاء له، ولعل من يأتي بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم متين يغوص في مسائله على أكثر مما كتبناه، فليس على مستنبط العلم استقصاء مسائله، وإنما عليه تعيين موضوع العلم وتنوع فصوله، وما يتكلم فيه، والمتأخرون يبحثون المسائل من بعده شيئاً فشيئاً إلى أن يكتمل. (بيومي، 2000، ص 83-84)

النتائج العامة لأبحاث ابن خلدون:

بحث ابن خلدون في الاجتماع الإنساني وقرر ضرورته؛ لحاجة الأفراد إلى تبادل المنافع والتعاون ضد الوحوش الضارية لحماية أنفسهم. كما بحث ابن خلدون في تطور المجتمع وأشكاله، فحدد له شكلين هما البدوي والحضري، ورأى أن البداوة أصل الحضارة وسابقة عليها، وهذه بلا شك نظرية لها أهميتها في علم الاجتماع الحضري الذي يهتم بظاهرة تكوين المدن وأسبابها وكيفية حدوثها، فابن خلدون درس كل طائفة من طوائف الظواهر الاجتماعية على حدة، واستخلص من دراسته لها ما هدته إليه ملاحظاته من أفكار وقوانين في دراسته للظواهر الاقتصادية مثلاً، لتنتهي إلى عدة قوانين، منها: أن الأمصار إذا قاربت الخراب انتقصت منها البضائع، وفي دراسته لظواهر السياسة انتهى إلى أن المجتمع البشري شأنه شأن الفرد الذي يمر بمراحل منذ ولادته حتى وفاته، وأسماء قانون الأطوار الثلاثة: طور الولادة وطور النضج والاكتمال وطور الهرم والشيخوخة.

وأوضح أن للدولة أعماراً كالأشخاص سواء بسواء، وعمر الدولة في العادة ثلاثة أجيال، والجيل أربعون سنة، فعمر الدولة إذن مئة وعشرون سنة، وخلال هذه الأجيال الثلاثة يمر المجتمع بأربعة مراحل: المرحلة الأولى هي مرحلة البداوة، وهي المرحلة التي يقتصر فيها الأفراد على الضروري من أحوالهم، ويكونون عاجزين عن تحصيل ما فوق الضروري، وتتميز هذه المرحلة بخشونة العيش وتوحش الأفراد وبساطتهم، كما تتميز بالعصبية وضعف الروح الفردية. والمرحلة الثانية هي مرحلة الملك، وفيها يتحول المجتمع من البداوة إلى الحضارة، ومن الشظف إلى الترف، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي إليه، ولا تختفي فيها العصبية، وإنما تظل موجودة في نفوس الأفراد. أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الحضارة، وهي مرحلة ترف ونعيم، وفيها يقول ابن خلدون: ينسى الناس عهد البداوة والخشونة، ويفقدون حلاوة الفردة والعصبية، ويبلغ فيهم الترف غايته، فيصبرون عيالاً على الدولة، وتسقط العصبية بالجملة، وينسون الحماية والمرافقة. والمرحلة الأخيرة هي مرحلة الاضمحلال، وهي المرحلة التي تسبق انهيار الدولة وزوالها، وهي نتيجة حتمية لمرحلة النعيم والترف السابقة لها. كذلك بحث ابن خلدون في اختلاف الأقاليم الجغرافية وتأثير المناخ في ألوان البشر. وأيضاً في اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع، وما ينشأ عن ذلك من آثار، وهذه الآراء التي تفسر الحياة الاجتماعية. تعرف بأثر الظروف المناخية في حياة البشر. (الجوهري، 1991، ص82-83).

وهكذا يتبين لنا مما سبق أن ابن خلدون فاق عصره، كما أنه سبق الكثيرين من العلماء الذين تطرقوا إلى دراسة الاجتماع والسياسة والاقتصاد، وأنه بحق الذي وضع البذور الأولى لعلم الاجتماع. كما أنه بلا منازع هو المؤسس الحقيقي لهذا العلم الذي أطلق عليه كما عرفنا اسم علم العمران البشري.

1- نيقولا ميكيافيللي (1469 - 1527):

يعد ميكيافيللي من المفكرين الأوروبيين الذين تأملوا الحياتين السياسية والاجتماعية، ففي القرون الوسطى تميزت الحياة بطغيان وتفوق السلطة المطلقة، لا على حساب قوة الكنيسة فقط بل على حساب جميع المؤسسات السياسية الأخرى أيضاً، كالنبلاء والبرلمانات، كما اقتضت في عهده الملكية المطلقة على نظام العصور الوسطى الإقطاعية، كان ميكيافيللي من أنصار النظام الملكي المطلق، ودعا إلى فصل الدين عن السياسة، كما قال: إن المتدينين الصالحين لا فائدة من وجودهم في الدولة، ونصح الملوك والأمراء بأن يتخلقوا بأخلاق الثعالب، ولا يحتشموا من نقض العهود والكذب والخيانة والغش والنفاق طالما أن ذلك في مصلحة الدولة. كان ميكيافيللي يرى أن الحياة في المجتمعات تقوم على استخدام القوة؛ ذلك أن ميل الإنسان للشر يفوق ميله إلى الخير، وقد يركز ميكيافيللي على تحليل علمي للقوى والمصالح المتصارعة داخل الدولة بسبب الفراغ الناشئ من ضعف المبادئ الخلقية. يعتقد ميكيافيللي أن الناس جميعاً مترددون وأنانيون ومنكرون للجميل وطموحون ولا حدود لرغبتهم بالسعادة، وتطرق إلى بحث السلطة المجردة العارية من الشرعية وما تبتدعه من أساليب للسيطرة والنفوذ دون تناول مشكلة الحقوق إطلاقاً، مستقياً ذلك من مقتضيات السلطة والطبيعة البشرية التي توجب قيام رجل قوي.

صنف ميكيافيللي أنواع الحكومات إلى جمهوريات وإمارات، ولديه أربعة طرق للحصول على كرسي الحكم، بقدرة الإنسان وقوته، أو بمساعدة الحظ، أو بوساطة الإجرام، أو بمساعدة المواطنين، اشتهر ميكيافيللي بمقولته: «الغاية تبرر الوسيلة» وخير تعبير عن ذلك وصيته للأمر فلورنس قائلاً: «فليعيش الأمير وليحافظ على عرشه دون

النظر في الوسيلة، فإنها ستبقى على الدوام فوق الشبهات ويمتدحها كل الناس؛ لأن العامة منهم مأخوذون بالظواهر وبتائج الأشياء، والعالم لا يشمل إلا العامة» أما في السياسة الخارجية فإن الدبلوماسية في نظر المفكر مكيافيلي ليست سوى كلمة رقيقة تخفي وراءها شريعة الغاب وتجرحها إلى الميدان الدولي، لذا على الحاكم أن يكون لديه مميزات الثعلب ليكشف الحيل، ومميزات الأسد ليُرهب الذئاب.

إن تعاليم مكيافيلي لا تزال حية في أذهان وسلوك بعض السياسيين وعند الإنتهازية والقوى الإمبريالية. (أسعيد، محمد فايز، 1984، ص22).

2-توماس هوبز (1588 – 1679):

فيما بين أواخر القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر تغير تاريخ إنجلترا بالأحداث الجسام، وهذه الفترة هي التي كوّنت مفاهيم هوبز القائمة على النفعية والخوف، ففيها ومنها انتشرت البروتستانتية، وحاول فيليب الثاني ملك إسبانيا الكاثوليكي غزو الجزر البريطانية، كان هوبز يكره المناقشات السياسية ضد الكنيسة الكاثوليكية بوصفها أدوات هدم للحكم القائم، وعوامل تشجيع للحرب الأهلية، وتقوم فلسفته على أن الإنسان طموح بحكم طبيعته لأن يكون أنانياً، ولدى كل إنسان رغبة في أن يمتلك أكبر قدر ممكن من الثراء المادي والمعنوي، فكل إنسان يريد أن يكون أفضل من غيره في كل شيء؛ لأن ذلك يخدم البقاء، ومنبع هذا الشعور هو إيمان الفرد بأنه لا بد له من التغلب على الآخرين لضمان البقاء، وفي تسويق ذلك الصراع يسوق هوبز المنطق التالي: الناس متساوون من حيث الطبيعة في القوة والذكاء، فالضعيف قادر على قتل القوي إذا نام الأخير، فقوة الضعيف إذن في نوم القوي، كما نشأ دستور لدى الأفراد بضرورة الحصول على نصيب متساو من خيرات الأرض، لكن الخيرات والبضاعة لا تكفي لجميع البشر ضمن إطار عدالة التوزيع، فيدخل الناس في صراع على المادة، إنها

حرب الفرد ضد الفرد، وحرب الجماعة ضد الجماعة War of all against all أو حرب الكل ضد الكل، أي: الحرب الأهلية Civil war وفي هذه الحرب يكون الفرد وأخيه الفرد ذنباً يتربص به الدوائر، وتكون الحياة خطيرة، مملّة، قدرة، مخيفة، عنيفة، وفي هذا الجو المليء بالكراهية والحقد وخطر الموت تتأثر الحضارة فلا يعمل المزارع في أرضه، ولا المعلم في مدرسته، ولا يهناً الزوج مع زوجته، فكل فرد في خوف دائم من أن يفقد ما لديه بفعل هجوم فرد آخر، ولهذا تتجه أنظار كل فرد إلى حماية نفسه، وتوفير كل جهده من أجل البقاء الذي هو قمة الأمنيات لكل إنسان. فالناس في حالة خوف شامل وقلق قاتل، إنها شريعة الغاب التي تحكم مصيرهم، وللخروج من هذا الوضع المخيف الذي يقود المجتمع إلى الفناء يفكر كل إنسان في أفضل السبل لنجاته، فالخوف من الموت يقود الناس إلى التفكير بالمخرج، والمخرج الوحيد هو تنازل كل فرد عن حقه في كل شيء، ويتم ذلك على الشكل التالي: يقول الفرد للفرد: «أنا أتنازل عن حقي في كل شيء مقابل أن تتنازل أنت عن حقك في كل شيء، وتوكل أمورنا للمهيمن الأعظم»، يرى هوبز أن البلية هي اعتقاد كل فرد بأنه أفضل من غيره، وعليه لا بد أن يتوقف الأفراد عن تسعير أنفسهم؛ لأن المجتمع هو الذي يقرر من يساوي كم؟ ولماذا؟ إن إدراك الإنسان لحقيقة سعره تقوده إلى مبدأ التنازل من أجل الحياة الجماعية، وهنا يستبدل الإنسان حقه الطبيعي في كل شيء مقابل ضمان حياته وابعاد شبح الموت قسراً، وفي نظر هوبز العاطفة والعقل هما القوتان الدافعتان للأفراد في سبيل إيجاد السلطة المطلقة في شخص المهيمن الأعظم، وهذا يعني تأسيس الدولة، إذا عقد الأفراد فيما بينهم اتفاقاً على التنازل لصالح طرف ثالث، وهو الملك الذي لم يكن طرفاً في العقد، وبمقتضى هذا التنازل أصبحت السلطة المطلقة بطريقة أوتوماتيكية في يد السيد المهيمن الأعظم، لقد اتحدت هنا إرادات الأفراد لصالح السلطة المطلقة (الدولة)، والتي بدورها توجه الأفراد نحو السلم

الداخلي والخارجي، وتنازل الأفراد عن حقهم للمهيمن الأعظم يعد تنازلاً نهائياً لا رجعة فيه خشية العودة بالمجتمع إلى الحرب الأهلية، والاستثناء في حالتين:

- حين يصبح المهيمن الأعظم عاجزاً عن حفظ الأمن بسبب هزيمة عسكرية يكون الرعايا في حلٍّ من الارتباط والالتزام.
- حين يطلب المهيمن الأعظم من أحد المواطنين أن يقتل نفسه، في هذه الحالة يحق لهذا المواطن أن يكون جباناً ويرفض الانتحار. الاستثناء هذا يعني أن المهيمن الأعظم ملزم بالحفاظ على أرواح الناس. (أسعيد، 1984، ص 24). ألم ينشأ العقد الاجتماعي من أجل هذا الهدف؟

3- جان جاك روسو (1712 - 1778):



كان روسو شخصية محيرة، وعلى أية حال هو معروف أنه بطل فكرة العقد الاجتماعي، لقد دافع عن الأسرة بوصفها نظاماً اجتماعياً ونظر إلى الأبوة بكل تقدير، ولكنه أهمل أطفاله وأودعهم أحد الملاجئ، لقد أدان عناصر التفكك في الحضارة، وطالب بالعودة إلى طرق الطبيعة البسيطة، وفي مؤلفه (اميل والعقد الاجتماعي) هاجم الحضارة

بكل قوة، وأكد أن الحضارة قد دمرت حقوق الإنسان الطبيعية، فذهب إلى القول بأن الحياة المبكرة للنوع الإنساني كانت مثالية في بساطتها وحلاوتها، فلم تعرف الصراع ولا الحرب، ثم عاد روسو في كتاباته الأخيرة إلى تعديل اعتقاده، وأكد أن الاضطراب البدائي جعل من الضروري وجود نوع من التنظيم الاجتماعي، واعتقد أن الحضارة تولد الشرور الاجتماعية، وتؤدي عاجلاً أو آجلاً إلى الانهيار الاجتماعي؛ إذ أصبح الفساد في المجتمع أمراً مشهوراً، وسادت اللامساواة الاجتماعية، «لقد ولد الإنسان حراً، ولكنه مقيد

بالسلاسل في كل مكان». لقد فقد الإنسان السعادة بسبب تعقد الحياة الاجتماعية يجب أن يترك الفرد حراً لتنفيذ خططه ومشروعاته، لا تقيده بقواعد اجتماعية أو واجبات، فليس هناك جزاء اجتماعي على الإطلاق، وليس هناك سلطة سوى سلطة الطبيعة وهي ضرورية...

وحول تفسير طبيعة العقد الاجتماعي أشار روسو إلى أن العقد مصاحب للمجتمع المعقد؛ لأن الجماعة الصغيرة البسيطة لا تحتاج إلى الدخول في اتفاقات، وإن تكوين هيئة من الناس أو مجتمع يتطلب أعظم درجة من الفهم الاجتماعي بكيفية وضع العقد الذي يتحد فيه كل فرد مع المجتمع ومع ذلك يبقى حراً قدر الإمكان؟

اعتقد روسو أن حل هذه المعضلة في أن كل فرد في العقد الاجتماعي يكسب شيئاً معادلاً للحرية التي تنازل عنها. وأن العبودية خطأ؛ فهي عقد أو اتفاق على حساب العبد ولصالح السيد الذي يقول: أنا أنفذ الاتفاق وأنت تنفذه! طالما يسري ذلك، إن القوة لا تخلق الحق، وهي والإلزام الأخلاقي ليسا بالضرورة شيئاً واحداً في العقد الاجتماعي. الحرية الطبيعية هي الحرية في أن ينقل الإنسان ما شاء من خير أو شر، أما الحرية المدنية أو الأخلاقية، وهي الحرية التي يتمتع بها الإنسان في ظل العقد القائم بينه وبين الرب، وفي ظل المواثيق السياسية بين الناس، وفي ظل القانون الأخلاقي؛ فهذه الحرية وحدها هي التي تفعل ما هو طيب وعادل وأمين. (الجوهري، 1991، ص103).

إن العقد الاجتماعي في نظر روسو عبارة عن التزام اجتماعي غُيِّرَ في أية سلطة طبيعية أو سلطة الحاكم، فهو اتفاق بين الفرد ونفسه، يربط به نفسه بمحض إرادته، وينشأ هذا التعاقد بأن يضع كل فرد إرادته الخاصة تحت تصرف الإرادة العامة *Vollonte general* وأن يقبل الجميع كل عضو بوصفه جزءاً لا يتجزأ من الكل، فالصفة الظاهرة في العقد هي التزام كل عضو فيه دون أن يخضع لشخص آخر؛ لأن كل فرد يربط نفسه

بالمجتمع، ويكون لكل فرد الحق على الآخر بقدر ما يعطيه، فيأخذ كل فرد يلتزم بالكل ولا يضع أحد نفسه تحت قيادة فرد آخر بل يبقى حراً كما ولدته أمه، ويكون كل عضو فيه حاكماً (لأنه عضو في الجسم السياسي صاحب السيادة) ومحكوماً لطاعته القوانين التي سنّها الجسم السياسي بالإرادة العامة، والإرادة العامة تهتم بالصالح العام. إن الإرادة العامة من اختصاص الشعب صاحب السيادة، وفيه يملك كل عضو إرادتان: إرادة خاصة فردية لأنه إنسان، وإرادة عامة بوصفه طرفاً في العقد الاجتماعي. والإنسان بوصفه فرداً يميل إلى رعاية مصالحه الخاصة، بينما يبحث بوصفه مواطناً وراء الصالح العام الذي تتحكم فيه الناحية القانونية. وفي الحالة الاجتماعية التي نشأت بالعقد يتمتع كل عضو في المجتمع بالحرية بوساطة إخضاع إرادته الفردية للإرادة العامة؛ وذلك بالضغط على حب الذات والأنانية لصالح حب الجماعة، وتمثل الحرية في طاعة ما يشرعه الشعب صاحب السيادة من قوانين، وفي خضوع الأقلية للقوانين التي شرعتها الأغلبية، لكي يتمتع الجميع بالحرية الكاملة ولتعويض الحرية الطبيعية التي فقدتها العضو في المجتمع بسبب العقد يحصل بدلاً منها على ثروات كالمساواة الطبيعية، إذ يتساوى الجميع أمام العقد الاجتماعي، ويلتزمون الشرط نفسه ويتمتعون بالحقوق ذاتها، وبمقتضى العقد الاجتماعي يصبح للدول حق السيادة على الملكية، فهي صاحبة الملكية العامة، ولكن دون سرقة ملكية الفرد. تفقد الدولة حريتها عندما يكون هناك فرق شاسع بين الأغنياء والفقراء، فيشتريها الأغنياء ويبيعها الفقراء. والسيادة في نظر روسو هي في الشعب، وتستمد سلطتها من العقد الاجتماعي، كما أن السيادة غير قابلة للتقسيم، وتتصف بأنها لا تخطئ وبأنها مطلقة. لقد أثر كتاب العقد الاجتماعي في أفكار رجال الثورة الفرنسية، وفي مقدمتهم روبسبير، وأثرت آراء روسو في مذاهب اجتماعية أخرى، ولا سيما المذهب الديمقراطي والاشتراكي. (عبد أسعيد، محمد فايز، 1984، ص 25).

—
:

هذا نوع آخر من الدراسات الاجتماعية يطلق عليه عادة فلسفة التاريخ، ولهذا النوع من الدراسات أهميته من الناحية الاجتماعية، لما كان له من نصيب كبير في مرحلة التمهيد لنشأة علم الاجتماع، لما كان يحمله عادة من معان تتعلق بالمجتمع الإنساني وتطوره، وذلك من ناحية أن المجتمع في تغيره وتطوره لا يسير اعتباطاً أو دون هدف، وإنما يسير وفق قواعد وقوانين محددة تهدف الوصول إلى غايات معينة، وهذا الاتجاه في حد ذاته - أي خضوع المجتمع في تطوره لقوانين معينة - هو أحد الأسس المهمة التي يقوم عليها علم الاجتماع كعلم وضعي يدرس الظواهر الاجتماعية ويكشف القوانين التي تخضع لها، ومن هنا جاءت أهمية الدراسات التي تدور حول فلسفة التاريخ في التمهيد لظهور علم الاجتماع في التنبيه إلى هذا الاتجاه العلمي، وقيام الدراسات الوضعية المقارنة للمجتمعات الإنسانية، وقد كانت معظم الدراسات التي قامت حول فلسفة التاريخ في حد ذاتها فلسفة تخمينية، ولا تستند إلى أساس علمي صحيح؛ لأنها لم تصل إلى قوانين عامة دقيقة يخضع لها كل الشعوب في تقدمها أو تأخرها أو تطورها إجمالاً، وإنما كان كل ما وصلت إليه لا يزيد على بعض أحكام عامة جاءت نتيجة دراسات سطحية عاجزة عن تفسير حقيقة تطور الجماعات، ولكنها برغم كل هذه العيوب كان لها الفضل في تنبيه الأذهان إلى الدراسات الاجتماعية العلمية. ولقد ظهر في ميدان فلسفة التاريخ كثير من المفكرين الذين حاولوا تفسير التاريخ الإنساني واكتشاف العوامل التي تؤثر في سيره وتطوره، منهم على سبيل المثال ابن خلدون وفيكو (1744-1868) ومنتسكيو (1677-1740)، وهيغل (1770-1834)، وكوندرس (1743-1792)، وسان سيمون (1760-1825)، وكونت (1798-1857)، وماركس (1818-1883)، وسنكتفي بالتطرق إلى آراء عدد قليل من هؤلاء المفكرين الذين برزوا في هذا النوع من الدراسات، ونعدهم ممثلين لهذا الشكل من التفكير، ومن هؤلاء المفكرين: فيكو، كانت، هيغل، ماركس.

1- جامباتيستا فيكو Giambattista Vico (1677 – 1740) :

يعد العالم الإيطالي جامباتيستا فيكو أحد مؤسسي فلسفة التاريخ، وذلك بكتابه الذي نشره عام 1725 بعنوان (العالم الجديد). وتحدث فيه المؤلف عن خطوات تقدم الإنسانية ونشأة الحضارات، والقانون الذي تخضع له وينطبق على جميع الشعوب. وقد ميز فيكو تاريخ جميع الشعوب بين ثلاثة عصور:

- أ- العصر الإلهي: وعُدَّ طفولة الأمة، وحيث يؤلَّه خلاله كل شيء، وتكون السلطة فيه لرجال الدين.
- ب- عصر البطولة: وفيه تسود القوى المادية وتظهر الأرستقراطية السياسية وعبادة الأبطال.
- ت- العصر الإنساني: وهو عصر المدنية وظهور الحريات السياسية والمعرفة الوضعية والعلمية. ويعيد التاريخ نفسه بعد المرحلة الثالثة، وذلك حين ترجع الأمة إلى الحالة البدائية، ويتم الانتقال من عصر إلى عصر بهدوء ودون ثورات مفاجئة، ويرى فيكو أن هذا القانون صحيح لدى أمم كثيرة كالليونان ومصر وصحيح أيضاً لدى أمم أوروبا، كما يرى أن هذه المراحل الثلاث تأخذ شكل دورات متعاقبة؛ لأنها ليست في مستوى واحد، لأن الثقافة الإنسانية ترتفع تدريجياً بين دورة وأخرى، وعلى ذلك فهذه الدورات لا تسير في اتجاه مستقيم، وإنما تسير في اتجاه لولبي عمودي. (لطفی، عبد الحمید، 1982، ص 147-246).

2- إيمانويل كانط Immanuel Kant (1724 - 1804):



فيلسوف ألماني من فلاسفة التاريخ، يرجع القوة التي تدفع التاريخ للتطور إلى الصراع بين الأفراد والجماعات، ويرى أن هذا الصراع يحدث نتيجة لعدم اجتماعية الإنسان بطبعه، وهو على هذا الأساس متفق في هذا الرأي مع كل من هوبز وسيبوزا، ويختلف فيه مع روسو، ويرى أن الفضل في تقدم الإنسان إنما يعود إلى عدم اجتماعيته؛ لأن الإنسان لو كان قد

نشأ اجتماعياً لبقى على حالته الفطرية الأولى دون تطور الفردية، والمناقشة لا بد من وجودها لكي يبقى الإنسان ويتقدم، إذن فالصراع من أجل البقاء ليس شراً من جميع الوجوه، ولكن الإنسان وجد أن هذا الصراع يجب أن تكون له حدود، وأن يكون خاضعاً لعدد من القواعد والعادات والقوانين، وبذلك نشأ المجتمع المدني، ويقول كانط: إن المجتمعات الإنسانية في تطورها تحتاز تلك المرحلة الفطرية التي تتميز بعدم الاجتماعية، والتي اجتازها الأفراد قبل تحقيق مجتمعهم المدني، ونجد حالياً أن كل دولة أو ولاية تفترض لنفسها حرية مطلقة في علاقاتها مع الدول أو الولايات الأخرى، كما نجد أن كل دولة تتوقع الشر من الأخرى دائماً، وهذا ينطبق على الحالة التي أجبرت الأفراد من قبل على تنظيم اتحاد مدني ينظمه القانون، وعلى ذلك فالتاريخ يتجه بالأمم كما اتجه بالأفراد من قبل إلى التخلص من الحالة الطبيعية للمجتمعات الإنسانية، وإلى التعاقد بينها لحفظ السلام، وإن كل معنى أو حركة للتاريخ ما هي إلا اتجاه نحو تغيير القتال والاعتداء وتوسيع مستمر لرقعة السلام. فتاريخ النوع الإنساني إجمالاً عبارة عن تحقيق خطة الطبيعة

المختفية نحو دستور سياسي متين داخلياً وخارجياً يكون الوسيلة الوحيدة التي يمكن بها تنمية قدرات النوع الإنساني. (لطفي، عبد الحميد، 1982، 248).



الفصل الثالث

- أوغست كونت
- كارل ماركس
- هربرت سبنسر
- إميل دوركهايم
- ماكس فيبر
- وستر ليستر وارد.
- ولیم سمندر
- لیون سمول
- ماكيفر
- بیتريم سوروكین
- بارسونز
- علم الاجتماع في إيطاليا
- علم الاجتماع في روسيا



1857 – 1798 :



ولد كونت في مدينة مونتبلييه (Montpellier)

بجنوب فرنسا عام 1798م ورث عن والدته تدينها مما جعله فيما بعد ينشد تحقيق الوحدة الدينية، أو ما أطلق عليه اسم ديانة الإنسانية، ومنذ عام 1807 – 1814م التحق كونت بالدراسة الثانوية، حيث أظهر ميلاً أدبياً إلى جانب قراءته التحررية والثورية.

ومنذ عام 1814 – 1816م التحق بالمدرسة الهندسية الحربية العليا، ونظراً لحماسه الشديد لنابليون عند عودته من جزيرة ألبا، واستقباله للإمبراطور عند زيارته للمدرسة لاختيار بعض الضباط؛ فإن المدرسة وضعت في القائمة السوداء بعد هزيمة نابليون، ثم أغلقت في نيسان إبريل 1816م، وفي باريس حاول كونت أن يبحث عن عمل يقتات منه هناك بجانب إعطائه لبعض الدروس الخصوصية، وأخذ في دراسة آراء كثير من الفلاسفة، وفي عام 1817م التقى كونت بسان سيمون أحد دعاة المذهب الاشتراكي في القرن التاسع عشر، والذي اشتهر بأرائه الخاصة بالإصلاح، وخاصة في مجال الصناعة. وظل كونت يعمل سكرتيراً لسان سيمون حتى عام 1824م، وأثناء هذه الفترة نشر كونت بالاشتراك مع الآخرين عديداً من المقالات عن فلسفة التصنيع وتعاليم سان سيمون (1760-1825)، وفي عام 1824م نشر الجزء الأول من كتابه عن الفلسفة الوضعية، والذي عدّه سيمون جزءاً ثالثاً لتعاليمه، بينما نادى كونت بأن هذا العمل هو البذور الأولى لأفكاره عن الوضعية^[1].

1- الوضعية: اتجاه في الفلسفة الغربية، أرسى أسسه كونت في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر. يرى أن المعرفة اليقينية الحقة تأتي من العلوم الملموسة، التجريبية، فلا حاجة إلى فلسفة تبحث عن العلل المجردة والميتافيزيقية للأشياء /معجم العلوم الاجتماعية/ دار التقدم - موسكو / 1990.

وفي عام 1826م بدأ كونت بتنظيم محاضراته في منزله عن الفلسفة الوضعية، وبسبب مشكلات عائلية أصيب باضطراب عقلي ونفسي، حتى عاد إلى حالته الطبيعية ومارس نشاطه العلمي في عام 1829م، فأخذ يتابع إلقاء دروسه في الفلسفة الوضعية، وكان يتردد عليه الكثير من علماء النفس والطبيعة في ذلك الوقت، ومنذ عام 1842م توالى عليه سلسلة من المحن، فقد انفصل عن زوجته، ثم فقد وظيفته في مدرسة الهندسة، كما استغنى المعهد العلمي عن خدماته، فحرم بذلك من كل مصادر الرزق، حتى أنقذه صديقه جون استوارت مل وأرسل له تبرعات من بعض الأغنياء الإنكليز، وفي عام 1844م كتب مقالاً افتتاحياً لموسوعته الفلسفية في علم الفلك عن التفكير الوضعي، فأثار هذا المقال إعجاب الكثير، وعلى رأسهم العالم ليطريه، فكتب العديد من المقالات في مدح كونت، ودعا إلى التبرعات له، وكوّن جماعة أنصار الفلسفة الوضعية. ويذكر الذين كتبوا عن حياة كونت أنه التقى في عام 1844م بسيدة في الثلاثين من عمرها تسمى كلوتيلد دي فو، وكانت على مستوى عالٍ من الجمال والفكر، وقد أثّرت تأثيراً عميقاً في حياته، وصبغت آراءه بصبغة جديدة جعلتها أشبه ما تكون رسالة دينية، ونظراً لمرضها لم يستطع كونت إلا أن يكون صديقاً مخلصاً، وتحولت العلاقة إلى نوع من الامتزاج الفكري ونوع من التقديس، وقد ظهرت هذه العاطفة بشكل واضح بعد وفاتها عام 1846م، حيث احتل الرثاء مكاناً لم يكن يقربه من قبل، وأدى تأثره بمعبودته إلى أن يكتب إحدى عشر رسالة فلسفية في ديانة الإنسانية، جعلها على هيئة حوار بين امرأة وراهب يمثل الإنسانية.

عاش كونت بعد هذه المأساة حياة يملؤها الزهد والتقشف إلى أن انتابته أزمة حادة في الخامس من أيلول 1857م أدت إلى وفاته وهو بين الكثير من أتباعه.

والحق أن كونت وفكره ما هو إلا صدى لما كان يعانيه المجتمع الفرنسي في ذلك الوقت، لقد أخذ على نفسه أن يصلح المجتمع الفرنسي بعدما خلفته الثورة عام 1789م وراءها من فساد وفوضى، فكان الإصلاح غايته، رأى أن لا بد من ربط الفلسفة بالحياة في صلاح المجتمع فلا يمكن أن يتحقق إلا إذا صلحت الأخلاق، والأخلاق لا تستقيم إلا إذا تحقق الاتفاق بين العقول، وهذا ما حدث بالفعل بعد الثورة الفرنسية التي أطاحت بالنظام القديم، ووجهت النقد الشديد إلى الديانة المسيحية التي عجزت عن متابعة خط العلم في ذلك الوقت... كذلك لم يكن من المستطاع قهر الناس على العودة إلى الوراء، ولهذا فقد رأى كونت أن البحث عن أسس الأخلاق في الديانة المسيحية من العبث، بل لا بد من البحث عن أساس آخر لها، وهذا الأساس هو العلم الوصفي، فالاضطرابات الأخلاقية إذن في نظر كونت ليس مرجعها الأسباب السياسية بقدر ما ترجع إلى الاضطراب العقلي والعاطفي، ويرى أن الذين يحاولون إصلاح المجتمع من الناحية السياسية دون بحث عن الاتفاق العقلي والعاطفي بين الناس يخطئون سبيلهم، فالانسجام العقلي عند الفرد هو الذي يمهّد الانسجام العقلي على مستوى العقول الأخرى، ومتى تعدت الفلسفة العلمية أو الوضعية إلى جميع العقول أمكن تحقيق الانسجام الخلقى، وأصبح من الممكن تنظيم المجتمع، وكونت واضع علم الاجتماع الذي يعد تاجاً لجميع العلوم، فعلم الاجتماع لكونت هو العلم الذي يهديه إلى تعميم التفكير العلمي، وإلى التحرر نهائياً من التفكير اللاهوتي والميتافيزيقي، وإلى تقرير أسس السياسة والدين.

ضرورة علم الاجتماع:

يرى كونت أن علم الاجتماع هو نقطة بداية ونهاية في نفس الوقت لفلسفته الوضعية (ليفي، بريل، 1952، 34)

ومعنى هذا: أن علم الاجتماع - كما تصوره كونت - بمنزلة درجة في الفلسفة الوضعية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن كونت يعتقد أن الفلسفة الوضعية غير ممكنة إلا بعد نشأة هذا العلم، وفي هذا المعنى نجد كونت يقول في بداية كتابه (دروس في الفلسفة الوضعية): «إن الفلسفة الوضعية ستكتسب بسبب إنشاء علم الاجتماع طابع العلوم الذي مازال ينقصها، وستصبح بهذه الوسيلة قادرة على احتلال مكان الفلسفة اللاهوتية والميتافيزيقية»، ويختم كونت هذا الكتاب بقوله: «إن إنشاء علم الاجتماع قد جاء اليوم لتحقيق الوحدة الأساسية في المذهب الكامل للفلسفة الحديثة». (ليني، بريل، 1952، 34)

ولقد أدرك كونت أهمية هذا العلم الجديد، فكتب يقول إن لدينا الآن فيزياء سماوية وفيزياء أرضية، ميكانيكية أو كيميائية، وفيزياء بنائية حيوانية، ومازلنا بحاجة إلى نوع آخر وأخير من الفيزياء، هو الفيزياء الاجتماعية، ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعاً للدراسة باعتبار أن هذه الظواهر من نفس روح الظواهر الفلكية والطبيعية والكيميائية والفسولوجية، من حيث كونها موضوعاً للقوانين الطبيعية الثابتة. (تيماشيف، 1974، 49)

والحق أن كونت ابتكر مصطلح (علم الاجتماع) [□] Sociologie ليحل محل مصطلح الفيزياء الاجتماعية Physique Sociale وذلك بعد أن نشر عالم الإحصاء البلجيكي أدولف كاتيليه مؤلفة بعنوان: "في الإنسان وتطور القدرات الإنسانية مقال في الفيزياء الاجتماعية" (1835).

¹ - يتكون هذا المصطلح من مقطعين الأول Societes وهي كلمة لاتينية تعني الجماعة، والآخر Logas وهي

كلمة يونانية معناها العلم والبحث الدقيق.

- على أية حال كان هدف كونت من هذا العلم الجديد تحقيق الآتي:
- اكتشاف سلسلة التحولات الثابتة المتتالية للعنصر الإنساني الذي بدأ من مستوى لا يرقى عن مجتمعات القرود العليا وتحول تدريجياً إلى ما يجده الأوروبيون المتحضرون من أنفسهم اليوم. فعلم الاجتماع عند كونت هو دراسة كلية لظواهر الإنسان والأفعال الإنسانية الناتجة، ولا يعني هذا أن كونت جعل علم الاجتماع متخصصاً في دراسة العقل الإنساني في حد ذاته، ولكن أراد أن يهتم علم الاجتماع بالنتائج المترتبة والمتجمعة عن استخدام العقل وممارسته، وبهذا المعنى يرى كونت - كما لاحظ تيماشيف - بحق أن علم الاجتماع هو علم نظري للظواهر الاجتماعية.
 - ومما لاشك فيه أن الضرورة التي دفعت كونت إلى إنشاء هذا العلم الجديد هي رغبته في إصلاح المجتمع الفرنسي في عصره من مظاهر الفوضى التي تفشت في أركانه، وكما بينا أن كونت ينظر إلى الفلسفة على أن ليس لها هدفٌ في ذاتها، ولكنها وسيلة للوصول إلى غايات عملية في شؤون الاجتماع والأخلاق والسياسة والدين. ويرى كونت أن تنظيم هذه الشؤون لا يتم إلا إذا سبقه تنظيم عقلي لآراء ومنهج البحث وطريقة التفكير. ومعنى هذا أن كونت رأى أن الفوضى التي أصابت المجتمع الفرنسي لا يمكن أن نرجعها إلى أسباب سياسية فحسب، بل هي ناشئة عن الاضطرابات الخلقية، وهي بدورها ناشئة عن الفوضى العقلية، ويرى أن هذه الفوضى العقلية راجعة إلى وجود أسلوبين متناقضين للتفكير وفهم الظواهر: أحدهما الأسلوب العلمي الوضعي الذي يتجه إليه الناس في عصره، إذ يفكرون في الظواهر الكونية والطبيعية والبيولوجية، وثانيهما التفكير الديني الميتافيزيقي الذي يتجهون إليه عند التفكير في الظواهر

المتعلقة بالإنسان والمجتمع، ولقد أدت هذه الفوضى العقلية إلى فساد الأخلاق والسلوك، ويرى أيضاً أن كل ما يصيب التفكير من اضطرابات وفساد يتردد صده في مختلف فروع الحياة الاجتماعية، إلا أن هذه الحياة قائمة على دعائم أخلاقية، والمثل والمبادئ الأخلاقية قائمة على أسس عقلية. فالتنظيم الاجتماعي يرجع في آخر تحليله إلى التفكير الذي هو المحور الأساسي الذي تدور حوله كل مظاهر الحياة الاجتماعية. (تيماشيف، 1974، ص50)

وللقضاء على هذه الفوضى والتناقض في أساليب التفكير يقدم لنا كونت ثلاثة بدائل، وهي:

أ. أن نوفق بين التفكير الوضعي (العملي) والتفكير الميتافيزيقي، ولكن كونت يعتقد أن هذا لا يمكن أن يتحقق عملياً؛ لأن المنهجين متناقضين تمام التناقض، وتقديم أحدهما يستلزم ضرورة هدم الآخر، وشتان بين المنهج الوضعي الذي يقوم على الملاحظة وتقرير طبائع الأشياء كما هي، والمنهج الميتافيزيقي الذي يقوم على التأمل النظري والبحث في المطلق، فالمنهج الوصفي يدرس الحقائق الجزئية وعناصر الظواهر محاولاً بذلك الوصول إلى أسبابها المباشرة، أي الوصول إلى القوانين التي تحكم الظواهر، بينما نجد المنهج الميتافيزيقي يدرس الحقائق الكلية ويبحث في العلل الأولى، ويرى كونت أنه لا يمكن التوفيق بين المنهجين، ولا يمكن اجتماعهما دون اضطراب في التفكير.

ب. أما الوسيلة الثانية فهي أن تجعل من المنهج الميتافيزيقي منهجاً عاماً شاملاً تخضع له جميع العقول والعلوم. ومعنى هذا أن نصرف النظر عما وصل

إليه التفكير الوضعي من حقائق علمية، وفي رأي كونت أن في هذا قضاء على الطريقة الوصفية وجعل الناس يفهمون الظواهر في ضوء الطريقة الدينية والميتافيزيقية، وهذا بدوره يعني الرجوع بالإنسانية إلى السوراء وإنكار الانتصارات العلمية، حتى لو افترضنا جدلاً أننا رجعنا بالمجتمع إلى ما كان عليه، فإننا لا يمكن أن نحد من تطوره ونجعله يتجمد عند هذا الحال، فالمجتمع بطبيعته سوف يتطور حتى يصل إلى المرحلة الوضعية. (الخشب، 1958، 166).

ج. أن نعم المنهج الوضعي فنجعل منه منهجاً كلياً عاماً يشتمل جميع المظاهر الكونية، وبذلك يتحقق مبدأ وحدة المعرفة الوصفية.

د. ويقرر كونت أن هذا هو السبيل الوحيد، ولكن يرى أن هذا غير ممكن أن يتحقق إلا إذا فهم الأفراد ظواهر الاجتماع على الطريقة الوضعية، ولكي يفهم الناس ظواهر المجتمع على أساس المنهج الوضعي لابد من توافر شرطين هما:

- أن تكون هذه الظواهر خاضعة لقوانين، وأن لا تسير وفق الأهواء والمصادفات؛ لأن فهم الظاهرة بطريقة وصفية هو عبارة عن الوصول إلى القوانين التي تحكمها، فإذا كانت بحسب طبيعتها غير خاضعة لقوانين فإنه من المستحيل أن تفهم فهماً وضعياً، ويرى كونت أن هذا الشرط متوفر في الظواهر الاجتماعية، لأن المجتمع جزء من الطبيعة الكلية، وجميع نواحي هذه الطبيعة قد خضعت لقوانين ثابتة أمكن الوصول إليها.

- أما الشرط الثاني، فهو أن يستطيع الأفراد الوقوف على هذه القوانين لكي يفهموا الظواهر وفق ما ترسمه قوانينها من حدود وأوضاع، ويرى كونت أن هذا الشرط لا يمكن توافره إلا إذا كشف الباحثون عن هذه القوانين. ولا يمكن

الكشف عنها إلا إذا قام علم جديد وظيفته دراسة ظواهر الاجتماع الإنساني دراسة وضعية تحليلية؛ أي: دراسة وصفية.

هذا ما أراد كونت أن يحققه من علم الاجتماع، أي الوصول إلى قوانين علمية تفسر ظواهر المجتمع، وتصور كونت بهذا أنه يستطيع أن يقضي على الفوضى العقلية من ناحية، وأن يقضي على الفوضى الأخلاقية ومن ثم يحقق الإصلاح المنشود من ناحية أخرى.

ثانياً- مرتبة علم الاجتماع في تصنيف العلوم:

أشرنا فيما سبق أن كونت ينظر إلى علم الاجتماع على أنه "تاج العلوم" فهذا العلم رغم حداثة إلا أنه في نظر كونت يتزعم العلوم الوضعية الأخرى، وأصبح في قمتها؛ لأن موضوعه أكثر الموضوعات تركيباً وتعقيداً، والعلوم الوضعية ما هي إلا مقدمات تمهد له وتفسح الطريق لبحوثه؛ وذلك لأن دراسة المجتمع والظواهر الاجتماعية يشير إلى التركيب والتعقيد، وذلك لتفاعل عناصرها وتداخلها وسرعة تأثرها بالنشاط الإنساني.

ومما لا شك فيه أن هذا العلم بحسب تعريفه وموضوعه ومنهجه يحقق انسجاماً كلياً مع بقية أجزاء المعرفة الوصفية. فعلم الاجتماع يدرس قوانين الظواهر الاجتماعية، كما تبحث الرياضة في القوانين الهندسية، ولهذا ليس هناك بين هذه العلوم المتباعدة من أوجه خلاف إلا تلك التي تنشأ عن اختلاف الظواهر التي يدرسها كل علم منها. ولكن كونت يرى أن الرياضة والعلوم الأساسية الأخرى - فيما عدا علم الاجتماع - تمهد لعلوم غيرها، أما علم الاجتماع فهو علم نهائي، فالعلوم الأخرى تم تأسيسها وإن اختلف حظها من الفلسفة الوضعية، أما العلم الاجتماعي فإنه مازال في دور التأسيس. (بيومي، 2000، 106).

ويرى كونت أن هناك محاولات قد بذلت قبله في هذا السبيل، ولكن كانت الفلسفة اللاهوتية والميتافيزيقية هي المسيطرة على فهم الظواهر الاجتماعية، كذلك لم يكن المفكرون يسخرون جهودهم لتحليل الظواهر بهدف الكشف عن علاجها وعن القوانين التي تخضع لها، وبدلاً من ذلك كانوا يفضلون إنشاء فلسفات للتاريخ تنطوي على خصائص الفروض غير العملية؛ أي التي لا يمكن التحقق من صحتها. أما من وجهة النظر العلمية، فلم يكن لدى هؤلاء أدنى شك في أن الإنسان يستطيع أن يعدل الظواهر الاجتماعية ويغير مجراها وفقاً للظروف الاجتماعية المتغيرة.

ويرى كونت أن هذه الأفكار الخاطئة كانت أيضاً مسيطرة على العلوم الأخرى، والتي تحررت منها وأصبحت علوماً وضعية. هذا التشابه خليق بأن يبعث لدى العلماء الأمل الذي ينادي به العقل في الوصول إلى محو هذه الأفكار النظرية والمنهجية التي كانت تسيطر على علوم المجتمع.

ويرى كونت أن علم الاجتماع الذي يدرس الظواهر الأكثر تعقيداً هو آخر العلوم في الوصول إلى الفلسفة الوضعية، وذلك أمر طبيعي لا يمكن أن يكون عكس ذلك. إن كونت يؤكد «كما هو الحال في العلوم الأخرى.. سوف أجعل الناس يشعرون عن طريق الواقع نفسه أن هناك قوانين لنمو النوع الإنساني تبلغ في دقتها قانون الجاذبية الذي يخضع له سقوط حجر». (ليفى، 1952، 225-229).

الخلاصة: أن العلوم عند كونت هي علوم وضعية، وكلها تدرس حقائق نسبية وتبحث عن الأسباب أو القوانين التي تفسر ظواهرها، وحينئذٍ لا يرجع الخلاف بين هذه العلوم إلا إلى موضوعاتها، أي إلا إلى طبيعة الظواهر التي تدرسها، ومن ثم فالعلاقات التي تربط بعض هذه العلوم ببعض لا تترتب إلا على العلاقات بين هذه الظواهر، ولكن الملاحظ يتبين له - كما ذهب كونت - أن هذه الظواهر تنقسم إلى عدد خاص من المجموعات الطبيعية، وأن الدراسة العقلية لكل طائفة منها تقتضي معرفة قوانين المجموعة

التي تسبقها، وأن معرفة هذه المجموعة نفسها تعد بصورها شرطاً أساسياً لمعرفة المجموعة التي تليها. وهذا الترتيب محدد تبعاً لدرجة عموم الظواهر. وهذا السبب في أن كل طائفة منها تتوقف على سابقتها، وتترتب على ذلك درجة السهولة أو الصعوبة لكل علم من العلوم.

وعلى أساس هذا المبدأ يتم التدرج العام للعلوم الأساسية دون مشقة، فبناء على درجة العموم التي تنقص شيئاً فشيئاً، وعلى درجة التعقيد التي تزداد شيئاً فشيئاً تأتي العلوم الرياضية أولاً، ثم يأتي بعد ذلك كل من علوم الفلك، وعلم الطبيعة، وعلم الكيمياء، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم الطبيعة الاجتماعية، وعلم الاجتماع.

فالعلم الأول يفحص أثر الظواهر عموماً، وأقلها تركيباً، وأشدّها تجزئاً، وأكثرها بعداً عن الإنسانية. أما الظواهر التي يدرسها علم الاجتماع فهي أشد الظواهر خصوصيةً، وأكثرها تركيباً، وأشدّها اهتماماً بالأمور الحسية، وهي أكثرها أهمية من الوجهة المباشرة للإنسانية، وتتوقف على جميع الظواهر السابقة لها.

علم الاجتماع إذن عند كونت هو علم نظري بحث، يهدف إلى الكشف عن قوانين الظواهر دون أن يهتم بالتطبيقات العملية الممكنة عليها، ويقول كونت نفسه في المعنى: «إنني لن أشغل نفسي مباشرة بالفوضى السياسية» فيجب أن نفصل العلم عن الفن المقابل له تماماً مثل الأسباب التي أدت إلى تكوين علم وظائف الأعضاء المستقل عن الطب، فهي الأسباب نفسها التي تحتم أيضاً أن يتميز علم الاجتماع من السياسة.

وتجب الإشارة هنا إلى أن كونت يرى ارتباطاً وثيقاً بين علم الاجتماع وعلم الحياة، فمعرفة الإنسان تخص علم الحياة من ناحية وعلم الاجتماع من ناحية أخرى، وعلى ذلك فإن تعريف الظاهرة الاجتماعية يرجع إلى تحديد العلاقات بين علم الحياة وعلم الاجتماع، ويرى كونت أنه لم يكن لعلم الاجتماع أن ينشأ ما لم تكن دراسات الوظائف السامية في علم الحياة قد بلغت درجة معينة من التقدم.

ولقد قدم لنا التاريخ دليلاً على ذلك. فعندما كان علم الحياة في المرحلة المبكرة كان ذلك سبباً مهماً في فشل المحاولات الاجتماعية التي قام بها كل من منتسكيو (1689-1755) وكوندرسيه (1743-1794)، ولكن من ناحية أخرى لا يمكن دراسة الوظائف العقلية والخلقية - أي أرقى فرع في علم الحياة - إلا بناء على وجهة نظر علم الاجتماع، ولا يعني هذا أن كونت يؤول علم الاجتماع إلى علم الحياة، فللظواهر الاجتماعية قوانينها الخاصة التي تسيطر عليها، بصرف النظر عن القوانين الأخرى العامة التي تشترك فيها مع الظواهر التي تعد أساساً لها. في هذا يقول كونت: إن إرجاع علم الاجتماع إلى علم الحياة معناه إلغاء الملاحظة المباشرة للحاضر الاجتماعي، ولا شك أن رقي الإنسان قياساً إلى الحيوانات الأخرى يرجع إلى الكمال النسبي في تركيبه العضوي. فبهذا المعنى يكون دراسة التطور الاجتماعي للنوع الإنساني فرعاً من علم وظائف الأعضاء، وبهذا المعنى أيضاً لا يكون تاريخ الحضارة إلا نتيجة وتكملة ضرورية للتاريخ الطبيعي للإنسان. (بيومي، 2000، 108).

ثالثاً- قانون الحالات الثلاث:

يرى كونت أن "التنظيم العقلي" هو أساس تنظيم المجتمع، لذلك نجده أخذ يبحث عن مجموعة من المبادئ التي تتفق بصدد جميع العقول. وتوصل في تتبعه لتطور منهج التفكير الإنساني إلى قانونه المشهور باسم "قانون الحالات الثلاث" وقد حدد كونت صيغة هذا القانون في هذه العبارة «بناء على طبيعة العقل الإنساني نفسه لا بد لكل فرع من فروع معرفتنا من المرور في تطوره بثلاث حالات متعاقبة: الحالة اللاهوتية (أو الخرافية) والحالة الميتافيزيقية (أو التجريدية) والحالة الوضعية (أو العلمية)».

وطريقة التفكير الأولى (أي اللاهوتية) هي نقطة البدء للذكاء الإنساني، والثالثة (أي الوضعية) هي الحالة النهائية الثابتة، أما الثانية (أي الميتافيزيقية) فإنها مرحلة انتقال بينهما فقط.

1- الحالة اللاهوتية:

يقصد كونت بالحالة اللاهوتية الطريقة التي تفسر الظواهر بالرجوع إلى إرادة الآلهة أو الأسباب الخارقة للطبيعة أو القوى الخفية. فكلمة (لاهوتي) لا يقصد بها إذن التعرض للإلهيات أو العقائد، وإنما هي مرادفة لنوع من التفكير وتفسير الظواهر بالرجوع إلى أسباب "خرافية" أو "خيالية" أو "أسطورية". وهذه الطريقة هي التي كانت سائدة في مرحلة الطفولة عند الإنسانية.

ويجب أن نلاحظ كذلك أن كونت حين بيّن أن التفكير اللاهوتي قد أفسح المجال أمام التفكير الوضعي أو العلمي لم يقدر بتاتا أن تختص العقيدة الدينية بتطور التفكير من الحالة اللاهوتية إلى الحالة العلمية. بل إنه كان على العكس شديد الإقتناع بوظيفة الدين في المجتمع. وكان يرجو أن تتطور العقيدة حتى تنتهي إلى الديانة الوضعية (أو الديانة الإنسانية)، وعلى ذلك فقانون الأحوال الثلاث لا يعبر إلا عن تطور التفكير وتقدم الذكاء الإنساني، ولا شأن له بالتطور الديني للإنسانية.

وقف الإنسان في طوره البدائي حائراً أمام الظواهر الطبيعية، وتساءل عن مصدرها، ولكن عقله ظل قاصراً عن إدراك أسبابها الحقيقية، فأخذ يعزوها إلى إرادة الآلهة أو إلى نوع من القوى الخفية التي تسيطر على العالم، وفي هذه المرحلة اللاهوتية أضفى الإنسان على الآلهة عواطف وتصرفات إنسانية، فهي تغضب وتثور وتتنازع ويحارب بعضها البعض. فإذا هبت العاصفة أو نزلت الصاعقة فإن ذلك ما يدور في محيط الآلهة من أنواع الصراع، أو هو تعبير عن غضبهم ونقمتهم.

هذه الطريقة في تفسير الظواهر الطبيعية بالرجوع إلى تقلبات أهواء الآلهة بين الخير أحياناً والشر أحياناً أخرى ليست في الواقع تفسيراً، ولكنها كانت ترضي عقلية الإنسان الأول في الوصول إلى تعليل الظواهر.

2- الحالة الميتافيزيقية:

تعد مرحلة التفكير الميتافيزيقي: مرحلة انتقال بين الحالة الدينية والحالة الوضعية، والواقع أن العقل البشري لم يغير فيها كثيراً من طرق تفكيره ولا من الوسائل التي يبحث بها عن ماهية الأشياء. فكل ما كان يشغله هو معرفة السبب أو العلة الأولى للظواهر التي تقع تحت حسه. ولكن انتظام هذه الظواهر جعلته يتقدم خطوة في سبيل المعرفة، فبعد أن كان في المرحلة اللاهوتية يرجع كل شيء إلى قوة خارجية تتمثل في الآلهة أو الأرواح الخفية، أصبح في المرحلة الميتافيزيقية يتخيل قوى وخواص أولية كامنة داخل الأشياء نفسها، وجعل منها المحرك الأول أو السبب الأول للظواهر المختلفة. فالأجسام تتحد لأن بينها نوعاً من التآلف، والنبات ينمو لأنه يتمتع "بروح نامية" والحيوان يحس لأنه وهب "روحاً حساسة" وآخر ما وصل إليه هذا النوع من التفكير هو الوصول إلى قوة وحيدة لتفسير الأشياء على نمط الإله الواحد، ولكن بدلاً من اسم (الإله) أطلق الفلاسفة على هذه القوة اسم (الطبيعة)، فالطبيعة في نظرهم تفسر كل ما في الكون من ظواهر.

ومن ذلك نرى أن كونت لم يقصد بالميتافيزيقيا البحث في الوجود أو في المبادئ الأولى، بل قصد بها طريقة التفكير التي تلجأ إلى بعض الفروض المجردة في تفسير الأشياء، مثال ذلك فرض "الأثير" في تفسير الظواهر الضوئية أو الكهربائية، وفرض "المبدأ الحيوي" في علم وظائف الأعضاء، وفرض "الروح" في علم النفس. وهذا النوع من التفسير لا يختلف عن سابقه، إذ الغرض منه الوصول إلى العلة الأولى للأشياء، ولكنه بدلاً من أن يجعل هذه العلل خارج الأشياء جعلها كامنة في الأشياء.

3- الحالة الوضعية:

تمثل هذه الحالة مرحلة النضج والاكتمال في التفكير الإنساني، فقد رأى الإنسان أن انتظام الظواهر لا تفسره المعجزات ولا أهواء الآلهة. كما أنه لم يعد يقنع بالتفسير الكلامي الذي كان يقدمه له رجال الفلسفة الميتافيزيقية.

وحين أدرك العقل البشري استحالة الوصول إلى حقائق مطلقة عدل من البحث عن أصل الأشياء وعن غايتها النهائية. واكتفى بأن يوجه همه إلى اكتشاف القوانين التي تسير عليها الظواهر المختلفة في ذلك بوسائل تجمع بين الملاحظة والتعقل. والبحث عن القوانين معناه البحث عن العلاقات الثابتة التي تنظم الظواهر في تعاقبها وفي توافقها. (بيومي، 2000، 111)

ولا يهتم التفكير الوضعي بالبحث عن سبب حدوث الظواهر، بل يتجه أولاً إلى معرفة كيف تحدث هذه الظواهر؟ هذه الخطوة هي الحاسمة في تقدم العلم، فبعد أن كان الإنسان يضيع وقته هباء في التأملات التي لا تؤدي إلى شيء، انصرف إلى الأشياء التي تقع تحت حسه يلاحظها ويجري عليها التجارب، ويقوم بإحصاءات دقيقة تترتب عليها نتائج يقينية لا يستطيع أن يجادل في صحتها أحد.

نفهم من ذلك أن كونت كان شديد الإقتناع بأن علم الاجتماع يجب أن يستخدم في أبحاثه طريقة العلوم الطبيعية، تلك الطريقة التي تقوم على الملاحظة والاستقراء. وسنزيد من تفصيل أهمية هذا المنهج في السطور القادمة.

رابعاً- علم الاجتماع والمنهج الوضعي:

إذا كان علم الاجتماع هو آخر العلوم في تصنيف كونت، فهذا يحتم أن يستخدم علم الاجتماع الطريقة الوضعية بكامل معانيها. ولكن ماذا كان يقصد بالمنهج

الوضعي؟ الحق أن كونت لم يفصل هذا المنهج أكثر من تأكيده على أن الظواهر الاجتماعية موضوع للقوانين العامة، وأن قوانين هذه الظواهر الاجتماعية أقل صلابة من القوانين الطبيعية.

على أية حال نجد أن كونت قد وضع لنا مجموعة اعتبارات منهجية خاصة بالفلسفة الوضعية، كذلك بيّن لنا كيفية استقصاء المعرفة السوسيولوجية، وسوف نناقش كل منها بالتفصيل:

1- اعتبارات المنهجية الخاصة بالمنهج الوضعي:

أ- يرى كونت أن المجتمع يشبه الكائن الحي في خاصية واحدة، وهي أن فهم الكل يمكن التوصل إليه بطريقة أفضل من الأجزاء. وبعبارة أخرى فإن كونت يرى أن المنهج في علم الاجتماع يتبع منهج دراسة علم الحياة، والذي يبدأ الدراسة من الكل وينتهي إلى الأجزاء، وذلك هو الانتقال من المركب إلى البسيط، وعلم الاجتماع يتبع هذا المنهج، وذلك لأن العناصر الفردية في المجتمع تظهر أكثر انفصالاً من أجزاء الجسم الحي، إلا أن التضامن بين الأجزاء الاجتماعية يكون أشد قوة من تضامن الأجزاء الحيوية، وإذن سينحصر المنهج الاجتماعي في النظر دائماً وفي آن واحد في المظاهر المختلفة للحياة الاجتماعية، سواء كان ذلك في حالة الاستقرار أم في حالة التطور، ويرى كونت أن كلاً من هاتين الحالتين يمكن أن يكون بلا شك موضوعاً لدراسة خاصة على أنها دراسة "إعداد وتمهيد" ولكن بمجرد أن يصبح العلم أكثر تقدماً فإن ارتباط الظواهر يكون خير مرشد في تحليلها.

وينتقد كونت المنهج المستخدم في الدراسات الاقتصادية في عصره، ولذلك فنظرة الاقتصاديين نظرة منفصلة ومنعزلة، ويشبههم كونت بأنهم «يرغبون في محاكاة طريق التجزئة المنهجية الخاصة بالعلوم غير العضوية وتطبيقها في مجال الدراسات الاجتماعية،

وهم بذلك يجهلون بلا شك الشروط الأساسية التي تتطلبها موضوع بحثهم، ففي هذا المجال تتحكم معرفة القوانين الأكثر عموماً قبل غيرها. وبعد ذلك يهبط العلم من القوانين إلى القوانين الأشد خصوصاً». (ليفى، 1952، 233)

ب- إن معرفة المنهج بالدقة لا تكتسب إلا عن طريق الخبرة العملية، فمن الواجب إذن أن يكونَ عالم الاجتماع نفسه عن طريق تربية علمية كاملة، فيبتدأ بالرياضة التي تشعره بالفكرة الوضعية وينتهي إلى علم الحياة الذي يعلمه منهج المقارنة. ويرسم لنا كونت في دروس الفلسفة الوضعية هذا الصعود المنهجي الذي قاد العقل البشري بدرجات متتابة حتى انتهت به إلى العلم الاجتماعي. وبما أن التطور العقلي للفرد نسخة مكررة من تطور النوع بأكمله وجب على عالم الاجتماع أن يقطع المراحل نفسها ليصل إلى الهدف نفسه. وإذا كانت الثقافة الرياضية ضرورية لعالم الاجتماع، إلا أنها تعودده على طريقة التفكير الوضعي، فإن كونت يعترف مع ذلك بأن الظواهر الاجتماعية لا تتضمن استخدام الأعداد ولا المعادلات الرياضية، بل لا يستخدم حساب الاحتمالات بصفة خاصة. ولقد أشار كونت إلى أن «هناك محاولات عابثة وغير مجدية قام بها عدد من الرياضيين لدراسة المجتمع دراسة وضعية بوساطة تطبيق نظرية الاحتمال»، (تيماشيف، 1974، 50)

ويشير هنا كونت إلى أعمال كل من لابلاس، كذلك أدولف كاتيليه. ويرى أن تطبيق نظرية الاحتمالات على الحوادث التاريخية معناه إغفال أن هذه الظواهر تخضع لقوانين ثابتة كالظواهر الأخرى.

ج- إن عالم الاجتماع الذي يبنى المنهج الوضعي يرفض أن يفسر الظواهر الاجتماعية بقوى خارجة أو بكائنات خفية - كما كان الحال في المرحلة الميتافيزيقية. وطالما خضعت الظواهر للمنهج الوضعي فإن فكرة القانون تحل محل هذه القوى

التحكمية ويصبح الوصول إلى القانون العلمي هو المطلب الأساسي الذي تدور عليه الدراسة والبحث الاجتماعي.

د- في إطار المنهج الوضعي لا يمكن اعتبار التخيل منهجاً، وعلى العكس، فإن الفكر الوضعي يخضع هذا النوع من التخيل للملاحظة والدراسة، فالفلسفة الوضعية إذن تضيق من دائرة الخيال ومقدرته على تنسيق الظواهر التي يلاحظها الإنسان وتعديل تكاملها، أو الرجوع إليه في سبيل الكشف عن مسائل جديدة في البحث والدراسة.

هـ- يهتم المنهج الوضعي بتحديد العلاقات بين مختلف الظواهر وبيان الارتباط الحقيقي بينها، ولا شك أن المناهج القديمة لا تعطي صورة حقيقية واضحة عن هذا، وعالم الاجتماع يظن جيداً إلى أهمية دراسة العلاقات التي تكون بين مختلف الظواهر الاجتماعية، والتي بين هذه الظواهر وما عداها من الظواهر الأخرى، حتى تكون نتائج بحوثه أدنى إلى الصحة والصدق العلمي.

و- إذا كانت المناهج القديمة مطلقة وكلية، فإن المنهج الوضعي يهتم بتحديد دائرة المعاني المطلقة، ويحاول أن يجعلها معاني نسبية. ويرى كونت أن العلوم استفادت من هذا التطور، فبعد أن كانت تصوراتها ومصطلحاتها جامدة لأنها وصلت إلى دور الإطلاق في المناهج الميتافيزيقية، أصبحت في المرحلة الوضعية قابلة للحركة والتطور والتغير معاً تبعاً لتطور الإنسانية وتقدم العلوم والمناهج ووسائل الكشف العلمي، وبهذا تكتسب مصطلحات ومفاهيم العلم مرونة بحسب استجاباتها لمتغيرات الحياة الاجتماعية. (الخشاب، 1958، 171-172)

2- كيفية استقصاء المعرفة الوضعية:

أما فيما يتعلق بمنهج البحث في علم الاجتماع، فإن كونت يرى أن هناك مجموعتين من الأساليب التي تؤدي بنا إلى كشف الحقائق في ميدان الظواهر الاجتماعية، وهي:

أ- الأساليب المباشرة: وهي التي يقصد بها الخطوات المنهجية التي يستخدمها الباحث في الكشف عن القوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية في نشأتها وتطورها ووظائفها. وهذه الخطوات في نظر كونت هي التي تكوّن قواعد المنهج في البحوث الاجتماعية.

ب- الأساليب غير المباشرة: وهي التي تنتج من العلاقات الضرورية التي تربط علم الاجتماع بما عداه من العلوم الوضعية الأخرى؛ لأن هذه العلوم تمدّه دائماً بنتائج وقضايا لها أهميتها في ميدان البحث الاجتماعي.

وبالرغم من أن هذه الوسائل غير المباشرة لا تقل ضرورة وأهمية عن الوسائل المباشرة، إلا أن كونت يعطي لها اهتماماً خاصاً، وهي التي تكوّن له قواعد المنهج، وهي متمثلة في الأساليب الآتية:

أ- أسلوب الملاحظة:

يعتقد كونت أن الملاحظة الاجتماعية من أصعب الأمور، وذلك لسببين: الأول: الاعتقاد بأن هذه الظواهر مألوفة لدينا، والثاني: أن من يلاحظنا يشترك فيها إلى حد ما. ويؤكد كونت أن الباحث إذا أراد أن يلاحظ جيداً عليه:

- أن يضع نفسه خارج الشيء الذي يلاحظه، وبهذا فقط تظهر لنا الظواهر الاجتماعية على أنها موضوعية ومنفصلة عنا ومستقلة عن حالات شعورنا الفردية، وهذا الأمر من أصعب الأمور كما يلاحظ كونت.

- يجب أن يتدخل العقل لإعداد ما يريد ملاحظته. ويشرح كونت ذلك بأنه إذا كان العالم غير مزود في أثناء ملاحظته للظاهرة بنظرية سابقة تمهد له السبيل، فإنه يعجز في الأغلب عن معرفة الشيء الذي يجب عليه أن يلاحظه في الظواهر التي تمر أمام عينيه.
- لا يستطيع الباحث أن يفهم الظواهر اللاحقة إلا بربطها بالظواهر السابقة، ويقول كونت: إن هذا "موطن الصعوبة الكبرى" في علم الاجتماع، حيث تضطر دائماً على نحو ما إلى تحديد الظواهر وقوانينها في آن واحد. إذ إن الظواهر تظل عميقة بل غير ملحوظة - على الرغم من أننا نسيح في وسطها - إذا لم تكن لدينا من قبل المبادئ الفعلية الضرورية التي تمكننا من فهمها.
- لا يمكن أن يكون للظواهر الاجتماعية معنى علمي إلا إذا ماثلنا بينها وبين الظواهر الأخرى. فالظاهرة المنعزلة، كما يرى كونت، تظل شبيهة بمجرد أقصوصة يمكن أن تكون موضوعاً لدراسة عقلية.
- يرى كونت أن هناك العديد من الظواهر التي تصلح لأن تكون مادة لعلم الاجتماع، مثل العادات والآثار بجميع أنواعها، واللغة: تحليلها ومقارنتها.
- يجب أن تهيم في نهاية الأمر وجهات نظر عامة على ملاحظة جميع الظواهر، وبهذا الشرط وحده يستطيع الباحث الذي أعد إعداداً عقلياً كافياً، أن يحول الظواهر التي تمر أمام عينيه إلى معلومات اجتماعية، وذلك عن طريق استخدامه لنقط الاتصال المباشرة أو غير المباشرة بالنظريات العليا، وبفضل ما بين الظواهر المختلفة للحياة الاجتماعية من ارتباط. (ليفى، 1952، 134-235)

ونظراً لأن الباحث قد يخطئ في تأويل ما يلاحظه أو في إدراك ما يشاهده، أو قد يخطئ في الاستنتاجات التي ينتهي إليها من مشاهداته. كذلك قد يختلف الباحثون في الشيء الملاحظ تبعاً لاختلاف عقولهم أو خبرتهم أو ميلهم الأيديولوجي أو النظري. ولهذا يرى كونت أن من الإسراف البالغ الاعتماد على الملاحظة واتخاذها أسلوباً من أساليب علم الاجتماع سمة العلوم القياسية، وإدخال القوانين الثانوية تحت قوانين أخرى أعم منها. وإلى جانب هذا فإن علم الاجتماع علم عام بالمعنى الحقيقي، إلا أنه فلسفة للتاريخ، أو بعبارة أخرى علم الإنسانية الذي ينظر في تطورها، ومن ثم فهو يخلص ويتوخى جميع العلوم التي سبقته.

ب- الإستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية:

قسم أوغست كونت اهتمامات علم الاجتماع إلى نوعين:
الأول: يهتم بدراسة المجتمع في حالة الاستقرار (الإستاتيكا).
الثاني: يدرس المجتمع في حالة التغير والتطور (الديناميكا).
وسنعرض لأهم آراء كونت في هذا الصدد:

1- الإستاتيكا الاجتماعية:

يرى أوغست كونت أن الدعامة الأساسية لقيام أي مجتمع من المجتمعات هي مبدأ التعاون، وهذا التعاون نابع أساساً مما يتمتع به الإنسان من عواطف الإيثار وحب الآخر وحب الاجتماع بالآخرين، وإن كان يرى أن تلك العواطف ليست كافية لقيام حياة اجتماعية مستقرة، لهذا كان من المهم وجود حكومة قوية تسوس بين الأفراد وتشيع النظام. (محمد فوزي، 1968، 92-98).

ويرى أن الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع، لأنها بطبيعتها تكوينها يسود فيها مبدأ التعاون وتقسيم العمل، أي أن الأسرة تعد في نظر كونت مجتمعاً صغيراً، لهذا وجب على رجال السياسة دائماً أن يتجهوا إلى تدعيم نظام الأسرة بوصفه أساس المجتمع وخليته الأولى.

والمجتمعات المركبة Complex تتألف عادة من مجموعة من الأسر تعيش على نظام تقسيم العمل، وينشأ بينها نوع من التضامن كالذي ينشأ بين الأعضاء المختلفة في جسم الإنسان، حيث إن لكل عضو من هذه الأعضاء دوراً ووظيفة، وفي الوقت ذاته يعتمد كل عضو على الآخر، ويتعاون معه للوصول بالجسم كله إلى حالة من الاستقرار والتوازن والكمال.

وفي ضوء هذه الحقائق يمكننا أن نفهم كيف يعمل المجتمع، فعملية تقسيم العمل تؤدي بالعناصر المختلفة للمجتمع إلى التخصص كل في ناحية خاصة، فإذا ما اتجه كل فريق وجهته الخاصة دون مراعاة ظروف المجتمع وحاجاته المتعددة نشأ عن ذلك تفكك وحدة المجتمع وانهاره. ولهذا كان الواجب على الحكومة أو السلطة داخل الدولة أن تعمل بجد وقوة على حفظ النظام، وعلى تحقيق التكافؤ والتفاعل والتعاون بين القوى المختلفة التي يتألف منها ذلك المجتمع. (محمد فوزي، 1968، ص20).

2- الديناميكا الاجتماعية:

تعد آراء كونت التي عرضنا لها في نظريته عن "قانون الحالات الثلاث" المعبر الأساسي عن آرائه في الديناميكا الاجتماعية، فالمجتمع عند كونت تطور خلال ثلاث مراحل من المجتمع الخرافي إلى المجتمع القائم على التفكير الميتافيزيقي وأخيراً المجتمع المعاصر الذي يقوم على التفكير الوضعي أو العلمي.

والعصر الوضعي عند كونت يبدأ بالثورة الفرنسية، وأهم ما يميز هذا العصر هو استقلال الفكر الإنساني، وأخذة بالأساليب العلمية، وبُعدّه عن الخرافات والغيبيات، وهو يرى أن هذا المنهج يؤدي بالمجتمع إلى التقدم والتطور في كل الأنشطة والمجالات من صناعة وفن وعلم. (محمد فوزي، 1968، ص30).

خامساً- تقويم لإسهامات كونت:

بالرغم من الانتقادات التي وجهت إلى أفكار كونت، إلا أنها فتحت آفاقاً جديدة في ميدان الفكر واتجاهات جديدة في مناهج البحث.

1. وضع كونت أساساً للحياة الخلقية للجماعة وتربية الجيل. مشتركة قائمة على مبادئ وتعقيدات قوية.

2. من الناحية السياسية وصل كونت إلى حد الفصل بين القوانين الروحية (الدينية) والزمنية (التنفيذية)، ويجب أن يهدم النظام القائم (المجتمع الفرنسي) ويحل محله نظاماً ثابتاً ويحقق فكري النظام والتقدم.

3. يرى كونت أن جميع النظم الاجتماعية من سياسية واقتصادية وأخلاقية تعتمد على الوحدة العقلية القائمة، كونت يرى أن هذه الظواهر الاجتماعية يقوم بينها علاقات وظيفية مترابطة، أي: أن أيّ تغيير يطرأ على إحدى هذه الظواهر يسبب تغييراً مماثلاً في المجموعات الأخرى. ولقد أسهم كونت في هذا بوضع أساس مهم من أسس النظرية الاجتماعية التي تطورت فيما بعد على يد المدرسة الاجتماعية الوظيفية.

4. لقد كان كونت أول من طبق منهج البحث الوضعي على الظواهر الاجتماعية أي أنه نبه إلى ضرورة الأخذ بالمبدأ التجريبي في البحث الاجتماعي، مؤيداً طريقة الملاحظة والتجربة.

5. مهد كونت الطريق أمام التعريف الحديث لعلم الاجتماع وأقسامه الأساسية، كذلك أكد على ضرورة ربط علم الاجتماع بالنشاط العملي وإصلاح المجتمع وتحسين ظروفه. على أية حال يؤخذ على كونت مآخذ كثيرة، منها:

(1) إن الأسباب التي دعت به إلى إنشاء علم الاجتماع تبدو كأنها أسباب خالية من وحي تفكيره الخاص، ولا تمت بصلة إلى حقائق الأمور. فغير صحيح أن الناس في عصره كانوا يفهمون ظواهر الاجتماع فهماً غير وضعي، فهذا الأسلوب أو ذاك من الفهم كان مقصوداً على جماعة من الباحثين، وكان كثير من ظواهر الاجتماع موضوعاً للدراسة العملية.

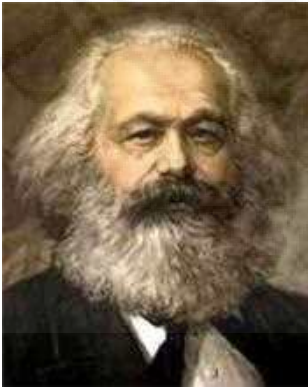
(2) بالرغم من استخدام كونت قواعد منهجية لها قيمتها العلمية، إلا أنه لم يلتزمها في دراسته، وبدلاً من ذلك نجده يصل إلى قوانين فلسفية شخصية بدلاً من قوانين مستمدة من الوقائع. إضافةً إلى أن كونت أقام منهجه على أساس صحة قانون الأحوال الثلاث.

(3) فيما يتعلق بقانون الحالات الثلاث نجد أن كونت درس الإنسانية بوصفها كلاً لا يتجزأ، مع أن الشيء الملاحظ أن المجتمعات الإنسانية جزئية ومختلفة، وزعمه بأن الإنسانية تسير كلها على وتيرة واحدة في فهم الأشياء أمر ترفضه الملاحظة، فالمرحلة التي يجتازها كل مجتمع في هذا الصدد تختلف في فهم الظواهر بالطرق الثلاث مرتبة على الصورة التي ذكرها كونت. فقد فهم الأقدمون كثيراً من الحقائق الرياضية والفلكية فهماً وضعياً قبل ظهور العلوم الأخرى، ولا زالت بعض المجتمعات تفسر الحقائق العلمية تفسيراً دينياً أو ميتافيزيقياً.

4) يرجع كونت تطور الظواهر الاجتماعية إلى تطور التفكير، مع أن تطور شؤون المجتمع ينجم عن عوامل كثيرة تتفاعل آثارها وتنمو نتائجها، وتطور التفكير ذاته ليس إلا مظهراً من مظاهر تطور المجتمع، ولا يعد هو نفسه سبباً لهذا التطور.

5) إن ادعاء كونت بأنه وصل من تحليل عناصر المجتمع ووظائفه إلى تقرير قانون التضامن الاجتماعي المادي والروحي لا يستقيم مع ما نشاهده في كل مجتمع من قيام تيارات نقدية واتجاهات ترمي إلى تقويض النظم الموجودة، مع أن هذه الأفكار وغيرها قائمة على أساس التضامن. وقد يكون رأيه عن التضامن صحيحاً، ولكن كونت لم يجعل له سنداً من التاريخ.

6) وضع كونت ديناً جديداً للإنسانية هو الدين الوضعي، والدين شأنه كشأن أي نظام اجتماعي، لا يوضع وضعاً ولا يتفق عليه الأفراد إرادياً، ولكنه ينشأ تلقائياً من طبيعة الحياة الاجتماعية، ووفقاً لرغبات العقل الجمعي. والحق أن كونت كان بعيداً جداً عن الاجتماع الديني في تقرير ذلك، فلقد أغرق علم الاجتماع بفلسفة صوفية لا يمكن تحقيقها. (بيومي، 2000، 122-123).



1883-1818 :

حياته:

ولد ماركس في 5 مايو 1818م بمدينة ترير في بروسيا، وكان واحداً من سبعة أخوة لأبوين يهوديين،

وكان أبوه محامياً. قرأ لكانط (1724-1804) وولع بفولتير، وقد كان لوالده تأثيراً واضحاً في شخصيته، حيث نشأ على الحرية وحب المعرفة.

تلقى ماركس تعاليمه الثانوية على يد أساتذة ليبراليين، وكان موضع ثنائهم وتشجيعهم، وكان متفوقاً في الرياضيات والدراسات اللاهوتية.

في عام 1835م التحق ماركس بجامعة (بون) ودرس التاريخ وأهتم بالإنسانيات. ثم انتقل إلى جامعة (برلين) عام 1836م وفيها التقى بفلسفة "هيجل" (1770-1831) وبدأ يقرأها ويلم بها. وفي عام 1839م تعرف إلى صديقه الحميم الذي يدعى أدولف ريتنبرج، وكان من الميغيليين الراديكاليين، ثم اشتغل محرراً لإحدى الجرائد. بعدها هاجر إلى باريس حيث يجد مزيداً من الحرية. وخلال تنقله بين فرنسا وبلجيكا التقى بفردريك إنجلز (1820-1895)، وانتهى به المطاف في لندن حيث توفي في 14 مارس 1883م. (بيومي، 2000، 108)

ولو أردنا أن نشير إلى السياق البنائي الاجتماعي والسياسي الذي عاش فيه وتحرك من خلاله، لوجدناه لم يتحدد لمسرح بلد أوروبية بعينها، حيث كانت تنقلاته بين ألمانيا وفرنسا وبلجيكا وإنكلترا، مما وسع دائرة ملاحظاته، هذا إلى جانب قراءته للتاريخ وتحليله له.

كانت حياة ماركس الشخصية سلسلة من الكفاح المرير، وعندما مُنِع من نشر بحث قام بكتابته هجر وطنه إلى فرنسا، ثم إنكلترا وهناك التقى - كما قلنا - مع صديقه إنجلز وكون معه صداقة استمرت طوال حياته، وعاش ماركس وإنجلز في فترة كانت الحياة الاقتصادية في أوروبا عسيرة جداً، وفي عام 1847م داوم ماركس وإنجلز على حضور اجتماعات سرية في لندن لتحالف غير قانوني من النقابات العمالية عرف باسم التحالف الشيوعي (Communist League) وفي العام التالي أعدا برنامجاً سياسياً أسمياه البيان

الشيوعي، وزعما فيه أن الجماهير التي لا تملك موارد سوى قوة عملها، عليها أن تتحد لتناضل من أجل الإطاحة بالمجتمعات الرأسمالية. وبعد أن فرغ ماركس من كتابه (البيان الشيوعي) عاد إلى ألمانيا ليتم نفيه منها، وبعدها انتقل إلى إنكلترا حيث استمر في كتابة الكتب والمقالات، وعاش ماركس هناك في فقر مُدَقِّع، وخسر معظم ممتلكاته، وتوفي عديد من أطفاله بسبب سوء التغذية والمرض، وكان ماركس غريباً في المجتمع البريطاني، وهذه حقيقة أثرت بجلاء في آرائه بشأن الثقافات الغربية. ووفقاً لتحليل ماركس ينقسم المجتمع أساساً إلى طبقات تتصارع من أجل مصالحها الطبقية، وعندما درس ماركس المجتمعات الصناعية في عصره - مثل ألمانيا وإنكلترا والولايات المتحدة - وجد أن المصنع هو مركز الصراع بين المستغلين (ملاك وسائل الإنتاج والمُستغلين "العمال"). (الجواد، 2002، 230-231).

وبكل إيجاز يمكن القول بأنه:

- تأثر بالثورة الصناعية في إنكلترا ومنظريها.
- تأثر بالثورة السياسية في فرنسا وثوارها.
- تأثر بالفلسفة الثقافية في ألمانيا ومفكريها.

أصل ماركس يهودي، وهو يرى أن اليهودية ذات أساس اجتماعي واقتصادي، فهي ديانة جماعة أو طبقة مؤلفة من بقايا قومية منقرضة، عكفت على التجارة المشبوهة وتفوقت فيها، وليس التحرر الديني ولا التحرر السياسي يحلان مشكلة اليهود، وإنما يقتضي حلها أن يتحرر المجتمع من سيطرة رأس المال، وأن يكف اليهود عن طلب المال واكتنازه، وانتفاء السيطرة عليه، لأن ذلك سوف يعود عليهم بالوبال عاجلاً أم آجلاً، وهم إن أرادوا أن يتخلصوا من المقاومة التي يلقونها في بلاد الغرب فلن يستطيعوا ذلك إلا بأن ينضموا إلى صفوف العمال، وكل طريق غير ذلك سيؤدي بهم إلى كوارث. (الجواد، 2002، 231)

أفكاره:

يرى ماركس أن كل ما يحدث في جو المجتمع من ظواهر ونظم إنما يرجع إلى العوامل الاقتصادية، فالمادية الاقتصادية هي أساس التطورات السياسية والاجتماعية والأخلاقية. والتطور الفكري مثلاً إنما هو انعكاس للمحركات الاقتصادية التي يتركز عليها البنيان السياسي، وما يقال عن التطور الفكري يقال عن جميع الانقلابات والتطورات الاجتماعية، فلا سبيل إذن لفهم طبيعة المجتمع قبل تحليل الدعامة الاقتصادية التي يقوم عليها؛ لأن الحياة الاجتماعية في نظره من نتاج الجهاز الاقتصادي.

ويذهب ماركس إلى أن الأفراد في المجتمع ليسوا سوى آلات يستخرجها الجهاز الاقتصادي القائم، ويتحكم في هذا الجهاز عامل قوي مهم نشأ تلقائياً منذ أقدم العصور، وهو كفاح الطبقات الاجتماعية من أجل تحسين حالتها المادية. وحوادث التاريخ المادية تحدثنا بأن هذا الكفاح ينتهي دائماً على صورة واحدة هي انتصار الطبقة الأوفر عدداً والأسوأ حالاً، وهذا ما يعبر عنه ماركس "بقانون التطور الاجتماعي". ولما كان هذا هو حال الهيئة الاجتماعية في الماضي، فإنه سيكون كذلك في الحاضر وفي المستقبل، وقد بدأ نضال الطبقات في العصر الحاضر منذ أن تركزت الثورة الصناعية في مختلف فروع الإنتاج، فقد أصبح التفاوت الطبقي على أشده، وأصبح السواد الأعظم يعاني عيشه الكفاف ومحروماً من طيبات عمله. (الجواد، 2002، 109)

ويعتمد ماركس في شرح فلسفته المادية التاريخية على نوعين من التحليل: الأول هو التحليل الديالكتيكي (الجدلي) والثاني هو التحليل المادي التاريخي.

التحليل الديالكتيكي (الجدلي):

أخذ كارل ماركس هذا التحليل عن "هيجل"، فلولا هيجل لما ظهرت الاشتراكية الألمانية، وذلك باعتراف "إنجلز" زميل ماركس في الدعوة الاشتراكية وفي الجهاد، ومن ثم لا يمكن فهم نظرية ماركس إلا إذا عرضنا بإيجاز نظرية هيجل في هذا الصدد.

أراد هيجل أن يفسر التغير أو الصيرورة من الناحية الصورية المجردة، وأراد أن يستخدم في هذا التفسير المنهج الجدلي، وفي هذا الصدد يقول إن كل فكرة تحمل في طياتها عناصر نقيضها، ويطبق هذه الفكرة "الوجود"، فإذا جردنا هذا الوجود من كل صفة موضوعية بحيث يصبح وجوداً مطلقاً من الناحية الصورية فإنه يصبح وجوداً خالياً من الصفات والخواص، وبذلك يستحيل "الوجود" إلى "لا وجود"، أي أن الوجود المطلق واللاوجود شيء واحد، فكأن كل فكرة تحمل في طياتها عناصر نقيضها. واجتماع النقيضين على هذا النحو هو الذي يفسر ظاهرة التغير، فلوم تكن عناصر النقيض موجودة في الشيء على حالته الأصلية لما تصورنا تغيره من حالة لأخرى.

ويمكن تقريب فكرة هيجل إلى الأذهان بالمثال التالي:

البذرة شيء، والشجرة شيء آخر. وبعبارة أخرى الشجرة غير البذرة أو انتفاء لصفات البذرة، والبذرة لا يمكن أن تصير شجرة إلا إذا كانت تحمل عناصر نقيضها، أي تحمل صفات الشجرة، وعن هذا الطريق يمكن تفسير صيرورة الأشياء بتقابل الأضداد.

استفاد ماركس من هذا التحليل الجدلي، ونقله من عالم الأفكار إلى العالم المادي، وأراد أن يطبق ذلك على النظم الاقتصادية، ويفسر به تطور كفاح الطبقات منذ أقدم العصور، فالنظم الإقطاعية والرأسمالية والاشتراكية في تطورها كانت تسير وفق المبدأ الأساسي، وهو أن كل نظام حمل في طياته عناصر نقيضه.

والرأسمالية الآن تحمل في طياتها مقومات نقيضها، حيث إنها تقوم على رأس المال والعمل، وهما متناقضان، ولا بد من وجودهما معاً. وفي هذا الصدد يقول: إن الرأسمالي

الذي لا يعمل هو نقيض العامل دون رأس المال، والسير الطبيعي للرأسمالية سيؤدي بصفة تلقائية إلى نمو نقيض الرأسمالية وهو العمل، ومادامت الرأسمالية متجهة بسرعة فائقة نحو غايتها وأسمى مراحل تطورها، فإن ذلك سينطوي أيضاً على نمو النقيض بنسبة متكافئة حتى يبلغ أقصى مراحل تطوره، وحينئذ يسود النقيض، أي تتحقق الاشتراكية؛ لأن النصر دائماً حليف الطبقة الأوفر عدداً والأسوأ حالاً (وهو أمر سنوضحه في كلامنا على المادية التاريخية وفكرتي الصراع والطبقة).

أي أن الرأسمالية بذلك تنمي بذور نقيضها، والحياة الاقتصادية الحاضرة تحمل في ذاتها بذور الحياة المستقبلية، وهي معرضة للزوال بفعل القوانين الاقتصادية التي تخضع لها، وأن الاشتراكية هي آخر مراحل التطور التاريخي ونهاية المطاف في الصراع الطبقي. (الجواد، 2002، 111)

ولمزيد من الإيضاح يحلل ماركس اقتصاديات الرأسمالية ويحاول كشف ما تنطوي عليه من متناقضات تهيئ الظروف الحسنة لتحقيق النظرية الاشتراكية، فيرى أن الغرض من الإنتاج الرأسمالي هو خلق القيمة الفائضة وتحويل جزء منها إلى رأسمال جديد، وهذه العملية تتوقف بصفة أساسية على حجم الطبقة العاملة، وعلى مبلغ ما يمكن تحقيقه من أرباح. وقد ينجح الرأسمالي في خلق القيمة الفائضة، بيد أنه قد يخفق في تحقيقها في صورة دخل، أي قد لا ينجح في استغلالها، لأن هذا النجاح مرهون بالقدر الذي يصرفه من المنتجات بالسعر المجزي، فقد يبيع منتجاته بسعر منخفض أو بسعر يقل عن نفقة الإنتاج، وفي هذه الحالة تعود عملية الإنتاج على الرأسمالي بضياغ جزء من رأسماله.

وفي ضوء هذه الاعتبارات فإن إنتاج القيمة الفائضة تختلف عن مبلغ تحقيقها، لأن إنتاجها يتوقف على قوة المجتمع الإنتاجية، أما تحقيقها فيتوقف على قدرة المجتمع الاستهلاكية، وهذه القدرة الاستهلاكية إنما تتحدد في ضوء العلاقات الاجتماعية المتنافرة

التي هي أساس الإنتاج الرأسمالي، ولما كان هذا الإنتاج الأخير مدفوعاً نحو تعزيز أوضاعه وزيادة رؤوس أمواله طبقاً لسياسة المنافسة الحرة، ورغبة في الانتفاع بقوة طرق الإنتاج الأكثر كفاية، كانت النتيجة هي النمو المتزايد في قوة المجتمع الإنتاجية مما يترتب عليه اشتداد التعارض بين تيار الإنتاج وتيار الاستهلاك.

وينتهي ماركس من هذا التحليل إلى تقرير القضايا الآتية:

إن التعارض إنما يقوم في أن الإنتاج الرأسمالي يؤدي من جهة إلى زيادة مطلقة في القوة الإنتاجية دون اعتبار للقيمة الفائضة التي تشتمل عليها المنتجات، ودون اعتبار للعلاقات الاجتماعية التي يتم الإنتاج في ظلها، ولكن من جهة أخرى يضع الإنتاج الرأسمالي نصب عينيه المحافظة على قيمة رأس المال والعمل على زيادته باطراد. فهدف الإنتاج الرأسمالي هو خلق وجمع القيمة الفائضة والحرص على استغلالها بكل كفاية، والسبيل إلى ذلك هو النمو المطرد في قوى المجتمع الإنتاجية، بيد أن الوسيلة والغاية متعارضتان، ومن ثم فإن النظام الرأسمالي لا يسلم من هذا التعارض، وهو بالتجاهه إلى إشباع حاجاته ينمي في ذاته الظروف التي تعمل على تقويض دعائمه. (الجواد، 2002، 112)

هذه باختصار أهم دعائم المادية التاريخية التي نادى بها ماركس، والتي تأثر بالجدل الديالكتيكي عند هيجل.

فكرتي الطبقة والصراع عند ماركس:

كما أوضحنا أن ماركس نظر إلى وسائل الإنتاج - وهي في جوهرها عامل اقتصادي - بوصفها الحقيقة الأساسية للتنظيم الاجتماعي التي ينتج عنها مجموعة من العلاقات ينعكس صداها على أشكال العلاقات الاجتماعية الأخرى، فتشكلها وتصبغها صبغة خاصة، وعلى هذا الأساس قام تصور ماركس للطبقة الاجتماعية، حيث

يرى أنها نتيجة حتمية للقوى الاقتصادية والاجتماعية التي يحددها النسق الاقتصادي في المجتمع. فالطبقة عند ماركس هي أي حشد من الناس يقوم بوظيفة واحدة في تنظيم الإنتاج، كالأحرار والعبيد والنبلاء والعامة والإقطاعيين والفلاحين والتجار والموزعين، وهم على هذا الأساس المسيطرون والخاضعون، وتتميز كل طبقة من الأخرى باختلاف وضعها الاقتصادي، ولذلك فكل طبقة تأخذ وضعها على أساس الوظيفة التي يقوم بها أفرادها في الإنتاج، مما يجعل نظام الإنتاج عاملاً أساسياً في تحديد الطبقة الاجتماعية.

وإذا كانت المكانة الاجتماعية أو السلطة أو الثروة أمور يمكن عدّها مقاييس وعلامات أولية تحدد معالم الطبقة الاجتماعية، إلا أنها تصل في النهاية إلى التنظيم الاقتصادي، ومن ثم تصبح الطبقة مجموعة مادية من الظروف التي تحيط بالكائنات الإنسانية أو واقعاً يقسم أفراد المجتمع إلى فئات اجتماعية أساسية تتحدد من خلالها علاقاتهم بل حياتهم ومصائرهم.

لقد ترتب على هذا التصور أن أصبح "الصراع الطبقي" نقطة محورية في نظرية ماركس، فالتاريخ عنده ليس إلا تاريخ الصراع بين الطبقات، الطبقات الاجتماعية هي محور النظام الاجتماعي، إلا أن مقاييس التفرقة بين طبقة وأخرى يقوم في نظره على أساس الإنتاج، فهناك طبقة تستغل طبقة أخرى، والصراع حتمي بين هاتين الطبقتين، بل هو قوام حيوية المجتمع وأساس تقدمه. ففي العصور القديمة كان الصراع متمثلاً بين الأحرار والعبيد، ثم بين الأشراف والعامة، ثم بين الأشراف والفلاحين، أما في الوقت الحاضر فيقوم الصراع بين الطبقة البرجوازية وطبقة العمال، ويكمن أساس الصراع بينهما في تعارض مصالحهما، فنظام الإنتاج لا يتمشى مع نظام الملكية وهو فردي لم يتغير، وكان نتيجة ذلك أن ظلت طبقة العمال تشترك في الإنتاج ولا تشترك في ملكية رأس المال، في حين امتلك الرأسماليون رأس المال دون أن يشاركوا بأنفسهم في عملية الإنتاج، كذلك أصبح العمال في قبضة أصحاب رؤوس الأموال ليستغلّوهم وليستولوا على فائض

الإنتاج. وسيظل النضال بين الطبقتين - في نظر ماركس - إلى أن يتلاءم نظام الملكية مع نظام الإنتاج بأن تصبح الملكية جماعية. (الجواد، 2002، 113)

وأخيراً يرى كارل ماركس أن هذا الصراع ينتهي طبقاً لقانون التطور الاجتماعي بانتصار طبقة العمال؛ لأنهم أكثر عدداً وأسوأ حالاً، وسيؤدي النظام الرأسمالي نفسه إلى هذه النتيجة، إذ إن عدد أصحاب رؤوس الأموال سيتناقص باستمرار مع زيادة عدد العمال، نتيجة تقدم فنون الإنتاج التي تتطلب رؤوس أموال ضخمة، مما يؤدي إلى دخول عدد من صغار أصحاب رأس المال في زمرة العمال، كما أن المنافسة الحرة ستؤدي إلى الإفراط في الإنتاج بالدرجة التي لا تقابلها زيادة في الاستهلاك؛ نظراً لضعف قوة الشراء عند العمال، وهذا يترتب عليه اختلال التوازن بين الإنتاج والاستهلاك، فتقع الأزمة، ويتقوض النظام الرأسمالي، وتقوم مكانه ديكتاتورية البروليتاريا، وتصبح رؤوس الأموال الإنتاجية ملكاً للمجموع.

الانتقادات الموجهة لكارل ماركس:

اعتنق آراء ماركس وفلسفته عدد كبير من العلماء والمفكرين وأخذوا يطوروها، وأصبح لها أثرها في المحيط السياسي والاقتصادي، واتخذت أساساً لبرنامج سياسي منظم قوامه تقويض دعائم الاقتصاد الرأسمالي وإحلال نظم اشتراكية محله.

ورغم ما حققته الآراء التي تركها ماركس من نجاح كبير، إلا أنها كانت هدفاً لانتقادات كثيرة، أهمها:

1) إغفاله الناحية الروحية والفكرية، التي تمثل الجزء الأعلى في البنيان الاجتماعي، وأن الناحية المادية هي الدعائم السفلية لهذا البنيان، غير أن تحليله المادي بطريقته الجدلية طغى على أفكاره، فهو لم ينكر على الإطلاق أثر العوامل الروحية، ولكنه لم يدرسها بكفاية تامة. والمجتمع - كما نعلم - بقدر

حاجته إلى المقومات المادية فإنه في أشد الحاجة إلى وحدة الأفكار وقوة العقائد، وتبادل المشاركات الوجدانية التي من شأنها أن تعزز الروابط والعلاقات الاجتماعية.

فليس بصحيح ما تذهب إليه هذه المدرسة من أن العامل الاقتصادي هو المحرك الوحيد للتطور الاجتماعي، أنه العامل الفعال الذي يضفي من طبيعته على كل مظاهر النشاط الاجتماعي ويشكلها وفق أوضاعه؛ إذ لا يمكننا أن نتجاهل أثر البيئة والجنس والخلق القومي والدين والتراث الاجتماعي ومقومات الحضارة، فهذه كلها من الدعائم الأساسية التي تعين طبيعة الحياة الاجتماعية وتحدد مظاهر تطورها.

(2) إن محاولة ماركس تفسير التطور التاريخي بالصراع الطبقي هي إحدى المحاولات التعسفية لتفسير مجرى الحوادث الإنسانية، خاصة عندما جعل من العوامل الفنية والإنتاجية والاقتصادية عوامل مسؤولة وحدها عن التغير، ولها وجود حقيقي في النطاق الاجتماعي والسياسي والعقلي بأكمله.

(3) في تحديده للصراع الطبقي أوضح أنه صراع بين الطبقة البرجوازية وطبقة البروليتاريا (العمال والفلاحين)، وقد أغفل بذلك الطبقات الوسطى التي أصبح لها أهمية كبرى خاصة، وهي في تزايد مطرد نتيجة للتطور الاقتصادي.

(4) إنه في إصراره على انقسام المجتمع إلى طبقة أغنياء وطبقة فقراء بينهما صراع دائم قد أغفل ما قد يوجد بينهما من تآزر ووئام في كثير من جوانب الحياة الاجتماعية، حتى في الجانب الاقتصادي نفسه، ذلك التآزر الذي يولد تصورات جماعية مشتركة تجعل الحياة الاجتماعية ممكنة الوجود والاستمرار، دون أن يسود

وجدان الطبقة العاملة بالضرورة تلك الفكرة الماركسية عن حتمية الصراع وضرورته.

(5) إن قول ماركس: "إن الدين أفيون الشعب" ويقصد به أن يعطل الناس عن العمل والإنتاج، قول فيه كثير من التعسف، لأن الدين يكون مضيعة للعمل والإنتاج إذا تمسك الناس بطرق وأساليب دينية تبعدهم عن العمل والإنتاج، ولكن التاريخ مليء بالحالات التي تؤكد أن القيم الدينية كانت في كثير من الأحيان دافعاً إلى العمل والإنتاج.

(6) إن الفكرة القومية التي رفضها ماركس واعتبرها برجوازية محضة أثبتت قوتها وقدرتها في وعي الناس وفي توحيد صفوفهم نحو التحرر والتقدم الاجتماعي.

:



ولد هيربرت سبنسر (1820 – 1903) لأسرة تنتمي

إلى الطبقة المتوسطة، وبدأ حياته مديراً، ثم اشتغل مهندساً، ولم يلبث أن ترك الوظيفة واشتغل بالأدب والسياسة وشؤون الاجتماع، كتب مؤلفات ضخمة تدل على سعة العرض ودقة التحليل وعمق الفكر وأصالته، وكانت مؤلفاته مرآة صادقة

للفكرة التي تشبعت بها نفسه وتبلورت في تفكيره، وهي "النشوء والارتقاء"، فحاول تطبيقها على الكائنات الحية في ميدان علم الأحياء، وعلى الإنسان في ميدان علم النفس والأخلاق، وعلى المجتمع في ميدان علم الاجتماع والسياسة.

هيربرت سبنسر عالم اجتماع ومهندس وأديب إنكليزي، تخصص في عدة علوم واختصاصات أدبية في آن واحد، وبرز في عدة حقول كالفيزياء والرياضيات وعلم الحياة والفلسفة وعلم الاجتماع والأدب الإنكليزي.

من أهم مؤلفاته في علم الاجتماع: (مبادئ علم الاجتماع)، وكتاب (السكون الاجتماعي) وكتاب (دراسة علم الاجتماع) وكتاب (التطور الاجتماعي)، في جميع هذه الكتب كان يؤكد على نقطتين هامتين هما: 1- الدراسة العضوية للمجتمع. 2- التكامل الاجتماعي.

أي المراحل الحضارية التطورية التي يمر بها المجتمع، وهذا الكلام يذكرنا بعالم الاجتماع الفرنسي أوغست كونت، فكلما العالمين ينحدان من المدرسة العضوية التي تمثل المجتمع بالكائن الحي، وكلاهما درس المجتمع دراسة ديناميكية، وكلاهما يعتقد بجمعية التحول الاجتماعي والتطور، ويرى سبنسر أن التطور الاجتماعي أمر تلقائي صحي، وإذا كان سبنسر من أنصار المدرسة العضوية فما هي المبادئ التي تقوم عليها هذه المدرسة؟.

يمكن تلخيص المبادئ التي تستند إليها هذه المدرسة فيما يلي:

- اعتبار علم الحياة هو الأساس الذي يقوم عليه علم الاجتماع.
- أن المجتمع الإنساني وحدة حية تختلف عن كونها مجرد مجموعة من الأفراد المنعزلين.
- لما كان الأفراد يخضعون للقوانين البيولوجية فإن المجتمع الإنساني بذلك لا يخرج عن كونه كائناً عضوياً.
- إن الميادين الحيوية يجب أن يكون لها وزنها واعتبارها عند تقسيم الظواهر الاجتماعية.
- لما كان المجتمع الإنساني كأى كائن عضوي يتكون من خلايا حية (الأفراد) أصبح المجتمع بذلك كالكائن الحي في تركيبه وأعضائه ووظائفه.

يعد كتاب (مبادئ علم الاجتماع) الذي نشره عام /1876م/ أهم ما كتب في علم الاجتماع، حيث وضع فيه نظريته العضوية التي اشتهر بها، وهو يسأل في كتابه ما هو المجتمع؟ ثم يجيب عن ذلك بأنه كائن عضوي.

- ثم يبين سبنسر بعد ذلك أوجه الشبه بين الكائن العضوي البيولوجي (الفرد) الكائن العضوي الاجتماعي (المجتمع)، وقد حددها فيما يلي:
- اشتراك الاثنين في ظاهرة النمو، فالفرد ينمو وكذلك المجتمع.
 - يتميز الاثنان أثناء عملية التغيير بالاختلافات في التكوين والوظائف.
 - يتكون الاثنان من وحدات توجد على شكل خلايا في الكائن العضوي البيولوجي وعلى شكل أفراد في الكائن الاجتماعي.
 - لكل منهما جهاز خاص يقوم بمهمته بكفاءة وحنكة يتمثل في جهاز التغذية وجهاز الدوران والجهاز العصبي في الفرد، والجهاز التجاري والمؤسسات الثقافية والسياسية والاجتماعية في المجتمع وكما أنه لكل منهما جهاز منظم يتمثل في الجهاز العصبي عند الفرد، ونظام الحكومة أو السلطة في المجتمع.

أما نقاط الاختلاف برأي سبنسر بين الكائنين فهي:

- تكافؤ أجزاء الكائن العضوي البيولوجي، بينما يتميز المجتمع بعدم تكافؤها.
- يتميز جسم الإنسان بأنه كل متصل الأجزاء، بينما يتميز جسم الجماعة بأنه منفصل الأجزاء.
- يشترك الشعور عند الفرد بالجهاز العصبي، بينما يكون في الجماعة موزعاً على وحدات.

- إن نظرية سبنسر في التطور هي نظرية بايواجتماعية وسبنسر بذلك عالم بايواجتماعي؛ لأنه يستخدم علم الحياة في دراسة المجتمع، وهي تحاول تشبيه المجتمع بالكائن الحيواني الحي، فكما يتكون الكائن الحي من أجهزة وأعضاء، كالجهاز الهضمي والتنفسي والدوران والعصبي، وهذه الأجهزة مترابطة ومكملة بعضها بعضاً؛ فإن المجتمع يتكون من أجهزة اجتماعية تسمى المؤسسات، ومن كيانات اجتماعية تسمى المنظمات، ومن المؤسسات مثلاً: المؤسسات الاقتصادية الثقافية والتربوية، ومن المنظمات: الأسرة والجامع والكنيسة والنادي والمزرعة والمصنع، وعلى الرغم من اختلاف المؤسسات فإنها تتشابه في كيانها وأنشطتها وقوانينها وديمومتها، وفي درجة تكامل الواحدة مع الأخرى.
- إن نظرية سبنسر الاجتماعية حول موضوع التطور والارتقاء الاجتماعي مستعارة من علم الأحياء، وسبق أن استعملها داروين في كتابه (أصل الأنواع) عندما تكلم عن التطور الفيزيولوجي للكائنات الحيوانية عبر العصور، إذ أشار إلى أن الكائنات الحية - ومن ضمنها الإنسان - تتطور على مر العصور من شكل بسيط إلى شكل معقد، ومن وضعية متخلفة إلى وضعية أكثر تقدماً ورقياً.
- ونظرية سبنسر التطورية التي اعتمدها في تفسير حركة المجتمع وحللها وطبقها على نمو وارتقاء الحضارات لم يستطع البرهان على صحتها، لا هو ولا غيره من العلماء والمفكرين الذين أيدها وانضموا تحت لوائها، لذلك قوبلت بانتقاد وتحذٍ لاذع من قبل الكثير من المفكرين المحدثين.
- سبنسر يعتقد أن الارتقاء يمكن أن يفسر أصل وتكوين ونمو المجتمع، واستناداً إلى هذه الفكرة فعلم الاجتماع برأيه يمكن أن يقوم بهذه المهمة، لذلك فهو يقسم

مراحل تطور المجتمعات الإنسانية إلى أنماط مختلفة بحسب درجة تقدمها وراقيها الحضاري والمادي.

- ونظريته هذه تنص على أن (المجتمعات في حالة حركة مستمرة وسائرة نحو هدف معين، وهذه الحركة تمر من صيغة بسيطة إلى صيغة معقدة ومتشعبة)، حيث يقسم سبنسر المجتمعات الإنسانية إلى أربعة أنواع، هي:

المجتمع البسيط - المجتمع المركب - المجتمع المركب تركيباً ثنائياً - والمجتمع المركب تركيباً ثلاثياً.

• **فالمجتمع البسيط:** هو أول أنماط المجتمعات الإنسانية، ولهذا المجتمع بناء وظيفي، وله جهاز إداري قادر على تحقيق أهدافه العامة، والمجتمعات البسيطة يمكن تقسيمها إلى أقسام مختلفة تبعاً لنوعية أجهزتها المركزية والإدارية، فهناك مجتمعات بسيطة ليس فيها رئيس بل فيها مجلس إداري، وهناك مجتمعات بسيطة تتوفر فيها رئاسة مستقرة. كما يمكن تقسيم المجتمعات البسيطة بحسب الموقع الجغرافي، فهناك مجتمعات بسيطة متنقلة، كالمجتمعات البدوية الرعوية، وهناك المجتمعات البسيطة المستقرة، كالمجتمعات الزراعية وهكذا ... هذه المجتمعات لا تعتمد اعتماداً كبيراً على التقسيم الاجتماعي للعمل، وتجهل القوانين المدونة، وتتميز بمستوى معيشي منخفض وتطور حضاري محدود، ويتحول المجتمع البسيط إلى مجتمع مركب بعد زيادة عدد السكان واعتماد أساليب تقسيم العمل.

• **المجتمع المركب:** المجتمع المركب والمجتمع المركب تركيباً مضاعفاً؛ وهو المجتمع الذي تقوده الحكومة، ويؤمن بدين معين له أهميته في تنظيم العلاقات بين الأفراد وتحديد أخلاقية الجماعة، ويكون نفوذ العادات

والتقاليد في هذا المجتمع قوياً، وقد تتحول هذه العادات والتقاليد إلى قوانين شرعية معقدة تعتمدها الحكومة في نشر العدل والاستقرار والطمأنينة في ربوع المجتمع.

وهذه المجتمعات تكون متقدمة في الصناعة والزراعة والتجارة، وفي الفنون والفلسفة والعلوم الأخرى أيضاً.

● المجتمعات المركبة تركيباً ثلاثياً: هي المجتمعات المعقدة والراقية التي نشأت فيها حضارات عرقية، مثل حضارة وادي الرافدين، وحضارة وادي النيل، والحضارات الرومانية، والإمبراطوريات الموجودة في أوروبا قبل القرن التاسع عشر، كالإمبراطورية البيزنطية والألمانية والفرنسية والروسية، وتكون لهذه الإمبراطوريات حكومة تخضع لحكومة مركزية واحدة. وتتميز هذه المجتمعات المعقدة بارتقاء أنماط المعيشة وارتقاء النظم السياسية والاجتماعية، والتقسيم الاجتماعي للعمل، وتقدمها في المجالات العلمية والفلسفية والتكنولوجية، وتتميز بكثرة وعظمة جيوشها العسكرية التي تضمن هيبتها وتفرد سلطاتها في الأصقاع التي تسيطر عليها، ولقد أكد سبنسر على أن نظريته الاجتماعية هذه حتمية لتحول وتطور المجتمعات الإنسانية، حيث أشار إلى أن المجتمع البسيط يتحول عن طريق التقدم والارتقاء إلى مجتمع مركب تركيباً مضاعفاً، فالأخير يتحول بفضل التطور إلى مجتمع مركب تركيباً ثلاثياً.

إن التطور برأي سبنسر لا بد منه، وإن الإنسان مهما بذل من قوة ونشاط لا يستطيع الوقوف بوجه هذا التحول الجارف، كما أن تطور المجتمع وارتقائه حركة طبيعية وحتمية يعجز الإنسان عن معرفة ما تتوصل

إليه من نتائج وما تحقّقه من أهداف، قد تتماشى أو تتعارض مع طموحات الأفراد وأمانهم، آراء سبنسر هذه تتعارض مع أفكار علماء الاجتماع المحدثين الذين يعتقدون بأهمية التخطيط والبرمجة ووضع الأهداف والعمل على تحقيقها.

(1858 – 1917)



تمهيد:

إن أهم ما يجب أن نهتم به هو أن نعرض صورة للعصر الذي عاش فيه، لأن دوركهام لم ينفصل قط عن الأحداث الفكرية والاجتماعية والسياسية التي سادت في فرنسا من ناحية، والمدارس الاجتماعية التي تحاول أن تفسر الحقيقة الاجتماعية بعوامل مختلفة من ناحية أخرى، سواء كان التفسير سيكولوجياً أم بيولوجياً، وسوف نعرض للموقف الذي اتخذته دوركهام في ذلك.

ولد دوركهام في Epinal شمال فرنسا من أصل يهودي، وكان لمولده في هذه الطائفة المتعصبة لقوميتها وتربطها أثر كبير في اهتمامه بدراسة تماسك الجماعة، وبعد تخرجه من دار المعلمين في باريس رحل إلى ألمانيا، حيث درس الاقتصاد والفولكلور والأنثروبولوجيا الثقافية. ولقد أراد دوركهام منذ حداثة أن يكون أستاذاً، فكان له ما أراد، فعين أستاذاً في جامعة بوردو عام 1887م وفي عام 1902م عين بكلية الآداب بجامعة باريس.

ويعد أوغست كونت أستاذ دوركهائم بلا منازع، ومنه أخذ دوركهائم تأكيداً على أهمية المذهب الوضعي، وكذلك تأكيداً على أهمية الجماعة في تحديد السلوك الاجتماعي.

وإذا كان دوركهائم قد تأثر بأئمة العلم والفكر سواء في ميادين الفلسفة أم العلوم، فإنه لم يكن راضياً تماماً عن موقفهم، ولذلك طالب بمعرفة فلسفية يمكن تطبيقها في الميدانين السياسي والاجتماعي، وتميزت فرنسا في هذه الآونة بتيار فكري معين، وساد إحساس بين المفكرين بأن النظم القديمة يجب أن تستبدل بنظم أخرى جديدة، وذلك نتيجة التحول الكبير في فرنسا، وقد أدى ذلك بدوركهائم أن يفكر في موضوعات ثلاثة وهي:

- أحس بضرورة تلمّي عليه التخصص في البحث الاجتماعي الذي يكاد ينظم مناهج العلم الموضوعية في الشؤون الإنسانية.
- شعر أنه يتعين عليه أن يعيد النظر في الفلسفة المعاصرة، وخاصةً فلسفة العلم.
- نظر إلى علم الاجتماع على أنه علم يطبق على المشكلات الاجتماعية وليس علماً مجرداً.

وقد ترك لنا دوركهائم تراثاً علمياً يتمثل في مجموعة من المؤلفات والمقالات، إضافة إلى إنشائه المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع، ومن أهم مؤلفاته:

- تقسيم العمل الاجتماعي (1893).
- قواعد المنهج في علم الاجتماع (1895).
- الانتحار (1897).
- التربية الخلقية (1903).

- الأشكال الأولية للحياة الدينية (1912).
- علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية.
- علم الاجتماع والفلسفة (1924). محاضرات نشرت بعد وفاته.

إضافة إلى إنشاء المجلة السنوية لعلم الاجتماع عام 1896م التي أصبحت لعدة سنوات المجلة الرئيسية للفكر الاجتماعي والبحث في فرنسا.

كما أن المدرسة التي أنشأها دوركهائم أدخلت في الأذهان فكرة وجود علم وضعي للظواهر الاجتماعية، ونادت بعدم فصل علم الاجتماع عن العلوم الاجتماعية الأخرى، وبأن علم الاجتماع يحس بالوحدة التي تربطه بالعلوم التي تشترك معه في كونها ذات موضوع واحد، ولكن علم الاجتماع كان يخلق عالياً فوق هذه الظواهر لكي يؤثر تأثيراً معيناً في الطريقة التي كانت تدرس بها، فكان إسهام دوركهائم في أنه أنزل فكرة علم الاجتماع إلى هذه العلوم الفنية الخاصة، وبذلك تحول اتجاهها بأن جعل منها علوماً اجتماعية، وبتحقيق هذا الشرط أمكن لعلم الاجتماع أن يتجرد من الطبيعة الميتافيزيقية المجردة، وأمكن للأبحاث المتخصصة ألا تبقى أبحاثاً دون قيمة تفسيرية.

لقد كان دوركهائم عميقاً معبراً عن عصره وعن تأثيره بالاتجاه الوضعي الذي كان سائداً في ذلك العصر، والذي كان ينادي بأن العلوم الاجتماعية يجب عليها أن تستعير مناهج العلوم الطبيعية في معالجة الظواهر الاجتماعية.

ذلك باختصار هو المناخ الفكري الذي ظهر دوركهائم من خلاله، وما علينا بعد هذا العرض السريع للعصر الذي عاش فيه دوركهائم إلا أن ندعه يعرض لنا مذهبه من خلال كتبه.

أولاً- علم الاجتماع عند دوركهائم:

يقول "تيماشيف" في الفصل الذي عقده عن دوركهائم: إن علم الاجتماع عند دوركهائم هو دراسة للوقائع الاجتماعية، والمقصود بهذه العبارة أن دوركهائم عندما أراد أن يحتفظ بكيانه الخاص بوصفه علماً وضعياً، كان عليه أن يحدد موضوع هذا العلم الجديد بطائفة معينة من الظواهر، بحيث لا يشترك معه أي علم آخر في دراستها. وحمل دوركهائم على المدارس الميكانيكية والحيوية والنفسية، مؤكداً أنها غير كافية لتفسير الظواهر الاجتماعية التي لها نوعيتها ومميزاتها الخاصة بها. وعلم الاجتماع في رأيه ليس علماً نظرياً فلسفياً، لكنه علم يدرس الوقائع الاجتماعية لكي يستخرج القوانين التي يخضع لها، وهو ينادي بدراسة الحقيقة الاجتماعية في ذاتها، التي لا يمكن أن تكون مشابهة للفرد في صفاته الحيوية والنفسية، وهذه الحقيقة الاجتماعية هي موضوع علم الاجتماع هذا، ودراسة الحقيقة الاجتماعية تتلخص في دراسة الوقائع الاجتماعية. «بيومي، 2000، 135)

1- موضوع علم الاجتماع عند دوركهائم:

أ- التصورات الجماعية:

مم تتكون الظاهرة الاجتماعية التي نعرفها على هذا النحو؟ تتكون - كما يقول دوركهائم - من التصورات الجماعية، أي من أساليب التفكير والشعور والسلوك التي تبدو في تصرف الفرد على أنها تعبير عن سيطرة الجماعة، وأوضح مثال لذلك هو استجابات الفرد حينما يندمج في جماعة مثل الاحتفال بعيد أو اجتماع، فهنا يتبلور الشعور الجمعي، ولكل مجتمع شعور جمعي معين بحسب الثقافة السائدة، ويمكن دراسة هذه التصورات الجماعية دراسة دقيقة. وكما أن المدرسة السلوكية في علم النفس رأت ضرورة دراسة الفرد بناء على ما يمكن ملاحظته من الخارج، فكذلك ركز دوركهائم في كتاب

"تقسيم العمل" على بحث الظواهر الاجتماعية من الخارج، وهذا أيسر كثيراً من علم النفس.

ب- النظم:

على أن هذه التصورات من ناحية أخرى تستمر في البناء وتتوارث، إذ تدون في النظم، وبهذا المعنى يكون علم الاجتماع هو علم النظم.

ج- بحث الأشكال الاجتماعية:

لم يغفل دوركهايم عن هذه الحقيقة، وهي أن الظاهرة الاجتماعية والتصورات الجماعية والنظم التي تتجسد فيها تقوم في أساسها على ظاهرة التجمع، والشكل الذي يتخذه هذا التجمع من الوجهة المكانية، فعلم الاجتماع هو أولاً دراسة للأشكال الاجتماعية، وذلك لأن سمات المجتمع والتصورات التي تعبر عنه وتدعمه تتوقف إلى حد كبير بعيد على المظاهر الخاصة بالسكان، كحجمهم وكثافتهم، وهذا هو البحث في التركيب المادي للجماعة والشروط المادية لحياتها.

2- تقسيم دوركهايم لعلم الاجتماع:

صنف دوركهايم ميادين علم الاجتماع في ثلاثة موضوعات رئيسية:

أ- المورفولوجيا الاجتماعية، وهي عبارة عن التركيب الجغرافي وكثافة السكان وكل ما شابه ذلك، أي بنية المجتمع.

ب- الفسيولوجيا الاجتماعية، وهي التي تتضمن العمليات الديناميكية، كالعقيدة والأخلاقيات والقانون والحياة الاقتصادية، وكل واحدة منها يمكن أن تكون مادة لموضوع الفسيولوجيا الاجتماعية أي وظائف الحياة الاجتماعية.

ج- علم الاجتماع العام، وهو المحاولات التي تبذل في سبيل اكتشاف القوانين الاجتماعية العامة التي تظهر في العمليات الاجتماعية، وكما وضع سابقاً أن أهم موضوعات علم الاجتماع دراسة الظواهر الاجتماعية. (بيومي، 2000، 137)

من هنا نرى ضرورة عرض طبيعة الظواهر الاجتماعية وطرق دراستها.

ثانياً- دوركهام ودراسة الظواهر الاجتماعية:

1- طبيعة الظواهر الاجتماعية :

حدد دوركهام معنى الظواهر الاجتماعية بأنها "طرق السلوك والتفكير والشعور الخارجة عن الفرد، والتي لها من قوة التأثير ما تستطيع به أن تفرض نفسها على الفرد". فالظاهرة الاجتماعية إذن ليست من صنع الفرد، بل هي مفروضة عليه رسمت للإنسان في حدود القانون والأعراف العامة، وعرفها وتلقاها عن طريق التعليم، وكثيراً ما يؤدي الفرد مسلكاً معيناً ويقوم بتبعات دون أن يعرف تفاصيل أصولها ونشأتها، ويصدق ذلك بصفة خاصة فيما يتعلق بالمعتقدات والشعائر الدينية، وغيرها كالعلامات والتعبيرات المختلفة التي يعبر بها الإنسان عن أفكاره، ويكون مجموعها ما يسمى باللغة. وأيضاً النظم المختلفة التي تؤثر في الإنسان، كالنظم الاقتصادية أو القرابية أو السياسية، فكل هذه الظواهر وجدت قبل الفرد، وهي بذلك خارجة عنه.

كما أن الظواهر الاجتماعية تتصف بصفة الجبرية، ذلك لأن الظاهرة الاجتماعية تفرض نفسها على الفرد، سواء رغب في ذلك أم لم يرغب. فالإنسان على سبيل المثال إذا أراد أن يخرج على قواعد القانون شعر بقوة تصده وتمنعه عن الوقوع في ذلك الفعل، بل إذا خرج فعلاً على القانون فإن هناك العديد من الوسائل التي تكفل بأن يصلح المجتمع من هذا الخطأ. (فوزي، 1968، 162)

حتى في المسائل الأخلاقية التي لا تدخل في نطاق القانون، فإن الجبرية تظهر في شكل التأنيب الذي يصيبه من المحيطين به إذا خرجت على قواعد الأخلاق. وهناك حالات أخرى تظهر فيها الجبرية، ولكن في شكل مخفف، فإذا لم أتبع العرف السائد والتقاليد المعترف بها في المجتمع الذي أعيش فيه، ولم أتقيد في ملبسي مثلاً بما هو مصطلح عليه بين أفراد الطبقة التي أنتمي إليها، فليني أجر على نفسي الهزء والسخرية، وهما مظهران من مظاهر جبرية الظواهر الاجتماعية. وإذا كنت صانعاً فليس هناك ما يمنعني من مباشرة صناعتي بالطرق القديمة التي كانت متبعة في القرن الماضي، ولكني إذا لم أفعل ذلك كسدت صناعتي وحل بي الإفلاس: في كل هذه الحالات قد لا تظهر الجبرية بطريقة مباشرة ولكنها لا بد أن تظهر على أي حال. (فوزي، 1968، 147-154)

وقد توقع دوركهائم أن تثار ضده اعتراضات فيما يتعلق بصفة الجبرية، وخصوصاً من قبل أصحاب المذهب الفردي Individualisme الذين ينادون بذاتية الفرد Autonomie وبحريته الكاملة، وبأنه على حد قول بعضهم "إمبراطورية داخل إمبراطورية" وقد ظن هؤلاء أن ذاتية الفرد تنتقص كثيراً إذا قلنا: إنها تعتمد على شيء آخر غير الفرد نفسه، وقد كان رد دوركهائم على اعتراضاتهم أنها لا تغير من الواقع شيئاً، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن أفكارنا وميولنا ليست من صنعنا، فنحن نفكر ونعمل ونحس متأثرين إلى حد كبير بما يسود في المجتمع من آراء وأفكار، ومادامت هذه الأفكار تأتي من الخارج، فلا بد لها لكي تتغلغل في نفوسنا من فرض نفسها علينا، هذا هو المعنى الذي يقصد إليه دوركهائم من كلامه عن جبرية الظواهر الاجتماعية وليس من الضروري أن تنتقص هذه الجبرية من شخصية الفرد وتحد من حريته. (فوزي، 1968، ص 20)

2- طريقة دراسة الظواهر الاجتماعية:

في كتابه "قواعد المنهج في علم الاجتماع" أوضح إميل دوركهيم الطرق التي بها يمكن دراسة الظواهر الاجتماعية، والتي يلخصها بقوله «يجب أن تدرس الظواهر الاجتماعية كما لو كانت أشياء» والنزعة الشيئية تعني ألا تكون الدراسات الاجتماعية دراسات مصدرها الفكر وحده، بحيث يجلس العالم الاجتماعي أمام مكتبه ويتخيل نظاماً يحيك أطرافه في عقله ثم يقدمه بعد ذلك على أنه خلاصة أبحاثه العلمية، وإنما تدرس الظواهر الاجتماعية بالطريقة التي تدرس بها العلوم الطبيعية الأخرى، ولا يكون ذلك إلا إذا نظرنا إلى الظاهرة الاجتماعية على أنها شيء خارجي، لا تندخل فيه بالعواطف والانفعالات، وبالموافقة أو الرفض، وغير ذلك من الأحاسيس الإنسانية، فالعالم الاجتماعي بذلك يدرس الظاهرة الاجتماعية، كما يدرس عالم الكيمياء مثلاً خواص السوائل وما إلى ذلك، فالشيء إذن هو كل موضوع للمعرفة يصل إليه العقل إذا خرج من انطوائه على نفسه، وحاول فهمه عن طريق الملاحظة والتجربة، وتستدعي هذه المعرفة أن يبدأ الباحث بالصفات الأكثر ظاهرية، والتي تقع تحت حسه المباشر، ليتدرج منها شيئاً فشيئاً إلى الصفات الأخرى الأقل ظهوراً والأكثر عمقاً. (فوزي، 1968، 150-151)

ويرى دوركهيم أيضاً أن الباحث عند دراسته للظاهرة الاجتماعية بوصفها "شيئاً" يجب أن يزود بمبدأ أنه يجهل كل شيء عن حقيقتها، وأنه لا يستطيع دراستها وسبر غورها عن طريق الفكر المجرد والتأمل، بل يمكنه ذلك عن طريق الدراسة الموضوعية الخارجية. (فوزي، 1968، 152)

ثالثاً- فكرة الضمير الجمعي:

لقد أعطى دوركهيم لفكرة الضمير الجمعي اهتماماً كبيراً في مؤلفاته ويجدر بنا أن نبين فكرة دوركهيم في هذا الموضوع.

يعرف دوركهايم الضمير الجمعي أنه «مجموعة من المعتقدات والمشاعر العامة لدى أعضاء المجتمع الواحد، وتسود هذه المعتقدات والمشاعر مهما اختلف القطاع الجغرافي وتعددت أشكاله، إنه هذا الرباط الذي بين جيل وآخر، فالأفراد يتحركون مع تيار الحياة، ولكن الضمير الجمعي هو الذي يبقى، إنه ليس شيئاً خاصاً بكل فرد على حدة، ولكنه عام في المجتمع. إنه مجموعة من المشاعر السائدة في مجتمع معين، إنه ذلك الشيء الذي يصدر بارتكاب أي جريمة، إنه هو العقل أو الضمير الجمعي الذي يحدد ماهية الفعل الإجرامي».

وأساس فكرة العقل الجمعي قائم على ما نادى به العقليون بأن مظاهر السلوك كالتذكر وتداعي المعاني لا يمكن إرجاعها إطلاقاً إلى العمليات الفسيولوجية التي تحدث في الجهاز العصبي، وإنما الجانب الأكبر من حالاتنا النفسية يرجع إلى الصفات الذاتية الناتجة عن اجتماع الأفراد، والتأثير المتبادل الذي يباشره بعضهم مع بعض، ولكن هناك شعور خاص يسيطر على الأفراد داخل نطاق المجتمع، ويرسم لهم المثال الذي يحتذونه.

ومعنى ذلك أن حياة الجماعة صفة جوهرية من صفات الإنسان، وأن الفرد لا يتمتع بصفاته الإنسانية إلا تحت تأثير المجتمع، ولا يتسنى ذلك بطبيعة الحال إلا إذا كان المجتمع وحدة حقيقية غير ناتجة عن اجتماع الأفراد اجتماعاً عديداً، بل عن تآلفهم واندماجهم بحيث ينتج عن ذلك قوة ذاتية هي ما يسمى الضمير أو العقل الجمعي، وتكون ظاهرة في طرائق السلوك والتفكير والقوانين والمعتقدات، بل إننا نقول إن العقل الجمعي عند دوركهايم هو بمنزلة الموجه القيمي العام في المجتمع. فالمجتمع إذن له عقل كالفرد، ولكن العقل الجمعي نتيجة لهذا التفاعل، وهو يختلف كل الاختلاف عن العناصر الداخلة في تركيبه، ووظيفته الأساسية هي أن ينتج لنا قواعد ومبادئ للسلوك

تتمثل في النظم الأخلاقية والقانونية والسياسية، وفيما يغرسه فينا من ميول وأذواق وشعور ديني، ونجد أن ظواهر العقل الجمعي متعددة في داخلية كل فرد منا.

والخلاصة أن المجتمع وإن كان يتكون من الأفراد إلا أنه يشكل واقعاً قائماً بذاته أي أن كل فرد إنما يولد ليجد الإطار الجماعي الذي يصبح عنصراً فيه، وأن شخصية الفرد هي من نتائج المجتمع، وبذلك يعلو المجتمع فوق الأفراد، لأنه لا يعتمد في وجوده على أي فرد معين، وكذلك جعل دوركهايم العقل الجمعي مصدر الدين، فالدين في نظره ليس إلا رمزاً للعقل الجمعي، وبعبارة أخرى ما هو إلا التراث الاجتماعي الذي ينتقل من جيل إلى جيل، أو على حد قول تيماشيف "هو الثقافة العامة السائدة في المجتمع".

ولقد تعرضت فكرة الضمير الجمعي لكثير من النقد من جانب علماء الاجتماع المحدثين، وخاصة في تأثير المجتمع المطلق في الفرد.

- أخذ "جورفيتش" (1894-1965) على دوركهايم غلوّه في الاعتماد على الضمير الجمعي في تفسير أي نشاط اجتماعي.
- كما أن "هومانز" أطلق على فكرة دوركهايم اسم نظرية (القلب الاجتماعي) وتلخص في أن كل مجتمع ينتج مجموعة من معايير السلوك التي لها تأثير ونفوذ إرغامي أو قهري على الأفراد، وأنه بذلك أهمل التفاعل المتبادل بين المجتمع والوعي والفرد وخطأه في إرجاع الظاهرة النفسية إلى ما أسماه بالضمير الجمعي.
- كذلك وصفت نظرية العقل الجمعي بأنها محض افتراض لأشياء غير موجودة، وأن فكرتها هذه ما هي إلا تطور ميتافيزيقي، صور العقل الجمعي بصورة روحية خيالية مثالية متعالية على العقول الفردية، صوره في

صورة اللوجس ثم أُلهمه فجعل المجتمع هو الوعاء الذي ينصهر فيه الأفراد، ويخرج لنا قالباً أو نموذجاً من السلوك.

وأخيراً، نقول إنه كان مسرفاً في اتجاهه الروحي، وغالى في رد الحقيقة الاجتماعية إلى تلك الخرافة التي سماها بالضمير الجمعي، وبذلك يكون قد أنكر أهمية الفرد وأهمية الأبطال الذي يغيرون مجرى التاريخ، فكيف يستقيم ذلك مع ما قدمه دوركايم من أن المجتمع هو الذي يصنع الأفراد ويطبعهم بطباعه. (فوزي، 1968، 141)

رابعاً- تقسيم العمل والتضامن الاجتماعي:

تعد دراسة دوركهايم عن التضامن وتقسيم العمل في كتابه (تقسيم العمل الاجتماعي) أولى دراساته إذ يبحث في هذا الكتاب طبيعة التطور الاجتماعي والعوامل المؤدية إليه ويتفق مع سبنسر وأصحاب المذهب العقلي في أن تطور المجتمعات من بدائية إلى متحضرة يتبعه زيادة أكثر في توزيع العمل وفي تخصص الأفراد، ففي المجتمعات البدائية نجد أن تقسيم العمل أو توزيعه بدائي، فالأفراد يقومون تقريباً بنفس الأعمال.

والفكرة الأساسية التي يدور عليها البحث هي علاقة الفرد بالتضامن الاجتماعي فإنه على الرغم من أن استغلال الفرد قد أخذ في الازدياد إلا أن اعتماده على المجتمع قد ازداد أيضاً، فكيف يمكن أن يكون الإنسان في فردية مستمرة وفي تضامن في نفس الوقت؟

هذه هي المشكلة الرئيسية التي حاول دوركهايم أن يجد لها حلاً في هذا الكتاب، ولقد حاول كثيرون من العلماء دراسة موضوع تقسيم العمل ووضع تفسير لهذه الظاهرة، ومن هؤلاء العلماء "آدم سميث" (1723-1790) و"زميل" (1858-1918).

وجد دوركهايم نفسه أمام مهمة تتلخص في ثلاث نقاط هي:

أ- تحديد وظيفة تقسيم العمل، واكتشاف الحاجات الاجتماعية التي يتبعها تقسيم العمل.

ب- تحديد الأسباب والظروف التي يتركز عليها تقسيم العمل.

ج- التحقيق في الاتجاهات غير الطبيعية والانحرافات الموجودة في هذا التقسيم.

كان تحديده لهذه الوظائف الثلاث يؤدي به إلى مشكلة تتعلق بإيجاد ارتباط بين تقسيم العمل والحياة الخلقية؛ لأن هذا الارتباط هو الموضوع الرئيسي الذي يستحوذ على اهتمام دوركهائم.

يعتقد دوركهائم أن ظاهرة تقسيم العمل ليست حديثة النشأة، ولكن الجانب الاجتماعي منها كان أكثر ظهوراً في أواخر القرن الثامن عشر، ولقد تطورت ظاهرة تقسيم العمل إلى الحد الذي جعلها عامة وواضحة لكل فرد، ولعل الاتجاه الذي اتخذته الصناعة الحديثة يكشف لنا بوضوح عن مدى عمومية وانتشار هذه الظاهرة، وهذه الصناعة تهدف إلى تقسيم العمل إلى أبعد الحدود، وأصبحت المهن منعزلة متخصصة ليست داخل المصنع فقط بل أصبح كل إنتاج في حد ذاته متخصصاً من ناحية، ومعتمداً على غيره من ناحية أخرى، كذلك في معظم قطاعات المجتمع، سواء الوظائف الإدارية أم العلمية أم غيرها، ونجد شبيهاً لذلك أيضاً في الكائنات العضوية والمجتمعات. ويرى دوركهائم أنه لكي نصل إلى تعريف موضوعي لتقسيم العمل لابد من ملاحظته ومقارنته ودراسته بوصفه حقيقة موضوعية، ولما كان تقسيم العمل يتضمن كلاً من القوة الإنتاجية وقدرة العامل، لذلك فهو شرط ضروري لتقدم المجتمعات، سواء أكان فكراً أم مادياً، والوظيفة الأساسية لتقسيم العمل أنه ينشئ شعوراً بالتضامن والتماسك والترابط بين الأفراد، ويضرب لنا دوركهائم مثلاً بتقسيم العمل الجنسي وما يؤدي إلى التضامن

الزواجي، وتقسيم العمل - علاوة على ذلك - له أثر ملحوظ وواضح في زيادة الوظائف المقسمة المتخصصة، كما أنه يحدث التضامن والترابط بين الأفراد والجماعات.

1- كيف يؤدي تقسيم العمل إلى التضامن الاجتماعي؟

نحن نعلم أننا نحب من يماثلنا، سواء في طريقة التفكير أم في الشعور، والعكس صحيح، نشفق أحياناً على من لا يماثلنا، ولكن بصفة عامة يعد التشابه سبباً للجاذبية المتبادلة، وتقسيم العمل هو توزيع وحداته على أفراد عديدين، وهذا بدوره يؤدي إلى تماسكهم وتعاونهم مرة أخرى، على الرغم من اختلاف الأعمال التي يقومون بها، فكل عمل منها يعهد للثاني، وكل عمل تال يكمل العمل السابق، وعلى ذلك فوظيفة تقسيم العمل هي أن نحقق بين شخصين أو أكثر شعوراً بالتضامن والتماسك والترابط، ولقد أخذ "كونت" بهذه النظرية، ويقول دوركهام: إنه هو الوحيد من بين علماء الاجتماع الذين اعترفوا بأن تقسيم العمل هو الشرط الأساسي للحياة الاجتماعية.

2- العلاقة بين درجة تقسيم العمل ودرجة نمو وتقدم المجتمع:

ينتقل دوركهام بعد ذلك لبيان أنواع التضامن في المجتمعات، وبيان نقصان درجة تقسيم العمل أو ازديادها، وبيان غيرها من الظواهر.

أ- ففي الحالة الأولى:

أي حينما يقل تقسيم العمل - كما هو الحال في المجتمعات البدائية - تجدد مجموعة من الخصائص المميزة للحياة الاجتماعية تميز السلوك بوجه عام بالتجانس، ويتمثل ذلك في:

- التجانس الفكري والعقدي.

- انتماء القانون والأخلاق والضبط الاجتماعي إلى الضمير الجمعي.
- تمييز الضمير الجمعي بالقوة والاستقلال.

هذه النظرية مؤداها أن زيادة تقسيم العمل تزيد من سعادة الأفراد، ولكن الأمر على عكس ذلك، فإن زيادة عدد حالات الانتحار والاضطرابات العصبية، وعدم الرضا في المجتمعات التي يشيع فيها التباين الاجتماعي حقيقة موجودة في المجتمعات التي يزيد فيها تقسيم العمل، وأن الشعوب البدائية تعد سعيدة تماماً، ويقول دوركهائم: «إن أسباب تقسيم العمل يجب أن ينظر إليها في الظروف الاجتماعية ذاتها، وسنجد أن أحد العوامل الأساسية هو زيادة السكان وزيادة الكثافة السكانية، ويعني هذا أن تقسيم العمل يختلف باختلاف حجم كثافة المجتمع، أي أنه يرتبط مع عدد الأفراد في الجماعة ودرجة شدة التفاعلات الاجتماعية، ويؤدي ذلك إلى زيادة الصراع من أجل البقاء، ويؤدي ذلك أيضاً إلى أن الأفراد لابد أن يتخصصوا في أعمال متنوعة، وبهذا يقل الصراع بينهم». (فوزي، 1968، 160)

وهكذا نرى أن دوركهائم يضع كل ثقله في هذا التفسير على عوامل غير اجتماعية بكاملها، وهي عوامل بيولوجية "زيادة السكان"، وقد أخذ عليه النقاد هذا التفسير، وعدوا ذلك خروجاً على تأكيدات المستمرة في أن الحقيقة الاجتماعية لا تفسر إلا عن طريق حقيقة اجتماعية أخرى.

خامساً- الانتحار:

تمثل دراسة دوركهائم عن الانتحار مكانة مهمة في الدراسات السوسيولوجية الأميركية، وكتابه هذا - بإجماع معظم علماء الاجتماع - يعد رائداً في تطبيق المنهج الإحصائي في دراسة الظواهر الاجتماعية، وهم يرون أنها أكثر ما تكون دراسة إحصائية،

- ذلك لأنه يكشف لنا كيف يمكن أن ندعم البيانات التجريبية في موقف نظري معين، ولقد فضل دوركهائم دراسة هذه الظاهرة لأربعة أسباب:
- اعتقاده بأنه يمكن تعريف كلمة الانتحار بسهولة.
 - أن الإحصاءات المتعلقة بهذه الظاهرة متعددة وفي متناول اليد.
 - أن هذا الموضوع له أهمية خاصة نظراً لزيادة معدلات حالات الانتحار على ما كانت عليه خلال القرن التاسع عشر.
 - أراد أن يفحص الأعمال العلمية أو غير العلمية التي تتعلق بموضوع الانتحار، مثل دراسات "أوجل" و"لومبروزو" و"مورسيلي" و"فيري" وبذلك لا تعد دراسة دوركهائم عن الانتحار مجرد عمل أكاديمي، ولكنها دراسة متعمقة لمشكلة عامة في حاجة ماسة إلى العلاج.

1- تعريف ظاهرة الانتحار:

ذهب دوركهائم من البداية إلى أنه من السهل أن يقدم تعريفاً لهذه الظاهرة، ولكنه يرى أن هناك مجموعة من الصعوبات ترتبط بتقديم تعريف محدد لها، وبعد إجراء تعديلات قدم دوركهائم التعريف الآتي:

«يشير الانتحار إلى كل حالات الموت التي تكون نتيجة مباشرة لفعل إيجابي أو سلبي قام به الشخص المنتحر وهو يعلم أنه سيؤدي إلى هذه النتيجة».

وينتقل دوركهائم بعد ذلك لمناقشة نقطة مهمة وهي المجموع الكلي لحالات الانتحار في بلد معين يسمح لنا أن نحسب معدلات الانتحار، هذا المعدل هو ما يطلق عليه اسم (الظاهرة الاجتماعية) وعلى هذا الأساس يعد دوركهائم أن دراسة الانتحار هي من صميم اختصاص عالم الاجتماع.

2- الانتحار والعوامل غير الاجتماعية:

(1)- الانتحار والمرض العقلي: يهدف دوركهائم منذ البداية إلى إثبات عدم أهمية هذه العوامل، فيذهب إلى أن هناك اعتقاد بأن هناك علاقة مباشرة بين الانتحار والعاهة العقلية أو الاختلال العقلي، وقد انتهى عدد من الباحثين في هذا الصدد إلى أن الانتحار نوع من المرض، مثل ما يقول "بوردين"، وله مقال في ذلك «الانتحار بوصفه مرضاً» ولكن دوركهائم يرى أن تفسير الانتحار بالإضافة إلى المرض العقلي أمر لا تؤكد الوقائع التجريبية، ويدلل على ذلك بما يأتي:

- أ- إن الإحصاءات لا تشير إلى ارتباط ذي دلالة بين المرض العقلي والانتحار.
- ب- إن نسبة الاختلال العقلي ترتفع بين اليهود إلى أعلى من المتوسط، بينما نلاحظ أن نسبة الانتحار عندهم أقل من المتوسط.
- ج- التناقض بين معدل الانتحار والأعمال المختلفة التي يصاب فيها المرء بالاختلال العقلي.
- د- إن البلاد التي يزداد فيها الأفراد المصابون بالأمراض العقلية تقل فيها معدلات الانتحار، ولقد انتهى دوركهائم إلى عدم وجود علاقة بين الانتحار والإدمان على المشروبات الروحية، وكذلك العوامل التكوينية.

(2)- الانتحار والعوامل الكونية: وضع دوركهائم عن تلك المجموعة الثانية من العوامل التي يطلق عليها العوامل الكونية، كالعلاقة بين المناخ ومعدل الانتحار، وذهب بعضهم إلى أن الانتحار يزداد في فصل الصيف نظراً لارتفاع درجة الحرارة، وهذا هو ما ذهب إليه "مورسيلي"، ويرى دوركهائم أن الحرارة لا يمكن أن تكون هي السبب الذي يدفع الناس إلى قتل أنفسهم بأنفسهم، وضرب مثلاً بالجنود الفرنسيين وانتحارهم أثناء انسحابهم من موسكو عام 1812م، وكانت درجة الحرارة منخفضة جداً، ثم لاحظ كذلك أن معدل الانتحار لا يرتفع في جنوب أوروبا عن شمالها. ثم ينتقل دوركهائم بعد

ذلك إلى بحث علاقة الانتحار بطول النهار، ويدلل على ذلك أنه من الخطأ القول بأن ضوء النهار هو السبب في الانتحار، بل إنه يمكن القول إن الانتحار يرتبط بالنشاط الاجتماعي الذي يزداد أثناء النهار فقط، ويدلل على ذلك بازدياد الانتحار في المدن عنها في الريف لزيادة الأنشطة الاجتماعية فيها.

(3) - الانتحار والتقليد والمحاكاة: تساءل دوركهلم إلى أي مدى يمكن أن يكون التقليد الذي يخلو من أي دافع سبباً في الانتحار؟

ويقول في الرد على ذلك «إذا كنا نلاحظ حالات انتشرت فيها موجة من الانتحار بفعل العدوى، فإن ذلك لا يشير إلى أن هذه الحالات من الانتحار ترجع إلى شخص معين هو أول من أقدم على ارتكاب الانتحار، بل هي في الحقيقة فعل اجتماعي" أي أن الجماعة كلها قد عقدت العزم على الموت" وأن الجماعة قد تصرفت كلياً نتيجةً لتأثير عامل معين في جميع الأعضاء، وينتهي إلى أن التقليد لا يقدم لنا تفسيراً لظاهرة الانتحار؛ لأنه لا يسهم بشيء في الانتحار». (فوزي، 1968، 79)

3- الأسباب والنماذج الاجتماعية:

بعد أن استبعد دوركهلم العوامل غير الاجتماعية في تفسير ظاهرة الانتحار ينتقل مباشرة إلى معالجة الأسباب الاجتماعية التي تحدد هذه الظاهرة، ولذلك يقدم لنا تصنيفاً سببياً، وذلك عن طريق حصر حالات الانتحار في ثلاثة نماذج، يتضمن كل نموذج منها مجموعة من الأساليب الاجتماعية التي تؤدي إلى حالات تتدرج ضمنه، وهذه الأنماط الثلاثة هي:

أ- الانتحار الأناني:

وهو الذي يرجع إلى مشاركة الفرد غير المرضية ولا الكافية في حياة الجماعة، ولذلك فإن الفرد الذي يظل عزوفاً عن الجماعة الاجتماعية، والذي يتابع أهدافه الشخصية لا يجد سبباً لبقائه فيلجأ إلى الانتحار، ويبحث دوركهايم بين الدين والانتحار ويلاحظ من واقع الإحصاءات أن معدل الانتحار يزداد في الدول البروتستانتية في أوروبا عنها في الدول الكاثوليكية، ويرجع ذلك إلى ما يتوفر لدى البروتستانت من الحرية في البحث والتفكير، فضلاً عما يشيع بينهم من فردية نتيجةً للتكامل بين جماعاتهم، وعلى ذلك يكون نقصان الروابط الاجتماعية بين البروتستانت عاملاً مؤدياً إلى ارتفاع معدل الانتحار بينهم، ثم يربط دوركهايم بعد ذلك بين الدين والتعليم وزيادة نسبة المتعلمين في البلاد البروتستانتية وبالتالي ترتفع فيها معدلات الانتحار، وبذلك فالمستوى التعليمي الضعيف المنفصل لدى النساء يساعد على تفسير استعدادهن للانتحار، ولكنه يقول: إن زيادة التعليم لا يمكن أن تؤدي إلى الانتحار.

يلخص ما سبق في أن ضعف الترابط في مجتمع الفرد الديني ونقص التماسك هما المفسران للانتحار، ثم يعالج بعد ذلك العلاقة بين الانتحار والأسرة والمجتمع السياسي، وقد انتهى إلى النتائج التجريبية الآتية:

- يؤدي الزواج المبكر إلى الانتحار وخاصة بين الرجال.
- يقل الميل إلى الانتحار ابتداءً من سن العشرين للمتزوجين من الجنسين عنه بين غير المتزوجين.
- تزداد نسبة الانتحار بين العزاب من الجنسين عنها بين المتزوجين.
- تقل نسبة الانتحار بين النساء عنها بين الرجال.
- تقل نسبة الانتحار بين النساء غير المتزوجات عنها بين الرجال؛ لأن الرجل يستفيد من الزواج أكثر من المرأة.

- تزداد نسبة الانتحار بين الأرمال عنها بين المتزوجين.
 - تقل نسبة الانتحار بين المتزوجين الذين لديهم أطفال عنهم بين المتزوجين الذين ليس لديهم أطفال.
 - تقل نسبة الانتحار بين الأرمال الذين لديهم أطفال عنها بين الذين ليس لديهم أطفال.
 - تقل نسبة الانتحار في فترات الاضطراب السياسي والحروب، وذلك لأن هذه الحوادث تؤدي إلى ربط المجتمع وازدياد درجة التماسك الاجتماعي. كل هذا يفسر ما ذهب إليه دوركايم من أن الانتحار يرتبط بضعف الروابط الاجتماعية في الجماعة، وبشيوع الفردية والعزلة الاجتماعية للفرد، وكلما زادت درجة التكامل الاجتماعي، ازدادت شبكة الصلات الاجتماعية، وترتب على ذلك انخفاض معدلات الانتحار.
- ثم يقدم دوركايم القضايا التفسيرية الآتية:
- أولاً: تختلف معدلات الانتحار مع درجة تكامل المجتمع الديني.
- ثانياً: تختلف معدلات الانتحار عكسياً مع درجة تكامل المجتمع الأسري.
- ثالثاً: تختلف معدلات الانتحار عكسياً مع درجة تكامل المجتمع السياسي.
- وبذلك يكون الانتحار نتيجة للتكامل الاجتماعي، وفيه ينزل الفرد باستمرار عن الحياة الاجتماعية، ويفرض (الأنا) الفردي فيها ذاته لكي يقف في وجه (الأنا) الاجتماعي، فالانتحار الأناني ينبثق إذن عن النزعة الفردية المتطرفة.

ب- الانتحار الغيري أو الإيثاري:

وهو يرجع إلى شدة اندماج الفرد بالجماعة حتى يفقد فرديته في الجماعة التي ينتمي إليها انتماءً كلياً، وهو يختلف عن النوع الأول؛ لأن المنتحر في الانتحار الأناني

يعتقد أن الأمر متروك إليه في تحديد أفعاله، لأن إرادته منفصلة عن إرادة الجماعة، أما في الانتحار الغيري فعلى العكس من ذلك؛ إذ إن إرادة الفرد مرتبطة بإرادة المجتمع، ويفعل ما تمليه عليه الجماعة التي ينتمي إليها، والفرد يعبر عن اندماجه الاجتماعي بشعوره الدائم أنه على استعداد لأن يضحي بنفسه في سبيل الجماعة وعلى ذلك فإن المجتمع هو الذي يحدد حالات الانتحار، وهو الذي يجبر أفراداً معينين على أن يقتلوا أنفسهم بأيديهم، ويقرر دوركهام أن الانتحار الغيري هو النمط الشائع في المجتمعات البدائية مثل:

- أ- الموت الذي تتطلبه الواجبات في مظاهر حياتهم.
- ب- حالات يقبل فيها النساء على الانتحار عقب وفاة أزواجهن.
- ج- انتحار العبيد نتيجة لموت أسيادهم.
- د- انتحار الجنود هو انتحار غيري، فقد تدربوا على أن يندروا أنفسهم في سبيل الجماعة ويضحوا من أجلها، فالحياة عندهم ليست ذات قيمة وبذلك ترتفع بينهم نسبة الانتحار الغيري.

ج- الانتحار اللامعاري:

وإنما يقدم عليه الذين لا يسيرون على القواعد التي رسمها المجتمع، فيصبحون بلا معيار يحدد نمط سلوكهم أو طريقة انتمائهم للجماعة، وغالباً ما ينتج عن تدمير مفاجئ للتوازن الاجتماعي والبناء الأخلاقي في المجتمع، كأن ترتفع معدلات الانتحار في الأزمات الاقتصادية أو الإفلاس، وهذا يسبب تخطيط التوازن الاجتماعي، كذلك الأمر في الانتعاش الاقتصادي، مما ينتج عنه انهيار النظام السياسي والاجتماعي القائم، ويؤدي إلى تخطيط ما يسميه دوركهام باسم (النظام الجمعي)، والسبب في ذلك راجع إلى أن في

حالات الثبات تكون مستويات الطموح واضحة محددة لكل شخص، وكذلك إمكانية تحقيقها، والسبب في حالات الاضطرابات أن مستويات الطموح تكون غير واضحة، وتكون هناك هوة بين ما يطمحون إليه وما يستطيعون تحقيقه فعلاً وذلك يؤدي إلى زيادة معدلات الانتحار، ولكن هناك أزمات مثل الحروب تؤدي إلى خفض معدلات الانتحار، بينما هناك أزمات أخرى تؤدي إلى ارتفاع هذه المعدلات، وهذا يفسر بأن الأزمات من النوع الأول تؤدي إلى التماسك الاجتماعي حتى يقف الأفراد وحدة متكاملة. أما في النوع الثاني فالأزمات تكون من القوة بحيث تحطم الترابط الاجتماعي، مما يؤدي إلى زيادة معدلات الانتحار، ويرفض دوركهام أن يكون الفقر عاملاً من عوامل الانتحار، ويقول: إن الفقر عامل يحمي الفرد من الانتحار، ذلك لأنه يعرف ما يمتلكه وما يأمل في الوصول إليه. (فوزي، 1968، 152)

هذه هي النماذج الاجتماعية للانتحار، وهي تكشف عن موقف دوركهام في تفسير هذه الظاهرة، فالانتحار ظاهرة اجتماعية، لأنها تتميز بعموميتها، وهي لذلك لا يمكن أن تفسر في ضوء العوامل السيكولوجية للفرد بقدر ما ترجع إلى:

أ- الاختلاف في البناء الاجتماعي.

ب- درجة التضامن الاجتماعي.

ج- درجة الامتثال في المجتمع.

صفوة القول أن دراسة دوركهام للانتحار تعد أكثر من مجرد تحليل إحصائي؛ ذلك لأن دوركهام كان معنياً خلال دراسته ببيان كيف تساند الحقائق الواقعية النظرية السوسيولوجية، وفي هذه الحالة كان يريد أن يكشف عن خاصيتي الخارجية والجبرية للحقائق الاجتماعية.

سادساً- التفسير الاجتماعي للدين والأخلاق والمعرفة والقيم:

يقدم لنا دوركهائم في كتابه "الصورة الأولية للحياة الدينية" تحليلاً دقيقاً لصور ومصادر وطبيعة وآثار الدين، والفكرة الأساسية التي تدور حولها الدراسة هو أن الدين يعد شيئاً اجتماعياً، وهذا يتضمن فكرتين:

الأولى: أن الأفكار والممارسات الدينية تشير وترمز إلى الجماعة الاجتماعية.
الثانية: هي أن الجماعة تفرض نظاماً خلقياً، يستفيد منه الفرد بإخلاصه لهذه القيم الخلقية

تقويم إسهامات دوركهائم:

يجمع معظم العلماء المحدثين على أن دوركهائم يمثل اتجاهًا خاصاً في علم الاجتماع، ويتمثل ذلك في تأكيده على أهمية الواقع الاجتماعي وضرورة تفسيره استناداً لظواهر اجتماعية خالصة، فضلاً عن أن دوركهائم أدرك ضرورة مراعاة الموضوعية الكاملة بصدد دراسة الظواهر الاجتماعية بوصفها أشياء، وكذلك حين طالب أن يتجرد من عواطفه عند الدراسة، وضرورة تعريف موضوعات الدراسة بطريقة دقيقة. وبالرغم من الجهود التي قدمها دوركهائم، هناك بعض المآخذ على أعماله، منها:

- إن دوركهائم في تحديده للظاهرة الاجتماعية بالجبرية والتلقائية قد طمس فاعلية الإنسان وجعله عبداً لمصير مجهول.
- لقد خلط دوركهائم بين الظاهرة الدينية والظاهرة الاجتماعية، وذهب إلى أن الدين من صنع المجتمع، وأنه ينحصر في عبادة المجتمع نفسه؛ لأن للمجتمع عقلاً، ولأن هذا العقل مصدر كل شيء حتى الدين نفسه.
- إن أهم ما يوجه إلى دوركهائم أنه غالى في تفسير الحقيقة الاجتماعية بحقيقة اجتماعية من صيغتها، وفي استبعاد بعض المؤثرات الأخرى في الحياة الاجتماعية.

- وعلى الرغم مما قيل عن دوركهائم فإنه لا يقلل من أهمية الجهد الذي بذله في إرساء النظرية السوسيولوجية فالفضل يرجع إليه في تحديد موضوع ومجال علم الاجتماع، كما أنه كان رائداً في استخدام المنهج الإحصائي في دراسته من أجل الوصول إلى درجة عالية من الدقة والموضوعية في العلوم الاجتماعية، كذلك إدراكه للعلاقة الديناميكية بين النظرية والواقع حين حاول أن يدعم موقفه النظري بمجموعة من الدراسات التجريبية، ومع هذا سيظل دوركهائم رائداً من رواد علم الاجتماع ليس على مستوى فرنسا وحدها، وإنما على مستوى العالم بأسره.



(1920 – 1864)

يعد ماكس فيبر (1864-1920) من أبرز علماء الاجتماع الذين أثروا تأثيراً واضحاً في الفكر السوسيولوجي. ويرجع نسبه إلى أسرة ألمانية عريقة، كان أبوه سياسياً نشطاً، ظل لعدة سنوات في البرلمان الألماني، ولقد ورث فيبر عن والده هذه النزعة، وكان طبعياً أن يتجه فيبر إلى دراسة القانون والاقتصاد، ثم أسهم في كثير من الحركات السياسية، واختير عضواً في اللجنة التي وضعت دستور ألمانيا عام 1919م المعروف باسم (دستور فيمار). والحق أن فيبر شغل مناصب جامعية مختلفة، فقد عين أستاذاً

للاقتصاد في جامعة فرايبورج (1893م)، ثم في وظيفة مماثلة في جامعة هايدلبرج، وفي سنة 1900م أصيب بانحيار عصبي حاد أقعده عن نشاطه الأكاديمي حتى عام 1918م. حيث سافر إلى أمريكا عام 1904م ثم فيينا عام 1918م.

وترك فيبر العديد من الأعمال العلمية التي تناولت موضوعات متعددة مثل: علم الاجتماع، علم الاجتماع الريفي، التاريخ الاجتماعي، التاريخ الاقتصادي، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، الأسس العقلية للموسيقا، علم الاجتماع السياسي وغيرها التي ترجمت من الألمانية إلى لغات متعددة.

سنتناول إسهامات فيبر في الفكر الاجتماعي في السطور القادمة.

أولاً- تعريف علم الاجتماع :

يعرف فيبر علم الاجتماع أنه «ذلك العلم الذي يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي، لكي يتمكن من تقديم تفسير سببي لجراه ونتائجه».

ويقصد فيبر بالفعل الاجتماعي أيّ سلوك إنساني يعطيه الفرد معنى، فالفعل يختلف عن النشاط من حيث إن الفعل يتضمن فكرة أو هدف وله معنى، وباختصار فإن فيبر يجعل محور علم الاجتماع يدور حول تفسير الفعل الاجتماعي، أي الوصول إلى المعنى أو القيمة من وراءه، ويذهب تيماشيف إلى أن فيبر جعل «المهمة المتخصصة لعلم الاجتماع هي تفسير السلوك في ضوء المعنى الذاتي، وأن موضوع دراسة هذا العلم هو الظواهر التي يمكن فهمها فهماً ذاتياً» ولا يعني هذا - كما ذهب تيماشيف - أن علم الاجتماع عند فيبر هو في نهاية الأمر فرع من علم النفس، إذ إن فيبر حاول الوصول إلى "المعنى الذاتي" من خلال عمليات الفهم عن طريق التفحص الوجداني أو النموذج المثالي. (بيومي، 2000، 164)

والحق أن هذا يتفق مع اهتمام فيبر بمناهج البحث السوسيولوجي؛ لأنه يرى من الصعوبة وضع منهج عام يخدم أغراض الدراسة الاجتماعية، ويصلح أساساً للنظرية الاجتماعية في مختلف الميادين، ذلك لأن العلوم الاجتماعية تختلف عن العلوم الطبيعية في درجة الدقة والضبط وذلك لأن العلوم الاجتماعية عرضة لتدخل إرادة الإنسان وخاضعة لمشاعره.

درس فيبر الأشكال الاجتماعية وردها إلى شكلين أساسيين، وهما: المجتمع العام والمجتمع المحلي، وبالرغم من اعتراف فيبر بأن هذين الشكلين ليس لهما وجود داخلي قائم بذاته، إلا أنهما يعبران عن اتجاهين أو تيارين يسودان الحياة الاجتماعية، وهما:
أ- اتجاه جماعي تسوده أفعال عاطفية ومظاهر سلوك لا شعورية.
ب- اتجاه اجتماعي تسوده أفعال ذات غاية عاقلة ومظاهر السلوك التقديري.

وقد حلل فيبر هذين الشكلين، وناقش الدعائم التي تقوم عليهما والظواهر التي تسودهما، كذلك درس الكثير من الموضوعات الاجتماعية، والسلطة السياسية، والتاريخ الاقتصادي، والتدرج الاجتماعي، والبيروقراطية وغيرها. اهتم فيبر بدراسة:

1- السلوك الغائي 2- السلوك اللا شعوري 3- السلوك العاطفي 4- السلوك التقليدي.

حلل فيبر العلاقات الاجتماعية التي تنشأ عن هذه المظاهر المختلفة، وقرر أنه لا ينبغي أن نوسع من نطاق هذا السلوك، بل يجب أن يكون مقصوراً على العلاقات والروابط الاجتماعية التي تنشأ استجابة لنشاط أو سلوك مقابل، ولذلك فليست كل العلاقات الإنسانية علاقات اجتماعية، وهنا استخدم فيبر نموذجاً مثالياً في تحليل هذه العلاقات حتى نصل إلى مقدماتها الذاتية.

هكذا كان فيبر يؤكد أن علم الاجتماع بالرغم من أن موضوعه يجب أن يكون مقصوداً على دراسة العلاقات الاجتماعية في صورتها المجردة، إلا أن طبيعة هذه الدراسة تقتضي أن يلم الباحث بالعلوم الاجتماعية الأخرى، وهذا ما فعله حين درس العلاقات المتبادلة بين الظواهر الدينية والظواهر الاقتصادية في فترات تاريخية معينة.

ثانياً- مقولة الفهم أداة منهجية لتفسير السلوك:

جعل فيبر محور اهتمام علم الاجتماع يركز على فهم المعنى الذي يعبر عنه الفعل الاجتماعي، ويذهب إلى أن الكائنات البشرية تكون على وعي مباشر وإدراك ببناء الأفعال الإنسانية، ففي دراسة الجماعة الاجتماعية - مثلاً - يمكننا أن نفهم "الأفعال والمقاصد الذاتية للفاعلين الذين يمثلون أعضاء الجماعة" أما في العلوم الطبيعية فلا يمكن فهم الظواهر الطبيعية على هذا النحو، فكل ما يستطيع أن يفعله الباحث هو ملاحظة واستنتاج الانتظام القائم بين الظواهر والحركات الطبيعية.

وفيبر يعرف الفعل أنه سلوك إنساني - ظاهر أو مستتر - يمنحه الفرد الفاعل معنى ذاتياً، وعلم الاجتماع إذن هو العلم الذي يسعى إلى دراسة الفعل الموجه إلى سلوك الآخرين. ويذهب فيبر إلى أن الفهم على مستوى الفاعل الذاتي يمكن التحقق منه في صورتين:

أ- الأولى تتمثل في الفهم الذي يركز على الملاحظة المباشرة للمعنى الذاتي، فنحن نفهم المعنى من استخدام بندقية لصيد حيوان، ونفهم المعنى الذاتي للأفعال غير العقلية التي تصدر عن إنسان غاضب ... إلخ، وهذه المعاني نستطيع أن ندركها، لأننا على وعي وإدراك بالمقاصد الذاتية التي ترتبط بالأفعال المماثلة التي تصدر عنها.

ب- أما الصورة الثانية فهي متمثلة في فهم الدافع أو التسويغ الذي يقدمه الفاعل لسلوكه، وذلك عن طريق ما يسميه فيبر (عملية التفحص الوجداني)

فعن طريق المشاركة التعاطفية يمكننا أن نفهم السياق العاطفي الذي أدى بالفاعل إلى سلك مثل هذا السلوك. أو بعبارة أخرى لفهم الفاعل يجب على الباحث أن يضع الفعل في سياق الدوافع، ويكون فهمه لطبيعة هذا السياق ووضع الفعل داخله بمنزلة تفسير للمجرى الحقيقي للسلوك، وتحليل السلوك وفهم المعنى الذي وراءه يمكننا تخيل الانفعالات التي تظهر بين الناس حين يتعرضون لموقف محدد أو حادث معين، وعلينا أن نتخيل الدافع الذي يكمن وراء الفعل الصادر عن الشخص أو الجماعة، أو علينا بعد ذلك أن نكشف ونحدد غايات الفعل التي ستكشف بدورها عن أن حالة الشعور التي نصف على أساسها فعلاً معيناً تخضع لتوجيه الشعور الذي يفترض ظهوره بظهور موقف محدد أو حدوث حادث معين. وغالباً ما تثار مشكلة مضمونها كيف ربط فيبر بين السببية والمعنى؟ (بيومي، 2000، 166)

يقرر فيبر أن التفسير السببي للفعل النموذجي يعني أن العملية التي يصل بها الفعل إلى مرحلة النموذجية يجب أن تكون ملائمة لمستوى المعنى، في الوقت الذي يكون فيه التفسير ملائماً من الناحية السببية إلى حد ما. فإذا كانت الملاءمة لمستوى المعنى غير متوفرة، فكيف نحدد بطريقة رقمية الدرجة العالية من الانتظام، فضلاً عن درجة الاحتمال. فالملاءمة إذن ستمثل احتمالاً إحصائياً غير محدد يصعب فهمه. فمن الصعب إذن الحصول على تفسير سببي، وذلك إما بسبب صعوبة توافر تفسيرات ذات معنى وإما بسبب أن الفاعل قد لا يكون على وعي كامل ببعض ضروب السلوك، كما أن هناك أنواعاً أخرى من السلوك يصبح الفرد فيها عاجزاً عن إدراك المعنى ذاته، وخاصة في أنواع السلوك التقليدية، أي التي تخضع للعرف والعادات الاجتماعية، أو السلوك الوجداني الذي يخضع للانفعالات الشخصية.

ثالثاً- النموذج المثالي :

يذهب فيبر إلى أن هناك أنواعاً أخرى من الأفعال والعلاقات الاجتماعية التي لا يمكن التوصل إليها عن طريق المشاركة أو التفحص الوجداني، ولهذا يقتضي دراسة هذه الأنواع من الأفعال والعلاقات بوجود أداة منهجية أطلق عليها فيبر (النموذج المثالي) أو (النموذج الخالص).

يعرف فيبر النموذج المثالي أو الخالص أنه تصور عقلي يتشكل من خلال ظهور أو وضوح سمة أو أكثر من صفات وخصائص الأشياء أو الظواهر في مواضع الملاحظة في الحياة الواقعية. أي أن هذا الشكل النموذجي المتصور - والذي يطلق عليه المثالي - هو تصور عقلي قد لا نجد له مثيلاً في الواقع، فالظاهرة التي نضعها في مخيلتنا قد لا يوجد لها نظير فعلي في الحياة. كذلك فإن النموذج المثالي ليس غرضاً، إنما هو أداة أو وسيلة لتحليل الأحداث التاريخية الملموسة والمواقف، وهذا يقتضي أن يكون النموذج المثالي محدداً حتى يمكننا أن نقارن به المواقف الواقعية في الحياة أو الأفعال التي تدرس.

وقد أعطانا فيبر أمثلة تطبيقية للنموذج المثالي واستعمالاته، وفي هذا المجال صاغ نموذجاً خالصاً أو مثالياً للفعل العقلي واللاعقلي، والسلوك غير العقلي.

وعلى أية حال فإن من الملاحظ أن فيبر يشيد نماذجه باتباع المثالية عن طريق عملية استقرائية جامدة، ولكنه كان يجمع خصائصها المتميزة باتباع استقراء مرن يركز على دراسة مستفيضة للبيانات، ثم يلجأ بعد ذلك إلى اختبار السمات التي تتضمن النماذج المثالية.

وقدم لنا فيبر مجموعة من تعريفات النماذج المثالية، من أهمها:

أ- العلاقة الاجتماعية، التي تمثل سلوكاً يصدر عن مجموعة من الفاعلين إلى المدى الذي يكون كل فعل من الأفعال قد أخذ في اعتباره المعاني التي تنطوي عليها أفعال الآخرين.

ب- الجماعة المنظمة: تمثل علاقة اجتماعية من خلالها يقوم أفراد معينون بمهمة تدعيم النظام في الجماعة. ويطلق على الجماعة المنظمة التي يحكمها نظام معين يمتد فقط بحدودها الإقليمية الشرعية مصطلح (الجماعة الإقليمية المنظمة)، ولكي يخضع أعضاء الجماعة المنظمة إلى ممارسة شرعية تركز على ضبط ملزم يطلق على هذه الجماعة مصطلح (الجماعة التي تستند إلى ضبط ملزم). ويطلق على هذه الجماعة مصطلح (الجماعة السياسية) إذا ما قام جهازها الإداري بتدعيم النظام داخل منطقة إقليمية معينة. وتصبح الجماعة السياسية فعالة إذا ما تمكن جهازها الإداري من احتكار الاستخدام الشرعي للعقاب في تدعيم النظام.

رابعاً- أنواع السلطة:

ومن النماذج الشهيرة التي أقامها فيبر الأنواع الثلاثة للسلطة، فيذهب إلى أن هناك ثلاثة أنماط من السلطة الشرعية، أي أن لكل منها نوعاً معيناً من الادعاء بالشرعية:

أ- النوع الأول: هو الذي أسماه بالسلطة العقلانية، ويكون الاعتماد في هذا النوع من السلطة على قواعد معينة يعتقد بها الأفراد. والذي يأتي إلى السلطة استناداً إلى هذه القواعد هو الذي يملك الشرعية في الحكم، وقد تتمثل هذه القواعد بنصوص دستور أو قواعد معينة شرعية يؤمن بها الأفراد. والذي يصل إلى السلطة عن طريق هذه القواعد هو الذي تكون سلطته شرعية، ويذهب فيبر إلى أن السلطة في المجتمع الغربي قائمة على أساس الاقتراب من النموذج العقلي.

ب- أما النوع الثاني: فيسميه فيبر بالسلطة الكارزمية، ويعني بها تلك الخصائص غير الطبيعية أو الخارقة التي يحصل وجودها عند فرد ما، سواء كانت هذه الصفات حقيقية أو وهمية. فالسلطة الكارزمية تقوم على أساس وجود شخص يمتلك صفات معينة يعتقد بها الأفراد المحكومين، أي أن الأفراد المحكومين يخضعون لهذا الشخص على أساس اعتقادهم بصفاته الخارقة وقدراته الشخصية، فهناك حيث يوجد ولاء مطلق لقدسية معينة استثنائية لشخص ما.

وقد تكون هذه الصفات روحية أو عسكرية أو علمية أو فنية إلخ أي أن الكارزما هي صفات خارقة يتصف بها شخص ما في أي مجال من مجالات الحياة، والأمثلة التي يقودها فيبر تمثل هذا النوع من السلطة وتشمل الأنبياء والقادة المشهورين، والزعماء السياسيين الناجحين، ويوضح فيبر أنه لما كان هذا النوع من السلطة لا يستند إلى قواعد متفق عليها سواء عن طريق عقلائي أم طريق تقليدي، وإنما يستند على الزعامة المطلقة وصفات الحاكم الخارقة؛ لذا كان هذا النوع من السلطة لا يتسم بالعقلانية، ومن ثم فإن شرعيتها متوقفة على استمرارية وجود هذه الصفات الخارقة، وإلا انهار النظام.

ج- النوع الثالث: هو السلطة التقليدية، وهي التي تركز على اعتقاد قدسية التقاليد وشرعية المكانة التي يحتلها أولئك الذين يشغلون الأوضاع الاجتماعية الممثلة للسلطة المستندة إلى التقاليد. فالسلطة الأبوية وسلطة رئيس القبيلة وسلطة الأمير أو الملك على أفراد شعبه تمثل أنواعاً مختلفة للسلطة التقليدية، إذ إن الأساس الذي تستند إليه هذه السلطة هو اعتقاد الأفراد بوجود قواعد معينة لها قدسية أو قوة سحرية معينة، يتعرض المخالف لها لعقاب دنيوي أو روحي.

على أية حال، فمن الملاحظ أن هذه النماذج الثلاثة لا تعني عدم إمكانية ظهور أنماط أخرى للسلطة الشرعية. فقد أقر فيبر هذه الإمكانية، لكنه أراد من هذه النماذج

الثلاثة أن يصوغ بعض النماذج السوسيولوجية المهمة ... ومن ثم كانت هذه النماذج الثلاثة للسلطة ما هي إلا بناءات عقلية، ومن الممكن أن تتضمن بعض أنساق السلطة السياسية أكثر من نمط من أنماط السلطة التي حددها فير.

خامساً- البيروقراطية:

ينظر فير إلى البيروقراطية بما تتميز به من صورية وتسلسل رئاسي وتقنين، وبوصفها شكلاً من أشكال التنظيم الاجتماعي يرتبط باقتصاد النقود والعقلانية اللذين يسودان العالم الحديث.

وقد حلل فير صفات البيروقراطية الحديثة وكيفية عمل الأجهزة الرسمية على النحو

التالي:

1- هناك مجالات محددة لعمل الجهاز البيروقراطي، وهذه المجالات تحدد وتعرف بواسطة قواعد مقننة أو منصوص عليها بالقوانين والتعليمات الإدارية.

أ. الفعاليات الاعتيادية التي تتطلبها أهداف المؤسسة، تحدد وتوزع بشكل قاطع وثابت على أنها فعاليات رسمية.

ب. صلاحيات توجيه الأوامر لغرض القيام بالواجبات الرسمية، وتوزع أيضاً بشكل مستقر ومحدد بقواعد معينة، وتحدد المواقف التي يمكن فيها استعمال القوة أو الإجراءات الانضباطية.

ج. تهيئة الظروف الميسرة لاستمرارية القيام بالواجبات المعينة، وبالحقوق المترتبة على القيام بهذه الواجبات. (بيومي، 2000، 111)

على أية حال، كان فير يذهب إلى أن هذه العناصر الثلاثة هي التي تكوّن أو تؤلف السلطة البيروقراطية في مجال الحكومة أو مجال الخدمات العامة، أي أنها تكون في الأعمال الأهلية التجارية والصناعية أسس الإدارة الصناعية والتجارية.

2- هناك تدرج في الوظائف عندما تتدرج المسؤوليات والسلطات، فيتكون نسق منظم من العلاقات العليا والدنيا، ويكون الرئيس هو المشرف على أعمال المرؤوس الأدنى منه في المسؤولية والسلطة. وفي مثل هذا النظام يتمكن المحكومون أو الذين يتعرضون إلى سلطة الموظفين من رفع الشكوى أو استئناف القرارات لدى من هم أعلى مرتبة في التنظيم.

3- إن إدارة أي منظمة حديثة تستند إلى المستندات المكتوبة، والتي تحتوي على الوثائق أو التعليمات المرعية.

4- تعتمد الإدارة على الخبرة والكفاءة وتشغيل المراكز الفنية.

5- إن إدارة أي مؤسسة تستوجب وجود قواعد وتعليمات ثابتة أو مستقرة نوعاً ما، ويسير بمقتضاها كل من يحتل هذا المركز. (بيومي، 2000، 170)

وتذهب الكثرة من الباحثين إلى أن التحليل الذي قدمه فيبر في هذا المجال لازال يوجه الأبحاث الحديثة في مجال البيروقراطية.

سادساً- العلاقة بين القيم الدينية والتغير الاقتصادي:

إن دور القيم الدينية في التغير الاجتماعي أصبح من الناحية السوسيولوجية موضوعاً محاطاً بقدر كبير من التشويه، فمن ناحية اعُتُرف في كل مكان بأن النظم الدينية تعضد الصفوة الحاكمة. ومن ناحية أخرى فإن الجانب الديني للثورات أصبح أمراً ملاحظاً، والمناقشة المستمرة لنظريات التغير الاجتماعي تميل إلى صياغة المشكلة إما في "إطار الصراع" وإما في "الإطار الوظيفي"، وسوف نناقش الآن موقف كل منهما بالتفصيل.

1- التفسير الماركسي للتغير والقيم:

إن تأثير الدين في الاقتصاد والسياسة والأنواع الأخرى من السلوك كان بلا شك موضوعاً مهماً من الموضوعات السوسيولوجية، فمنذ قرن تقريباً اعتقد كارل ماركس أن التغيرات في إنتاج التكنولوجيا مع تغيراتها الملازمة في مجال العلاقات الطبقية تحدد التغيرات في العناصر الأخرى في المجتمع. ويؤكد ماركس أن التغير الاجتماعي يبدأ بصراع جماعات المصلحة، بالرغم من أن قوة الصفوة الحالية تقاوم التغير بمفهومه القيمي، والناس يقبلون بدء التغير عندما يصبحون واعين بأن مصالحهم الخاصة قد ارتبطت بتغير بناء النظام الاجتماعي نفسه. (بيومي، 2000، 171)

ويذهب ماركس إلى أن كل القيم النظامية ما هي إلا قيم الطبقة الحاكمة. ويرى ماركس أن الاقتصاد والضروريات المادية الأخرى تشكل أو تضع اتجاه الأشكال الاجتماعية الجديدة، فالقيم تستنبط من الاتجاهات الثقافية لتشرع أو تبارك اجتماعياً بالاتجاه الجديد.

على أية حال فإنه يمكننا أن نضع فرض ماركس في المعادلة الآتية:

الإنتاج المادي ← الإنتاج الفكري والاجتماعي.

2- نظرية فيبر في التغير الاجتماعي:

الحقيقة أن أعمال فيبر تقف متناقضة مع نظرية ماركس في التغير الاجتماعي، ولذا فيمكن النظر إلى أعمال فيبر على أنها محاولة لاقتلاع نظرية ماركس المادية الاقتصادية وذلك عن طريق تأكيد أن نسق القيم متغير مستقل في التغير الاجتماعي. فقد رفض فيبر القول بأن القيم والأفكار والدين ما هي إلا انعكاسات لوضع الطبقة، أو أن المصالح الطبقية لا يمكن أن تفهم بعيداً عن مفهوم الطبقة للدين والأيدولوجية ونسقها القيمي، وعلى العكس من ذلك. يذكر فيبر أن القيم، خاصة الدينية، تمارس نوعاً من التأثير المستقل في مجرى التغير الاجتماعي والثقافي. (بيومي، سعيد، 2000، 171)

وبالرغم من أن في نقد فيبر لمحاولة ماركس إنقاصاً لتعدد العوامل العلية إلى عامل واحد وهو المادية الاقتصادية، فإن ذلك لا يعني أن فيبر قد يُفهم على أنه يؤكد حتمية جانب واحد فقط - أعني جانب القيمة، بل على خلاف ذلك، فقد كان فيبر على وعي تام بأثر الأنساق الطبقيّة في الدين والقيم، وقد لاحظ أن كل دين ما هو إلا تعبير عن الطبقة أو المراتب الرئيسية. مثل طبقة رجال الدين في الكونفوشيوسية، وطبقة العلماء في الهندوسية، والبراهما في البوذية، والمخاربون الذين إفتتحوا العالم في الإسلام.... إلخ.

هذه المراتب الرئيسية - كما يذهب فيبر - قد تطبع وتحدد السمات المميزة للقيم الدينية، وخاصة "الأخلاق الاقتصادية" التي تميز الأخلاق الخاصة بدين من الأديان. ولكن فيبر يرى أن الطبيعة الخاصة للدين ليست (وظيفة) لوضع الطبقة المادي أو المصلحة ... وعلى أية حال، فإن الدرجة التي يمكن أن يكون فيها التأثير الاجتماعي قاطعاً "فإن الأخلاق الدينية تأخذ طابعها أساساً من مصادر دينية".

وباختصار، فإن اهتمام فيبر منحصراً في إثبات أن كل نسق قيمي للدين أو الأخلاق مستمد من مصادر دينية بحتة، وليس من اعتبارات اقتصادية أو اجتماعية أو سيكولوجية، ونؤكد مرة أخرى إن فيبر لم يرفض تأثير هذه الظروف في تكوين نسق القيم لأي دين، ولكن لا ينظر إلى هذه العوامل على أنها الدينامية المركزية للتغير الاجتماعي. وواضح أن فيبر بادعائه هذا يعارض النظرية الماركسية القائلة بأن الدين ليس إلا البناء الفوقي الأيدلوجي القائم على ظروف أو أوضاع اقتصادية. والحق أن هذا يوجه مناقشتنا إلى العناصر الرئيسية في نظرية فيبر للتغير الاجتماعي، وهي:

أ- دور الكارزما (القيادة الملهمّة).

ب- دور الدين ونسق القيم بوصفها عاملاً دافعاً للتغير الاجتماعي.

1- الكارزما والتغير الاجتماعي:

خصص فيبر جزءاً كبيراً من أعماله لتوضيح دور الكارزما بوصفها قوة أساسية ودافعة للتغير الاجتماعي ونقطة بداية، ونقول إن فيبر ميز بين ثلاثة أنساق قيمية أو اعتقادات، والتي تحدد بدورها سمات السلطة وشرعية القوة التي تسمح بالتغير.

وأول هذه الأنساق أو الاعتقادات - كما يذهب فيبر - هو السلطة التقليدية التي تأخذ شرعيتها من قدسية التقاليد.... ونسق القيم القائم تحت هذه السلطة التقليدية يمكن أن ينظر إليه على أنه مقدس ودائم ومفهوم. ولهذا فإن قوة الحاكم محكومة بالتقاليد التي تعطيها شرعيتها، بالرغم من أن التغير الاجتماعي يقوض أسس هذا النظام إلا أنه ليس هناك مكان للاختيار أو التغير الاجتماعي.

والقيادة الكارزمية أو الملهمة، كما يذكر فيبر، لها سمتان أساسيتان:

أولاً: فهي دعوة إلى العنصر غير العقلي في الطبيعة الإنسانية، بعبارة أخرى فإن طاعة أتباع القائد الملهم أو تلاميذه نابعة من الحماس، وقائمة على أساس الكرامات التي تثبت الهبة الإلهية له. ولهذا فإن القائد الكارزمي يتطلب ولاء غير مشروط من أتباعه.

ثانياً: تتسم الكارزما بأنها خارجة عن الطبيعة العادية، ولهذا فهي تعارض بشدة كلاً من السلطتين البيروقراطية والتقليدية. ويمكن أن تعرف الكارزما أنها تتسامى بالرتوب العادي، وتضيف قيماً راديكالية للحياة اليومية. هاتان السمتان تجعلان من الكارزما - كما يقول فيبر: "القوة (الثورية) المتميزة في التاريخ".

تأتي الفرصة لظهور الكارزما في حالات الضرورة والظروف القاهرة، ولهذا فإن القائد الكارزمي راديكالي بطبيعته، يحاول تحدي النسق الثابت، وذلك بمعالجة جوهر المشكلة. فالقائد الكارزمي في تأثيره يقود حركة اجتماعية أو دينية جديدة، وغالباً ما يقنع أتباعه بهدف جديد، ومن ثم فإنه عندما تدرك كرزمتة في البناء الاجتماعي وفلسفة القيمة، فإنه من المتوقع أن يتصفا بالثورية. ويؤكد فيبر أنه من أجل تفتيت الوضع الراهن

وخلق نسق قيمي جديد لإحداث التغير المجتمعي، فإن المصلحة المادية لا تكفي في إنشاء أو تفسير ذلك، وما يحتاج إليه - كما يرى فيبر - إنما هو قوة روحية أو كرزمية دينية. وعند بروز الكارزما يكون هناك دعوة لنشر قيم جديدة وإحساس برفض الماضي ووعده وأمل في المستقبل. (بيومي، 2000، 173)

وقد يظهر الكارزما في كل ميادين الحياة الاجتماعية، والدينية، والأخلاقية، والفنية، والعلمية، والسياسية، والأدبية، والعسكرية... إلخ.

ورسالة الكارزما على أية حال - دائماً "قوة ثورية" وذلك نظراً لانشغالها برفض القيم التقليدية والثورة على الرتب الثابت، وبهذا فإن الكارزما تحدث ثورة داخلية، وذلك بإثارة الناس من الداخل وتشكيل الأشياء طبقاً للإرادة الثورية الكرزمية.

وطالما أن الكارزما بطبيعتها صفة استثنائية، إذ لا يمكن تعليمها أو نقلها، فإن سلطتها تصبح مصدراً لصعوبات. أعني - كيف يمكن لمثل هذه السلطة أن تستمر إذا ما اختفى قائدها الكرزمي؟ يذهب فيبر إلى أن هذه السلطة تعين لها فرداً آخر، وذلك بوسائل متنوعة مثل التمتع بصفات معينة، والثورة، ويعين خليفة عن القائد الأصلي، ويعين من التلاميذ أو الورثة، وهذا ما يسميه فيبر "بتعاقب الكارزما".

ولما كانت الكارزما تقف معارضة للنظام التقليدي والبيروقراطي، فإن الترشد - النموذج الثالث للسلطة - ليس أقل من كونه قوة ثورية من الكارزما، وبالرغم من أن هذه القوة العقلية تشارك إلى حد كبير مفهوم الكارزما في خصائصه، إلا أن هذا لا يعني أن العقلانية، استمرار للكارزما، وفي الحقيقة ينظر فيبر إلى العقلانية في عدة أشكال مختلفة، وأنها ليست غائية بصورة كلية من أي نموذج من السلطة "حقيقة الكارزما أنها عندما تحتك بالنظم الثابتة للمجتمع تعطي قوة للتقاليد أو التنشئة الاجتماعية" وعندما تحقق في مساهمة التغير أو تفتيت النظام القائم تفقد "سمتها الطارئة" أو تفقد عصبها.

ولهذا يبرز الترشيح استجابة للمشكلات داخل النظام الكارزمي القائم، ويتحدد مع النسق القيمي المؤسس عليه، وهذا الاندماج هو ما يسميه فيبر "تحول الكارزما". وما يجب التركيز عليه هنا، هو أنه عن طريق توجيه كل الاتجاهات بصورة شاملة، وكذلك كل جوانب الحياة، يغير القائد الملهم المجتمع من الداخل، ويحقق نفاذه إلى النظام القائم بعد أن يكون قد تعرف تماماً إلى كل الإمكانيات أو الاحتمالات المتاحة في النسق الاجتماعي.

هذا النوع من التغيير الاجتماعي - كما يذهب فيبر - متصل بالقائد الملهم والتزامه الذي له مفهوم أخلاقي.

والكارزما في أحلّ صورها - كما يرى فيبر - عندما تكون دعوة إلى الالتزام بقيم جديدة وتحديث النسق الاجتماعي من خلال القيم،

ب- القيم الدينية والتغيير الاجتماعي: نظرية الأخلاق البروتستانتية:

لا جدال في أن كتاب الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية لفيبر له مقام الصدارة في علم اجتماع القيم، فقد اهتم فيبر بوصف نسق جديد من القيم (الأخلاق البروتستانتية)، وكان فعالاً في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكيف أن هذه القيم قد شكلت نسقاً اجتماعياً جديداً (الرأسمالية الحديثة).

ففي هذا الكتاب حاول فيبر أن يبين كيف أن القيم الدينية تدعم شكلاً من الفعل الاقتصادي.

وفي هذا الكتاب - كما هو الحال في كتاباته المتأخرة - يعطي فيبر اهتماماً للدين، ليس على أنه لاهوت، ولكن على أساس أنه مصدر للقيم ونسق للدافعية.

ويرى فيبر أن القيم تتحول في الحياة اليومية إلى موجه للحياة طبقاً للمثل الدينية، ومن هذه القيم الدينية والاتجاهات تنمو الحركات الدينية قوة ثورية، ويحدث التغيير

الاجتماعي، والحق أن فيبر ينظر إلى الحركات الدينية على أنها قوى دينامية ثورية في التاريخ.

ويعد فيبر المتطهرين أفضل مثال لحركة دينية غيرت العالم، وفي كتابه (الأخلاق البروتستانتية) - وكذلك الأعمال الأخرى - حاول اختبار القيم الدينية والنتائج السوسيواقتصادية لبعض الحركات الدينية الأخرى، ولكنه وجد أن لا أحد من هذه الطرق قد "أثر في مجرى التاريخ".

على أية حال، فإن فيبر قد طور تحليلاً شاملاً للطرق التي من خلالها أثرت أنساق القيم في شخصية الفرد من ناحية، وفي البناء الاجتماعي من ناحية أخرى.

والنظرية السوسيولوجية التي وضعها فيبر في كتابه (الأخلاق البروتستانتية) بدأت من هذا السؤال: هل القيم الدينية للإصلاح البروتستانتي، وخاصة الاتجاه الكالفاني، لها تأثير مباشر في تطور الرأسمالية الحديثة؟ الحق أن هذا الفرض السوسيولوجي أصبح نقطة مركزية لمناقشة علمية بين علماء الاجتماع والمؤرخين الاقتصاديين وكذلك اللاهوتيين.

وفي هذا الكتاب اعترف فيبر بفضل سمارت الذي أكد في دراسته عن الرأسمالية الحديثة على أهمية ما أسماه "روح الرأسمالية" بوصفها قوة مساعدة في تطور الرأسمالية الحديثة، وقد أقر فيبر بأن هناك نماذج من الرأسمالية وجدت قبل الرأسمالية الحديثة (ولكن كانت هناك روح معينة مفقودة). (بيومي، 2000، 175)

واهتمام فيبر الأساسي ليس في تطور النشاط الرأسمالي في مختلف الثقافات، ولكن في "أصل البرجوازية الرأسمالية الرشيدة، مع تنظيمها العقلاني للعمل الحر" فمهمة فيبر إذن كانت في البحث عن "أصل" أو مصدر هذه الروح، ويذهب فيبر إلى أن هذه "الروح" قد ظهرت من نتائج الأخلاق الكالفينية، ويجب أن نشير هنا إلى أن فيبر كان مهتماً بتحليل واحد من العناصر العديدة لهذا النسق الذي انبثقت منه الروح الرأسمالية،

ولم يفعل فيبر أكثر من أنه بين كيف أن القيم الدينية الكاليفينية أدت إلى تطور روح جديدة، وبهذا سهلت ظهور المجتمع الرأسمالي الحديث. وعلى أية حال، يعد هذا الفرض تحدياً لنظرية ماركس القائلة بأن العوامل الاقتصادية تحدد الشكل الذي تكتسبه الظواهر الأخرى، فالعوامل الاقتصادية - عند فيبر - ما هي إلا نتاج للروح الدينية.

وقد استخدم فيبر التاريخ لبيان أن الحياة الاجتماعية والاقتصادية محددة بدرجة قاطعة بالعناصر القيمية في تطورها التاريخي. وفي محاولة لإثبات ذلك قام فيبر بملاحظات أساسية تاريخية وإحصائية، وقد تبين أن الطبقات التجارية الكبرى للبرجوازية كثيرة في البروتستانتية، فجزء كبير من رجال الصناعة والتجارة ورجال الأعمال والفنيين والمتخصصين من البروتستانت أكثر عدداً من الكاثوليك يميلون دائماً إلى الصناعات اليدوية، وقد لاحظ فيبر أن بعض هذه الطبقات في القرنين السادس عشر والسابع عشر كثيرة بين البروتستانت، ولكنها شائعة بين الكنائس البروتستانتية والكاليفينية في فرنسا، وبين التجار والهولنديين والمتطهرين في إنكلترا.

ولكن، هل هذا مجرد مصادفة تاريخية؟ أو أن هناك اتصالاً عضوياً داخلياً بين انتشار الكاليفينية وظهور الرأسمالية الحديثة؟

وللإجابة عن هذه الحقيقة الإحصائية فحص فيبر العلاقة بين الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية فوجد أن الرأسمالية الحديثة تتميز بالترشيد، لاحظ أن هناك اتجاهاً ترشيدياً في المجتمع الشرقي قبل عصر الإصلاح المسيحي، ولكن الشرق - كما يدعي فيبر - يفتقد "منهج التجريب" الذي هو من إنتاج النهضة، ومثال ذلك المعمل الحديث.

هذه الأخلاق قد أفضت إلى نوع معين من الأخلاق الاقتصادية التي وجدت بعد عصر الإصلاح الديني في أوروبا. وهذه الأخلاق تطلبت تسخير الشخص كلياً

لواجباته البيروقراطية التي تشتمل على العمل الشاق الأمين، وتتطلب حياة فيها إنكار الذات والبساطة. وهذه الأخلاق الخاصة بتكوين الشخص للواجب الديني الذي يتطلبه الدين هي ما أسماه فيبر "الزهد الدنيوي"، وهي - كما لاحظ فيبر - فيها معارضة للأخلاق الاقتصادية التقليدية (الأعمال الخيرة بمفهوم المراقبات الدينية والتقوى) التي كانت مسيطرة وسائدة في البلاد المسيحية قبل الإصلاح، والتي ظلت مستمرة في البلاد الكاثوليكية. هذه الأخلاق الجديدة أدت إلى ظهور الروح الجديدة للرأسمالية، أي الغاية القصوى للنشاط الوظيفي في الرغبة الشديدة في استثمار الثروة من أجل إنتاجية أكثر. (بيومي، 2000، 177)

هذا هو هدف كتاب فيبر "الأخلاق البروتستانتية" ففيه يبين أن الرأسمالية الحديثة ما هي إلا ماثلة أو صورة للقيم الكاليفنية التي ينظر فيها إلى العمل على أنه كفاية روحية لا وسيلة اقتصادية. والسبب في هذا التحول في النظرة إلى العمل راجع - كما يذهب فيبر - إلى حقيقة أن نجاح الشخص في تحقيقه الواجب الديني، كان ينظر إليه على أنه علاقة تبين الرضا الإلهي، وكذا فهو دليل على أن الشخص مختار من بين الذين سوف ينجون من العذاب يوم القيامة. ثم وصف فيبر هذا الاتجاه الجديد بين البروتستانتين الأوائل على أنه:

"النظر إلى إتمام واجب الفرد نحو الشؤون الدينية بوصفه أعلى صورة من النشاط الأخلاقي الذي قد يستطيع الفرد أن يحققه. وهذا يعطى كل يوم تأكيداً على أن النشاط الدنيوي له أهمية دينية".

ونتيجة لهذه الأخلاق فإن الكدح الدنيوي "نوعاً من الشعائر الدينية" لأي فرد من جماعة المتطهرين.

سابعاً- تقويم لإسهامات ماكس فيبر :

بعد استعراضنا لآراء ماكس فيبر، نوّد أن نشير إلى بعض أوجه النقد التي وجهت إلى آراء فيبر، ويمكن حصر هذه الانتقادات في الآتي:

بالرغم من أن فيبر قد أكد على اهتمامه بروح الرأسمالية الحديثة خاصة، إلا أن بعض الباحثين حاولوا إثبات أن الرأسمالية أقدم في وجودها من البروتستانتية، ففي عام 1908م - على سبيل المثال - هاجم F.Rachfall فرض فيبر، وادعى أن الرأسمالية أقدم بكثير من البروتستانتية، وأن هناك عوامل أخرى أكثر أهمية من البروتستانتية، وأن هذه العوامل هي التي أدت إلى نمو وتطور الرأسمالية الحديثة ومنذ ذلك الوقت يستخدم هذا الخط من الهجوم من علماء آخرين.

وللرد على هذا الانتقاد يمكن القول بسهولة إن فيبر لم يكن مهتماً أساساً بالرأسمالية، ولكن بنوع خاص من الأخلاق الاقتصادية التي انتشرت في العالم الغربي بعد الإصلاح. وكما أشار بارسونز (1902-1979) فإن فيبر قد استخدم كلمة (الرأسمالية) بطريقتين مختلفتين: هما الرأسمالية في عمومها، والرأسمالية الحديثة، ولقد كان فيبر داعياً إلى أن هناك أشكالاً من الرأسمالية كانت موجودة قبل ظهور الإصلاح الديني في مختلف الثقافات، ولكن الاختلاف - كما لاحظ فيبر - في أن هذه الثقافات تجاوزت تماماً هذه الأنشطة، وحرمت كثيراً من الممارسات التجارية. وأكثر من ذلك، فإن هذه الثقافات كانت تفتقد الأخلاق أو القيم التي تتطلبها روح الرأسمالية الحديثة.

وهكذا، فإن فيبر عندما اقترح بأن البروتستانتية قد ساعدت على ظهور الرأسمالية الحديثة كان يقصد أنها برزت من الكالفنية مجموعة القيم الجديدة فقط. وهذه القيم - أو الأخلاق كما يسميها فيبر - نشطت ودفعت الناس في تلك الفترة التاريخية إلى نوع خاص من الفعل الاقتصادي، أعني الرأسمالية، ولهذا فإن مهمة فيبر كانت تحليل هذه القيم ومعرفة كيف ساعدت ويسرت ظهور هذه الروح الخاصة بالرأسمالية الحديثة. وأوضح

أن نقاده لم يدركوا المشكلة، فبينما كان يتحدث عن روح الرأسمالية الحديثة كان نقاده يناقشون أصل الرأسمالية في عموميتها، وبينما كان يحلل البروتستانتية بوصفها نسقاً قيمياً جديداً ونسقاً دافعيّاً سيكولوجياً نظر نقاده إلى البروتستانتية على أنها لاهوت ديني، وقارنوها بالعقائد الكاثوليكية.

وعلى الرغم مما قيل حول فيبر فإن إسهاماته في علم الاجتماع ستظل خالدة، وله وزنه لا على مستوى البلد الذي ظهر فيه فحسب بل على مستوى العالم.

Ward (1841 – 1913):

العلامة ليستر وارد من الرعيل الأول من علماء الاجتماع الأمريكيين، ويعد من البارزين الذين دعموا تأسيس وانتشار علم الاجتماع في أمريكا. ومن أهم مؤلفاته:

- Dynamic Sociology, 1883 علم الاجتماع الدينامي.
- Pure Sociology وعلم الاجتماع الخالص. Applied Sociology وعلم الاجتماع التطبيقي.
- Psychological Factors in Civilization. العوامل السيكولوجية في المدنية.

أهم نظرياته:

أولاً- يرى أن علم الاجتماع يدرس أعمال الناس، لا ماهيتهم أو طبيعتهم، ويدرس أيضاً الوظائف والأنشطة لا البناء الفسيولوجي. ويقسم علم الاجتماع قسمين:

أ- علم الاجتماع النظري:

يدرس الحياة الاجتماعية في حالة الاستقرار وحالة التطور. ويدرس أيضاً نشأة الحياة الاجتماعية والعوامل التي تؤثر في تلك النشأة، ويرى أن تلك القوى والعوامل يمكن

تقسيمها إلى مجموعتين: الأولى القوى المادية الطبيعية، وهي التي تهدف إلى المحافظة على الكائن الحي، مثل الأجهزة العضوية والغرائز والتنظيم العصبي. وأما المجموعة الثانية فهي القوى الاجتماعية والأخلاقية، أي النظم الاجتماعية.

ب- علم الاجتماع التطبيقي:

يدرس كيفية تطبيق مبادئ علم الاجتماع، ويهدف إلى تعجيل التغير الاجتماعي ليحقق التقدم الاجتماعي، ويؤكد وارد أن علم الاجتماع التطبيقي لا يقوم بالإصلاح الاجتماعي وتطبيق مبادئ علم الاجتماع، وإنما يبين كيفية التطبيق فقط على أن تقوم فنون الإصلاح الاجتماعي والتخطيط الاجتماعي وغيرها بالتطبيق العملي، ويفرق بين التغير الاجتماعي الطبيعي - أو التلقائي ويسمي ذلك التطور الاجتماعي - والتغير الاجتماعي المقصود ويسميه الإصلاح الاجتماعي، ويرى أن التطور يسير عشوائياً وبصورة عمياء، أي قد يؤدي إلى التقدم وقد يؤدي إلى نكسة وتخلف، أما الإصلاح الاجتماعي فهو تغير اجتماعي هادف يؤدي إلى التقدم الاجتماعي، ويخضع للإرادة والمنطق الإنساني.

ثانياً- درس وارد تطور الإنسانية، وهنا يقترب من فلاسفة التاريخ ويرى أن الإنسانية في تطورها تمر بأربع مراحل، وتمثل المرحلة الرابعة الحالة المستقبلية التي ستصل إليها الإنسانية في المستقبل. هذه المراحل هي المرحلة الفردية، والمرحلة الجماعية، والمرحلة القومية والمرحلة العالمية، وفيما يأتي فكرة عن خصائص تلك المراحل:

(1) المرحلة الفردية:

يرى أن الإنسان عاش فيها منعزلاً، ولذلك كان ضعيفاً في تلك المرحلة، تعرض لكثير من الأخطار، وخاصة العواصف والفيضانات والحيوانات المفترسة. ثم اضطر

الإنسان إلى التجمع في جماعات صغيرة لكي يحمي نفسه من الشرور المحيطة. نلاحظ هنا اتفاقه مع الفيلسوف الإنكليزي تومس هوبز، ومعارضته لمعظم علماء الاجتماع الذين يرفضون الحالة الفطرية والانعزالية للإنسان الأول.

(2) المرحلة الجماعية:

هنا ظهرت المعاشر والعشائر والقبائل وسيطرة الدوافع الغيرية، وأصبح الإنسان يشعر بقوة انتمائه للجماعة، وباستعداده للتضحية في سبيل المجموعة، وتتميز تلك المرحلة بصغر التكتلات الاجتماعية، وبقوة المشاعر القبائلية، وبكثرة الحروب بين تلك المجتمعات الفردية.

(3) المرحلة القومية:

وتبدأ بظهور مجتمع المدنية واستقرار الحياة الاجتماعية وتقدمها، وظهور الأمم التي تقوم على أساس المشاعر القومية، ولكن لا يعني ذلك الاستقرار والسلام الدائم بين الأمم؛ وذلك لأن الكثير من الأمم تدفعها الرغبة في السيطرة والتوسع الإقليمي والاستعمار الاقتصادي وتحقيق الثروة والقوة إلى شن الحروب المدمرة على الأمم الأخرى، وهذا هو العصر الذي عاش فيه العلامة "وارد" أي: أوائل القرن العشرين.

(4) المرحلة العالمية:

وهي المرحلة المستقبلية، وفيها تضعف النزعات القومية والعنصرية، وتختفي الحروب بين الأمم، وتحدث تطورات من شأنها انتشار ثقافة عالمية، مما يساعد على التقارب بين اللغات المختلفة والقيم والعادات، وهكذا تنصهر النظم الاجتماعية المختلفة في بؤققة عالمية، ويقوم بتنظيم العلاقات بين الدول هيئة عالمية تحافظ على القيم الإنسانية من سلام وحقوق وعدالة ويتحقق تقدم الإنسانية. (الجهري، 1991، 156).

ثالثاً- يحدد "وارد" أربعة قوانين اجتماعية تفسر التفاعل والحركة الاجتماعية وما يترتب عليها من تغير أو تطور اجتماعي. هذه القوانين الاجتماعية هي:

(أ) قانون "تباين الإمكانيات" Difference of Potential

ويقصد بذلك القانون أن الحياة الاجتماعية - أو المجتمع وما يمكن أن يحدث فيه من أنشطة وإمكانيات - لا بد أن تخضع لقانون التباين والاختلاف.

إذن لا يمكن أن نتصور مجتمعاً يكون فيه جميع الأعضاء متشابهين، وأن تكون فيه جميع العلاقات الاجتماعية الممكن حدوثها وجميع الأنشطة الاجتماعية المحتملة في حالة تشابه تام؛ إذ لا بد أن يكون هناك اختلاف بل تعارض وتنافر يترتب على ذلك ضرورة وجود هيئة تنظيمية تمنع ما يمكن أن يترتب على ذلك التباين والتناقض من آثار سلبية مثل الفوضى والصراع والحروب، ويعود فيقرر أن ذلك التباين والاختلاف هو الأساس في ظهور الأفكار الجديدة؛ لأن التفاعل الاجتماعي لا يمكن أن يحدث إلا بين عناصر مختلفة، شأنه في ذلك شأن التفاعل الكيميائي الذي لا يحدث إلا في حالة وجود عناصر كيميائية متعارضة ومختلفة، وهنا يبدأ القانون الثاني في العمل.

(ب) قانون الاختراع: Law of Lanovation

يترتب على التفاعل الاجتماعي بين أعضاء المجتمع الواحد احتكاك العقول وتبادل الخبرات والأفكار وظهور الحاجات الجديدة، مما يدفع الإنسان إلى اختراع الأفكار الجديدة وما يترتب عليها من أفعال وأدوات وآلات وفنون وقيم، وهكذا يتطور المجتمع الإنساني ولا يستقر على حالة واحدة.

(ج) قانون الجهد البناء: Law of Connation

يستخدم الإنسان طاقته وجهده في أنشطة وأعمال تؤدي إلى الحفاظ على كيانه، والدفاع عن وجوده واستمراره في الوجود عن طريق التناسل، وبذل الجهد ذلك بغرض التكيف مع البيئة والتغلب على المصاعب التي تقابله، وهكذا فهناك قانون غريزي

واجتماعي يؤدي إلى بذل طاقة الإنسان في مجهودات بناءة وليس في أعمال مدمرة، ولكن هذا لا يمنع من وجود حالات يحدث فيها هدم، ولكن الطابع الغالب على الجهد الإنساني هو البناء والتقدم الاجتماعي وتحقيق السعادة.

(د) قانون الغائية الاجتماعية: Law of Social Teleology

يرى "وارد" أن الإنسان بطبيعته أناني يميل لتحقيق رغباته الفردية وشهواته ومصالحه الخاصة، ولذلك عاش منعزلاً في أول حياته، ولم يتجه لحياة الجماعة المنظمة إلا عندما اضطر إلى ذلك. ولكنه يرى أن هناك قانوناً آخر يقوم بوظيفة توجيهية وتنظيمية للرغبات والمصالح الفردية، وهو قانون الغائية الاجتماعية، فمن طبيعة التفاعل الاجتماعي أن يوجه الرغبات الفردية التي تحقق الصالح العام والغايات الاجتماعية التي تعود بالنفع على المجتمع، وليس لفرد واحد بذاته. (الجوهري، 1991، 158). إن هذا القانون الاجتماعي هو بمنزلة القالب السوي الذي يجب أن تتشكل فيه الرغبات الفردية وإلا تحول المجتمع إلى فئات متنازعة وتسود الفوضى ويعم الخراب، وتعود شريعة الغاب، إلى الظهور ولكن ما هي الهيئة التي يجب أن تحدد الغايات الاجتماعية وتنظم توجيه الجهود الفردية نحو تحقيقها؟ يجيب "وارد" بأن يقوم المجتمع بحكم نفسه، وبهذا ينادي بالديمقراطية المباشرة، ذلك النظام اليوناني المثالي الذي يقوم على أساس حكم الشعب بالشعب، ولكنه يضع مصطلحاً جديداً لذلك النظام، وهو مصطلح «حكم المجتمع Sociocracy» وأساس هذا الحكم هو أن يخضع كل فرد لنظام المجتمع وأهدافه وهي الغائية الاجتماعية.

رابعاً- يشتهر العلامة "وارد" بنظرية تحديد "مصدر الحركة" ما هو العامل الذي يدفع الإنسان للحركة ومن ثم للتفاعل الاجتماعي؟ بينما يحدد علماء الحياة هذا المصدر بالطاقة فإن العلامة "وارد" يحددها بالرغبة، فالرغبة هي المصدر الجوهري لجميع الحركات والأفعال الإنسانية ويجب هنا ملاحظة عدم تعارض بين التفسيرين، فبينما يحلل علماء

الحياة مصدر الحركة من زاوية بيولوجية صرفة، وهي عملية احتراق المواد الغذائية التي تتولد منها الطاقة، والطاقة ما هي إلا الحركة؛ فإن العلامة "وارد" يبدأ عندما ينتهي علماء البيولوجيا، فيبحث عن العامل الموجه للطاقة، وهذا العامل هو الرغبة الإنسانية، وهناك فرق آخر بين التفسيرين السابقين، فبينما يتحدث علماء الحياة عن مصدر الأفعال عند جميع الكائنات الحية، فإن العلامة "وارد" يدرس مصدر الأفعال عند الإنسان فقط، ويحدده بأنه الرغبات Desires، وهو الفرق بين الرغبات والحاجات، ولذلك يستخدم المصطلح السابق للدلالة على الرغبات أو الحاجات أو القوى، ويقسم الرغبات أو الحاجات الإنسانية إلى ثلاث مجموعات، هي:

(أ) حاجات غذائية:

أهم تلك الحاجات هي الرغبة في البحث عن الطعام أو حاجة الإنسان للغذاء، وتسيطر تلك الرغبة على كثير من الأفعال الإنسانية منذ أن وجد الإنسان، وكانت تلك الرغبة مصدر معظم أفعاله في الماضي القديم، وكذلك في المجتمعات البدائية والمتخلفة، فإنه في تلك المجتمعات تدور كل أفعاله وعلاقاته الاجتماعية حول البحث عن الطعام وتوفيره حتى يستطيع البقاء ولا يموت جوعاً. أما اليوم فإن نمو ثقافة الإنسان وتقدمها وظهور الاختراعات وخاصة الزراعة جعلته يوفر الطعام بأقل جهد، وأصبح لديه الوقت والجهد لتحقيق غايات أخرى. ويفسر "وارد" الهجرات القديمة والحروب بين الشعوب القديمة والحديثة أيضاً إلى تلك الحاجة أو الرغبة الأساسية.

ويصل "وارد" إلى استنتاج مهم وهو أن حاجة الإنسان إلى الطعام هي التي دفعته للعمل ويرى أن الإنسان القديم والحديث أيضاً يمتنع عن العمل إذا توفر له الطعام من حوله، وأن الدافع الحقيقي للعمل هو حاجة الإنسان إلى الطعام، فهل الإنسان حقاً يكره العمل بطبيعته أم لا؟ يرى العلامة "فيلين" أن الإنسان لديه دافع فطري أو غريزي يدفعه للعمل والكد بغرض إشباع حوائجه وتحريك أعضائه والقضاء على الملل.

ويرى العلامة "وارد" أن ظهور نظام الملكية كان من أهم عوامل انتشار الشر والحرب والنزاع والتفاوت الطبقي، وهو هنا يتأثر بالفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو (1712-1778)، وترتب على تلك المشكلات ظهور التشريعات والقوانين التي تنظم العلاقات الاقتصادية بين الأغنياء والفقراء، ويُرجع أصل كل هذه التنظيمات إلى «الرغبة في توفير الغذاء»، ويصف هذه القوانين والتشريعات بأنها أساليب للخداع الاجتماعي، ولذلك يعارض التفاوت الطبقي وتركز الثروات في طبقة صغيرة، بينما تعاني الطبقات الضخمة العدد من الفقر والحرمان، ويعارض الرأسمالية والطبقات الاجتماعية التي تمتص دماء الفقراء، ويعارض أيضاً الاشتراكية المتطرفة لأنها تعيد المساواة بصورة صناعية، ويميل إلى الاشتراكية التعاونية والاشتراكية المعتدلة، وينادي بقوة التعاون بين أفراد الطبقة العاملة.

(ب) حاجات إنجائية:

وتتمثل تلك الحاجات في الدوافع الجنسية التي يترتب عليها التناسل واستمرار الجنس البشري، وتوجد تلك الحاجات عند جميع الكائنات الحية عن طريق التكاثُر، وهو هنا يتأثر بالعلامة هيربرت سبنسر، ويشير كذلك إلى الفرق الكبير بين التركيب العضوي للحيوانات الراقية - وعلى رأسها الإنسان - والحيوانات الدنيا، ويشير كذلك إلى الفرق بين الذكر والأنثى في الحيوانات الراقية، وترتب على ذلك الفرق الفسيولوجي في الإنسان فروقاً أخرى في الحياة الاجتماعية، مثل الاختلاف في الملابس والزينة والتربية والحقوق والواجبات، وبالرغم من تقدم بعض المجتمعات الإنسانية إلا أنها لا تخلو من تلك الاختلافات.

وأدت تلك القوى الاجتماعية في نظره إلى ظهور أول صور الحب، وهو الحب الجنسي الغريزي، وتطور بعد ذلك إلى الحب العاطفي الرقيق، ويصل إلى أرقى صوره في

الحب الروحي، وترتب على تلك الحاجات ظهور الكثير من الظواهر الاجتماعية، مثل: نظام الزواج، والنظام القرابي، ونظام الأسرة، ونظام الملبس، ونظام التزين، وأدب الغزل والأغاني العاطفية، وما إلى ذلك.

(ج) حاجات اجتماعية:

وهي الرغبات الأخلاقية والجمالية والعقلية، وتتميز تلك الرغبات أو الحاجات من المجموعتين السابقتين بأنها خاصة بالإنسان فقط، بينما توجد الرغبات الغذائية والإنجابية في صورها الغريزية عند جميع الكائنات الحية، تتمثل الرغبات أو القوى الأخلاقية في العادات والتقاليد والأعراف والقوانين والقيم والفلسفات الإنسانية، وقد حدث تطور في تلك الرغبات على مر العصور وباختلاف المجتمعات، واستطاع الإنسان أن يرتقي بتلك الرغبات الأخلاقية ليصل إلى قيم إنسانية راقية تحقق سعادته (الجوهري، 1991، 161).

(1910 – 1840) summer



بدأ العلامة وليم سمنر حياته العملية بدراسة علوم اللاهوت وعمل بالكنائس واعظاً دينياً، ثم تحول إلى الدراسات الاجتماعية والاقتصادية، واستطاع الوصول إلى درجة الأستاذية بجامعة بيل، وتلمذ على يديه عدد كبير من علماء الاجتماع المعاصرين، واختير في عام 1901م رئيساً للجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع.

ومن أهم مؤلفاته:

- Folkways (الأساليب الشعبية).
- What Social Classes Owe to Each other ماذا تدين بعض الطبقات الاجتماعية لبعضها الآخر.
- The Science of Society (علم المجتمع) كتاب ضخيم في أربعة أجزاء يجمع كل مؤلفاته.

أهم نظرياته الاجتماعية:

1- يعطي أهمية كبرى للزواج المختلط بين العروق المختلفة، ودوره في الإقلال من مظاهر التعصب العنصري القائم على أساس اختلاف العرق واللون، فقد لاحظ أن هناك ازدياداً مطرداً في عدد الزواجات المختلفة بين السود والبيض في البرازيل وجنوب إفريقيا، وكذلك بين الصفر والبيض في الفلبين وجنوب شرق آسيا، ويرى أن هذه الزواجات ساعدت على القضاء على الامتيازات العنصرية والاضطهاد العنصري القائم على أساس العرق، وكذلك القضاء على عمليات الإبادة التي كانت تقوم بها بعض الجماعات البيضاء ضد الشعوب الصفراء والسوداء، هذا إضافة إلى القضاء على الرق والسُّخرة والاستغلال الاقتصادي ومظاهر السيادة التي تمارسها الشعوب البيضاء على الشعوب الصفراء والسوداء.

ويعارض "سمنر" رأي بعض الكتاب الاستعماريين الذين يرون أن انتشار الزواج المختلط بين العروق المختلفة سيؤدي إلى انتصار العرق الأحمق (السود) وإفناء العرق الراقي (الأيض).

وهناك عوامل أخرى أدت دورها، وهي أكثر أهمية من الزواج المختلط، وأهم تلك العوامل الفلسفات الإنسانية، والثورات التحررية، واستقلال الشعوب الإفريقية الآسيوية ونموها الاقتصادي والاجتماعي، هذا إضافة إلى أن حالات الزواج المختلط بين العروق

المختلفة لا تزال قليلة العدد، ولا تزداد بصورة واضحة، ولذلك من الصعب إعطاؤها تلك الأهمية التي حددها العلامة (سمنر).

2- يعد كتابه «الأساليب الشعبية» من أفضل كتب علم الاجتماع التي عالجت موضوع الضبط الاجتماعي، بالرغم من مضي أكثر من قرن على نشر ذلك الكتاب، يحلل "سمنر" فيه نشأة العادات والتقاليد، فيرى أنها بدأت في أول الأمر بصورة تلقائية عملية وسيلة اخترعها الإنسان للتكيف مع البيئة، وكانت تلك القوالب للسلوك تحدث عن طريق التجربة والخطأ، ولا يشعر الأفراد بقوة ضغطها، وإنما كانت على هامش الشعور، أي لا يهتمون بها كثيراً، وذلك في بداية نشأتها، ثم أخذت تتكرر على مر السنين وتنتقل من جيل إلى آخر، وانتقلت من هامش الشعور إلى مركز الشعور، وتسربت إلى عقول الأفراد وقلوبهم، واستقرت في أعماق نفوسهم، هنا تحولت العادات إلى أعراف، أي إلى مبادئ ونظم يتعارفها الناس وينظرون إليها كأمر طبيعية لا بد من احترامها، ومما يساعد على تثبيتها في العقول قيام الأسرة بعملية التنشئة الاجتماعية التي تلقن احترامها، وهناك أجهزة ومؤسسات اجتماعية تقوم بعملية الضبط الاجتماعي، أي المراقبة والإشراف على تطبيق تلك العادات والتقاليد، وإنزال العقاب على كل من تسول له نفسه الخروج عليها، وأهم هذه المؤسسات الأسرة والمؤسسة الدينية وأهل القرية والمدرسة والبوليس والمحاكم، وهنا يفرق «سمنر بين العرف والعادات على أساس أن العرف يتمثل في مجموعة من العقائد أو الأفكار التي يعتقد صحتها مجتمع ما، وأما العادات فهي الترجمة العملية لتلك الأفكار» ويؤكد نسبة الأعراف والتقاليد، أي أن كل مجتمع له تقاليده وأعرافه، ويشير كذلك إلى التطور والتغيير الذي يطرأ على العادات والأعراف، ويبين أثر الاختراعات والاكتشافات في تطوير العادات والتقاليد، ولكن ليس من السهل تغييرها، فإن المثقف قد يكون واثقاً من أن الإسراف في حفل الزفاف لا مسوغ له، ولكن

يضطر إلى الخضوع لذلك التقليد لأنه من تقاليد عائلته، قد يزور أضرحة المشايخ طالباً الشفاء من مرض معين مع أنه واثق من عدم وجود علاقة علمية بين المرض والضريح ولكنه تعود على ذلك منذ الصغر، وتتصل بالعادات والتقاليد والأعراف ظاهرة اجتماعية مهمة، وهي القيم الاجتماعية، ويقصد بها مجموعة الأفكار والمبادئ التي يعتقد صحتها أفراد المجتمع، ويحاولون في أعمالهم أن يقتربوا من تلك المبادئ، ولا بد أن تتسق عاداتهم وتقاليدهم مع قيمهم، بل إن القيم ما هي إلا المبادئ العامة التي يقوم على أساسها كل التنظيم الاجتماعي للمجتمع، ومن ثم العادات والتقاليد والأعراف. وتتغير القيم الاجتماعية ببطء شديد إذا قورنت بالظواهر الاجتماعية الأخرى، إذ إنها في الحقيقة أبطأ النظم الاجتماعية في التغير. (الجهوري، 1991، 164). فمثلاً إذا قلنا إن من أهم قيم المجتمع العربي التدين يعني ذلك أن الأفكار والمظاهر الدينية تسيطر على كثير من تصرفاتنا بنسبة أكبر مما نجدتها في المجتمع الفرنسي مثلاً.

يقسم القيم الاجتماعية إلى ما يأتي:

- أ. قيم بيولوجية خاصة بالجسم، مثل الصحة والقوة والجمال.
- ب. قيم اقتصادية، مثل الغنى والنجاح في الوظيفة والسيطرة والكرم.
- ج. قيم أخلاقية، مثل الشجاعة والشرف والمروءة والتضحية والسعادة.
- د. قيم عقلية، مثل الذكاء والتفوق العلمي والاختراعات والتأمل العقلي، ولا شك أن المجتمعات تختلف في القيم التي تؤمن بها.

3- يعطي "سمنر" أهمية كبيرة للدوافع الفطرية والغرائز في تفسير الظواهر الاجتماعية، وهو يرى تلك الظواهر امتداداً للغرائز، وبعبارة أخرى يمكن اعتبار الغرائز أساساً تقوم عليه الظواهر الاجتماعية. ويقسم الدوافع الفطرية إلى أربع مجموعات: أولاً: الدوافع المتعلقة بإشباع الحاجات الجسمية، وهي المأكل والملبس والمسكن، وثانياً: الحاجة

إلى إشباع الغرائز الجنسية، وثالثاً: الحاجة إلى إشباع حب العظمة والاستعلاء والظهور، ورابعاً: الحاجة إلى التخلص من الخوف. ويمكن تلخيص هذه الدوافع الفطرية في أربع غرائز: غريزة البحث عن الطعام والمأوى، والغريزة الجنسية، وغريزة الاستعلاء، وأخيراً غريزة البحث عن الأمن. وفيما يتعلق بالغريزة الأولى قامت على أساسها ظواهر اجتماعية عدة، منها تقسيم العمل والمهن والفنون والعلوم وبعض الاختراعات، وأما الغريزة الجنسية فهي أساس الزواج ونظام القرابة ونظام الأسرة ونظام العشيرة والأبوة، ويترتب على غريزة الاستعلاء النظام السياسي والتفاوت الطبقي والحروب والاستعمار والاحتكار ونظام الإقطاع والامتيازات والصراع العنصري، وفيما يتعلق بغريزة البحث عن الأمن يترتب عليها عبادة الأزواج وعبادة الأجداد والأديان المختلفة.

4- درس العلامة "سمنر" النظام الطبقي بأسلوب يختلف عن الأسلوب المطبق حالياً، فالיום ننظر إلى الطبقة على أنها جماعة من أفراد المجتمع يتفقون في خصائص اقتصادية واجتماعية معينة، فتجعلهم جماعة متميزة في المجتمع، فإذا كان المجتمع يسمح بوجود حراك اجتماعي، أي انتقال من طبقة إلى أخرى نطلق على تلك الطبقات اسم (الطبقات المفتوحة). أما إذا رفض المجتمع وجود مثل ذلك الحراك الاجتماعي فإننا نطلق عليها مصطلح (الطبقات المغلقة).

وفيما يتعلق بالعلامة "سمنر" تختلف الصورة تماماً، فهو يقسم المجتمع عامة إلى خمس طبقات، وهي طبقات يمكن أن تكون في أي مجتمع، وهي:

1- الطبقة الوسطى: وهي الطبقة التي تقوم بأهم الأعمال، والتي تمثل العمود الفقري، وتزود المجتمع بالمأكل والمشرب والمسكن.

2- الطبقة المتطفلة أو العاطلة: وهي تجمع الأفراد الذين لا ينتجون، ويعيشون عالة على الآخرين، ولكنها مضطرة إلى ذلك، أي أن الظروف فرضت عليها

عدم القدرة على الإسهام في العمل المنتج، وتضم تلك الطبقة الأطفال والمرضى والعجزة والمسنين وأصحاب العاهات والمجانين.

3- الطبقة المثقفة والغنية: وهي طبقة مهمة، ويتمتع أفرادها بمستوى مرتفع من الذكاء، وهي تؤدي دوراً كبيراً في تقدم المجتمع.

4- طبقة العباقة: ويتمتع هؤلاء بعقوبة نادرة، وهؤلاء قلة قليلة في المجتمع، ويصعب الكشف عنها وتوجيهها التوجيه المفيد، ولذلك لا تؤدي دوراً كبيراً في تقدم المجتمع؛ لصغر حجمها، ولابتعاد معظم أفرادها عن مكانهم المناسب، اللهم إلا في الدول المتقدمة التي تبحث عن المواهب منذ الصغر وتنميتها وتوجيهها الوجهة السليمة، وبالتالي يمكن الاستفادة منها.

5- طبقة المنحرفين: وتضم المجرمين والأحداث المنحرفين، ويرى أنها طبقة غير سوية، ولذلك يجب أن تظل قليلة العدد، ويجب أن نبحت عنها باستمرار ونعالج انحرافها؛ وذلك لأن كثرة أفرادها يهدد المجتمع بالانهيار.

(1926 – 1854) Small

يعد من كبار علماء الاجتماع في أمريكا، درس في الجامعات الألمانية وتعرض لجميع فروع علم الاجتماع، واشتهر بكثرة مؤلفاته، وله مؤلفات في علم الاقتصاد، وصل إلى وظيفة رئيس قسم الاجتماع بجامعة شيكاغو.

ومن أهم مؤلفاته:

- Introduction to the Study of Society مقدمة في دراسة المجتمع.
- General Sociology علم الاجتماع العام.

- The Meaning of Social Science معنى العلم الاجتماعي.
- Between Two Eras: from Capitalism to Democracy بين عهدين: من الرأسمالية إلى الديمقراطية.
- Origins of Sociology أصول علم الاجتماع.

أهم نظرياته الاجتماعية:

1- يختلف العلامة سمول عن سابقه من علماء الاجتماع الأمريكيين في عدم الاهتمام بالأساس النفسي للظواهر الاجتماعية، ولذلك لم يحدد الدوافع الفطرية التي تركز عليها النظم الاجتماعية، وإنما جعل "الجماعة" هي وحدة التحليل الاجتماعي ونقطة البداية التي تنطلق منها الدراسات الاجتماعية، وهي كذلك المحور الذي تركز حوله الأبحاث الاجتماعية، ولذلك عارض بقوة تقسيم علم الاجتماع إلى علوم اجتماعية جزئية مستقلة وأكد ضرورة التعاون بين فروع علم الاجتماع؛ إذ لا يمكن دراسة النشاط الاقتصادي أو السياسي أو الأسري أو الديني إلا بوصفها ظواهر اجتماعية متداخلة ومتكاملة.

2- يحدد أهداف علم الاجتماع بأنها دراسة النظم الاجتماعية دراسة علمية تهدف إلى تحديد القيم الاجتماعية التي يركز عليها، يعطي "سمول" أهمية كبرى للقيم الأخلاقية على أنها القوى المحركة للنشاط الاجتماعي، ويرى أن هدف علم الاجتماع هو تحديد القيم الأخلاقية، والعمل على الارتقاء بها عن طريق الارتقاء بالنظم الاجتماعية، وذلك يتم عن طريق الإصلاح الاجتماعي، ونلاحظ هنا تأثير "سمول" القوي بالعلامة "دوركهايم" صاحب الاتجاه الاجتماعي في دراسة القيم الأخلاقية، ويتفق العالمان في إرجاع القيم والمثل الأخلاقية إلى الواقع الاجتماعي، أي: إلى العمليات والعلاقات الاجتماعية، ويعارضان بقوة الاتجاه الميتافيزيقي التأملي.

3- يعطي "سمول" أهمية كبيرة لتأثير العوامل الاقتصادية في الأنشطة الاجتماعية الأخرى، وحاول وضع جدول أو نموذج للأنشطة الاجتماعية وما يحدث بينها من تفاعلات وتداخلات، ثم أوضح في ذلك الجدول التأثيرات القوية للمصالح الاقتصادية. ولكنه رفض النظرية الاقتصادية الكلاسيكية التي تقوم على أساس «الإنسان الاقتصادي» الذي لا يخضع سوى لمصلحته الاقتصادية الشخصية، ولا يتأثر بالعوامل الاجتماعية الأخرى، ويرى أن الإنسان يتأثر بالعوامل الأخلاقية والدينية إلى جانب العوامل الاقتصادية، وهكذا فإن اهتمامه بالعوامل الاقتصادية لم يدفعه إلى الأخذ بالمبدأ القائل بأن الإنسان يعيش بالخبز فقط.

4- عارض بقوة النظام الرأسمالي القائم على أساس تحقيق أكبر ربح، والاحتكار، وتجميع رؤوس الأموال في طبقة صغيرة تسيطر على مقدرات الدولة، ويعارض كذلك مبدأ وراثة الثروات، ومبدأ الملكية الفردية المطلقة، ولكنه في نفس الوقت لم يأخذ بالاشتراكية الماركسية، وإنما نادى باشتراكية معتدلة تبيح الملكية الفردية المحدودة وتعطي للطبقة العاملة، حقوقها وتمنع الاستغلال والاحتكار، فهو يؤمن بالاقتصاد الموجه من الدولة مع إتاحة حرية اقتصادية محدودة للأفراد، وتهدف تلك الاشتراكية المعتدلة إلى الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية لا الربح، وتهدف كذلك إلى وضع تشريعات جديدة تمنع نظام توارث الثروات؛ لأنه نظام غير عادل، ويساعد على خلق طبقة عاطلة وغنية، (الجوهري، 1991، 168).

(1882 – 1956) Mac Iver

تعلم وحصل على الماجستير والدكتوراه في إنكلترا، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وشغل مناصب أستاذية علم الاجتماع في عدة جامعات أمريكية، أهمها: كولومبيا وهارفارد وييل.

تأثر بقوة بكل من تونيز وزميل ودوركهام وسبنسر وسمول، ولذلك تعد نظرياته اتجاهاً توفيقياً بين نظريات العلماء السابقين.

من أهم مؤلفاته:

- The Community المجتمع المحلي.
- Sociology علم الاجتماع.
- Society: Its Structure Change المجتمع: تباينه وتغيره.
- Social Causation العلية الاجتماعية.
- Society; An Introductory Analysis المجتمع: تحليل تمهيدي.

أهم نظرياته:

[1] أعطى "ماكيفر" اهتماماً كبيراً لمصطلحات علم الاجتماع، وذلك لأن تقدم هذا العلم يرجع لاتفاق علماء الاجتماع على استخدام مصطلحات واحدة ذات تعريفات واضحة يتفق عليها الجميع، ونشير هنا إلى بعض تلك المصطلحات:

1- الحقائق الاجتماعية، Social Facts :

هي موضوع علم الاجتماع، وتشمل: (أ) العلاقات الاجتماعية: Social Relations ، وهي الترجمة السلوكية للتفاعل بين الأفراد. (ب) النظم الاجتماعية: Social Systems ، الصورة العامة (الأنماط) للعلاقات الاجتماعية.

2- المجتمع، Society :

هو النسيج والإطار العام الذي يتكون من العلاقات الاجتماعية ويجمعها. من أهم خصائص المجتمع التغير والتطور وتفاعل العلاقات الاجتماعية في داخله، وكذلك اعتماده على مبدأي التشابه والتباين، وعن طريق هذين المبدأين يتم التفاعل بين عناصره، وبالتالي استمراره، وهنا يتأثر ماكيفر بآراء العلامة هيربرت سبنسر.

3- المجتمع المحلي، Community : (أو الجماعة المحلية):

هو جماعة الأفراد الذين يعيشون في منطقة واحدة، قد تكون صغيرة مثل القرية والعشيرة والقبيلة والبلدة، وقد تكون كبيرة مثل المدينة والدولة أو الأمة، وأهم ما يميزه أن يمارس أفرادهم جميع علاقاتهم الاجتماعية في داخله، وبالتالي لا يمكن اعتبار المصنع أو المدرسة أو الأسرة أو المتجر أو الملهى أو النادي أمثلة للمجتمعات المحلية. ويجب ملاحظة أن المجتمع هو صورة عامة للمجتمعات المحلية الواقعية.

4- الجماعة، Groups :

هي مجموعة من الأفراد تجمعهم علاقات اجتماعية ذات طابع خاص ومحدد، وتؤدي وظائف معينة ومحددة، ومن خصائصها أنها جزء من المجتمع المحلي وتكون تلقائياً، ومن أمثلة الجماعة الطبقة الاجتماعية والجيرة وجماعة اللعب.

5- المؤسسة أو المنظمة، Institution :

وهي جماعة منظمة تنشأ بصورة مقصودة بغرض تحقيق مصالح خاصة معينة، ولذلك تظهر الإرادة الإنسانية في إنشاء المؤسسة الاجتماعية، وفي إنشاء إدارتها، وفي تحقيق أهدافها، ومن أمثلة ذلك المصنع أو المدرسة أو الجيش أو النادي أو المتجر أو الجامعة أو المعمل الصغير...

[2] يعرف "ماكيفر" علم الاجتماع أنه علم العلاقات الاجتماعية، ولذلك يهتم بضرورة إلمام عالم الاجتماع بالعلوم الاجتماعية الأخرى، مثل علم السياسة وعلم القانون وعلم الاقتصاد، وعلم الاجتماع هو العلم الوحيد الذي يجمع في دراسته جميع الظواهر الاجتماعية، وعالم الاجتماع هو الذي يدرس الظواهر الاجتماعية لا لأنها سياسية أو دينية أو اقتصادية، وإنما لكونها ظواهر اجتماعية، وهكذا يؤكد ماكيفر أهمية دراسة الترابط بين الظواهر الاجتماعية، وذلك لأن هذا الترابط يعبر بدقة عن واقع الحياة الاجتماعية التي تجمع الجوانب الاقتصادية والسياسية والقانونية والدينية وغيرها.

إن المادة الأولية للدراسات الاجتماعية هي العلاقات الاجتماعية، وهنا نلاحظ تأثر العلامة ماكيفر بالمدرسة الألمانية للعلاقات الاجتماعية، وينادي ماكيفر بضرورة اهتمام عالم الاجتماع بعلم النفس؛ وذلك لأن دراسة العلاقات الاجتماعية لا تسمح بالفصل بين الجانب الاجتماعي والجانب النفسي؛ إذ لا يمكن أن نفهم العلاقات بين الأفراد حقيقة منفصلة عنهم، ويرى ضرورة قيام علماء النفس بدراسة علم الاجتماع للترابط بين الجانب الاجتماعي والجانب النفسي. هنا نلاحظ أن اتجاه علماء الاجتماع في أمريكا هو التقارب بين علم الاجتماع وعلم النفس، وذلك يخالف اتجاه علم الاجتماع في فرنسا، حيث نجد التأكيد المستمر على ضرورة الفصل بين العلمين.

وفيما يتعلق بمنهج علم الاجتماع نلاحظ أن العلامة ماكيفر يعطي أهمية كبيرة لمنهج المقارنة، ويشك في قيمة الاتجاه الإحصائي الكمي الذي يسيطر على الأبحاث الاجتماعية في أمريكا، وذلك لأن الأرقام والمتوسطات والنسب - وفق رأيه - ليست حقائق اجتماعية في ذاتها، وإنما تعبر عن بعض جوانب الحقائق الاجتماعية، ولذلك يجب على عالم الاجتماع أن يتعمق في ما هو أبعد من مجرد التحديد الكمي للعلاقات الاجتماعية، ويتأتى ذلك عن طريق المقارنة. حدد ماكيفر غرض علم الاجتماع في أنه

اكتشاف القوانين الاجتماعية التي تخضع لها الحقائق الاجتماعية في تطورها ونشأتها وترابطها.

[3] درس ماكيفر بعمق علاقة الإنسان بالبيئة، وهو موضوع حظي باهتمام الكثيرين من علماء الاجتماع وعلماء الجغرافيا وعلماء الأنثروبولوجية، ولا يمكن إنكار وجود تلك العلاقة ولكن اختلف العلماء في تحديد خصائص تلك العلاقات، وكذلك مدى التأثير المتبادل بين البيئة والإنسان. يرى ماكيفر أن العلاقات الاجتماعية تتأثر بثلاث مجموعات كبيرة من العوامل، ويقصد بذلك البيئة الجغرافية من مناخ وموقع وطبيعة السطح وما تحويه الأرض من موارد اقتصادية وما إلى ذلك. أما المجموعة الثانية فهي العوامل البيولوجية، ويقصد بذلك خصائص الجسم الإنساني عامة، وخصائص العروق الإنسانية المختلفة، وتمثل المجموعة الثالثة الأخيرة في العوامل الثقافية والاجتماعية، وهي العوامل التي يختزنها الإنسان بصفته الكائن الوحيد في العالم. ثم انتقل من ذلك التقسيم للعوامل المؤثرة في السلوك الإنساني إلى حقيقة مهمة، وهي أن الإنسان يؤثر كذلك في تلك العوامل، وإن كانت تختلف درجة ذلك التأثير، وأوضح المجالات التي يؤثر فيها الإنسان هي العوامل الثقافية والاجتماعية، لأنها من صنعه، ويتلو ذلك تأثير الإنسان في العوامل الطبيعية، أي البيئة الجغرافية، وأخيراً يؤثر الإنسان في خصائصه البيولوجية الجسمية، فقد تغلب على كثير من الأمراض وعالج الكثير من العاهات. (الجوهري، 1991، 173).

ويلخص ماكيفر علاقة الإنسان بالبيئة في أن الإنسان لديه القدرة على التكيف مع المجموعات الثلاث السابقة من العوامل، أي أن هناك تكيفاً طبيعياً وتكيفاً بيولوجياً وأخيراً تكيفاً ثقافياً واجتماعياً.

وينتج عن ذلك التكيف المتعدد الجوانب أن يصنع الإنسان البيئة الاجتماعية الخاصة به، ويمثل المظهر الخارجي لتلك البيئة الأشياء المادية التي يصنعها الإنسان على مر العصور، وهي القرى والمدن والمساكن والملابس والاختراعات ووسائل المواصلات والكتب أو التراث الاجتماعي، ويتمثل في النظم الاجتماعية والقيم، ويولد الإنسان فيجد نفسه محاطاً بتلك البيئة الاجتماعية وعليه أن يتقبلها، وخاصة في مراحل حياته الأولى، ويعمل على تطويرها بعد أن يتكيف معها، ويهدف الإنسان من تطوير بيئته الاجتماعية إلى تحقيق القيم الاجتماعية التي يؤمن بها المجتمع من تقدم ونجاح وسعادة وقوة. وهكذا فالتكيف عند ماكيفر لا يعني التقبل أو التأثير من جانب واحد، وإنما يعني التفاعل والتطور والتغير.

[4] ذكرنا سابقاً أن للعلامة "ماكيفر" كتاباً مهماً هو «العلية الاجتماعية» وفيه درس موضوعاً رئيسياً في علم الاجتماع شغل علماء الاجتماع كثيراً، وكان هناك اتجاهان رئيسيان، الأول: هو الاتجاه الوضعي الذي يطابق بين العلية الاجتماعية والعلية الطبيعية، أي أن الحياة الاجتماعية هي جزء من العالم الطبيعي الذي يخضع لقوانين ثابتة، وبالتالي يطابق هذا الاتجاه بين القوانين الاجتماعية والقوانين الطبيعية، وكذلك يؤكد ضرورة تطبيق المنهج العلمي القائم على أساس الملاحظة والتجربة في علم الاجتماع، شأنه في ذلك شأن علم الطبيعة أو علم الفلك أو علم الكيمياء. أما الاتجاه الثاني فهو الاتجاه الإنساني أو الإرادي الذي يفرق تماماً بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، ويدخل علم الاجتماع في نطاق العلوم الإنسانية، ويتضح في تلك العلوم الإرادة الإنسانية، وبالتالي لا يمكن تطبيق منهج العلوم الطبيعية على الظواهر الاجتماعية، وبالتالي تكون العلية الاجتماعية معقدة جداً؛ لتدخل عامل الإرادة الإنسانية التي تختلف من حالة لأخرى. وقف "ماكيفر" موقفاً وسطاً بين الاتجاهين السابقين، فهو يعترف بتعدد الحياة الاجتماعية

وخضوع الفعل الاجتماعي للعديد من العوامل فلا يمكن معرفة كل الأسباب التي تكمن وراءه، ولكنه يرى أنه في الإمكان التوصل إلى فكرة عامة عن العلاقات العلية بين الظواهر الاجتماعية والظواهر النفسية، والظواهر الأخرى من طبيعية وبيولوجية، وهو يعترف بأن العلية الاجتماعية تختلف عن العلية الطبيعية، ولا تتوفر فيها الدقة الكمية والتنبؤ الواضح المعالم وغيرها من الخصائص المتوفرة في العلية الطبيعية، ولكن لا يرفض إمكانية التوصل إلى تحديد أسباب السلوك الاجتماعي.

يعترف ماكيفر بتعدد الظواهر الاجتماعية، وذلك لوجود العامل النفسي الإرادي الذي لا يوجد في الظواهر الطبيعية، وتتلخص نظرية ماكيفر في أن علم الاجتماع يهتم بالنطاقين الاجتماعي والنفسي، وهما متأثران بالنطاق الطبيعي والنطاق البيولوجي. وهكذا فإن السلوك الاجتماعي يتأثر بعدد كبير من العوامل، وهي العوامل الاجتماعية والعوامل الطبيعية والعوامل البيولوجية، وهكذا يجب عند بحث أسباب السلوك الاجتماعي الاهتمام بالجانب الغائي في السلوك الاجتماعي، ويشير كذلك إلى الاختلاف بين منهج العلوم الطبيعية ومنهج علم الاجتماع الذي يدور حول حقيقة مهمة، وهي استحالة تطبيق التجربة إلا في الحدود الضيقة جداً في علم الاجتماع، ولكنه يرى أن المقارنة بين الحالات المتعددة للسلوك الاجتماعي تعطينا نتائج شبيهة بالنتائج التي يمكن التوصل إليها عن طريق التجربة، وعن طريق عقد الكثير من المقارنات نستطيع التوصل إلى نتائج عامة، وقد نحتاج إلى بعض التصور والخيال وهنا يجب ملاحظة أن العلوم الطبيعية ترفض مثل ذلك التصور، اللهم إلا في حالة الفروض العلمية لا في حالة التعميم. هذه هي الفروق التي حددها ماكيفر بين العلية الاجتماعية والعية الطبيعية، وهي فروق تؤدي إلى إنكار إمكانية الوصول إلى الكشف عن القوانين الاجتماعية.

[5] درس العلامة "ماكيفر" كذلك ظاهرة الضبط الاجتماعي، ويقصد بها الأساليب التي يحافظ بها المجتمع على مقوماته ونظمه، أي الأساليب التي تنظم العلاقات بين الأفراد من ناحية، وبين النظم الاجتماعية من ناحية أخرى. ويرى أن دراسة ظاهرة الضبط الاجتماعي في مجتمع ما تتطلب تحديد الوسائل التي يستخدمها المجتمع في مراقبة سلوك أعضائه، وكذلك تحديد المعايير التي عن طريقها يحكم على السلوك بالانحراف عن النظام الاجتماعي أو الامتثال له، ولا يمكن إغفال دراسة المؤسسات التي تقوم بعملية المراقبة الاجتماعية وتطبيق الجزاء على المخالفين. ويحدد أهم تلك المعايير فيما يأتي:

(أ) قواعد السلوك في المؤسسات والمنظمات الاجتماعية: وتختلف هذه القواعد من مؤسسة لأخرى، ومن حالة انحرافية لأخرى، وتوجد في كل مؤسسة لائحة تنظيمية من شأنها مراقبة سير العمل وإنزال العقوبات المختلفة بالمخالف، ومنها الفصل أو النقل أو الغرامة أو لفت النظر أو مجرد التأديب.

(ب) قواعد السلوك من عادات وتقاليد وأعراف في المجتمعات المحلية، وخاصة في القرى والقبائل البدائية.

(ج) القواعد الأخلاقية العامة والخاصة: تعتمد على الضمير الجماعي والضمير الفردي في التمييز بين الخير والشر، ويتضح ذلك في المجتمعات المتقدمة، فهي تقوي الاتجاهات الفردية ومبادئ الحرية، فمثلاً قد يظن بعضهم أن قتل المريض الذي لا أمل في شفائه أمر يتفق مع الخير ولا يعد شراً، وقد يقوم طبيب بإنهاء حياة طفل مشوه لا يمكن له أن يعيش أكثر من شهر أو سنوات إلا في حالة يرثى له، هذا بينما تخالف قيم المجتمع الأخلاقية مثل تلك الأعمال.

(د) القوانين: وهي الجانب الرسمي المقنن من الضبط الاجتماعي، ويتخصص فيه جماعات من أفراد المجتمع، مثل رجال الشرطة والقانون والمحامين والقضاة،

ويتكون كل مجتمع من جهاز قانوني ضخم لوضع القوانين وتنفيذها. (الجهوري، 1991، 175).

(1968-1889) Sorokin

يعد العلامة بيتر سوروبن من أكبر علماء الاجتماع الأمريكيين، وصل إلى أعلى المراكز العلمية في عدة جامعات أمريكية، وهو روسي الأصل والتعليم، بعد ثورة 1917 في روسيا هاجر إلى أمريكا.

من أهم مؤلفاته:

- Social and Cultural Dynamics الديناميات الاجتماعية والثقافية.
- Society, Culture and Personality المجتمع والثقافة والشخصية.
- Contemporary sociological Theories نظريات علم الاجتماع المعاصرة.
- Social and Cultural Mobility الحراك الاجتماعي والثقافي.
- Sociocultural Causality العلية الاجتماعية الثقافية.

أهم نظرياته:

1- يعرف سوروبن علم الاجتماع العام أنه العلم الذي يدرس العالم الاجتماعي والثقافي كلياً، ولا يفهم من ذلك أنه علم تركيبي يجمع كل العلوم الاجتماعية، وإنما هو علم خاص أي له موضوع خاص وهو دراسة الارتباطات بين الظواهر المختلفة، أي العلاقات بين الظاهرة الدينية وظاهرة الأسرة، وبين النظام الاقتصادي والنظام السياسي وما إلى ذلك، وكذلك يختص علم الاجتماع بدراسة الارتباطات بين الظواهر الاجتماعية والظواهر غير الاجتماعية، وأخيراً يتخصص في دراسة الصفات العامة المشتركة بين الظواهر الاجتماعية المختلفة.

2- يقسم سوروكن علم الاجتماع العام قسمين:

(أ) علم الاجتماع البنائي: وهو يشبه المورفولوجيا الاجتماعية، ويدرس بناء المجتمع وتركيبه وأشكال التكتل الاجتماعي، والأنماط البنائية للنظم الاجتماعية والثقافية.

(ب) علم الاجتماع الدينامي: يدرس التغير الاجتماعي والثقافي، والعمليات الاجتماعية مثل التفاعل والتنشئة الاجتماعية والصراع والتوافق والاندماج والحراك الاجتماعي، وكذلك يتخصص هذا الفرع في دراسة العمليات الثقافية مثل الانتشار الثقافي والاستعارة الثقافية والتراكم الثقافي والاختراع والتكامل، ويحلل هذا الفرع تأثير العمليات الاجتماعية والثقافية في الشخصية.

وإلى جانب علم الاجتماع علوم الاجتماع الخاصة، ويتخصص كل فرع في ظاهرة اجتماعية معينة، مثل علم الاجتماع العائلي، وعلم الاجتماع الاقتصادي، وعلم الاجتماع السياسي، وما إلى ذلك.

يرى سوروكن أن دور علم الاجتماع هو تحليل الظواهر الاجتماعية والثقافية إلى عناصرها الأولية، ويحدد ذلك الوحدات الأساسية بحالات التفاعل الاجتماعي والثقافي، ويقصد بالتفاعل الفعل الذي يقوم به فرد أو جماعة ويؤدي إلى التأثير في الأفعال الظاهرة لفرد أو جماعة أخرى. (الجوهري، 1991، 177).

وتتكون كل حالة من حالات التفاعل الاجتماعي والثقافي من الترابط بين ثلاثة عناصر، هي الشخصية والمجتمع والثقافة، ويقصد بالشخصية مجموع السمات الفطرية والمكتسبة لفرد ما، أما المجتمع فهو مجموعة من الأفراد الذين يعيشون معاً ويخضعون لنظم اجتماعية معينة، ويقصد بالثقافة القيم والمعايير التي تحكم السلوك في المجتمع. وهكذا فإن الحياة الاجتماعية التي يدرسها عالم الاجتماع تتمثل في التفاعل بين الشخصية والمجتمع والثقافة.

وهكذا يؤمن سوروكن بالاتجاه التكاملي أو المدرسة التكاملية التي تنادي بالتعاون الوثيق بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس، وهو اتجاه قوي في علم الاجتماع الأمريكي، ولكنه يختفي تقريباً في علم الاجتماع الفرنسي، ويظهر بضعف في إنكلترا وألمانيا.

3- درس العلامة سوروكن الشروط الأساسية التي يجب توافرها في المؤسسات والجماعات المنظمة، وأهم هذه الشروط ضرورة توافر مجموعة من القيم والمعايير التي يؤمن بها أعضاء الجماعة المنظمة، ويجب أن يكون هناك غاية تحاول الجماعة تحقيقها، ويساعد على قوة الجماعة المنظمة ونجاحها في تحقيق أهدافها عدم تناقض القيم التي يؤمن بها أعضاؤها، ويجب أن تأخذ تلك القيم والمفاهيم صورة المعايير ذات الفاعلية، وبالتالي يستطيعون مراقبة سلوك أفراد الجماعة وعلاج حالات الانحراف، ومن ثم تقوى الجماعة وتستطيع تحقيق أهدافها.

4- اهتم سوروكن بتحليل الطبقة الاجتماعية المفتوحة، فهو يراها جماعة منظمة نسبياً، ولكنها جماعة ضعيفة التنظيم إذا قورنت بالمؤسسات الاجتماعية ذات التنظيم القوي ويرى أن الشعور بالانتماء إلى طبقة معينة ينشأ تلقائياً عند مجموعة من البشر تجمعهم خصائص معينة، أهمها التشابه المهني والتشابه الاقتصادي، ووجود حقوق وواجبات تختلف عن الحقوق والواجبات الخاصة بالجماعات الأخرى، وتتميز الطبقة الاجتماعية بأنها مفتوحة، وبالتالي تختلف عن الجماعة المغلقة، وهي التي تمنع الحراك الاجتماعي منها أو إليها، فمثلاً كان المنبوذ في الهند يظل كذلك طوال عمره، ولا يمكن أن يخرج من تلك الجماعة المغلقة. يعارض "سوروكن" النظرية الماركسية التي تحتّم قيام الطبقة على أساس العامل الاقتصادي فقط وترفض العوامل الأخرى يرى "سوروكن" أن الطبقات تقوم على أساس عدة عوامل يكون العامل الاقتصادي واحداً منها، فهناك

عوامل دينية وسياسية وأخلاقية وأسرية تؤدي دورها في تكوين الطبقة في المجتمع. وتتماسك الطبقة عن طريق مجموعة من القيم والمعاني، فالشعور الطبقي لا ينمو من مجرد التشابه في المستوى الاقتصادي، وإنما عن طريق التفاعل والتنظيم والتفاف الأفراد حول مجموعة من القيم والمفاهيم، ويعطي سوروكن أهمية لنمو الشعور الطبقي لأن وجود ذلك الشعور يدل على وجود الطبقة.

5- تطرق سوروكن لموضوع العلية الاجتماعية الثقافية، ويرى أن السلوك الاجتماعي لا يمكن تفسيره عن طريق علية واحدة أو سبب واحد، وإنما الحقيقة أن هناك عدة أسباب وراء التفاعل الاجتماعي. وقد لاحظ أن العلية الاجتماعية تختلف عن العلية الطبيعية من ناحية وجود عامل القيم والمعاني في الظواهر الاجتماعية وعدم وجوده في الظواهر الطبيعية، وهو هنا يتفق مع العلامة ماكيفر، ولذلك وضع العلامة سوروكن « المنهج المنطقي الدال »:

ويتمثل ذلك المنهج في استخدام المنهج العلمي في دراسة الخصائص المحسوسة للظواهر الاجتماعية، ويتمثل المنهج العلمي في الملاحظة والتجربة والمقارنة، ولكن هناك جانب منطقي غير محسوس للظواهر الاجتماعية ويتمثل في القيم والمفاهيم والذوق، ولا يمكن التوصل إلى ذلك الجانب غير المحسوس عن طريق الملاحظة وإنما عن طريق العقيدة والتحليل المنطقي.

Parsons (1902-1979) :

يعد العلامة تالكوت بارسونز من كبار علماء الاجتماع الأمريكيين وقد شغل منصب رئيس قسم العلوم الإنسانية بجامعة هارفارد سابقاً. ويمكن إدراجه في المدرسة

الوظيفية البنائية التي تهتم بتحليل وظائف النظم الاجتماعية وبنية الجماعات والمجتمعات. تتميز مؤلفاته بالعمق والتعقيد، وتدور حول نظريته في الفعل الاجتماعي.

أهم مؤلفاته:

- Social Action (الفعل الاجتماعي).
- The Social System و(النسق الاجتماعي).
- The structures of Social Action و(بنية الفعل الاجتماعي).

أهم نظرياته:

1- تخصص بارسونز في تحليل بنية أو بناء الفعل الاجتماعي فهو يرى أن الوحدة الأساسية للحياة الاجتماعية هي الفعل الاجتماعي، ويقوم الفعل الاجتماعي على أساس ثلاثة أنساق، وهي: النسق الاجتماعي أي المجتمع، والنسق الثقافي أي الثقافة، ونسق الشخصية. وهنا نجد تشابهاً واضحاً بين هذه النظرية ونظرية سوروكن في التفاعل الاجتماعي، والاختلاف بينهما هو اختلاف في الألفاظ فقط، فبينما يستخدم بارسونز مصطلح (الفعل الاجتماعي) يستخدم سوروكن (1889-1968) مصطلح الفاعل الاجتماعي.

ونلاحظ أن بارسونز يستخدم مصطلحات نسق اجتماعي ونسق ثقافي ونسق الشخصية، أما سوروكن فإنه يستخدم مصطلحات مجتمع وثقافة وشخصية، وقد اتهم العلامة سوروكن العلامة بارسونز بأنه اقتبس نظريته ووضعها في ثوب جديد.

2- حلل بارسونز بناء الفعل الاجتماعي في أنه أي سلوك اجتماعي يقوم به فرد، مثل البيع والشراء أو التحية أو الصداقة أو الزواج أو التعلم أو المنافسة وما إلى ذلك. يرى بارسونز أن الفعل الاجتماعي يتم في إطار يجمع ثلاثة أمور: فاعل وموقف وتوجيه الفاعل نحو الموقف، فمثلاً إذا حللنا الفعل الاجتماعي المتمثل:

اشترى أحمد سيارة شام ، نجد أنه بناء يتكون من ثلاثة عناصر :

- فاعل، وهو هنا (أحمد).
- موقف اجتماعي، وهو شراء سيارة شام سمع من الناس عن متانتها وجماها.
- عوامل توجيهية، وهي عوامل وجهت أحمد لشراء هذه السيارة بالذات تشجيعاً للصناعة الوطنية في سورية.

يرى بارسونز أن أهم هذه العناصر في تحقيق هذا الفعل الاجتماعي هو عنصر العوامل التوجيهية، ويقسم هذه العوامل إلى مجموعتين من العوامل، وهي: أولاً مجموعة التوجيهات القيمة، وهي التوجيهات الصادرة من عوامل خارجية، ويحلل التوجيهات الدافعة إلى ثلاثة أقسام فرعية هي:

(أ) توجيهات دافعة إدراكية، وتتمثل في إدراك الشخص للموقف، وإدراكه لحاجاته وإمكاناته، وفي المثال السابق نجد أنها إدراك الشخص لحاجته للسيارة، وإدراكه لكمية الأموال التي يديرها.

(ب) توجيهات دافعة عاطفية، تتمثل في رغبة الشخص وفعلته العاطفية بأمر ما بالذات، وهنا نجد أن أحمد لديه رغبة في شراء سيارة شام بذاتها لأنه يحبها لسبب ما، مثل الشكل أو اللون أو القوة وما إلى ذلك.

ثانياً- التوجيهات الدافعة التقويمية، وهي الدوافع التي تجعل الفاعل يختار بسبب رغبات أو أفكار مختلفة، وفي المثال السابق فإن أحمد اختار سيارة شام بذاتها لأنها ذات قيمة له شخصياً.

ويسير بارسونز على هذا المنوال في تحليله لبناء التوجيهات التقويمية التي يضعها المجتمع للأشياء والمواقف، والتوجيهات التقويمية تنقسم أيضاً إلى ثلاثة جوانب، جانب إدراكي، وتتمثل في إدراك أحمد للإعلانات والمعلومات والصور الخاصة بالسيارات

المختلفة، ومن بينها السيارة شام. وجانب عاطفي، ويتمثل في تعلق أحمد بعدة سيارات، وكذلك الجانب التقويمي وهو أن يختار سيارة معينة من تلك السيارات لأسباب متعلقة بالسيارة في ذاتها.

وعن طريق الموازنة بين التوجيهات الدافعة المتعلقة بالشخص وظروفه، والتوجيهات التقويمية المتعلقة بالمجتمع ونظمه يتم الفعل الاجتماعي، فإذا علمنا أن الدوافع والرغبات تتعلق بشخصية الفرد، وأن الفعل الاجتماعي لا يمكن أن يتم إلا في مجتمع، وأن القيم التي تطغى على الأشياء ترجع إلى ثقافة المجتمع، يتضح لنا كيف أن الفعل الاجتماعي يقوم أساساً على ثلاث مقومات، هي: الشخصية والمجتمع والثقافة. شرح بارسونز هذه النظرية بالتفصيل مع توضيحها بمداول عدة في كتابه الشهير (بناء الفعل الاجتماعي). وتعرضت نظريته للنقد من ناحية أنها محاولة لتعقيد النظرية الاجتماعية الشائعة، والتي ترجع التفاعل الاجتماعي إلى الترابط بين الشخصية والمجتمع والثقافة.

3- يرى بارسونز إمكانية استخدام أسلوبه التحليلي السابق - وهو القائم على أساس التمييز بين الأفكار والرغبات والقيم - في دراسة المجتمع والشخصية والثقافة، وليس الفعل الاجتماعي فقط. ويجب ملاحظة أن هذا الأسلوب التحليلي لا يعني استقلال الأفكار عن الرغبات أو استقلال الرغبات عن القيم، وإنما يوجد تداخل بين هذه الأمور، وقد تسيطر أحد هذه الأمور على الآخرين، فمثلاً في الثقافة نجد أن الأفكار والمعتقدات والأساطير يتضح فيها جانب الأفكار أو الجانب الإدراكي، بينما نجد أن الفن يتميز بسيطرة الجانب الانفعالي والعاطفي أي الرغبات، هذا إضافة إلى أن القيم تمثل جانب القيمة في الثقافة.

4- لاحظ بارسونز أن الفرد في تفاعله الاجتماعي يهدف إلى تحقيق أكبر إرضاء لرغباته، ولا شك أن المجتمع لا يسمح له بتحقيق كل رغباته، ومن هنا كان التعارض

الذي يدفع الفرد إلى الاستمرار في محاولة تحقيق رغباته في أفضل صورة، ويقدم المجتمع عدداً كبيراً من الإمكانيات والبدائل التي يختار الفرد منها ما يتفق مع رغباته وإمكانياته ولاشك أن الفرد لا يستطيع تحقيق كل رغباته والحصول على كل شيء، وإنما يختار الأفضل له.

5- اهتم بارسونز بتحليل المؤسسات الاجتماعية والجماعات إلى عناصرها البنائية، وأبرز أهمية المركز والدور في حياتنا الاجتماعية، فالفرد يشغل عدة مراكز عن طريق التنشئة الاجتماعية والتعليم والتخصص، وتتركز حول كل مركز عدة أدوار، وعلى الفرد الذي يشغل المركز أن يؤدي الأدوار، وإلا عزله المجتمع من ذلك المركز، فمثلاً عندما يتزوج الشاب وينجب يشغل مركز الأب. يتطلب هذا المركز أن يقوم الفرد بأدوار محددة، منها إعالة الأسرة ورعاية الأطفال وحمايتهم، فإذا تصورنا أن هذا الفرد لسبب ما - مثل البطالة أو المرض أو إدمان المخدرات - لم يعد قادراً على إعالة أسرته، فإن المجتمع في هذه الحالة يحرمه من ذلك المركز، وغالباً يبيح الطلاق وينظم طريقة أخرى لإعالة الأطفال، وهكذا فإن الفرد في أفعاله الاجتماعية يقوم بأدواره المتعلقة بالمراكز التي يشغلها، ويتم التفاعل الاجتماعي عن طريق توقع الأفراد أن يقوم كل منهم بالأدوار الخاصة بالمراكز، وذلك في المواقف الاجتماعية المختلفة. ويعرف المركز أنه مكان الفاعل في نسق العلاقات الاجتماعية، ولا يمكن فصل الأدوار عن المركز، وذلك لأن كل مركز ترتبط به عدة أدوار، والدور هو سلوك الفاعل في علاقته مع الآخرين. والنظام الاجتماعي هو مجموعة أنماط الأدوار المتعلقة بأداء وظيفة اجتماعية معينة. فمثلاً نظام الزراعة هو في الحقيقة مجموعة من أنماط السلوك المتعلقة بفلاحة الأرض وحرثها وبذر البذور ورعاية الزرع ثم الحصاد، وهذه في مجموعها أدوار يقوم بها المزارع أو الفلاح،

والفلاح هو فاعل يقوم بمركز محدد، وذلك يختلف عن مركز مدير المصنع أو العامل الفني أو العامل نصف الفني وهكذا... .

:

يمكن ملاحظة الخصائص التالية في دراسات علماء الاجتماع الإيطاليين:

1- اهتم بعض علماء الاجتماع في إيطاليا بدراسة ظاهرة الجريمة، وهكذا مهدوا لظهور علم الاجتماع الجنائي أو علم الجريمة، وأهم هؤلاء العلماء **لومبروزو (1835 - 1909)** صاحب الكتابين «**الرجل المجرم**»، «**المرأة المجرمة**»، وانتهى لمبروزو إلى نظرية مؤداها أن بعض الأفراد يولدون مزودين باستعداد فطري للإجرام والانحراف، ول هؤلاء خصائص جسمية ونفسية معينة. ونادى هذا العالم بنظرية أخرى في العقوبة ملخصها أن العقوبة يجب أن تهدف إلى العلاج والإصلاح لا الانتقام. وقد كان لهذه النظرية دور فعال في تحسين ظروف المعيشة في السجون، وإدخال العلاج الطبي والترفيه فيها.

2- يعد العلامة الإيطالي "**باريتو Pareto (1848 - 1923)**" أشهر علماء الاجتماع الإيطاليين. يرى باريتو أن النظم الاجتماعية (من اقتصادية وسياسية ودينية وأسرية وعادات وتقاليد وقيم) تتولد أو تشتق من مجموعة من الاستعدادات الفطرية الثابتة، وهي مجموعة من الغرائز والعواطف، ويطلق على الظواهر الاجتماعية مصطلح "**المشتقات Derivations**، بينما يسمي الاستعدادات الفطرية "**الرواسب Residues**".

ويحدد أهم هذه "**الرواسب**" فيما يأتي:

- استعداد فطري للربط بين الحوادث والظواهر.
- غريزة التناسل وحفظ النوع.

- الميل الفطري للتعبير عن العواطف بصراحة.
- الميل للاجتماع بالآخرين.
- الغريزة الجنسية.
- ميل الدفاع عن النفس.

يفرق باريتو بين البقايا والمشتقات من عدة جوانب، فبينما تتصف البقايا بالثبات لأنها عواطف غريزية، فإن المشتقات - أي النظم الاجتماعية - في تطور وتغير، وهي لا تخضع في تطورها دائماً للمنطق، وذلك لأن الإرادة الإنسانية تؤدي دورها في تطوير بعض تلك النظم، وقد تخطئ في بعض الأحيان، ولذلك قد تنتشر العادات الخاطئة إما عن طريق الجهل أو القوة أو الخداع، ولذلك فهو يهتم بخاصية نسبية النظم الاجتماعية، وهكذا فإن المشتقات تختلف تماماً عن أصولها.

تعرض "باريتو" للنظام السياسي وخصائص الحاكم، وقد تأثر في ذلك الموضوع بآراء المفكر الإيطالي ميكافلي، وتتلخص تلك الآراء في جملته الشهيرة: بأن الغاية تسوغ الوسيلة، وتعني أن الحاكم السياسي قد يستخدم الغش والاستبداد والخديعة في سبيل تقوية دولته وتحقيق مصالحها.

3- اهتم العلامة جيني Corrado Gini بدراسة ظاهرة الحرب وظواهر السكان وتكوين الأمة، وأهم مؤلفاته:

- أ- المسائل الاجتماعية الخاصة بالحرب (1921).
- ب- نشأة الأمة وتطورها وضمحلها (1930).

عارض العلامة جيني نظرية العلامة مالتوس (1766-1834) المتعلقة بالزيادة المستمرة في عدد سكان المجتمعات المختلفة، ونادى بفكرة الدورة السكانية، وملخصها: أن السكان في أي مجتمع لا يزداد عددهم بصورة مطلقة، وإنما يمر عدد السكان في

مراحل تبدأ بمرحلة الشباب حيث يزداد عدد السكان بصورة واضحة، ثم تأتي مرحلة الكهولة حيث تتناقص معدلات الزيادة السكانية، ثم تأتي مرحلة الشيخوخة حيث تتوقف الزيادة السكانية ويبدأ عدد السكان في النقصان، وهنا تتم الدورة السكانية الأولى، ويتلوها دورة سكانية جديدة يعود فيها عدد السكان إلى الزيادة وهكذا، اهتم بدراسة أثر العوامل السكانية في التطورات الاجتماعية، وكذلك حلل دور النخبة الممتازة والتغيرات الطبقية والحراك الاجتماعي في عملية التغير الاجتماعي. (الجوهري، 1991، 156).

بدأ علم الاجتماع في روسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان متأثراً بكل من دراون وهربرت سبنسر وأوغست كونت وماركس، وقوي تأثير ماركس بعد الثورة البلشفية في عام 1917م، وخضع هذا العلم للخطوط العامة للنظرية الماركسية، واليوم ينظر بعضهم إلى علم الاجتماع في روسيا على أنه فرع عن الاقتصاد، يختص بدراسة الآثار الاجتماعية للنظام الاقتصادي. وفيما يلي عرض موجز لأهم علماء الاجتماع في روسيا ونظرياتهم.

1- العلامة نوفيكوف : (1849 – 1912)

هاجر منذ الصغر إلى فرنسا وأكمل تعليمه بها، ولذلك كتب مؤلفاته باللغة الفرنسية، آمن بالحرية والديمقراطية، ولذلك حارب الدكتاتورية والطغيان، وله نظريات قيمة في علم الاجتماع.

أهم مؤلفاته الاجتماعية:

- الصراعات بين المجتمعات الإنسانية وأشكالها المتتابعة.

- معالم الفوضى في المجتمعات الحديثة.
 - الحرب ومميزاتها المزيفة.
 - نقد الداروينية الاجتماعية.
 - ميكانيزم وحدود التجمع الإنساني.
- أهم نظرياته:

1- يعرف علم الاجتماع أنه العلم الذي يدرس المجتمع، والعلوم الاجتماعية الخاصة هي فروع له. يقوم هذا العلم على أساس قوانين علم الحياة وعلم النفس، وبعبارة أخرى القوانين الاجتماعية امتداد لقوانين علم النفس، وتلك بدورها امتداد لقوانين علم الحياة.

حدد أهم العلوم الإنسانية التي تغذي علم الاجتماع بالمادة الأولية والحقائق الاجتماعية وهي علم الاقتصاد وعلم السياسة وعلم القانون.

يرى "نوفيكوف" أن علم الاجتماع في عصره - نهاية القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين - لا يزال في نطاق الدراسات الفلسفية، لأنه لم يكن قد استطاع بعد أن يطبق المنهج العلمي. وهو ينادي بأهمية تطبيق المنهج العلمي القائم على أساس الملاحظة المحسوسة والتجربة، ويرى أن اعتماد هذا العلم في دراسته للمجتمع على التأملات والاستغراق في التصور لن يسمح له باكتشاف القوانين الاجتماعية. وعندما يستطيع تطبيق المنهج العلمي سيحتل علم الاجتماع مكاناً مرموقاً، وسيصبح أقوى العلوم الإنسانية تأثيراً في توجيه النشاط الإنساني الاجتماعي والسياسي.

2- يرى نوفيكوف أن العنصر الأساسي في تكوين المجتمع هو قيام التضامن بين أفراد، ويترتب على ذلك التضامن شعور الأفراد بانتمائهم لجماعة واحدة، فالمجتمع ليس مجرد جماعة من الأفراد، وإنما لابد من توفر العلاقات المتبادلة بين الأفراد. والتفاعل

الاجتماعي هو امتداد للتفاعل الغريزي الموجود عند الحيوانات غير الإنسانية، وذلك امتداد للتفاعل بين الخلايا الحية في جسم الكائن الحي. يتضح تأثير العلامة "نوفيكوف" بالنظرية الداروينية التي ترى أن الاختلاف بين الظواهر الإنسانية والظواهر الحيوانية غير الإنسانية - وكذلك الظواهر الحيوية - هو اختلاف في الدرجة، وليس اختلافاً في النوع أو الكيف.

3- حدد "نوفيكوف" الفروق الأساسية بين المجتمع والدولة والأمة، فالمجتمع جماعة من الأفراد يعيشون معاً ويتفاعلون اجتماعياً وفق قواعد معينة، وينشأ بينهم شعور جماعي بانتمائهم إلى مجتمع معين، أما الدولة فهي مجرد مظهر خارجي للمجتمع، يقوم بوظيفة حماية الأفراد وحقوقهم، أما الأمة فهي أكثر تطوراً من المجتمع والدولة، وذلك لأنها تقوم على أسس نفسية وعوامل تاريخية وأهداف مشتركة، وليس على مصالح مادية مشتركة فقط كما هو الحال في المجتمع. ويعارض نوفيكوف اتجاه التطابق بين الدولة والأمة، وذلك لأن الواقع يرفض مثل ذلك التطابق، فقد تتكون دولة واحدة من عدة أمم، وكذلك قد تتوزع الأمة الواحدة في عدة دول. وقد حلل مقومات القومية بصورة لا نجد مثلها عند كبار علماء السياسة، وحلل أيضاً عناصر الدولة وهي الإقليم والسكان والسيادة والحكومة.

4- يخضع تطور المجتمعات البشرية لقانوني الصراع والوفاق، بمعنى أن المجتمعات تتصارع ثم تتفق وهكذا، وعن طريق هاتين العمليتين يحدث التطور والارتقاء، ويرى أن تطور الإنسانية يسير وفق قانون عام يتكون من أربع مراحل:

(أ) المرحلة الفيزيولوجية: وفيها يهتم الإنسان بإشباع حاجاته الجسمية وغرائزه، وتعد هذه المرحلة مرحلة استكمال نضج التطور العضوي، ومرحلة الاهتمام بالمحافظة على الجسم واستمرار النوع البشري.

(ب) المرحلة الاقتصادية: تسود هذه المرحلة المصالح الاقتصادية، وينقسم المجتمع إلى طبقات يستغل بعضها الآخر، وتكثر الحروب والصراع حول الثروات.

(ج) المرحلة السياسية: وهنا يزداد الاهتمام بالتنظيمات السياسية، وأهمها الدولة والأمة، والأمة أرقى من الدولة، وهي أسمى شأنًا في تاريخ تطور الحضارة الإنسانية، وهي أهم عوامل التقدم الاجتماعي والإنساني، ويهتم الإنسان في تلك المرحلة بالحقوق والواجبات، وتحقيق المساواة والعدالة.

(د) المرحلة العقلية: وهي أرقى مراحل التطور الإنساني، وفيها يستخدم العقل في حل جميع المشكلات ولا يحتاج الإنسان إلى الحروب وإلى الاستبداد وتعذيب الجسم، وإنما يستخدم العقل ويستفيد من إمكاناته المبدعة إلى أقصى درجة. وفي هذه المرحلة ستتحقق العالمية، أي خضوع العالم لحكومة عالمية، ويصل الإنسان إلى أعلى مراحل التقدم. وكان ينادي دائماً بتحقيق اتحاد يجمع دول أوروبا.

نلاحظ مبلغ تأثره بالعلامة داروين (1809-1882)، فإن الصراع والتوافق هما قانون الصراع للبقاء وقانون التكيف عند داروين. ويؤكد "نوفيكوف" أن التنازع على البقاء هو ظاهرة كلية توجد في جميع أجزاء الكون، وهي أساس التكيف والتطور والتقدم، ويوجد الصراع على البقاء في جميع المراحل السابقة الذكر، ولكن تختلف حدة ذلك الصراع في كل مرحلة، وتتمثل المظاهر السوية للصراع على البقاء في المرحلة العقلية في العلم، وتعمل به حرية الفكر وحرية الدين وحرية النشر والاجتماع، والعمل على التقارب الفكري بين المذاهب العقلية المتعارضة أو بين اللغات والأديان والمذاهب السياسية المختلفة.

5- درس المجتمعات الحديثة في عصره، وعرض لمظاهر الفوضى والتفكك الاجتماعي في تلك الدول، وأرجع هذه الفوضى - التي من أهم مظاهرها البطالة والفقر

والدعارة والطلاق وانحراف الأحداث وارتفاع معدل الجرائم - إلى الأموال الضخمة التي تنفقها الدول الحديثة في التسليح والحروب والمشروعات الارتجالية المحففة، ويتمثل علاج هذه الفوضى في اهتمام الحكومات بالإصلاح الاجتماعي وتوفير الأموال اللازمة لذلك، والإنفاق على مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بسخاء.

6- يعد العلامة "نوفيكوف" مؤسس علم الاجتماع الحربي، وهو أحد علوم الاجتماع التخصصية التي بدأ علماء الاجتماع يهتمون بها بعد الحرب العالمية الثانية. اهتم "نوفيكوف" بدراسة الحرب بوصفها ظاهرة اجتماعية، وبيّن الآثار الفزيولوجية والاقتصادية والأخلاقية المترتبة على الحروب، أي أنه درسها دراسة موضوعية، وعرض لآراء التي تندد بالحرب وتنادي بإلغائها، ونقد تلك الآراء كذلك. وهكذا فإن "نوفيكوف" كان موضوعياً في دراسته للحرب، ولم يشأ أن يفرض رأيه الشخصي.

7- نشر نوفيكوف في أواخر أيامه قبل مماته بعام واحد، كتاباً ينقد فيه الداروينية الاجتماعية، وقد يعجب المرء لنشر ذلك الكتاب، وذلك لأن "نوفيكوف" من أكثر علماء الاجتماع تأثراً بداروين، ويتضح ذلك من إرجاعه التطور والتقدم الاجتماعي إلى ظاهرتي الصراع والتكيف. لاشك أن "نوفيكوف" قد غيّر بعض آرائه في نهاية أيامه، ويتضح ذلك أيضاً في آخر كتاب له. عارض "نوفيكوف" علماء الاجتماع الذين يشبهون المجتمع الإنساني بالكائن الحي، ومن أمثلة ذلك العلامة هربرت سبنسر وغيرهم، وكذلك يعارض هؤلاء الذين يطبقون القوانين والعمليات العضوية على المجتمعات والعمليات الاجتماعية. ولا شك أنه بذلك يعارض نظرياته السابقة، ويصل في النهاية إلى تأكيد نظريات داروين الخاصة بالكائنات الحية، أما المجتمعات الإنسانية فهي ظواهر لها خصائص مختلفة، وبالتالي تخضع لقوانين مختلفة.

8- ذكرنا سابقاً أن "نوفيكوف" غيّر بعض نظرياته في آخر أيامه، ويؤكد ذلك ما جاء به من أفكار في آخر أيامه، وفي آخر كتاب له، وهو كتاب (ميكانيزم وحدود التجمع الإنساني)، ويؤكد في هذا الكتاب أهمية اتحاد الدول، وخاصة اتحاد دول أوروبا خطوةً تمهيدية لتحقيق الوحدة العالمية، وفي هذا الكتاب توصل إلى مبدأ جديد يرجع إليه تقدم المجتمعات الإنسانية، وهو مبدأ "التبادل"، فعن طريق "التبادل" تتم المعاهدات الدولية والصداقات بين الدول والاتحادات، وكذلك يتم التقدم في داخل المجتمع الواحد، فإن ظواهر تقسيم العلم والتجارة والتخصص الفني تقوم أساساً على مبدأ التبادل. وهكذا فهو يرفض ما آمن به في أول حياته العلمية، أي إرجاع التقدم الإنساني للصراع والتكيف، ولذلك فهو يؤكد أن السلب والحرب والصراع لا يمكن لها أن تؤدي إلى التقدم، وإنما يؤدي التبادل إلى إتحاد الدول والتمهيد لتحقيق الاتحاد العالمي. (الجوهري، 1991، 183-188).

2- العلامة دي روبرتي (De Roberty 1843 – 1915م)

ولد في روسيا وتلقى علومه بها، وألف الكثير من مؤلفاته باللغة الروسية، ثم سافر إلى أوروبا وعمل بجامعة، وخاصة الجامعات الفرنسية، ثم عاد إلى وطنه وعمل أستاذاً في معهد الأمراض العصبية والنفسية بمدينة بطرسبرج، وقد قتل في عام 1915م. جمع في دراسته بين الفلسفة وعلم الاجتماع، وله نظريات ومؤلفات قيمة في الميدانين.

أهم مؤلفاته الاجتماعية:

- علم الاجتماع.
- الروح الاجتماعية.
- برنامج جديد في علم الاجتماع.
- علم اجتماع الفعل.

- كونت وسبنسر.

أهم نظرياته الاجتماعية:

1- تأثر بالعلامة أوغست كونت، ولكنه أضاف أفكار جديدة، ولذلك يعرف اتجاهه بالوضعية الجديدة، وتأثر كذلك بداروين وهربرت سبنسر.

2- يقسم ظواهر الكون إلى ثلاث مجموعات:

(أ) الظواهر الطبيعية الكيميائية.

(ب) الظواهر العضوية أو البيولوجية.

(ج) الظواهر الاجتماعية أو ما فوق العضوية.

ويرى أن جميع هذه الظواهر تخضع لمبدأ واحد وهو التفاعل والتداخل، ولكن يتم التفاعل في الظواهر الطبيعية بين عناصر كيميائية لا عنصرية، بينما تتفاعل الخلايا الحية في الظواهر العضوية، ويحدث التفاعل بين الخلايا العصبية المعقدة والمؤثرات الخارجية في الظواهر الاجتماعية، وهو يلمح بتطور كل مجموعة من الظواهر من المجموعة السابقة، ولكن حدث هذا التطور بصورة تدريجية حتى وصل إلى أرقى وأسمى ظواهر العالم، وهي ظاهرة التفكير، فالتفكير خاصة إنسانية لا توجد إلا عند الإنسان.

3- اهتم بتحليل ظاهرة التفكير، ويرى أن عملية التفكير ترجع إلى التفاعل بين مجموعتين من العوامل العضوية أو البيولوجية المتمثلة في الجهاز العصبي الإنساني المعقد، وخاصة خلايا المخ البشري، والمجموعة الثانية هي العوامل الاجتماعية التي تتمثل في المؤثرات الاجتماعية، أي التفاعل بين البشر والاحتكاك بين العقول. فالتفكير عملية بيولوجية اجتماعية، وعن طريق التفكير توصل الإنسان إلى بناء حضارة عظيمة تزخر بالتقدم العلمي والفنون والتنظيم الاجتماعي، وأتى بأمثلة كثيرة مثل اللغة والاختراع...

4- يتفق مع أوغست كونت في معارضته لاستقلال علم النفس، وينادي بضرورة إلحاقه فرعاً من علم الاجتماع، وذلك على أساس أن الظواهر النفسية ترجع إلى المؤثرات الاجتماعية، فعن طريق التفاعل الاجتماعي تظهر الانفعالات والدوافع والعواطف، ودون المؤثرات الاجتماعية لا تظهر العوامل النفسية. وشن حملة قوية على علم النفس وتجاهله عند تحديد العلوم التي تدرس الظواهر الإنسانية الاجتماعية، فقد أجملها في علمين أساسيين: علم الحياة وعلم الاجتماع. ويعود فيقرر أننا نفسر الظواهر النفسية عن طريق الظواهر البيولوجية والظواهر الاجتماعية، أما الظواهر الاجتماعية فإنها تفسر عن طريق الظواهر الاجتماعية والظواهر البيولوجية فقط، ويستبعد الظواهر النفسية تماماً.

5- انعكس اهتمام دي روبرتي بتحليل عملية التفكير في تفسيره للتغير الاجتماعي، فقد رأى أن التفكير وظهور أفكار جديدة وعقائد جديدة هو الأساس في إحداث أي تغير اجتماعي، ورفض التفسير الماركسي الذي يرى أن التغير الاجتماعي يبدأ بالتغير في العوامل الاقتصادية المادية، ثم يحدث التغير في باقي الظواهر الاجتماعية وكذلك في الأفكار والمعتقدات، (الجوهري، 1991، 156).

3- العلامة كوفالوفسكي : Kovalovsky (1851 – 1916)

يعد من أكبر علماء الاجتماع في روسيا، ورغم أنه تلقى تعليمه في روسيا إلا أنه سافر إلى أوروبا واتصل بكبار علماء الاجتماع، مثل هيربرت سبنسر وزميل وكارل ماركس وغيرهم، وسافر وحصل على أعلى الدرجات العلمية، وعمل أستاذاً لعلم الاجتماع بالجامعات الروسية، وسافر إلى أوروبا وأمريكا أستاذاً زائراً لجامعاتها، وتولى منصب عميد المعهد الاجتماعي الدولي. وهو يجمع في دراساته بين علم الاجتماع والسياسة والاقتصاد، وتتميز مؤلفاته بكثرة الأبحاث الاجتماعية التطبيقية.

أهم مؤلفاته الاجتماعية: (باللغة الروسية وترجمت إلى اللغة الإنكليزية)

- المجتمعات الزراعية. 1879
- التنظيم الاجتماعي في إنكلترا في أواخر القرون الوسطى 1880
- العادات الحديثة والقانون القديم. 1886
- القانون البدائي. 1887
- القانون والعادات في بلاد القوقاز. 1890
- النظم السياسية الروسية. 1902
- علماء الاجتماع المعاصرون. 1905
- علم الاجتماع (أربعة أجزاء). 1910
- أفكار جديدة في علم الاجتماع. 1913

أهم نظرياته الاجتماعية:

1- يعرف علم الاجتماع أنه علم التنظيم والتغير الاجتماعي، ويقصد بالتنظيم الاجتماعي حالة الاستقرار الاجتماعي، ويرى أن التغير الاجتماعي ينقسم إلى التطور والتقدم، ويفرق بينهما على أساس أن التطور قد لا يعني التقدم، أما التقدم فهو التغير الاجتماعي الذي يحقق الإصلاح الاجتماعي.

ويحدد منهج علم الاجتماع بأنه استقراء الحقائق العامة وتجريدها من الحالات الجزئية، والتوصل إلى القوانين العامة التي تفسر الحياة الاجتماعية في حالة الاستقرار وحالة التغير.

2- تعرض كوفالوفسكي لمشكلة تحديد العلاقة بين علم الاجتماع العام والعلوم الاجتماعية المتخصصة، وأكد استقلال علم الاجتماع العام عن فروع المتخصصة، أي

أنه ليس مجرد تجميع للحقائق التي تصل إليها الفروع المتخصصة، وإنما يدرس الحياة الاجتماعية بغرض الوصول إلى قوانين أكثر عمومية من قوانين العلوم الاجتماعية الفرعية. ويتميز علم الاجتماع العام بالتخصص في دراسة موضوع لا يشاركه في دراسته أي علم آخر، وهذا الموضوع هو التغير والتقدم الاجتماعي، ويعرف التقدم أنه تغيرات تاريخية إيجابية في البناء الاجتماعي الاقتصادي.

3- اهتم بتحديد مراحل التطور الاجتماعي، واعتمد في ذلك على التاريخ المقارن والدراسة العميقة التحليلية للأبحاث الميدانية المتوفرة في عصره، أي أنه يرفض التصور والتأمل منهجاً لرسم صورة التطور الاجتماعي. ويرى أن أقدم الأشكال الاجتماعية هي "المعشر"، وهو أصغر مجتمع إنساني عرف حتى الآن، ويتكون من عدة أسر تعيش معاً، ثم تطور المعشر وتحول إلى عشيرة، والعشيرة إلى مجموعة كبيرة من الأسر التي تعيش معاً في مجتمع محلي واحد، ويعتقد أفراد العشيرة أنهم يرجعون إلى أصل واحد، ولذلك تجمعهم روابط القرابة الدموية، ثم يتحدث عن نظام القرابة وكيف تطور من نظام القرابة الأمومية، حيث ينسب الطفل إلى أمه، إلى نظام القرابة الأبوية، ويتطرق إلى نظام الزواج والمحارم، وتعد دراساته أفضل ما كتب في عصره عن هذا الموضوع، ويبحث في تطور النظم الاقتصادية من الصيد إلى الرعي إلى الزراعة. ويدرس بالتفصيل النظام الإقطاعي، ويحدد صوره في الدولة البيزنطية وغرب أوروبا وروسيا والدول العربية الإسلامية واليابان، ثم ينتقل إلى ظهور الأفكار القومية، وظهور الأمم الديمقراطية، وهي آخر مرحلة وصل إليها تطور المجتمعات.

حلل عوامل التطور الاجتماعي ولاحظ كثرتها، ورفض إرجاع التطور الاجتماعي إلى عامل واحد، وهكذا رفض النظرية الماركسية التي تجعل النظام الاقتصادي العامل الوحيد الذي يفسر التطور الاجتماعي، واهتم بتوضيح أثر العامل السكاني ودور العوامل

الأخلاقية والسياسية والدينية في التطورات الاجتماعية، وهو لا ينكر أثر العامل الاقتصادي، ولكنه لا يخصص له مركزاً ممتازاً بين العوامل الأخرى. حلل كوفالوفسكي هذه العوامل المتعددة للتطور الاجتماعي، ورأى أنها تقوم على دعامتين: الدعامة الأولى هي أن التطور يستلزم التجديد والاختراع والتقليد والتكيف، وهذه ظواهر نفسية اجتماعية. والدعامة الثانية تتمثل في أن التطور الاجتماعي يستلزم تحسناً تدريجياً في قواعد السلوك الأخلاقي والتربوي. (الجوهري، 1991، 190-192).

الفصل الرابع

أولاً- النسوية

ثانياً- النزعة المعادية للعنصرية

ثالثاً- علم الاجتماع الراديكالي

رابعاً- النزعة البيئية

خامساً - العولمة

سادساً - الوظيفية



إذا كان علم الاجتماع قد تطور من خلال المنظورات الرئيسية التي ناقشناها آنفاً، فإن هناك مجموعة من الحركات المعاصرة التي تضرب بجذورها خارج حدود علم الاجتماع كان لها تأثير ضخم في تطوره. ومن أكثر هذه الحركات تأثيراً نذكر: النسوية، والنزعة المعادية للعنصرية، والحركة البيئية أو الحركة الخضراء.

— ، Feminism :

كانت النساء في الخمسينيات في وضع ثانوي تابع للرجال داخل منظومة علم الاجتماع، ولا نبالغ إذا قلنا إن النساء كن محتفيات من هذا العلم، وما ندعيه ينطبق على أصحاب القوة والنفوذ في علم الاجتماع - وأغليتهم من الرجال - ومحتوى موضوع هذا العلم، وعرضه بلغة "ذكورية"، واستشهادات من عالم يسوده الرجال. ثم أصبح علم الاجتماع أكثر انفتاحاً على التغير مقارنة بمعظم جوانب المجتمع.

ولا يزال العالم اليوم يهيمن عليه الرجال، ولكن يبدو أن هناك ارتفاعاً مطرداً في نسبة النساء اللاتي يتمتعن بوضع مرموق ومكانة متميزة في علم الاجتماع مقارنة بالعلوم الأخرى، وذلك على الرغم من أنهن يشكلن أقلية. وبتأثير الحركة النسوية أصبح محتوى موضوع علم الاجتماع يمر بتغير جذري (راديكالي) بل بتغير ثوري. ومن المؤكد أن معظم الكتب المدرسية في علم الاجتماع وغالبية المؤلفات فيه تُكتب الآن بلغة مصطبغة بالنوع الاجتماعي. وثمة اتجاه قوي نحو "ثانيث" محتوى علم الاجتماع.

فالعلاقات النوعية، **Gender Relation** - وما يرتبط بها من تحرير المرأة - تشكل موضوعاً في حد ذاته، إلا أن قضية النظام الأبوي (هيمنة الرجال) ومشكلات المرأة وأولوياتها أصبحت الآن جزءاً من كل موضوع من موضوعات علم الاجتماع. وقد

جعل البحث وصياغة المفاهيم والتنظير في هذا السياق من علم الاجتماع علماً أكثر تنويراً وتحريراً لكلا الجنسين.

، Anti-Racism :

النزعة المعادية للعنصرية واحدة من مصطلحات عديدة يمكن استخدامها للإشارة إلى حركات الاحتجاج على العنصرية ومناصرة المساواة، والتي أصبحت من الملامح المميزة لعالم ما بعد الحرب. وإذا نظرنا إلى هذه الحركات نظرة كلية فسوف نجد أن لها بُعدين: ثقافي وبنائي. فمن الناحية الثقافية أكدت تلك الحركات على واقع الإنجاز الذي يحققه السود - وهو موضوع أغفلته المناهج الدراسية الرسمية بما فيها علم الاجتماع - واحتجاجها على التفرقة العنصرية بالهجوم على الأنماط الجامدة والدعابات التي تسخر فيها الأعراق بعضها من بعض. وقد حاول كثير من علماء الاجتماع أن يحرروا موضوع العلم من العنصرية، وحدث نفس الشيء في مجالات أكاديمية أخرى مثل التاريخ. (عبد الجواد، 2002، 65)

وقد تزايد الاهتمام بحركات السود والقضايا المتعلقة بثقافتهم وعلاقتها بثقافة البيض، ومع ذلك لا تزال هناك قضايا كثيرة بحاجة إلى التحليل.

ويركز البُعد البنائي للنزعة المعادية للعنصرية على افتقار السود للقوة في المؤسسات: الاقتصادية والتعليمية وما إليها. وبهذا المعنى أصبحت العنصرية المؤسسية مفهوماً مقبولاً في علم الاجتماع. وهناك جدل حول ما إذا كان علماء الاجتماع يطبقون القيم المعادية للعنصرية تطبيقاً مؤثراً في تنظيم علم الاجتماع. فهناك أقلية من السود تحتل مواقع مهمة في علم الاجتماع مثلما هو الحال في المهن الأخرى. ويستثنى من هذا علم الاجتماع العنصري نفسه، وإن كان ذلك يعزز من الأنماط الجامدة عن السود.

هناك ادعاء قوي مؤداه أن الماركسية لم تعد في الواقع علم الاجتماع البديل الرئيسي عن علم الاجتماع الوظيفي / الرأسمالي. (عبد الجواد، 2002، 67)

فقد اتضح لنا أن جانباً كبيراً من علم الاجتماع ظهر منذ الستينيات ليعكس المنظورات النسوية والمعادية للعنصرية. أضيف إلى ذلك أن معظم التحليلات السوسيولوجية لعدم المساواة الطبقية لم تقم على افتراضات ماركسية رصينة (وهي الافتراضات التي اختلف بشأنها الماركسيون في كل الأحوال). وأصبحت أضلاع مثلث عدم المساواة (النوع الاجتماعي، السلالة، الطبقة) محور اهتمام ما يمكن أن نطلق عليه: "علم الاجتماع اليساري الراديكالي". وإذا قبلنا الادعاء بوجود علم اجتماع راديكالي عام، فإن ثمة اتجاهات واضحة لدى علماء الاجتماع المهتمين بضلع واحد من هذه الأضلاع الثلاثة أن يهتموا أيضاً - بدرجة أو بأخرى - بالضلعين الآخرين.

ومن الخصائص الأساسية لعلم الاجتماع الراديكالي أنه ينتقد اللامساواة في المجتمع الراهن، وأنه يهتم بإمكانية تغييرها. وقد عبر عن هذه الشخصيات تعبيراً واضحاً هوارد شيرمان وجيمس وود في كتابهما «علم الاجتماع: المنظورات التقليدية والراديكالية» بقولهما:

« يحاول علم الاجتماع الراديكالي أن ينظر في الترتيبات الاجتماعية من منظور الجماعات المضطهدة مثل الفقراء، والعاطلين، والعاملين، والسود، والأقليات الأخرى، والنساء. ومن هذا المنطلق ينصرف علم الاجتماع الراديكالي بعناية إلى المؤسسات الرئيسية في المجتمع الرأسمالي، حيث يهتم بكيفية وصول تلك المؤسسات - الاجتماعية والسياسية والاقتصادية - إلى أشكالها الحالية، ومن هم المستفيدون منها؟ وعما إذا كان

التغير الجذري في المجتمع ممكناً وضرورياً. وأخيراً يهتم علم الاجتماع الراديكالي بالبدائل المحتملة للتنظيم الاجتماعي الحالي». (Sherman & Wood, 1982: Preface)

على علم الاجتماع الراديكالي أن يهتم بالحرية الإنسانية قدر اهتمامه بتحقيق مزيد من المساواة. يجب أن يوضح أن أية محاولات لتحقيق مزيد من المساواة على حساب الحريات الأساسية لن تحقق هذا ولا ذاك، ولا بد من وجود تحليل رصين للعلاقة بين الحرية والمساواة، وللتوازن المطلوب بينهما.

، Environmentalism :

برز الوعي بالبيئة والاهتمام بها خارج نطاق علم الاجتماع، شأنه في ذلك شأن الحركات الأخرى التي ناقشناها من قبل. والحقيقة أن علم الاجتماع - حتى وقت حديث - كان أبطأ في تجسيد منظور بيئي مقارنة بالمنظور النسوي أو المنظور المعادي للعنصرية على سبيل المثال. وتفسير ذلك مرده إلى أنه إذا كانت النسوية والنزعة المعادية للعنصرية تركز على جماعات اجتماعية معينة، فإن حالة البيئة ليست من شأن أية جماعة على وجه الخصوص، مع أن البيئة تؤثر في كل فرد.

ومع ذلك فقد مست النزعة البيئية علم الاجتماع مساً وثيقاً في مجال التغير الاقتصادي وما يرتبط به من تغير اجتماعي. ومن هنا تزايد اهتمام علماء الاجتماع بتحليل الاستثمار الاقتصادي في بريطانيا وعلى المستوى الدولي من حيث تأثيره في الناس من جانب، وفي البيئة من جانب آخر. وتركز تحليلات المجتمع المحلي الآن على استقرار الناس في سياقات بيئية واجتماعية، وكلاهما يرتبط بالتنمية الاقتصادية أو انعدامها. ولذلك يُنظر إلى انحسار المناطق الحضرية الداخلية واحتمالات إعادة إحيائها على أنها قضية معقدة: اقتصادية واجتماعية وبيئية. ويعني الفساد الحضري: البطالة، والبيئة

الصناعية المتدهورة، وانعدام الفرص، والفساد الأخلاقي، وهناك اليوم دراسات اجتماعية كثيرة عن المدينة والتحضر وشكل الحياة بين الريف والحضر.

فهناك وعي متزايد - على سبيل المثال - بأن الشركات متعددة الجنسية تستطيع أن تسحق المجتمعات المحلية، وما لم تسيطر الحكومات على تلك الشركات فإنها قد تفعل ذلك دون أدنى مسؤولية. هذا إضافة إلى تنامي الوعي بالتدمير البيئي الذي تحدته التنمية الاقتصادية في بعض الأحيان، ويترك أثره في الناس وفي كوكب الأرض، والوعي بالمخاطر الناجمة عن إهمال هذا التدمير وتركه ديناً ثقیلاً على الأجيال المقبلة.

٢ - Globalization :

يحاول علم الاجتماع أن يكيف نفسه ليتصارع مع العولمة المتسارعة. وتحدث هذه الظاهرة سياسياً وثقافياً (عبور الإعلام والديانات الحدود الدولية)، واقتصادياً بطبيعة الحال. وقد واصل علم الاجتماع سعيه الدؤوب إلى تفسير هذه التغيرات في سياق "عالم متشابك" أو "قرية كونية" بلغة مارشال ماكلوهان. (عبد الجواد، 2002، 69).

هناك خوف في المجتمعات المحلية من طغيان العولمة وسيطرة الكوكبية على العالم وخاصة أمركة الثقافة وإلغاء الثقافات المحلية وحتى القومية.

٣ - :

ما هي الوظيفية؟ توجد ثلاث إجابات شائعة ومتداولة عن هذا السؤال: الوظيفة هي الوظيفية، التحليل الوظيفي هو الوظيفية، الإيديولوجيا المحافظة هي الوظيفية. ولكن، ماذا لو رسمنا الحدود الفاصلة بين الوظيفة والوظيفية، وبيننا أن فكرة الوظيفة حاضرة في كل المدارس والاتجاهات والتيارات الفكرية؟

وماذا لو رسمنا الحدود الفاصلة بين التحليل الوظيفي والوظيفية، وبيننا أن التحليل الوظيفي حاصر في كل المدارس والاتجاهات والتيارات الفكرية؟

وماذا لو رسمنا الحدود الفاصلة بين الإيديولوجيا والوظيفية، وبيننا أن الإيديولوجيا المحافظة حاضرة في العديد من المدارس والاتجاهات والتيارات الفكرية؟

في هذه الحالة سيُطرح السؤال: وما هي الوظيفة، إذن؟

الوظيفة والوظيفية: تجتمع في فكرة الوظيفة المعاني الأربعة الآتية:

- يتضمن المعنى الأول فكرة الانصراف إلى ما يقع تحت الحواس، والقطع (Rupture) مع النظرة إلى أصل الأشياء وغايتها النهائية.

«لتفسير الظاهرة الاجتماعية، ينبغي البحث عن "الوظيفة" التي تضطلع بها. ونحن نفضل استعمال كلمة "وظيفة" على كلمة "غاية" أو "هدف"، لأن الظواهر الاجتماعية لا توجد لتحقيق غايات نهائية، أو نتائج مرسومة سلفاً. وما ينبغي التفتيش عنه، وتحديدته هو درجة التطابق بين الظاهرة الاجتماعية والحاجات العامة للجسم الاجتماعي، ومضمون هذا التطابق، دون الالتفات إلى ما إذا كان هذا التطابق قصدياً (intentionnelle) أم لا. لأن مسائل القصد والقصدية يستحيل التحقق منها عملياً». (Durkheim, 1963, 91)

- يتضمن المعنى الثاني فكرة العلاقة بين الظواهر والصلة بينها، وفعل الواحدة في الأخرى. فبمجرد استبدال "الغاية" و"الهدف" بالوظيفة، فيعني ذلك، بالضرورة، شبكة من الوظائف تضطلع بها الظواهر الاجتماعية وبمجرد وجود شبكة الوظائف هذه، يعني ذلك، بالضرورة، النظر إلى الوظيفة التي تضطلع بها الظاهرة قياساً على الوظائف التي تضطلع بها الظواهر الأخرى وبمجرد النظر إلى وظيفة الظاهرة قياساً على وظائف ظاهرات غيرها، فيعني ذلك، بالضرورة، العلاقات المتبادلة بين الظواهر.

- يتضمن المعنى الثالث فكرة "الكلية المجتمعية". فبمجرد وجود شبكة العلاقات المتبادلة بين الظاهرات المختلفة، فيعني ذلك "الكل المجتمعي" الذي يمدّ كل وظيفة من الوظائف بمسوغ لوجودها، من خلال الاسهام الذي يقدمه نشاط جزئي في النشاط الكلي الذي يندرج ضمنه بوصفه جزءاً منه.

الوظيفية والاتجاه الوظيفي :

التحليل الوظيفي والوظيفية:

يستند التحليل الوظيفي إلى فكرة الكل الذي يتألف من أجزاء، ويقوم كل جزء منها بأداء دوره وهو معتمد في هذا الأداء على غيره من الأجزاء. ومن ثمّ يقوم التساند الوظيفي بين الأجزاء أو بين الأجزاء والكل. وفي هذا تكون ظاهرة مجتمعية ما محددة بمجموع الظاهرات المجتمعية الأخرى، وبالعلاقات التي تقيمها مع غيرها من الظاهرات. وفي النتيجة، يقف الكلام على الوظيفية أمام احتمالين:

الاحتمال الأول: الخلط بين الوظيفة، والتحليل الوظيفي، والإيديولوجيا المحافظة، من جهة، وبين الوظيفية والاتجاه الوظيفي من جهة أخرى. وفي هذه الحالة، تضع الوظيفية ويسود الالتباس وعدم الوضوح في الرؤية، فيتطابق عدد الاتجاهات الوظيفية عند من يخلط بين الاثنين، مع عدد المدارس والاتجاهات والتيارات الفكرية غير الوظيفية.

« يعترف الجميع في الوقت الحاضر بوجود عدة أنماط من الوظيفية. ويصل العدد، عند أحدهم، إلى 12 نمطاً وظيفياً». (روشر، بدون عام، 161)

الاحتمال الثاني: وعي الحدود الفاصلة بين الوظيفة، والتحليل الوظيفي، والإيديولوجيا المحافظة، وبين الوظيفية. وفي هذه الحالة، نعود من جديد إلى السؤال: ما هي الوظيفية إذن؟.

- يمثل العالم مالمينوفسكي (Bronislaw Malinowski) تطبيقاً للوظيفية فهو يدافع عن التناسق والانسجام الوظيفي، وعن الوحدة الداخلية للمؤسسات في المجتمع. ويذهب إلى أن المؤسسات الاجتماعية، أو المنعزلات الوظيفية (Isolats fonctionnels) كما يسميها، محكومة بفكرة الضرورة ('necessite')، ويفترض رابطاً قوياً بين وظيفة المؤسسة والحاجات البيولوجية الضرورية للكائن البشري.
- « المنعزل الثقافي، الذي أسميه (مؤسسة)، يتميز بأنه يقوم على مبدأ الضرورة ('necessite'). والوظيفية معرضة للخطأ الفادح إذا لم تدرس المظاهر الأساسية للثقافة، والتربية، والحقوق، والاقتصاد، والمعرفة، وإذا لم تحدد كل مظهر منها بإرجاعه إلى الحاجات البيولوجية للجسم البشري ». (مالمينوفسكي، 1960، 28)
- «في كل الحضارات، كل شيء مادي، وكل فكرة، وكل معتقد، يضطلع بوظيفة ضرورية للبقاء والاستمرار، ويقوم بمهمة، ويمثل جزءاً لا بديل عنه في كلية عضوية (totalite' organique) ». (مالمينوفسكي، 1968، 3)
- «عرف مالمينوفسكي، (1884-1942) أكثر من غيره، وبصورة واقعية ومقنعة، أن يقدم المجتمع والثقافة، مجموعات (ensembles) منظمة، مرتبة، تشكل كلية مؤلفة من أجزاء منسقة، مرتبة، ومتنوعة». (روشر، بدون عام، 170)
- «لقد لاحظنا أن الوظيفيين يركزون اهتمامهم على «سكونية» (Statique) البنية الاجتماعية، ويهملون دراسة التغيرات البنيوية. إن مفهوم العسر الوظيفي (dysfonction) يؤمن النظرة التحليلية المطلوبة في دراسة الدينامية الاجتماعية: كيف يمكن للعسر الوظيفي ألا يتحول إلى عدم استقرار؟ وكيف يؤدي تراكم الضغوطات إلى تغير بنيوي يعمل على تقييد العسر الوظيفي؟ والسؤال المركزي هو: ألا يهمل الوظيفيون الذين يسكنهم هاجس

التوازن المجتمعي دراسة عدم التوازن المجتمعي؟ وألا يخفقوا في توقع اتجاهات التغير المجتمعي؟».

ميرتون ك. روبرت (1910 - 2003) Robert K. Merton



عالم اجتماع أمريكي، ولد جنوب فيلاديفيا 1910/7/5م، من عائلة يهودية عاملة مهاجرة من شرق أوروبا، يقول عن نفسه بأنه لم يعرف المعاناة في طفولته، ارتبط منذ صغره بالموسيقا والحياة الثقافية، وأصبح والده الروحي وزوج أخته في مراهقته تشارلز هوبكنز موجهاً له نحو الفن، وعندما صار عمره 17

سنة دخل جامعة تيمبل، وتابع دراسته في جامعة هارفرد، حيث اتجه نحو علم الاجتماع بإشراف معلمه جورج سيمبسون، الذي أعد بإشرافه أطروحة عن الزواج في صحافة فيلاديلفيا، وعرفه إلى آرثر فاوست، ووالف بانشر.. وإلى العديد من المفكرين الزواج في فيلاديلفيا، وكذلك تعرف إلى الفيلسوف المولود في فيلاديلفيا والمتعلم في هارفرد: آلين لوك. حصل ميرتون على أطروحته من جامعة هارفرد 1936م وأصبح أحد أعضاء هيئة التدريس في جامعة هارفرد، ثم عمل في جامعة كولومبيا وأصبح أستاذاً فيها عام 1947م، وعمل مديراً لمركز الدراسات الاجتماعية المطبقة بين 1942 - 1971م، تتلمذ ميرتون على يد علماء اجتماع أمثال: بيتريم سوروكين، وتالكوت بارسونز، وهاندرسون... واستقل عنهم لاحقاً ليصنع مدرسته الاجتماعية وبناءه الفكري.

دعاه بيتريم سوروكين (1889-1968) ليكون معه باحثاً مساعداً، وكلفه ببحث عن علم الاجتماع الفرنسي، ثم شكلت المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع مصدراً أساسياً في وعي ميرتون العلمي.

تعرف ميرتون في جامعة هارفارد إلى المحاضر تالكوت بارسونز (1902 - 1979). أساس المدرسة البنائية الوظيفية، التي أدخل عليها ميرتون تعديلات كبيرة، يرى ميرتون أن مفهوم الوظيفية قديم وقد تأخر في دخوله إلى علم الاجتماع.

أكد ميرتون أن علم الاجتماع يمكن أن يخدم الاتجاهات لدراسة المجتمع على المستوى الكبير Macro والمستوى الصغير Micro: النظريات الاجتماعية من المستوى الكبير مثل الوظيفية تركز على الظواهر الكبيرة أو الحضارة، (وهذا ما أكد عليه دوركهام في دراسته للانتحار عبر الحضارات) أو دراسة الجريمة العابرة للمجتمعات.. بالمقابل يدرس علماء الاجتماع على المستوى الصغير Microsociology مجموعات صغيرة، وغالباً تجريبية يمكن اختبارها، مثل: كيف يصبح الفرد مجرمًا؟ البحوث الاجتماعية على المستوى الصغير يمكن أن تتضمن كيف يتم الطلاق؟ الحوادث المعزولة، دراسة الأدوار الاجتماعية المؤثرة كلاً على حدة، تأثير الأساتذة في الطلاب... عرفت هذه النظرية عند ميرتون بنظرية المدى المتوسط: فهماً للسلوك الاجتماعي وللبنية الاجتماعية وللتغير الاجتماعي، فلقد رفض ميرتون منظور (بارسونز) الكلي والشمولي عن الفعل الاجتماعي، ورأى أن البحث عن نظام كلي للنظرية الاجتماعية مثل الأنظمة الفلسفية الشاملة مصيره الاخفاق يقول ميرتون: نحن لسنا معدين لبناء نظرية عامة، لأنه ليس لدينا المعطيات الكافية لذلك. على علماء الاجتماع أن يركزوا جهودهم على النظريات المتوسطة المدى (Middle range theory) الأمل يتعلق بانتخاب مستوى من التحليل يمضي إلى ما وراء البحث عن الحوادث الجزئية، مع الحذر من الوقوع في تأملات نظرية مغامرة، مقطوعة جذرياً عن الملاحظة.

أضاف ميرتون للمدرسة الوظيفية تفصيلات متعددة عن الأدوار الاجتماعية، ولاحظ أن كل وضع اجتماعي لا يقابل دوراً وحيداً، بل جملة من الأدوار (مجموعة أدوار)

فالأستاذ يعمل مع طلابه ومع المدير ومع الآباء.. ولكل دور توقعات اجتماعية مختلفة وأحياناً متناقضة، قدم ميرتون مجموعة من الآليات التي تجنب الأدوار صراعاً بالغ العنف، وصولاً إلى درجة من الاستقرار الاجتماعي.

استكمالاً لانتقاداته المتواصلة لوظيفية بارسونز قدم ميرتون مفهوم الوظيفة الظاهرة: الآثار الموضوعية التي تسهم في التكيف مع النظام الاجتماعي بشكل مقصود. والوظيفة الكامنة (المستترة): الآثار غير الظاهرة للفعل الاجتماعي. مثال ذلك: الهنود من قبيلة الهوبي يقومون بشعائر راقصة لجلب المطر (ظاهرياً) وبغض النظر عن المطر فإن الرقص الجماعي له آثار غير معلنة (مستترة) هي التضامن الاجتماعي.

انتقد ميرتون مسلمات الوظيفة الإنترولوجية التي قدمها مالفينوسكي (1884-1942) ولا سيما أن كل عنصر ثقافي في المجتمع يقوم بوظيفة معينة، وأن كل عنصر لا بد منه ولا غنى عنه؛ إذ يرى ميرتون أن الحاجة الواحدة الاجتماعية أو النفسية يمكن أن تسد أو تشبع من قبل عناصر ثقافية متنوعة وأحياناً متغيرة، واقترح ميرتون نسبية المسلمات الوظيفية، ومفهوم البديل الوظيفي، يقول: إن عنصراً واحداً قد يكون له عدد من الوظائف، ووظيفة واحدة قد يقوم بها مجموعة من العناصر المتغيرة المتبادلة بهدف دعم النظام الاجتماعي.

ركز ميرتون على دراسة الظواهر اللاوظيفية مثل الطلاق والجريمة.. الناشئة في البيئة الاجتماعية بفعل التوترات والتناقضات: في كتابه (البنية الاجتماعية والانحراف) وحلل ردود الأفعال السلوكية المختلفة للأفراد في علاقاتهم مع أهداف وقيم المؤسسة الاجتماعية. ويرى أن المجرم لا يستطيع الوصول إلى أهداف المجتمع بالوسائل المقبولة اجتماعياً، فيسعى للوصول إلى أهدافه بطرق غير مشروعة أي بالجريمة، وهذا هو شكل انسجام السلوك الإجرامي مع المجتمع.

أنجز ميرتون العديد من البحوث الاجتماعية المطبقة مع زميل عمره بول لازرسفيلد (1901-1976) ومنها دراستهما عن الاتصال الجماهيري، وأثر غزارة المعلومات في المجتمع وخاصة في سوق العمل، وكذلك دراستهما عن الجريمة وعن البيروقراطية بوصفها ظواهر لا وظيفية في المجتمع.

خلال حياته العلمية الطويلة تدرب على يد ميرتون مجموعة كبيرة ممن أصبحوا اليوم علماء اجتماع في أمريكا مثل جيمس س. كولمان وسيمور مارتن ليسست.. وغيرهم.. يقول كولمان: «كان أستاذاً نموذجياً ومرشداً، وزميلًا موثوقاً.. موته - بعدة طرق - يضع نهاية لمرحلة علم الاجتماع في القرن العشرين».

ألف ميرتون 20 كتاباً و200 مقالة، منها:

- (العلم والتقنية والمجتمع الإنكليزي في القرن السابع عشر، 1938).
 - (الاقتناع الجماهيري: علم النفس الاجتماعي للحرب، 1946).
 - (النظرية والبنية الاجتماعية، 1949) أشهر كتبه، وطبع ثلاثين مرة
 - (علم الاجتماع اليوم، 1965)،
 - (في علم الاجتماع النظري، 1967)،
 - (علم اجتماع العلم، 1973).
 - (على أكتاف العمالة، 1993) قدم فيه خلاصة تجربته الحياتية والمعرفية.
- توفي في نيويورك 23 شباط 2003م عن 92 عاماً.

الفصل الخامس

أولاً- النظام الاقتصادي

ثانياً- النظام الديني

ثالثاً- النظام الأسري

رابعاً- النظام الطبقي



الإنسان - كما عرفنا - حيوان حضاري يعيش في تفاعل اجتماعي مستمر مع البيئة من جهة، ومع غيره من بني البشر من جهة أخرى، وينشأ عن هذا التفاعل قواعد خاصة هي مجموعة النظم والقوانين الاجتماعية التي تحفظ للمجتمع استمراره، وتنمي بين أفراد الروابط الاجتماعية من أجل خيرهم ومنفعتهم.

ومن أهم النظم الاجتماعية المرتبطة بوجود الجماعات البشرية يظهر نظام المعيشة أو ما يعرف "بالنظام الاقتصادي"، ونظام التقديس والعبادة أو ما يُعرف "بالنظام الديني"، ونظام الزواج بأشكاله وآثاره المختلفة أو ما يعرف "بالنظام الأسري"، والنظام الذي يحكم علاقة الحاكم بالمحكومين أو ما يعرف "بالنظام السياسي"، ونظام المراكز الاجتماعية الذي يعرف "بالنظام الطبقي".

هذه النظم - على الرغم من تباينها - تشترك في مجموعة من الخصائص التي تضفي عليها صفات العمومية والإلزام والموضوعية والنسبية، وهي جميعها مترابطة ومتساندة؛ لأنها تنبع من طبيعة واحدة هي الطبيعة الاجتماعية التي يتحقق في إطارها سلامة المجتمع وسلامة أفراد في الوقت ذاته.

ويرتكز النظام الاجتماعي على مقومات أساسية يتحقق بتوافرها تكامل تركيبه البنائي، وهي: العنصر البشري المنفّذ للنظام؛ والعنصر المادي المتمثل في الأدوات والأجهزة التنفيذية؛ والعنصر المعنوي المتمثل في القواعد الأخلاقية والسنن الاجتماعية والآداب المصاحبة للنظام؛ والعنصر الرمزي المتمثل في الشعارات والرموز والنماذج على شاكلة دبلّة الخطوبة في النظام الأسري، وعلم الدولة في النظام السياسي، وبراءات الاختراع في النظام الاقتصادي، والهلل أو الصليب في النظام الديني؛ والألقاب والرتب

في النظام الطبقي؛ والعنصر الديناميكي أو الحركية المتمثل في استمرارية تغيرها ونموها.
(عيسى، 1975، 120)

وتنعكس بساطة البناء الاجتماعي أو تعقيده على النظم الاجتماعية، فكلما تعقدت شبكة العلاقات الاجتماعية ازدادت النظم تعقيداً وتعددت وظائفها. ويلاحظ أن تعدد الوظائف لا يسير بصورة طردية مع التغير في بنية النظام، فمع أن النظام قد لا يتغير من ناحية البناء، إلا أن وظائفه تقبل الزيادة والإضافة إلى الوظيفة الأصلية له؛ فالوظائف تتغير دائماً أكثر من تغير البناء ودرجة التعقيد في تركيبه.

وتفصيل دراسة النظم الاجتماعية في تحديد الاحتياجات المجتمعية، ذلك لأن أي نظام اجتماعي يقوم أساساً لتلبية مجموعة من الحاجات الاجتماعية. ولهذا تتباين النظم بحسب تفاوت هذه الحاجات؛ ويمكن أن تتسع لتضم النظام الاقتصادي، والديني، والأسري، والطبقي، والسياسي، والقضائي، والتربوي، والأخلاقي، والترويحي وما إلى ذلك. ولأهمية النظم الأربعة الأولى سنقتصر على إلقاء الضوء على كل منها.

— :

يعد النظام الاقتصادي من أقدم أشكال النظم الاجتماعية؛ لأنه ملاصق لنشوء الإنسان وتقدمه، فقد حاول الإنسان - مدفوعاً بغريزة البقاء - أن يخضع الطبيعة لإرادته من أجل توفير طعامه وكسائه ومأواه. ويذهب مورجان (Morgan 1818-1881) - بعد بحوث أنثروبولوجية دقيقة - إلى تأكيد أن المجتمع القديم قد مرّ بثلاثة مراحل: أولها مرحلة الوحشية: حيث اعتمد فيها الإنسان على ما تجود به الطبيعة وعلى صيد الحيوان أو السمك، ثم مرحلة الهمجية: حيث اعتمد فيها على الزراعة والرعي واستئناس الحيوانات والدواجن، وأخذ يستخدم عقله في تيسير معاشه، ثم مرحلة المدنية: حيث تقدم عقل الإنسان واعتمد فيها على التجارة والمبادلات.

ففي مرحلة الوحشية كانت الملكية مشاعاً للجميع، ما عدا الأشياء الشخصية التي كانت ملكية خاصة، حتى إنها كانت تدفن مع صاحبها عند وفاته بما فيها الزوجة نفسها. هذا النوع من الاشتراكية البدائية كان ضرورة اقتصادية استلزمته طبيعة الحياة في مجتمعات دائمة التعرض للخطر، مما يستلزم شيوع المسؤولية وشيوع الانتفاع؛ كما أن الجماعات البدائية كانت تعيش في حالة اكتفاء ذاتي ذلك لا يتطلب وجود ملكية خاصة لأدوات الإنتاج.

وفي مرحلة الممحية - التي استطاع فيها الإنسان أن يستأنس الحيوانات البرية قلّت درجة المخاطرة التي كان يتعرض لها في الصيد، واتسع وقت فراغه فتعلم الزراعة وبنى المساكن وبدأ بإنتاج الثمار والمحاصيل، واستخدم أدواته من الحجر المصقول والمعادن التي صهرها وشكلها لتلبية حاجاته الضرورية. وبدأ الإنسان في هذه المرحلة يفكر في غده، فأخذ يحتاط لمستقبله، فابتدع وسائل لحزن القوت وحفظ اللحوم، فبنى شبه الصوامع لحفظ الغلال، واكتشف وسائل تدخين اللحوم وتليحها وتبريدها، واخترع المحراث الذي ساعده على الاستقرار في الأرض. واستلزمت طبيعة الحياة الاقتصادية في هذه المرحلة استثمار الأسر واستحواذها على الأرض التي تفلحها، ثم على ثمرات هذه الفلاحة، ومن ثم تحولت إلى الاكتناز الخاص وإلى الملكية الخاصة بعد أن أصبح انتقال الملكية بالميراث أمراً معترفاً به في مجتمعات الرعي والزراعة. وفي هذه المرحلة ظهرت الصناعات اليدوية لإنتاج بعض السلع بقصد الإشباع الخاص لحاجات العشيرة أو القبيلة، مما أدى إلى تضيق نطاق المعاملات والمبادلات، وقد أسهم في تضيق نطاق المعاملات أنّ المبادلات - في هذه المرحلة - كانت قاصرة على العشائر التي تربطها وحدة الطوغم (رمز ديني) أو القبائل التي ترتبط بروابط القرابة أو الحيرة.

وفي مرحلة المدنية ساعدت العوامل الاقتصادية على نشأة عدد كبير من المدن التي قامت أساساً على ظهور نوع من الصناعة أو سوق من الأسواق أو كشف مادة من المواد الأولية، مما ساعد على إيجاد انتعاش اقتصادي يسمح بقيام مجتمع دائم يؤدي اتساعه إلى ظهور مدينة ضخمة.

وتؤثر الأحوال الاقتصادية فيما ينشأ بين الشعوب من علاقات ودية أو عدائية، كما تؤثر في حياة الناس الفكرية وفي ازدهار الفنون والآداب والعلوم، وفي الشخصيات التي يمثلها النظام الاقتصادي. ولهذا يتباين شكل النظام الاقتصادي بحسب أيديولوجية المجتمع؛ فإذا تعقبنا حركة التاريخ يمكن أن نميز بين النظام الإقطاعي والنظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي، ويمكن أن نميز بين نظام الاقتصاد الحر والاقتصاد المختلط والاقتصاد الموجه. فالاقتصاد الحر يقوم على فلسفة قوامها خضوع الظواهر الاقتصادية لنظام طبيعي لا يمكن التخلص منه أو تغييره، لأنها ليست من صنع الإنسان، وليس من مصلحته تغييرها؛ لأنها أفضل ما يمكن الحصول عليه؛ وعلى هذا يقتصر عمل الأفراد والحكومات على تنظيم الجهود بما يتفق وأحكام هذا النظام. أما الاقتصاد المختلط فيقوم على وجود قطاع عام وقطاع خاص على نفس المستوى من القوة؛ أو عن طريق اشتراك الدولة في عدد من المشروعات التي يظل للسيادة الخاصة فيها دور غير قليل الأهمية. ويعد هذا الشكل وسيلة من وسائل تهذيب النظام الاقتصادي الرأسمالي عن طريق تدخل الدولة الجزئي في المشروعات الاقتصادية. ويتميز الاقتصاد الموجه بفلسفة قوامها تقديم المجتمع على الفرد، ويرتكز على الفكرة التي تنادي بالتضامن الإنساني، والحرص على أداء الواجب نحو المجتمع قبل المطالبة بالحقوق. وقد تطور هذا المبدأ بتأثير كارل ماركس عندما عدّ المجتمع - الذي يعنيه هو - طبقة اجتماعية معينة، يرى تقديمها على باقي الطبقات؛ لأنها تمثل الطبقة المنشئة للمنفعة. كما أن المذاهب الاشتراكية تنادي جميعها بالمساواة بين

الناس عن طريق تحسين أحوال الطبقات الفقيرة، كما تنادي بتحويل الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج إلى ملكية جماعية. (عيسى، 1975، 123)

ومهما تفاوتت درجات الحرية أو التدخل، فلا يذهب علم الاجتماع إلى إصدار أحكام معيارية حولها وإلى أن يفاضل بين نظام اقتصادي وآخر، لأن تطور هذه النظم جاء وليداً للتغير في العلاقات وفي طبيعة البناء الاجتماعي. ومن هنا تغير شكلها أثناء سيرها، واندثر بعضها، وكتب لبعضها الآخر البقاء والاستمرار. فمنذ القدم سادت فكرة سد الحاجات الرئيسية، فكان الإنسان يعمل من أجل بقائه واستمراره؛ وهكذا اتجه إلى جمع الخيرات التي تسد حاجاته الأولية مبتدئاً بأكثر الحاجات إلحاحاً، ومع التطور ظهرت فكرة حق الملكية للحاكم وحده، ثم جاء نظام ينادي بأن تكون الملكية حق لكل مواطن حر، وساد المبدأ الاقتصادي "**دعه يعمل، دعه يمر**" وترتب على ذلك تكدُّس الثروات في يد أصحاب المصانع، وظهر تحكُّمهم واحتكارهم للسلع، ثم ظهرت فكرة الملكية بوصفها وظيفة اجتماعية، وتلتها فكرة ملكية الدولة لجميع القوى الاقتصادية وعوامل الإنتاج.

وفي جميع هذه المراحل يقاس نضج المجتمع وتقدمه بارتقاء مستوى المهارة لدى أفرادهِ؛ ويدخل ضمن هذه المهارة التي تؤثر في مستوى الإنتاجية كل من نوع الأدوات المستخدمة في الإنتاج، ومدى مساهمتها لمستلزمات التقدم الفني، إلى جانب مستوى الثقافة العامة في المجتمع ودرجة الجمود والأمية فيه؛ هذا إلى جانب إمكانيات تطوير الأيدي العاملة وتنمية مهاراتها.

كما يختلف مفهوم العدالة الاجتماعية باختلاف النظام الاقتصادي السائد، فالرأسمالية تدعي أنها وحدها الأمانة على شكل العدالة وجوهرها إلى الحد الذي تذهب فيه إلى القول بأن "**تكافؤ الفرص**" يعني عدم التدخل في مساندة العناصر الضعيفة أو

المعوقة - لأسباب طبيعية أو مكتسبة - لأن الناس خُلقوا متفاوتين في قدراتهم واستعداداتهم الجسدية والنفسية والعقلية، بل وفي مهاراتهم وإمكاناتهم الاجتماعية والأخلاقية، فالعدالة الاجتماعية - وفقاً للفكر الرأسمالي - تعني الحرية بأوسع معانيها، حرية الأغنياء في أن يزدادوا ثراءً، وحرية الفقراء في أن يظلوا - كما أرادوا لأنفسهم - وبقوا فقراء معوزين؛ ولهذا فإن معدل الربح - في المجتمعات الرأسمالية - هو الذي يحدد شكل الاستثمارات في القطاعات المختلفة، وإن المنافسة الحرة هي التي تهذب من تجاوز الربح المعدل الملائم لاحتياجات المستثمر، ومن ثم الوصول إلى توازن عادل دون تدخل الدولة أو تعديلها لمسارات التغيير. وهكذا تلجأ الدول الرأسمالية، عندما تتبين الحاجة إلى نوع معين من الإنتاج - سواء كان ذلك لمصلحة المستهلك أم لمصلحة الدولة في ظروف معينة - إلى توجيه البنك المركزي إلى خفض سعر الفائدة على القروض التي يطلبها المستثمرون من البنوك التجارية لاستثمارها في مشروع معين أو قطاع بذاته. ويؤدي ذلك إلى التحول السريع نحو هذا القطاع الذي يتمتع بهذه الميزة التي تساعد في الحصول على معدل أكبر من الربح. وقد يلجأ البنك المركزي لاجتذاب الاستثمارات نحو نوع معين من النشاط إلى خفض سعر القطع، حتى يشجع المستثمرين والمنتجين على بيع إنتاجهم بالأجل، ويحصلون من البنوك التجارية - التي يسلمونها الكمبيالات المؤجلة السداد - على قيمتها فوراً بسعر قطع منخفض. ويحدث نتيجة لذلك تحركات سريعة داخل الهيكل الاستثماري الرأسمالي دون تدخل الدولة بصورة سافرة. (عيسى، 1975، 125)

وقد تلجأ الدولة إلى منح إعانات لتصدير السلع والخدمات حين ترى أن هناك إجحاماً ما عن الاهتمام بتصديرها بالصورة التي تحقق توازناً لصالحها في الميزان التجاري. ففي عصر التخصص الدقيق تتميز بعض المجتمعات بإنتاج سلع معينة في أحسن الظروف، ومن هنا ينخفض ثمنها وترتفع جودتها؛ ويكون من المفيد أن تتحول الدولة التي

لا تنتج هذه السلعة في ظروف ملائمة إلى إنتاج سلع أخرى، وتستورد هذه السلعة. ومن هنا يتطلب هذا التخصص توسيع نطاق السوق بما يقلل من تكلفة الإنتاج. ويبدو أن تشجيع التصدير أمر بالغ الأهمية، ولا يتيسر ذلك إلا إذا كان محصناً ضد عوامل المنافسة الخارجية، فيكون لانخفاض السعر عامل مؤثر وقوي في اكتساب أسواق جديدة. ولهذا تتجه الدول الرأسمالية إلى منح إعانات التصدير أو منح إعفاءات عن رسوم الإنتاج والضرائب المحلية المفروضة على السلعة عندما توجه إلى التصدير الخارجي.

وإلى جانب إعانات التصدير تظهر إعانات الإنتاج، وتمارس تأثيراً لا يقل فعالية عن الأولى، ولكنها تختلف عنها في الظروف التي تدفع إلى منحها. فبينما تستخدم إعانات التصدير للسلع الناجحة فعلاً وسيلةً لخفض الثمن؛ فإن إعانات الإنتاج تهدف إلى إنتاج سلعة معينة وتسويقها محلياً بسعر أقل من سعر التكلفة، بقصد حمايتها من منافسة السلع المناظرة لها والمستوردة من الخارج. فمن المعروف في ظل الاقتصاد الرأسمالي أن حرية الاستيراد والتصدير مفتوحة أمام المستثمرين دون قيود على حجم الاستثمار من البلاد التي تحدث معها المعاملات. وهكذا قد ترد للدولة أنواع من السلع بأسعار أقل من مثيلاتها المنتجة محلياً، ولو ترك ذلك للمنافسة الحرة لتطلب تحولاً تاماً من جانب المستثمرين عن إنتاج هذه السلعة كلية؛ وقد يؤثر ذلك في الاقتصاد العام للدولة، فتلجأ هذه الدولة إلى أسلوب تتستر من ورائه بأنها لا تتدخل في حرية المستوردين أو إلى فرض ضرائب مرتفعة على أنواع معينة من السلع المستوردة وخاصة السلع الواردة من الدول المعاملة بالمثل، هذا الأسلوب يظهر في شكل إعانات الإنتاج.

ويبدو ذلك واضحاً حتى في تصدير القوى البشرية لكي تعمل خارج أوطانها. فقد تلجأ بعض الدول - التي تهدف إلى تشجيع تصدير الخامات لمجتمعات معينة - إلى منح

أجور أو مرتبات أو مكافآت للأشخاص الذين يبدون استعداداً للعمل في البلاد التي تتضمنها قوائم إعانات الخدمة الخارجية.

كما تلجأ الدولة إلى إعفاء الشركات والمؤسسات من الضرائب على الجزء من الأرباح الذي يوجه إلى التحسينات والمستحدثات في الهيكل التكنولوجي، بهدف حث هذه المشروعات على مواكبة ركب التقدم العلمي، والإقدام على استبدال الآلات القديمة بأخرى حديثة، مما يسهم بصورة مباشرة في تحسين مستوى الإنتاج. كما تلجأ إلى إعفاء المشروعات الإنتاجية وغيرها من الضرائب على الجزء من الأرباح الذي يوجه إلى الخدمات والرعاية الاجتماعية، بما في ذلك نفقات المنشآت والأدوات والخبراء والمساعدات أو الخدمات التي تقدم للفراء والمحتاجين فيها.

ويهدف ذلك إلى تشجيع هذه المشروعات على تهذيب مساوئ النظام الرأسمالي ورفع مستوى الخدمات التي تقدم للعاملين بوصفها هدفاً بعيداً من أهداف الحفاظ على الرأسمالية.

أما مفهوم العدالة الاجتماعية في الفكر الاشتراكي فإنه يقوم على محتوى مغاير تماماً لمفهومها في الاقتصاد الرأسمالي. فالعدالة كما تفهمها الاشتراكية تعني تدخل الدولة لتحقيق عدالة الفرص وعدالة التوزيع في حدود الخير العام. ولكن الطريق إلى هذه العدالة ليس واحداً لدى أصحاب الفكر الاشتراكي أنفسهم. فالاشتراكيون المثاليون مثلاً يؤكدون أهمية التبادلية في تقديم الخدمة، أي أن المجتمع الاشتراكي العادل هو الذي يقوم على أساس أن «لكل بحسب قدرته ولكل مقدرة بحسب ما تقدمه من إنتاج»؛ ومن هنا يفضل الاشتراكيون المثاليون الديكتاتورية المستنيرة التي تستطيع أن تضع حدوداً فاصلة للحرية العادلة. والاشتراكيون التعاونيون يذهبون إلى القول بأنه طالما ظلت المنافسة تسيطر على النظام الاقتصادي، فلن يسود الرضا بين الناس؛ ولهذا لا بد أن يحل تنظيم

الصناعة التعاوني محل المنافسة على أن تكون الملكية جماعية. ويذهب أوين - مثلاً - إلى تأكيد أن هذا الانتقال لا يتطلب حرباً طبقية، ولا اضطرابات عمالية، أو إجراءات سياسية، ولكنه يتطلب تسليم الطبقات العليا بضرورة قيام نظام اجتماعي جديد على أساس سلسلة من التجارب التعاونية المحلية تقبل على الاشتراك فيها جميع الطبقات إذا تطلب الموقف ذلك. ويذهب الاشتراكيون الماديون - بزعامة ماركس (1818-1883) - إلى القول بأنه من العبث أن نوجه اللوم إلى الفرد - رأسمالياً كان أم بورجوازياً - بسبب ما هنالك من مظالم، لأن الظروف الاجتماعية هي التي تحجر الرأسمالي على التصرف بشكل معين، ومن العبث أن نأمل في تغيير الظروف أو في تحسينها بتحسين الناس فقط، لأنهم لن يكونوا أفضل إلا إذا سارت النظم إلى الأفضل.

وعلى الرغم من هذه الاختلافات في الشكل الخارجي لمفهوم العدالة الاجتماعية فإنها تتفق في نظرتها لجوهر هذه العدالة، أي عدالة النظم في ذاتها، وعدالة النظم في تطبيقاتها. ولهذا تتفق جميعها على ضرورة إدخال تعديل جذري على نظام الملكية فلا تتحول إلى استغلال الأقوياء للضعفاء؛ وتتفاوت أشكال هذا التعديل من مجتمع لآخر بحسب احتياجاته ومشكلاته وتصوراتهِ للحياة الأفضل. فمثلاً تسمح الاشتراكية السان سيمونية بالملكية الفردية إذا كانت منتجة - وخاصة الملكية الصناعية - وأن ترتبط بالعمل، وأن تؤول إلى الدولة بمجرد وفاة صاحبها. بينما تذهب اشتراكية شارل فورييه إلى أن الملكية الناتجة عن العمل أسمى مراتب الملكية بوصفها محصلة القوة الإنتاجية القائمة على عدالة مطلقة. ويذهب برودون إلى السماح بالملكية الفردية المحدودة لوسائل الاستهلاك غير القابلة لإعادة الاستثمار فتصبح وسائل الإنتاج بمنأى عن الملكية الفردية، ومنأى عن ملكية الدولة؛ ففي رأيه أن الملكية الجماعية الحقيقية هي التي تنشق عن جهاز جماعي يستمد سلطاته من الشعب مباشرة. بينما ترى الاشتراكيات المعتدلة أن الملكية

الخاصة العادلة ضرورة اجتماعية وحق إنساني لا يمكن إلغاؤه أو تجريده من المجتمع، ولكنها تفرق بين نوعين من الملكية الخاصة: ملكية مستغلة أو تفتح الباب للاستغلال، وملكية غير مستغلة تؤدي دورها في خدمة الاقتصاد الوطني كما تؤديه في خدمة أصحابها. وعلى هذا تقوم الملكية في ظل هذه الفلسفة على أساس توسيع قاعدة الملكية الفردية من جهة، وتحقيق الجماعية العادلة المتمثلة في التعاونيات وفي تدعيم القطاع العام في الوقت ذاته من جهة أخرى. (عيسى، 1975، 128)

ويرتبط بالنظام الاقتصادي ارتباطاً وثيقاً تحديد حد أدنى من التربية الاجتماعية لكل فرد؛ ليكون ذلك بمنزلة قاعدة الارتكاز الأساسية لشق طريقه بأمان وبعدل مع أقرانه في معترك الحياة. وتتفاوت الأنظمة الاشتراكية في فهمها لماهية هذا الحد الأدنى، فمنها من يفتح الباب على مصراعيه حتى يكون العلم حقاً للجميع دون أي معوقات مادية حتى نهاية مراحلها، ومنها من يقصر هذا الحق على المرحلة الأولى بوصفها ضرورية في إعادة الفرد للحياة وتمكينه من المنافسة السوية في ظل إطار سليم لمفهوم تكافؤ الفرص. وبوجه عام، فهناك اتفاق على أن حاجات وتطلعات الفئات كثيرة العدد وشديدة الحرمان ينبغي أن توضع في قاعد السلم الهرمي بوصفها أشد الحاجات إلحاحاً، ومن ثم تأخذ المرتبة الأولى في عملية التغيير. كما أن جميع الأشكال الاشتراكية تتفق في أن العمل هو العنصر الأساسي للإنتاج، وبهذا يتلاشى المفهوم غير العادل للعمل بوصفه سلعة تتحدد قيمتها في سوق العرض والطلب، أو بوصفه جزءاً مكافئاً للآلة يلقي من الرعاية القدر الذي يوجهه للآلة فقط، دون اعتبار للتفاوت الكبير بينهما. ففكرة إعطاء العامل حق المشاركة في الإدارة وفي الأرباح هي تصحيح لمفهوم العمل، ومن ثم لا يصبح عنصراً دخيلاً في الإنتاج، وإنما يصبح دوره إيجابياً بما يؤديه من زيادة الدخل القومي وزيادة الدخل الخاص في وقت واحد. ويترتب على تعديل مفهوم العمل الاهتمام بالجوانب

الإنسانية فيه عن طريق تخفيض ساعات العمل بما يهيئ الفرص لامتناع جانب كبير من الأيدي العاملة التي لا يمتصها سوق العمل رغم استعدادها للعمل، وفي الوقت ذاته يتيح قدراً أكبر من وقت الفراغ الذي يهيئ الفرصة - عن طريق النشاط الترويجي الموجه - في بناء وتدعيم الشخصية الفردية وفي زيادة الطاقة الإنتاجية. هذا إلى جانب إشاعة الطمأنينة لدى الفئات الكادحة عن طريق الأمن الاجتماعي والتأمينات الاجتماعية لتخفيف حدة التناقضات الاجتماعية في المجتمع المعاصر.

— : —

هل مرت الإنسانية بفترة من عدم التدنّين؟ هذا التساؤل لم يطل حوله الجدل، ولم تتسع دائرة الخلاف حوله، فقد أجمع الباحثون - سواء في علم الاجتماع أم في علم الأديان - على أن الإنسانية لم تمر بفترة من عدم التأمل، وعُدّ هذا التأمل - سواء أخذ صورة خوف أم صورة إعجاب أو تعجب - محتوى ظاهرة التدنّين. وعلى هذا لم يخلُ مجتمع إنساني - مهما كانت درجة بساطته - من نظام ديني يتلاءم وطبيعته.

بدأ التدنّين يظهر في صورة خوف ورهبة من الظواهر التي يجد الإنسان نفسه عاجزاً أمامها، وخاصة ظاهرة الموت، والظواهر الطبيعية كالصواعق والرعود والعواصف. ثم أخذ التأمل صورة تقدير وإعجاب ببعض الظواهر التي تمنح الإنسان القدرة على العيش وعلى تيسير أمور حياته، وهكذا تأمل الإنسان القمر والشمس والنجوم التي ترشده إلى طريقه وقدرها وأعجب بها ثم قدم لها الأضحيات والقربان.

ثم بدأ الإعجاب يأخذ صورة تعجب ودهشة من حركة الشمس والقمر، وتعاقب الليل والنهار، وصار هذا التعجب يتأرجح في فلك الحب من ناحية والرهبة من ناحية أخرى، أصبح يحبها لأنها تمنحه شيئاً، ويكرهها لأنها تحرمه أشياء.

ويعتقد مورجان (1818-1881م) أن أقدم ديانة ظهرت في آسيا هي عبادة الأرض، حيث كانوا يعدونها الأم الكبرى. فالأرض هي التي تمنح الخصب وتنبت الزرع وتعطي المحاصيل وتمسك عن الإثثار. ثم أخذ الإنسان يعبد الكائنات البشرية وخاصة أرواح الموتى، وهكذا ظهرت عبادة الأسلاف، ثم تدرجت هذه العبادة من فكرة الخوف والرغبة إلى عبادة قائمة على الوفاء والمحبة، وبهذا تدرج الإنسان إلى عبادة ما يُعرف بالإله البشري أو الإله الأب إلى درجة أن بعض مشاهير الملوك أصبحوا آلهة في حال حياتهم، بل إن الإنسان عرف في مرحلة من مراحل التاريخ عبادة التوهم، وهو - كما أسلفنا - عبارة عن رمز حيواني أو نباتي أو مظهر من مظاهر الطبيعة أو جماد من الجمادات. ومن المهم أن كل شكل من أشكال التدين التي عبرتها الإنسانية، يصاحبه مجموعة من الشعائر مهما كانت الفلسفة التي تحكمها، وجميعها ترمي إلى استرضاء الآلهة وتجنب أذاها. ومن أقدم الشعائر التي عرفت الإنسانية "السحر التمثيلي" الذي اعتمد على أداء طقوس خاصة وحركات معينة، فكان المتعبد يقوم بما يماثل الأفعال التي يطلبها من الآلهة، كأنما يغريها بتقليده، فإذا أراد نزول المطر مثلاً فإنه يقوم ببعض الشعائر - على شاكلة صب الماء من أعلى الشجرة أو فتح مظلته رجاءً لنزول المطر، أو كأن تقوم المرأة العقيمة بحمل دمية صغيرة، وتقوم بحركات تعبر عن الأمومة فتضعها مثلاً استدراكاً لعطف الآلهة ومنحها ما تطمح إليه - وهذا هو ما يسمى بالسحر التمثيلي.

وتدرج شكل الشعائر من السحر التمثيلي إلى تقديم قربان أو أضحية لاسترضاء الآلهة، فقدمت عروس لاسترضاء النيل، وأخرى لاستدراك عطف الأرض وقت البذار، فالجتمعات الإنسانية جميعها تؤكد أن الإنسانية لم تحرم - في أي مرحلة من مراحل تاريخها - من نظام ديني تتجمع في إطاره التفاعلات والشعائر والطقوس التي تعكسها الظاهرة الدينية بوصفها ظاهرة اجتماعية تتصف بالعمومية والإلزام.

وقد اهتم دوركايم بالنظام الديني، وتوصل من الدراسة المقارنة إلى أن كثيراً من الديانات لا تقوم على الاعتقاد بوجود آلهة أو أرواح، ومن أمثلة ذلك البوذية والتوتمية. وعلى هذا فإن فكرة وجود إله أو آلهة ليست هي الصفة المميزة للنظام الديني؛ وفي رأيه أن أي نظام ديني يقوم على عنصرين أساسيين: الأول ينطوي على العقائد والأيدولوجيات والثاني يتضمن العبادات والطقوس والممارسات. فالعقائد هي الإطار المرجعي للحالات الفكرية والتصورات الذهنية التي تركز عليها الحياة الدينية لكل جماعة بشرية، أما العبادات فهي مبادئ عملية تتجسد في نشاطات سلوكية تتخلل الفترات والأعياد والمناسبات الدينية.

فإذا طبقنا عناصر النظام الديني على الديانة التوتمية - التي تعد من أقدم الأديان، وتتصل اتصالاً وثيقاً بكل تكوين اجتماعي تكون العشيرة أساسه - نجد أنها تنطوي على أيديولوجية قوامها تقديس التوتم، وتقديس الرمز التوتمي، وتقديس النوع التوتمي، فالبدائي الذي يدين بالتوتمية يعتقد أنه مشارك في طبيعة النوع التوتمي الذي يحمل اسمه. وليست الرموز التوتمية أشياء مقدسة في ذاتها؛ إذ هناك موجودات حقيقية لها مكان مهم في الطقوس الدينية؛ فمن ناحية الممارسات يلاحظ تحريم أكل التوتم أو قتله أو لمس جزء من أجزائه؛ ويرجع هذا التحريم إلى فكرة المانا Mana المقدسة وهو الاعتقاد بأنه يكمن في التوتم عنصر المانا المقدسة الذي يتلف كل شيء غير مقدس. (عيسى، 1975، 132)

فإذا حللنا أي نظام ديني - بدائي أو حديث - نجد أعضاء للنظام (هم الرؤساء الدينيون والهيئات الدينية)، ونجد رموزاً وقوى مقدسة، ونجد شعائر وطقوس، ونجد ممارسات وحكماً وشروحاً ومحرمات. وعلى هذا فإن درجة القدسية والتبجيل لم تتغير على مرّ العصور، وأنما يتغير شكل الممارسات ومحتواها فحسب.

،
—
:

تعد الأسرة - في نظر علماء الاجتماع على اختلاف اتجاهاتهم ومدارسهم - الشكل الاجتماعي الأول للحياة الإنسانية، وظهر فساد وجهات النظر القائلة بوجود مرحلة من "الشيوعية الجنسية" مرت بها الإنسانية. فالأشكال التي أخذها الزواج في الجماعات البسيطة على شاكلة "الزواج الجمعي" (group marriage) المتمثل في تعدد الأزواج وتعدد الزوجات، أو وحدانية الزوجة وتعدد الأزواج؛ أو الأشكال التي أخذها محور القرابة - في جماعات ما قبل الاستقرار - على شاكلة "القرابة الأمومية" (matriarcal)، أو بعض الممارسات التي ظهرت في عهود سحيقة على شاكلة "تبادل الزوجات" أو "نكاح البدل" أو "حق الليلة الأولى"، أثار اهتمام مجموعة من الأنثربولوجيون الرواد للتحقق من وجود فترة من الشيوعية الجنسية في مرحلة ما من مراحل التاريخ الإنساني.

من هؤلاء الرواد نذكر "باخونين" (Bachonin) و"ماكلينان" (McLinan) و"مورجان" (Morgan) وهؤلاء الثلاثة قالوا بإمكانية وجود مرحلة شيوعية جنسية وارتكزوا في حكمهم التصوري هذا على مقدمات خاطئة أو مضللة، ومن ثم فمن الطبيعي أن تكون النتيجة غير صحيحة كذلك.

يقول باخونين: إن الإنسانية عرفت مرحلة كانت القرابة فيها أمومية، أي أن الطفل كان ينسب إلى أمه دون أبيه، ولم ير باخونين أكثر من هذا الدليل لكي ينسب إلى الإنسانية أنها مرت بفترة من الشيوعية الجنسية حيث كانت النساء لا يستطعن تحديد آباء الأطفال الذين أنجبوا خلال فترة زمنية معينة. ولكن الاستدلال على أنه لم يكن للنظام الأسري وجود بسبب محور القرابة الأمومية أمر تعسفي تماماً، إذ إنه من الثابت أن السبب المباشر لنظام القرابة الأمومية هو عدم إمكانية تحديد الأنساب بسبب المخاطر الجمة التي كان يتعرض لها الأزواج - في مرحلة القنص والصيد - حيث كانت مسؤولية

الزوج أن يخرج إلى الغابات ليصطاد، وتختص الزوجة - كما أسلفنا - بتجهيز الطعام وتربية الأطفال. فإذا لم يعد الزوج من رحلة الصيد بعد فترة زمنية كافية للتأكد من أنه لا يزال على قيد الحياة؛ فإن لزوجته الحق في أن تتزوج برجل جديد يتولى مسؤولية الصيد وإحضار الطعام والكساء. وكان من الملائم - في هذه الظروف - أن ينسب الطفل الذي تحمله المرأة في أحشائها إلى أمه؛ لأنه لم يكن هناك ما يؤكد نسبته إلى أي من الرجال الذين تزوجتهم المرأة في فترة معينة. وهكذا لا يجوز اعتبار محور القرابة الأمومية دليلاً على الشيوعية الجنسية، وإنما هو نظام اجتماعي قائم ومُعترف به من قِبل الجماعات الإنسانية التي أخذت به. (عيسى، 1975، 134)

أما ماكلينان فإنه يتصور وجود مرحلة سابقة لقيام الأسرة - كنظام اجتماعي - كانت فيها العلاقات الجنسية مشاعاً وغير محددة. ويستند في تدعيم وجهة نظره على ركيزتين: إحداهما عادة وأد البنات، والثانية "زواج الأبعد" أو ما يعرف بالزواج من الخارج (exogamy) فهو يعتقد أن وأد البنات أدى إلى ندرة الإناث، مما يتطلب نوعاً من الشيوع الجنسي؛ وهذا التفسير يتعارض مع ما أثبتته التحليل التاريخي لنظام الزواج من أن نظام تعدد الأزواج ووحداية الزوجة كان معترفاً به في هذه المرحلة، بل من الثابت أنه على الرغم من ندرة النساء فإن نظام تعدد الزوجات مع تعدد الأزواج أو وحداية الزوج وتعدد الزوجات كانت كلها قائمة في وقت واحد.

ولهذا فإن استخدام ظواهر التعدد أو الوحداية وبعض العادات ذات الطابع الاقتصادي، كعادة "الوَأْد"، أو بعض العادات ذات الطابع الأخلاقي "كالخطف" لتفسير عدم وجود نظام للزواج، وبالتالي حرمان الإنسانية - في فترة من تاريخها - من وجود نظام أسري، أمر لا يتواءم مع قواعد الاستدلال العلمي.

ويذهب مورجان إلى أبعد من ذلك في تأكيده على وجود مرحلة من الشيوعية الجنسية مستنداً إلى معطيات تاريخية تشير إلى أنه كانت هناك ممارسات جنسية بين الأخ وأخته، أو بين الأب وابنته، كما وجدت عادات - في زمن الجاهلية - كتبادل الزوجات، أو نكاح البدل، أو حق الليلة الأولى وجميعها يشير إلى الإباحية والشيوع في الممارسات الجنسية. وهذا التفسير مضلل تماماً؛ لأن الممارسات الجنسية تأخذ شكلاً يعترف به المجتمع وينظمه، ولو كان زواج الأخ من أخته - كما كان يحدث في مصر القديمة - يؤكد وجود نظام زواجي يتسع لمثل هذا النوع من العلاقات؛ ومن جهة أخرى فإن تبادل الزوجات - مادامت تحكمه معايير وقواعد محددة - لا تخرجه عن دائرة النظام الزواجي المعترف به في مجتمع ما وفي مرحلة معينة.

إن النظام الأسري ليس شكلاً متقدماً عرفته المجتمعات الحديثة وحدها، وإنما هو نظام اجتماعي لم يخلُ منه مجتمع من المجتمعات عبر عصور التاريخ المتعاقبة.

فالأسرة هي الخلية الأولى والأساسية في بناء المجتمع البشري؛ وعلى الرغم من أنها تعرضت للتطور من ناحية وظائفها ومن ناحية حجمها، إلا أن وجودها نظاماً اجتماعياً ظل باقياً على حاله، فقد تطورت وظائفها من الاتساع إلى الضيق، وهي لا تزال مستمرة حتى وقتنا هذا؛ فلم يبق لها من وظائفها الاقتصادية والدينية والقضائية سوى وظيفتها التربوية. وهذا الاتجاه من الاتساع إلى الضيق ليس مؤشراً مرضياً، لأن هذا التخلي هو مطلب من مطالب الحياة الاجتماعية الحديثة، ولكن الخطر الحقيقي يكمن فيما لو فقدت الأسرة وظيفتها في التنشئة الاجتماعية، ولهذا توجه للأسرة برامج إنشائية ووقائية وعلاجية لتحميمها من أي اضطراب يؤثر في وظيفتها التربوية الحيوية. أما حجم الأسرة فقد تطور من الضيق إلى الاتساع، ثم إلى الضيق مرة أخرى، ففي مطلع الحياة الأسرية كانت الأسرة نووية nuclear - لا تضم سوى الأزواج والأبناء - ومع تطور النظام

القبلي امتدت الأسرة extended وكبر حجمها، وفي ظل النظام الصناعي الحديث انكمش حجم الأسرة وضاق إلى أدنى حد عرفته الإنسانية.

وتمر الأسرة الحديثة في تشكيلها ونموها بأربع مراحل: أولها مرحلة التكوين، يليها مرحلة الزواج، ثم مرحلة إنجاب الأطفال، وأخيراً مرحلة الإعفاء. ولكل مرحلة خصائصها ومقومات نجاحها؛ فمرحلة التكوين تتميز بغلبة العاطفة على العقل، ولهذا تتطلب توافر الظروف التي تساعد الزواج القائم على الاختيار الأمثل؛ ومرحلة الزواج تتميز بمواجهة فعلية بين الخيال والواقع، وتتطلب قيام أجهزة تعالج ما يواجه الأسرة حديثة البناء من اضطرابات أو خلافات، ومن هنا تظهر أهمية مكاتب التوفيق الأسري والمعونات الأسرية؛ أما مرحلة الإنجاب فتتميز بسيطرة التعاون والغيرية بين طرفي الأسرة، وتتطلب توجيهاً مستمراً لتنمية الوعي الأسري، وخاصة في تنظيم الإنجاب وتربية الأطفال حتى تكون الأسرة أداة طيبة للتنشئة الاجتماعية السوية. وأخيراً فإن مرحلة الإعفاء في حياة الأسرة، وهي ما يعرف بخريف البناء الأسري، بما تتضمنه من مشكلات مادية وعاطفية ناشئة عن سوء التكيف للواقع الاجتماعي، بعد أن تعود الأسرة إلى وضعها الثنائي الذي ظهرت به في بداية تشكيلها، وتكون الأسرة قد أدت دورها في إنجاب الأطفال وتنشئتهم، واستقل الأبناء والبنات بأسر زواجية جديدة؛ وتتطلب هذه المرحلة توافر برامج متكاملة تُعنى بالناحية الصحية والنفسية والمادية لطرفي الأسرة، إلى جانب برامج المشورة الفردية؛ لمواجهة المطالب المادية والعاطفية التي تتميز بها هذه المرحلة المهمة في الأسرة الحديثة.

—
:

الطبقات ضرورة اجتماعية، فلا يمكن أن يوجد مجتمع بلا طبقات، أو مجتمع من طبقة واحدة. ويذهب سان سيمون إلى أن النظام الطبقي هو في الحقيقة تأكيد لطبيعة الحياة الاجتماعية، ولهذا فهو لا يهاجم هذا النظام في ذاته، وإنما يهاجم سوء التنظيم

فيه، ويدعو إلى إعادة التوزيع الطبقي حتى تجدد كل طبقة المكان الذي يتفق مع فائدتها للمجتمع، والذي يتفق مع مدى ما تقدمه من خدمات للمجموع. ويتحقق هذا التنظيم عن طريق تهيئة أسباب الحياة السوية أمام الطبقة العاملة، وعدم استغلالها لصالح أصحاب رؤوس الأموال.

ويذهب سان سيمون (1767-1825م) إلى القول بأن الأوضاع الطبقيّة في أي مجتمع لابدّ أن تسير التقدم الذي تتجه إليه الإنسانية في سيرها عبر التاريخ. فالتنظيم الطبقي يجب أن يتفق مع فائدة كل طبقة ومع الخدمات التي تقدمها للجنس البشري والتقدم الإنساني. فقبل الثورة الفرنسية - مثلاً - كان الشعب الفرنسي يتكون من ثلاث طبقات: النبلاء والبرجوازية والصناع. وكان النبلاء يحكمون، والبرجوازية والصناع يدفعون لهؤلاء الحكام. أما اليوم فإن الشعب لم يعد مقسماً إلا إلى طبقتين فقط: البرجوازية التي قامت الثورة الفرنسية على أكتافها، والتي وجهت الثورة وجهة تتفق مع أهدافها الخاصة، والطبقة العاملة التي تدفع الضرائب عن النبلاء والبرجوازية في الوقت نفسه.

ويرى سان سيمون أن يُعطى لكل طبقة من المكانة ما يتفق مع فائدتها الحقيقية للمجتمع دون اعتبار للحسب أو للنسب أو للمركز الاجتماعي، وأن تُهيأ الأسباب التي تساعد على رفع مستوى معيشة الطبقة العاملة، والتخلي عن الأساليب المنافية للإنسانية في استغلال العمال لصالح أصحاب رؤوس الأموال. وعلى الحكومات أن ينصرف اهتمامها إلى تحسين حال هذه الطبقة التي لا تلقى أية عناية، وأن ينظر إليها على أنها عنصر أساسي في تقدم الإنسانية، لأن الجنس البشري لن يسير سيراً حثيثاً في طريق التقدم طالما أنه منقسم إلى معسكرين غير متعادلين، هما: معسكر أصحاب الأعمال من جانب، ومعسكر الأيدي العاملة من جانب آخر؛ ذلك أن المعسكر الأصغر عدداً يستخدم دائماً كل قوته في السيطرة على المعسكر الأكبر عدداً.

فالتبقات من مستلزمات الحياة في المجتمع الإنساني، وينبغي لذلك أن يقوم النظام الطبقي على العدالة الاجتماعية حتى لا تغطي طبقة على أخرى. ويتصور سان سيمون أنه عندما يصبح العمل مقياساً للمكانة فإن المجتمع الإنساني سوف يتكون من طبقتين: إحداهما كبيرة تكون في القمة، وهي طبقة العاملين والمنتجين والمنشئين للمنفعة، وطبقة أخرى صغيرة، تكون في القاعدة وتضم العاطلين بالوراثة، وهم الذين يكسبون ولا يعملون. فهؤلاء يكونون ثرواتهم عن طريق الفائدة أو الربح أو الربح الذي لا يصاحبه عمل. وسرعان ما تذوب هذه الطبقة في الطبقة الأولى كثيرة العدد؛ لأنها لا يمكنها الاستمرار في وضعها دون عمل، ومن ثم يتكون المجتمع من بناء واحد متماسك في داخله طبقات رأسية، وفي داخل كل طبقة درجات متميزة بحسب المهارة والإبداع والمران والتعليم وما إليها. وهذه الطبقات الرأسية لا يشكل بعضها ضغطاً على بعض كما هو الحال في الطبقات الأفقية، وتعد تأكيداً على أن التمايز الطبقي ليس هو بذاته التقسيم الطبقي، إذ إنه يمكن أن تقوم الطبقات دون أن تتصارع؛ لأنه لا يوجد تمايز بين طبقة وأخرى؛ لأن لكل منها دوراً محدداً في البناء الاجتماعي. والتمايز الذي يمكن أن يحدث داخل الطبقات الرأسية هو ما يعرف باسم «التدرج الطبقي» (stratification)، وهذا النوع من التدرج يتميز بالمران وسهولة الانتقال من درجة إلى أخرى، على عكس ما هو معروف في النظام الطبقي الجامد social castes - على شاكلة الطبقات القائمة على أساس ديني أو عرقي أو سلالي، والتي لا يحق للفرد فيها أن ينتقل من طبقة لأخرى، مهما تحققت له من المزايا العلمية أو القيادية أو الثروة وما شابه ذلك. فالتبقات الجامدة ظهرت لارتباطها بمفهوم جامد، أما الطبقات المرنة فتربط بمقومات ثقافية أو سياسية أو اقتصادية. (عيسى، 1975، 139)

ولهذا تختلف درجة مرونة النظام الطبقي باختلاف المقومات التي يركز عليها التقسيم الطبقي، فعندما ظهرت الزراعة وبدأ التملك الفردي، ظهرت طبقات تستند إلى القدرة الجسمية، فالأقوياء استطاعوا أن يستحوذوا على الأرض، وحرّم الضعفاء من الملكية؛ وهكذا قامت طبقات تضغط بعضها فوق بعضها الآخر إما بسبب القدرة على التملك وإما بسبب السيطرة بالمفاهيم العسكرية والحربية في مرحلة تاريخية معينة. وعندما اعترف بتراكم الثروة الأسرية أو الفردية - وانتقالها عن طريق الميراث - ظهرت طبقات اجتماعية قوامها القدرة الاقتصادية.

وعلى هذا فإن أعضاء أي طبقة اجتماعية يشتركون معاً في صفات "معزوة" أو "مكتسبة"، ووفقاً لهذين العاملين يزداد أو ينقص معدل الوعي أو الإحساس الطبقي. فبينما يقول هيجل Hegel (1770-1831) بأن المصلحة الموضوعية للطبقة تتحول إلى وعي في عقل الفرد من أبناء هذه الطبقة، وتنشئ بذلك التفكير الطبقي والوعي الطبقي، فيتصرفون تبعاً لهذا الوعي، نجد أن كارل ماركس (1818-1883) يقول عبارته الشهيرة: «ليس وعي الإنسان هو الذي يحدد وجوده، وإنما الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد وعيه». أي أن الإنسان يحدده المكان الذي يحتله في المجتمع؛ ولهذا فهو لا يكتفي بأن يكون لدى العمال وعي طبقي، بل يُطالب بأن يكونوا طبقة واعية. فالحالة الأولى تقتصر على معرفة وضعهم، أما الحالة الثانية فهي وعي بوضعهم ودورهم الطبقي. ومن هنا يضع ماركس ركيزتين للتغيير الاجتماعي في الأوضاع الطبقيّة، الأولى: أن تكون الطبقة الكادحة أداة للنضال السياسي، والثانية أن تؤمن الطبقة الكادحة بقانون التطور الاجتماعي، وهو أن الكفاح ينتهي دائماً - على صورة واحدة - بانتصار الطبقة الأوفر عدداً والأسوأ حالاً.

فالأفراد في أي مجتمع ليسوا سوى آلات يسخرها الجهاز الاقتصادي القائم، ويتحكم في هذا الجهاز الاقتصادي عامل قوي ومهم نشأ تلقائياً منذ أقدم العصور، وهو كفاح الطبقات الاجتماعية من أجل تحسين أحوالها. ويذهب ماركس إلى حد مطالبة الطبقة الكادحة بأن تصرع وتحطم أعداءها ولو في بحر من الدماء؛ وهذا ما يجعله يقف في الجانب المتطرف مقارناً بالفكر السان سيموني الذي ينادي بإذابة الفوارق الطبقيّة، عن طريق إلغاء الإرث وتحويل الملكية الفردية إلى ملكية انتفاع مدى الحياة فقط، ثم ترثها الدولة بعد وفاة صاحبها. ومن جهة أخرى مسايرة التدرج الطبقي لعصر العلوم الوضعية الذي تقاس فيه قيمة الفرد بعمله ومقدرته، وتأخذ فيه الجماعة مكانتها الاجتماعية بحسب دورها في الإنتاج والخدمات. وهكذا يتعدل الوضع الطبقي، على المدى الطويل، وتنصهر الطبقة القليلة العدد، التي كانت تستمتع بالنفوذ والسلطة مع الطبقة الكبيرة العدد، التي كانت محرومة من كل مقومات الحياة في بوتقة واحدة.



الفصل السادس

أولاً- علاقة علم الاجتماع بالفلسفة

ثانياً- علاقة علم الاجتماع بالسياسة

ثالثاً- علاقة علم الاجتماع بالسكان

رابعاً- علاقة علم الاجتماع بالتاريخ

خامساً- علاقة علم الاجتماع بعلم النفس

سادساً- علاقة علم الاجتماع بالانثروبولوجية

سابعاً- علاقة علم الاجتماع بالاقتصاد



- يعد علم الاجتماع جزءاً من نظرية المعرفة، ويتحدد موقعه من خلال العلوم الاجتماعية التي تشكل جزءاً من نظرية المعرفة أيضاً.
- إن نشاطات الإنسان متعددة ومختلفة، وهذا يتطلب أن تكون في ميادين معرفية مستقلة (علوم)، فتعددت العلوم الاجتماعية وغيرها بتعدد نشاطات الناس.
- من هنا فإن العلاقة بين هذه العلوم كلها هي جوهر الإنسان بنشاطاته المختلفة.
- إن العلوم الاجتماعية ذاتها تكون متكاملة ومتراصة، ولا يمكن فصل بعضها عن بعض فصلاً كاملاً.
- إن العلوم الاجتماعية تختص بدراسة الإنسان في المجتمع، فالحياة الاجتماعية تتطلب وجود العديد من أدوات ووسائل العيش المادية وغير المادية.
- ولهذا بالرغم من القول باستقلالية علم الاجتماع أو العلوم السياسية عن العلوم الاجتماعية الأخرى، فإن هذا الاستقلال نسبي، وكل العلوم مترابطة بمناهجها الدراسية وأهدافها العامة إلخ.
- وتأسيساً على ذلك سنتطرق إلى علاقة علم الاجتماع ببعض العلوم الأخرى من خلال إبراز العلاقة بينهما ودور كل منهما.

تهتم كل العلوم الاجتماعية بجوانب متعددة من حياة الإنسان، وذلك لأن أركان المجتمع متكاملة، وبالتالي فالعلوم الاجتماعية متكاملة.

ورغم استقلالية العلوم الاجتماعية عن علم الاجتماع العام فإن بين هذه العلوم وشائج وعلاقات حميمة، وأولى هذه العلاقات علاقة علم الاجتماع بالفلسفة.

- نعرف أن الفلسفة هي أم العلوم الطبيعية والاجتماعية، ومنها انبثقت مختلف العلوم، ومنها مختلف العلوم الاجتماعية، كأهم استقل أولادها عنها واحداً إثر الآخر.
- لقد كان ابن سينا فقيهاً، متصوفاً، لغوياً، طبيباً، شاعراً.... إلخ، وهكذا كان الفيلسوف في تلك العصور، ولكن مع تعقد وتراكم المعرفة البشرية في كل مجال استقلت مختلف العلوم، فأصبح هناك علم مستقل للكيمياء، وعلم للفيزياء، وعلم الطب... ورغم ذلك بقي للفلسفة (الأم) موضوعاتها التي تعبر عن الأسئلة الأبدية للإنسان حول الوجود، والماهية، والحياة،... والتي هي مرجعية عامة للعلوم كافة.
- الأسئلة الكبرى في العلوم الطبيعية التي تحمل أرضية فلسفية جديدة في النظر إلى المحيط الإنساني والكون مثل النسبية والتطور، أدت إلى نتائج فلسفية على مستوى فهم الإنسان لنفسه وللعالم المحيط، فقد فهم الإنسان بعد النظرية النسبية حدود سرعته ونسبية الحقيقة، فهي تتحدد بموقعك بالنسبة إلى الحادثة التي تصفها، وغيّرت النسبية من معرفتنا وفهمنا للزمان والمكان. (أينشتاين 1879 - 1955). وألغت المفاهيم المطلقة عن الوجود.
- لقد كان الإنسان قبل إثبات كروية الأرض يعتقد أنه مخلوق مميز، وأنه مركزي بالنسبة للكون، لأن الأرض مركزية بالنسبة للكون، ولم يكن يعتقد بأن هناك ما هو أكبر من الأرض، ولكن بعد (نيكولاي كوبرنيكوس) /1473م/ وإثباته لكروية الأرض بالتعاون مع خليفته العلمي غاليليو 1564-1642م. عرف الإنسان حجم الأرض الصغير بين أجرام سماوية لكون لا حدود له... لقد كان إثبات دوران الأرض والتبعية للشمس أمراً مهماً في فهم الإنسان لنفسه ومحيطه.

شعر الإنسان بأنه ذرة صغيرة في كون لا متناه، وعلم أن الأرض التي كانت ثابتة لآلاف السنين في نظره، تسير حول الشمس بسرعة 100 ألف كم في الساعة.

- وكذلك قضت التطورية مع تشارلز داروين (1809 - 1882) على الفهم الفلسفي للإنسان بكونه كائناً مميزاً بين الكائنات الحية. ليصبح جزءاً من الكائنات الحية، يخضع للقوانين العامة التي حكمت تطورها عبر آلاف السنين.

هذا على مستوى العلاقة بين الفلسفة والعلوم الطبيعية التجريبية، فكيف على مستوى العلوم الاجتماعية؟ التي انفصلت عن الفلسفة في وقت متأخر من العصر الحالي من جهة، ومن جهة ثانية ترتبط بالفلسفة بوشائج أعمق وأشد.

فالسؤال حول مصدر سلطة الدولة الذي بحثه الإنسان منذ هوميرو وسقراط وأفلاطون وأرسطو والفارابي وروسو وكانت وماركس ولينين ... لا يزال قائماً.

والسؤال حول مصدر سلطة الدولة الذي بُحث من قِبَل علم الاجتماع والسياسة والأنثروبولوجية والتاريخ والاقتصاد والقانون والشرعية ... لا يزال حيواً وقائماً؛ لأنه في أصله سؤال فلسفي يرتبط بمهنية وحدود العلاقة بين الفرد والجماعة، ويصل بمدى حرية الفرد وحرية الدولة إلى معنى الحرية التي هي مسألة فلسفية محضّة. وهذا يذكرنا بقصة (همس الجنون) للكاتب الروائي نجيب محفوظ التي تقول بأن تفكير الإنسان بأنه حر حرية مطلقة هو جنون مطلق.

ولو بحثت لوجدت قضية مصدر سلطة الدولة مسألة مهمة في كل العلوم الاجتماعية.

ويمكن القول إن علم الاجتماع هو أشد العلوم الاجتماعية تعلقاً بأمة الفلسفة، والمحاولات الحثيثة من قبل علماء الاجتماع لسحبه من بين أحضان أمه لا تزال عسيرة

وحديثة، ولكنها تتقدم، وذلك باعتماد علم الاجتماع أكثر فأكثر على أخيه الإحصاء وعلى التكميم الذي يحاول فيه علم الاجتماع الاعتماد على الرقم دليلاً على استقلاليته. وعلاقة علم الاجتماع بالفلسفة أشد، لأن علم الاجتماع أكثر التصاقاً بقضايا الإنسان الكبيرة والثقيلة، التي تجعل من علم الاجتماع عاجزاً عن حملها من دون الفلسفة، مثل علاقة الفرد بالجماعة، وبسلطة الدولة، منهجية البحث الاجتماعي، طبيعة الظاهرة الاجتماعية، القيم الاجتماعية، منبع التغير الاجتماعي، الحتمية واللاحتمية.

— ' : —

يدرس علم الاجتماع أنماط المؤسسات البنوية التي يتكون منها المجتمع والتركيب الاجتماعي لهذه البنية من حيث أسسها وعناصرها التكوينية وأصولها التاريخية. أما السياسة فتركز على دراسة الدولة وعلاقتها بالأفراد، وكذلك المؤسسات والأحزاب السياسية، كما تدرس العلاقات الدولية والقانون الدولي، وإمكانية قيام حكومة لكل العالم.

العلاقة بين علم الاجتماع والسياسة هي أن عالم السياسة يعتمد على عالم الاجتماع في فهم العلاقات الاجتماعية في المجتمع والتي هي أساس الظواهر السياسية. (الحسن، 1988، 35)

ظهر التفكير السياسي نتيجة تيارين:

أ- التيار الذي يهتم بالتفريق بين المجتمع والدولة، أي بين ما هو اجتماعي وما هو سياسي.

ب- التيار الذي يقول بأن السياسة هي أداة ضبط لمسيرة الأفراد في المجتمع، وأداة لحل الصراعات بين الجماعات والأفراد حول المصادر.

مهمة العالم السياسي هي:

- التعريف والتصميم للمفاهيم السياسية.
- اكتشاف طبيعة المجتمع السياسي ووظائفه.
- دراسة المذاهب والأفكار والأيدولوجيات السياسية.

أما علم الاجتماع فيدرس العوامل والمتغيرات الاجتماعية التي تكمن خلف الظواهر والأحداث والقوى السياسية.

الفروق بين علم الاجتماع والسياسة

علم الاجتماع	السياسة
علم الاجتماع يدرس الأسباب والنتائج الاجتماعية التي يفرزها السلوك الاجتماعي أو الحدث. (مثل ما خلف الثورة)	العلوم السياسية تدرس السلوك السياسي أو الظاهرة السياسية، مثل الثورة الفرنسية 1789م.
حقل علم الاجتماع أوسع من حقل علم السياسة، فهو يشكل كل الحياة وكل المجتمع والأسرة والعلاقات.	حقل السياسة أضيق، فهو يختص بدراسة المؤسسات السياسية والدولة والعلاقات السياسية والقوة السياسية.
علم الاجتماع حديث، فقد نشأ في القرن التاسع عشر (أوغست كونت 1798 - 1857).	العلوم السياسية أقدم تاريخياً من علم الاجتماع فقد ظهرت منذ ظهور الدولة وتحكم مجموعة من الأشخاص في مجتمع محدد.

العلوم السياسية تحتاج إلى اختصاص علم الاجتماع لفهم القوانين الاجتماعية، وكذلك لفهم وإدراك عملية التحول الاجتماعي في مؤسسات العالم السياسية.

لقد أصبح بين العلوم السياسية والعلوم الاجتماعية و علم الاجتماع خاصة، مصطلحات تربط بين السياسة و علم الاجتماع، ومن هذه المصطلحات: القوة السياسية - النخبة - الجماعات الضاغطة - القيادة - الديكتاتورية - الديمقراطية - الاستقرار...

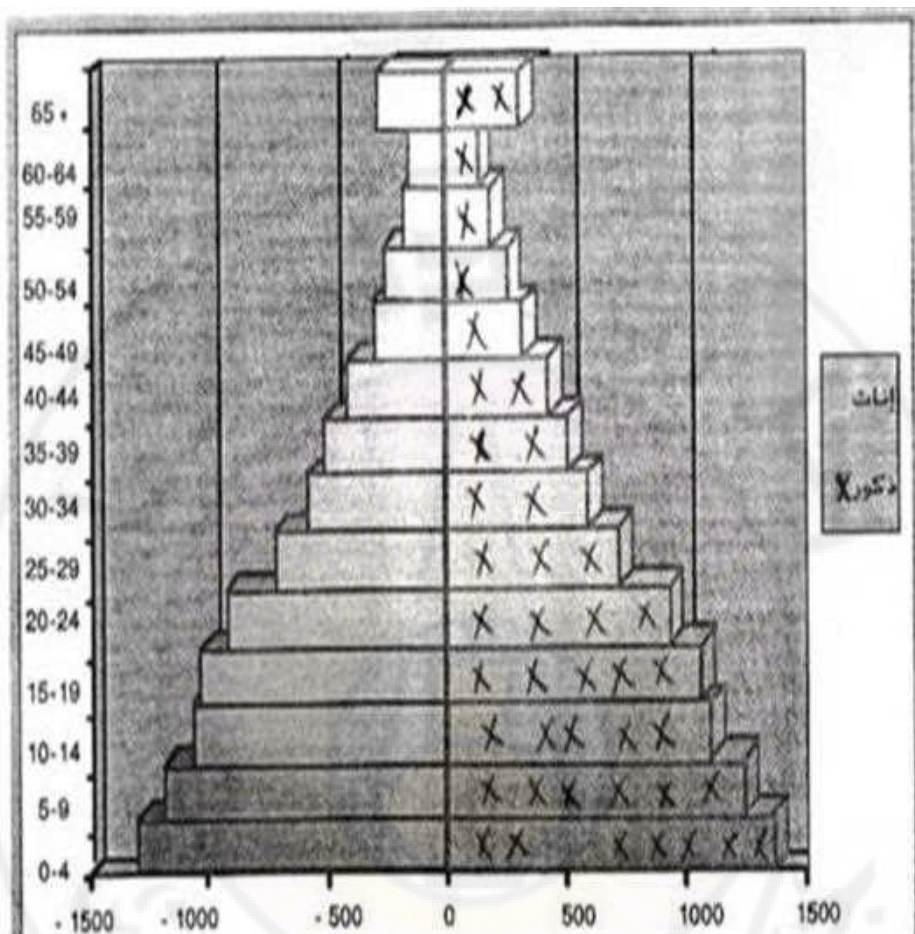
—
:

علم السكان هو العلم الذي يدرس أعداد السكان والتركيب السكاني، والعوامل التي تتدخل في تحديد التركيب السكاني، وكذلك العلاقة بين الولادات والوفيات، الطلاق، الزواج، والهجرة، وأثر ذلك في النمو السكاني.

يتطرق علم السكان إلى دراسة توزع السكان على الهرم السكاني، أي نسبة الأعمار في الدولة، ومعروف أن الشعوب الفتية تتأثر بوجود أعداد كبيرة تحت سن العشرين، مما يعني ارتفاع معدل الإعالة في البلد ذي الهرم الكبير القاعدة، ويرتبط بذلك أعباء ترتبط بضعف القوى المنتجة، وعدم قدرتها على تلبية الاحتياجات المطلوبة منها.

يبرز هرم الأعمار في سورية إزدیاد قاعدة الهرم السكاني وذلك يعني إزدیاد عدد السكان تحت العشرين من العمر وهم الجماعة المحتاجة للإعالة والرعاية من الأسرة والدولة. وعندما يدرس علم السكان قضايا النمو السكاني يفسر هذا النمو بالمعطيات الاجتماعية التي رافقته وأدت إليه من تحسن الظروف الاجتماعية والصحية والاقتصادية المحيطة بتكوين الأسرة السورية (الهيئة السورية لشؤون الأسرة، 2009، 93).

(مخطط هرم الأعمار للسكان في سورية (2004)

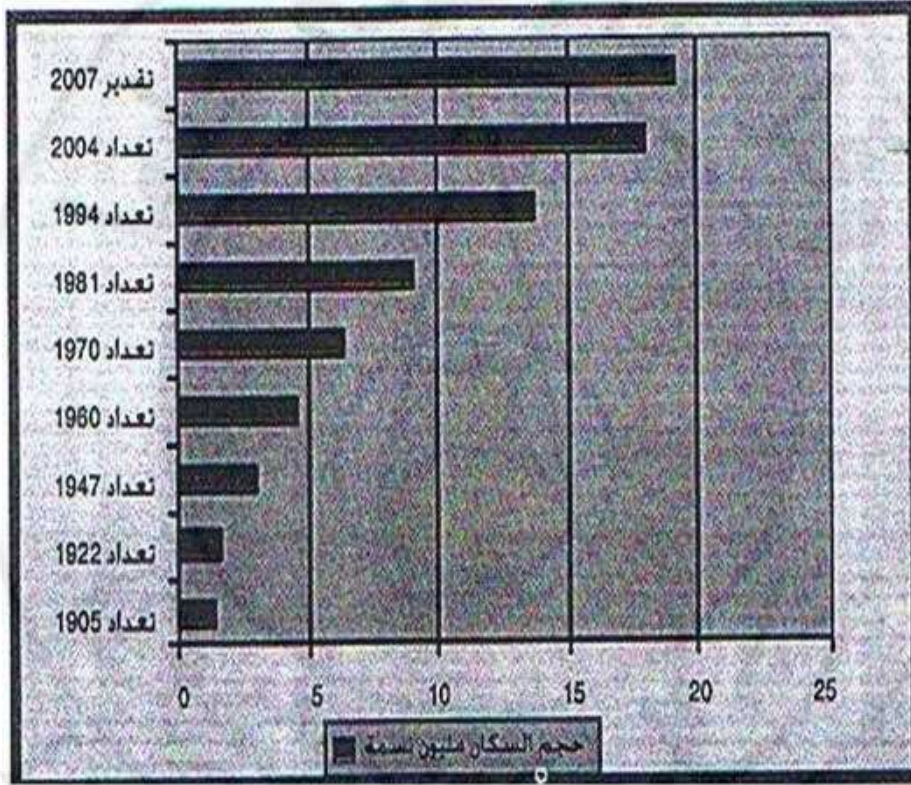


حجم السكان في سورية: الطفرة السكانية في القرن العشرين

من المؤكد أن سورية احتاجت آلاف السنين ليصبح عدد سكانها مليون نسمة، ويبدو أنه تحقق لها ذلك في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ولكن خلال القرن العشرين وحده زاد عدد سكانها أكثر من (17) مليون نسمة، بمعنى أنها كانت تزداد (وسطياً) خلال مئة السنة المنصرمة بمعدل مليون نسمة كل (6) سنوات فقط، وإذا كان

الأمر كذلك وسطياً خلال القرن الماضي، فسورية اليوم قاربت على أن تكسب مليون نسمة كل عامين فقط. (الهيئة السورية لشؤون الأسرة، حالة السكان 2008، اصدار 2009، ص31)

مخطط تطور حجم سكان سورية خلال الفترة (1905-2007)



لقد شهد القرن العشرين زيادة كبيرة، أو بتعبير أدق، "طفرة" نوعية في حجم السكان في سورية، إذ ارتفع هذا الحجم من حوالي (1,469) مليون نسمة في تعداد العام (1905) إلى (19,172) مليون نسمة وفق تقديرات منتصف العام (2007) لحجم سكان سورية، بزيادة مطلقة بلغت (17,703) مليون نسمة، وبذلك ازداد حجم السكان في سورية منذ بداية القرن العشرين (1905) وحتى (2007)، أي

خلال (102) سنة، بأكثر من (13) مرة، وهو ما يعني أنه بات هناك (13) شخصاً يقيمون في سورية في منتصف العام (2007) مقابل شخص واحد فقط كان يقيم على أراضيها في بداية القرن الماضي ضمن حدودها الجيو- سياسية الدولية الراهنة.

العلوم الاجتماعية متعاونة متأزرة في فهم التطور السكاني في حجم السكان وفي شكل الهرم السكاني وتوزع الأعمار فيه عبر الزمن، لاسيما علم الاجتماع الذي يدرس توزع الأدوار في الأسرة، وقرار الإنجاب في الأسرة ودور المرأة... وأثر ذلك في تطور حجم السكان وتوزعهم في المجتمع.

في أي دراسة لمشكلة الهجرة مثلاً يدرس علم السكان حركة السكان، وأثر الهجرة في الهرم السكاني، أي في التركيب العمري والعددي للسكان، بينما يدرس علم الاجتماع المشكلة - أي الهجرة - بدراسة الأسباب الاجتماعية للهجرة وعواملها ونتائجها، مثلاً: تجعل الهجرة للهرم السكاني خصباً لأنها تنقص فئات القادرين على العمل والإنتاج في الأعمار 25-45، وترفع سن الزواج وأسعار المساكن، فتخيل... وكذلك في كل مشكلة اجتماعية؛ جانب اجتماعي وآخر سكاني.

تأثيرات الحياة الاجتماعية تدرس كلها من علم الاجتماع وعلم السكان، والتداخل بينهما كبير، ولكن علم السكان يهتم بدراسة المشكلات المرتبطة بأعداد السكان والتركيب العمري، بينما يركز علم الاجتماع على الأرضية الاجتماعية، وعلى العلاقات الاجتماعية، وعلى المؤسسات الاجتماعية، وأثر ذلك في ظهور المشكلة ونتائجها.

وفي الحقيقة أن كل نتيجة لعلم السكان أو بحث في التركيب السكاني يعطي علم الاجتماع دفعة لفهم الظواهر الاجتماعية، وكذلك علم الاجتماع بأبحاثه ونظرياته يساعد

علم السكان على فهم طبيعة التركيب السكاني والأسباب العميقة لحركة السكان. وواضح أن لكل ظاهرة اجتماعية جانب سكاني وآخر اجتماعي.

:

علم الاجتماع يدرس المجتمع في حركته الماضية والحاضرة والمستقبلية والحقيقة أن تاريخ كل ظاهرة جزء أساسي من فهمنا لها. والظواهر الاجتماعية لا يمكن فهمها دون معرفة كيفية صيرورتها التاريخية من خلال تطور العادات والتقاليد والمؤسسات الاجتماعية. أما التاريخ فهو علم يتصل بدراسة الحوادث التي تقع في المجتمع حوادث مفردة، وبالتالي يهتم بالحادثة كما هي، ويهتم بتعاقب الحوادث التاريخية.

إن طريقة علم التاريخ هي طريقة الأدغرافية، أي طريقة العامل الواحد في فهم الظاهرة، أما طريقة علم الاجتماع فهي الطريقة العامة، أي طريقة دراسة العوامل المتعددة المؤدية إلى الظاهرة، وكذلك نتائجها. مثلاً احتلال الجزائر سنة 1830م كان بسبب مباشر من ضرب حاكم الجزائر لقنصل فرنسا، لكن الأسباب العميقة لاحتلال الجزائر متعددة، وفي قلب المجتمع الفرنسي.

الفروق بين علم الاجتماع والتاريخ:

- يهتم التاريخ بترتيب وتصنيف الأحداث عبر الزمن، بينما يهتم علم الاجتماع بالكشف عن العلاقات بين الأحداث في الماضي والحاضر.
 - يتجنب المؤرخون مهمة اكتشاف الأسباب، ويكتفون بالتعرف إلى كيفية حدوث الأحداث، أما علماء الاجتماع فيركزون أكثر على الأسباب العميقة للحوادث الاجتماعية .
- والتاريخ يجيب عن سؤال ماذا حدث، ؟ بينما يجيب علم الاجتماع عن سؤال لماذا حدث ذلك؟.

- يتتعد المؤرخون عن التجريد، بينما يميل عالم الاجتماع إلى تجريد الواقع الملموس ثم تصنيفه تمهيداً للوصول إلى تعميمات،
- عموماً وعبر التاريخ كان علم التاريخ يهتم ويسجل أخبار الملوك والحروب، بينما علم الاجتماع يهتم بأمور أخرى، مثل: تطور الملكية وتطور العلاقات الاجتماعية وتطور الأسرة.
- يتمثل التداخل الأساسي بين التاريخ وعلم الاجتماع في دراسة المجتمع البشري وتفسير التطور التاريخي للمجتمعات البشرية.
- ويعد كارل ماركس أكبر من أسهم في تقديم تصور عام للتطور التاريخي عبر مراحل الخمسة التي بدأها بالمجتمع المشاعي ثم العبودي ثم الإقطاعي ثم الرأسمالي ثم الاشتراكي.
- المرحلة المشاعية.
- المرحلة العبودية وتتكون من طبقتين أساسيتين: أسياد- عبيد.
- المرحلة الإقطاعية وتتكون من طبقتين أساسيتين: نبلاء إقطاعيين وفلاحين.
- المرحلة الرأسمالية وتتكون من طبقتين أساسيتين: أرباب عمل وعمال.
- المرحلة الاشتراكية: ديكتاتورية البروليتاريا (تسلط الطبقة العاملة).
- سبب التطور التاريخي هو الصراع الطبقي عند ماركس لأنه ينقل المجتمع من مرحلة إلى أخرى.
- وكذلك صنع ابن خلدون حين درس تطور المجتمعات وانتقالها من حالة إلى حالة فدرس في مقدمته الشهيرة أسباب انهيار الدولة، وعمر الدولة، وأسس العمران البشري، وكتاب ابن خلدون يعد في الحقيقة مزاجاً فعلياً بين التاريخ وعلم الاجتماع: فالعنوان الأصلي للكتاب (ديوان المبتدأ والخبر

في أخبار العرب والعجم والبربر ومن جاورهم من ذوي السلطان الأكبر). وفيه يرد قيام الدول إلى العصبية.

- إذن التاريخ يبحث في تراتب الحوادث، وعلم الاجتماع يفسر الحوادث والعلاقات بين الظواهر والأحداث.
- وعالم الاجتماع التاريخي مثل (ابن خلدون أو ماركس) هو الذي يبحث في أسباب الحوادث، وأسباب المنعطفات التاريخية الكبرى للإنسان وللمجتمعات البشرية.

وأشهر من بحث في علم الاجتماع التاريخي (بالترتيب):

- ابن خلدون: نظرية تعاقب الحضارات اعتماداً على العصبية.
- ماركس: التشكيلات الاجتماعية الخمسة اعتماداً على الصراع الطبقي.
- ماكس فيبر: تطور الرأسمالية بتأثير الدين.

التاريخ وعلم الاجتماع :

لقد كتب توكفيل في السطور الأولى من مقدمة كتابه (النظام القديم) قائلاً: «إن الكتاب الذي أنشره في هذا الوقت ليس تاريخاً للثورة (الفرنسية). إنه دراسة حول هذه الثورة». ويكمل قائلاً: «لقد بذل الفرنسيون عام 1789م أكبر جهد قد يبذله شعب في تاريخه لكي يقطع تقريباً مصيره إلى اثنين، وأن يفصل بوساطة هوة كبيرة ما قد كان حتى ذلك الحين عما يريد أن يكون بعده». ولكن هذا الجهد لم يعط النتائج المرجوة. «لقد اعتقدت دوماً أنهم لن ينجحوا في هذا المشروع بالمقدار الذي اعتقده بعضهم في الخارج وما اعتقده هم أنفسهم أولاً». (بودون، 1986، 123)

عندما يكتب توكفيل (1805-1859) أن «النظام القديم» ليس تاريخاً وإنما دراسة (يمكننا أن نحدد أنه دراسة سوسيولوجية)، يريد أن يقول إن غرضه لم يكن السرد

بطريقة دقيقة قدر الإمكان لتسلسل الأحداث المعقدة، التي تشكل جملتها ما نسميه الثورة، وإنما الإجابة عن سؤال: لماذا أقامت الثورة (الفرنسية)، على الرغم من مقاصد الثوريين، مجتمعاً يذكّر في العديد من سماته وخاصة في تمركزه الإداري، بمجتمع النظام القديم؟.

يقيم التاريخ وعلم الاجتماع علاقات معقدة مصنوعة من الفروقات والمشابهات. وفي حالات كثيرة من الصعب اتخاذ قرار حاسم حول ما إذا كانت دراسة معينة تختص بهذا العلم أو ذاك. يقتضي إذن أن نحذر التمييزات القاطعة جداً. إن الاقتراح الذي نبسطه مؤداه أنه من المغالاة الزعم بأن علم الاجتماع هو أساساً علم يهدف إلى إبراز قوانين عامة، في حين أن التاريخ هو أساساً علم وصفي. وقد يكون من المغالاة أن نرى في التاريخ علم المفرد وفي علم الاجتماع علم العام. إن متناقضات بهذه الكثافة قد يكون لها فضيلة تعليمية. ولكنها مقتضبة لوصف المشابهات والفروقات بين علم الاجتماع كما هو والتاريخ كما هو. والحق يقال، غالباً ما يكون لهذه التمييزات وظيفة عملية، وأحياناً جدلية: فهي تسمح لعالم الاجتماع بأن يضع معالم منطقة ذات حدود غير أكيدة وعرضة للنزاع. ولكن إذا كان صعباً التفريق بين العلمين بوساطة تمييزات حاسمة، فمن الصحيح كذلك من وجهة النظر المثالية - النموذجية، أنهما يميلان (بعكس رأي بعض المؤرخين الذي يُظهر أنهم - على غرار بروديل (Braudel) - ميّالون إلى إنكار أي خصوصية لعلم الاجتماع) إلى التمييز، لناحية الأغراض والطرائق بعدد من السمات. إن أولى هذه السمات شرحت بالمثل من قبل توكفيل في مقدمته للنظام الجديد والثورة. ففي الغالب - حتى لا نقول دوماً - يبدأ البحث السوسيولوجي بسؤال يتعلق بأسباب وجود ظاهرة سوسيولوجية كبيرة. يتساءل توكفيل هل أدت الثورة إلى إعادة إنتاج عدد معين من السمات المميزة لمجتمع النظام القديم؟ ويتساءل دوركهام لماذا تظهر معدلات الانتحار

وكأنها في زيادة منتظمة طوال القرن التاسع عشر في كل المجتمعات التي ستوصف فيما بعد بأنها صناعية؟ ويتساءل أيضاً دوركهام لماذا تميل الفردية لأن تكون القيمة الجوهرية للمجتمعات الصناعية؟ ويتساءل سومبار (Sombart) في بداية القرن العشرين لماذا ليس ثمة اشتراكية في الولايات المتحدة؟ لماذا تتخذ ظاهرات الانتشار غالباً مسار المنحنى S ؟ لماذا يكون لدى أولاد العمال فرص أقل في الوصول إلى التعليم العالي؟ لماذا عرفت اليابان وألمانيا تطوراً مدهشاً خلال القرن التاسع عشر؟ ويمكننا لو شئنا أن نضعف الأمثلة. قد نرى أن أكثر الدراسات السوسيولوجية استوحيات بوساطة سؤال يتعلق بظاهرة سوسيولوجية كبيرة، ويمكن أن تتخذ هذه الظاهرة شكل حالة الأشياء الفريدة (الولايات المتحدة هي البلد الصناعي الوحيد الذي لم يعرف حركة اشتراكية مهمة خلال القرن التاسع عشر)، وشكل الانتظام الصناعي (تزايد معدلات الانتحار، مسار S لعمليات الانتشار) وشكل الاتجاه التطوري (تصاعد الفردية)، وشكل الاختلافات التطورية (يتساءل توكفيل لماذا اتخذت عملية التمدين أشكالاً مختلفة في فرنسا وفي إنكلترا؟) وشكل اتجاه إعادة الإنتاج (لماذا تستمر بعض البلدان المتخلفة في التميز بمعدلات خصوبة مرتفعة، تبدو غير مرغوب فيها من وجهة النظر الفردية أو وجهة النظر الجماعية؟). وباختصار: مما لا شك فيه أن عالم الاجتماع يعطي نفسه غالباً الحق أكثر من المؤرخ في أن يعزل وسط المد التاريخي هذه الظاهرة الاجتماعية الكبيرة أو تلك، التي يسعى إلى إظهار أسباب وجودها. إن عمل توكفيل نموذجي في هذا الصدد. إذا كان مشروعه في النظام القديم لا يتعلق بالتاريخ كما يؤكد هو نفسه ذلك، وهو يعد بصورة عامة مرتبطاً بعلم الاجتماع، فذلك لأنه يهدف أولاً للإجابة عن قائمة محدودة من الأسئلة من السهل وضعها: أسباب التمرکز الإداري الفرنسي على الرغم من الثورة، أسباب الفروقات بين فرنسا وإنكلترا في مسيرة عملية التمدين، وفي تطور الزراعة، وفي إنتاج المثقفين، على سبيل المثال.

أما السمة الثانية المميّزة لعلم الاجتماع -على مستوى مثالي- نموذجي- فهي طموحه إلى العمومية. وهذا الطموح لا يدل على أن علم الاجتماع مدعو فقط إلى إقامة قوانين عامة، مشابحة لقوانين الفيزياء على سبيل المثال، وتبين الأمثلة الواردة أعلاه عكس ذلك، إن علم الاجتماع يمكن أن يهتم - وهو يهتم غالباً في التطبيق - بتحليل الظواهر الفردية (لماذا ليس ثمة اشتراكية في الولايات المتحدة؟ (سومبار)، لماذا كان المفكرون السياسيون الفرنسيون أكثر راديكالية من الإنكليز في القسم الثاني من القرن الثامن عشر؟ (توكفيل). يمكن إذن أن يتخذ الطموح إلى العمومية شكل البحث عن القوانين العامة، ولكنه لا يأخذ بالضرورة هذا الشكل. وفي الواقع يمكن أن يتخذ ثلاثة أشكال مميّزة، يعد الشكل الثالث منها دون شك الأكثر خصوبة.

1- البحث عن قوانين عامة :

ليس مؤكداً -بمعزل عن المقاصد المعلنة لعلماء الاجتماع - أن هذا النشاط هو من الناحية العلمية، الأكثر تكراراً أو الأكثر خصوبة. ويمكننا تعريف قانون عام بوصفه اقتراحاً شكله $N = E(D)$ ، وبصورة أعم $N = E(1, 2, \dots, x)$. يتعلق الأمر إذن باقتراحات ذات نمط مشروط، ويمكن أيضاً إعلانه على الشكل التالي: إذا كانت (د) في حالة (م) حينئذ تكون N دوماً [(دوماً) أو (غالباً) وفقاً لتعلق الأمر بقانون حتمي أو احتمالي] في حالة E وهكذا، يعد دوركهائم معدلات الانتحار (ن) نتيجة متزايدة للارتباك (د1): إن زيادة الارتباك تؤدي إلى زيادة معدلات الانتحار، كما أن معدل الانتحار (ن) هو نتيجة متزايدة للأناية (د2). يعد غور (gurr) أن العنف السياسي (ن) هو نتيجة متزايدة لمستوى الاحباط النسبي (د1) لمعتقدات (د2) الأفراد الخاصة بصحة مطالباتهم والفائدة من الانخراط في تمرد مفتوح، والفرق (د3) بين قدراتهم على الإكراه والتنظيم، وقدرة التنظيم والإكراه لدى السلطة، وكذلك العوامل الظرفية $M=N=E(1, 2, \dots, x)$.

د2، د3، م). عند ديفيز (Davies)، إن احتمالية العنف الجماعي هي نتيجة للإحباط النسبي، الذي يميل إلى أن يبلغ مستوى حرج عندما تتبع حقبة طويلة من التحسن بحقبة قصيرة من الركود الحاد. وعند توكفيل «يحصل غالباً أن يرفض الشعب الذي تحمل دون أية شكوى القوانين الأكثر إرهاباً، بشكل عنيف ما إن يخف العبء عن كاهله».

تبين هذه الأمثلة أنه ليس من الصعب إقامة لائحة من المقترحات السوسيولوجية الكلاسيكية إلى حد ما من نوع و=ع (د1، د2، د3، إلخ). التي يمنحها علماء الاجتماع مدى عام تقريباً. ونشير مع ذلك إلى إدخال عوامل المصادفة لدى غور (Gurr) أو الصفة الحذرة لتوكفيل (غالباً): أنها تدل على أنه يدرك القانون المذكور أعلاه وكأنه النمط الاحتمالي. لقد استعيرت الأمثلة السابقة من ميدان علم اجتماع الانتحار والتعبئة السياسية. ويمكننا أن نجد أمثلة عديدة أخرى في مجالات أخرى (علم اجتماع الجريمة، والتربية والتنمية، إلخ). وهكذا يقوم علم اجتماع التنمية إلى حد كبير على البحث عن (عوامل) [د] والتنمية [ن].

لقد أدت أبحاث سوسيولوجية عديدة إلى إعلان اقتراحات من نوع ن=ع (د). ولكن قوانين علم الاجتماع المزعومة ليست في الغالب صحيحة إلا في شروط خاصة، أي في أطر عامة وحقب معينة. وهكذا فإن القانون الدوركهايمي القاضي بأن معدلات الانتحار هي نتيجة للارتباك والأنانية، يبدو (ثابتاً) في القرن التاسع عشر، ولكنه لا يعود كذلك في القرن العشرين، إن تطور المتغيرات التي كان يعدها دوركهايم بمنزلة مؤشرات للارتباك والأنانية (معدل الطلاق، الأهمية النسبية للمهن ذات النمط الليبرالي، تطور أنظمة المعتقدات التي تقيم الفردية، إلخ) قد تجيز، إذا نحن منحنا صحة عامة للقانون الدوركهايمي، انتظار زيادة معدلات الانتحار في القرن العشرين. لقد استبدلت منحنيات القرن التاسع عشر المتصاعدة بانتظام، بتطورات أكثر تعقيداً وتنوعاً من بلد لآخر. يكفي من جهة أخرى مقارنة (قوانين) التعبئة السياسية لدى توكفيل وديفيز وغور لتحقيق

من أنها لا يمكن أن تكون جميعها صحيحة في وقت واحد. وبعبارة أخرى، ليست عامة، وإنما قابلة للتطبيق في أطر خاصة: ففي بعض الحالات - وليس في جميعها - يكون العنف السياسي تابعاً لحقيقة من التحسن تبعثها حقبة قوية من التدهور (ديفيز). وفي حالات أخرى، يرافق حقبة تحسن مثيرة لتضخم في التوقعات للإمكانات (توكفيل، دوركهام). وفي حالات أخرى (راجع أثر العنف لدى هيرشمان Hirschman)، يرافق تطوراً يعي فيه بعضهم بقوة أن مصيرهم لم يتحسن بنفس النسب التي تحسن فيها مصير الآخرين. وكما أنه ممكن بالتأكيد مضاعفة الأمثلة، ولا يمكن وجود قانون للتعبئة السياسية من النمط ن=ع(د)، حتى بالشكل الحذر (أي الاحتمالي) الذي يستعمله توكفيل أو غور. فكما بين ذلك تيلي (Tilly)، ليس ممكناً حتى إعطاء صفة القانون للاقتراح الغامض جداً والقابل للتوفيق مع أوضاع مختلفة، يعد العنف السياسي لديها نتيجة للإستياء. لم يكشف التحليل الإحصائي الجاري على دورات العنف السياسي في فرنسا خلال قرن من الزمن، أي ترابط ذي معنى بين العنف السياسي والمؤشرات المختلفة المستعملة لقياس الإستياء الاجتماعي وعدم الرضا أو الإحباط النفسي. يدل التحليل بالمقابل أن العنف السياسي يظهر في فترات الأزمات والاضطراب السياسي. ومن الصعب منح هذا الاقتراح وضعية «القانون» بسبب الصفة الحشوية للمتغيرين ذات العلاقة. ومهما تكن هذه النتيجة الإحصائية ضعيفة فهي مفيدة، فهي تقوم بكشف اقتراح إستمولوجي مهم: لا يمكننا إقامة قانون عام - غير حشوي - فيما يتعلق بالعنف السياسي، إذ إن ظهور هذا الأخير يتعلق بكوكبة معقدة من العوامل والظروف التي لا يمكن تحويلها إلى تعبير من النمط ع(د). ويمكن على سبيل المثال لمستوى مرتفع من «الإحباط»، بحسب بنية الكوكبة أن يكون له أثر في التعبئة كما تشير إلى ذلك فرضيات توكفيل وديفيز وغور. ولكن يمكن أن يكون له أثر إلغاء التعبئة، كما نرى ذلك مثلاً في دراسة لازارسفيلد (Lazarsfeld) (1901-1976) حول العاطلين عن العمل في

مريانتال. ولكي نعبر عن الاقتراح نفسه بطريقة أخرى: إن قانوناً من نوع ن=ع(د) يكون في جميع الحالات تقريباً محلياً لا عاماً. إن «قوانين» دوركهام أو توكفيل قابلة للتطبيق على العديد من الأوضاع. ولكنها ليس بصورة عامة حقيقية. وفضلاً عن ذلك، ثمة تعقيد إبيستمولوجي مهم يكمن غالباً في صعوبة تحديد الشروط الدقيقة التي يكون في ظلها «القانون» السوسيولوجي مشروعاً. ومن خلال وجهة النظر هذه يوضع عالم الاجتماع في وضع أكثر صعوبة من الفيزيائي الذي يكون بصورة عامة قادراً، عندما يضع قانوناً محلياً، على تحديد الشروط التي يكون هذا القانون مشروعاً في ظلها.

يمكننا الخروج باستنتاج حول هذه النقطة بالقول: 1- إن طموح عالم الاجتماع لإقامة قوانين من نوع ن=ع(د) يصف فعلياً إحدى خصوصيات علم الاجتماع قياساً إلى التاريخ؛ 2- إن هذا الطموح يصطدم بحدٍ هو الصفة المحلية للقوانين القائمة؛ 3- إن الصفة المحلية للقوانين السوسيولوجية مقترنة بصعوبة تحديد شروط صحتها، تحت على تدقيق الاقتراح الذي يتميز بوساطته علم الاجتماع من التاريخ.

2- البحث عن قوانين تطويرية:

إنه أحد الطموحات الأخرى المعترف بها لعلم الاجتماع، من كونت وماركس إلى علم الاجتماع المعاصر مروراً بدوركهام وسبنسر. لقد أبرز على سبيل المثال بوساطة تقسيم العمل لدوركهام. وفي هذه الحالة، يكون للقانون تفسير مختلف تماماً عن تفسيره في الفقرة السابقة. لم يعد المقصود إقامة علاقة بين ظاهرتين (د) و (ن). إن القانون التطوري هو مقولة تدل على أن نظاماً معيناً مدعو للمرور في سلسلة من الحالات القابلة للتحديد مسبقاً. كان ماركس يعتقد أن مراحل التنمية الاقتصادية الإنكليزية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تعطي صورة مسبقة لعملية التنمية لدى كل الأمم. ويستعيد روستو (Rostow) التصور نفسه، بعد ماركس بمدة طويلة، ويشير إلى أن عمليات النمو

محكوم عليها بقطع سلسلة من المراحل قد تقصر أو تطول وفقاً للحالات، ولكن ترتيبها يبدو غير قابل للتغير ويتم إدراكه بوصفه متولداً عن أوليات متكررة من حالة لأخرى. وإذا أردنا أن نبسط قليلاً نقول: إن تطور المجتمعات يخضع لثوابت مشابهة للثوابت التي أوضحها بياجيه (Piaget)(1896-1980) في حالة تطور الشخصية.. وفي الواقع، يمكننا إخضاع هذا الطموح الثاني لعلم الاجتماع - أي تثبيت وجود القوانين التطورية- لنقد مشابه للسابق (على الرغم من أن تصور القانون قد يكون له تفسير مختلف في الحالين). إننا نلاحظ الكثير من العمليات التطورية التكرارية في إطار عام إلى أطر أخرى. من الصحيح على سبيل المثال أن صناعة الألبان أدت في التنمية الدائرية دوراً مشابهاً لدور صناعة النسيج في الحالة الإنكليزية. ومن الصحيح كذلك أن بعض الأسباب لا يمكن إلا أن تعطي نفس النتائج. وهكذا فإن تنظيم النقل النهري يطرح مشكلات التنسيق والإدارة التي لا يمكن أن يحل إلا بوساطة مؤسسات كبيرة الحجم متميزة بقوة. وما إن نرى شبكة نقل نهرية تتقدم حتى يظهر هذا النمط من المؤسسات. ولكن «القوانين» التطورية على غرار «القوانين» الشرطية المبحوثة سابقاً ليست بصورة عامة إلا ذات تطبيق محلي. إن عمليات التنمية في ألمانيا واليابان أو روسيا في نهاية القرن التاسع عشر لا تخضع لصيغة وحيدة، ولا ترتبط في أي حال من الأحوال بالتجربة الإنكليزية، على عكس المعتقدات التي عبر عنها ماركس في هذا الصدد. كما أنه، إذا كان صحيحاً في بعض الحالات، كما قال دوركهيم: إن التوسع في تقسيم العمل يترافق مع تدعيم القيم الفردية، فإن ذلك ليس صحيحاً في جميع الحالات. وإننا لنعرف اليوم بشكل أفضل أن قانون «بارسونز» التطوري الشهير القائل بأن التحديث يؤدي إلى تفتيت محتمل للعائلة، ليس صحيحاً إلا في بعض الأطر العامة، ففي اليابان، يبدو أن التنمية الاقتصادية كانت مع العائلة الواسعة لا ضدها.

إن السمة المحلية والجزئية «للقوانين» التطورية التي وضعها علماء الاجتماع تدخل النسبية على التمييز القاطع جداً الذي أراد رواد علماء الاجتماع إقامته بين علم الاجتماع والتاريخ.

3- البحث عن نماذج بنيوية:

يتخذ غالباً طموح علم الاجتماع إلى العمومية شكلاً ثالثاً، ربما كان الأكثر خصوصية: وهو شكل البحث عما سنسميه النماذج البنيوية. ويقدم تحليل سومبار من وجهة النظر الإبيستمولوجية عدداً معيناً من المميزات من المهم الإشارة إليها: 1- يكون غرض عالم الاجتماع هنا تفسير معطى فريد. 2- يتخذ التفسير شكل نموذج مستند إلى بعض الإقتراحات البسيطة: أ- إن فرداً غير راضٍ عن وضعه يتوفر له نمطان من الإستراتيجية؛ ب- يكون لديه ميل لاختيار تلك التي يبدو له «مردودها» أفضل؛ ج- يرتبط المردود النسبي لنمطي الاستراتيجية بالنبي. يسمح هذا النموذج بتفسير حالة الأشياء الفريدة مثل غياب الاشتراكية في الولايات المتحدة خلال القرن التاسع عشر. ولكنه في الوقت نفسه يقدم صورة عامة يمكن أن تطبق على تحليل العديد من الظواهر الفريدة الأخرى شرط أن توصف بدقة في كل حالة. وهكذا يلاحظ هيرشمان أن غياب الحركات الاجتماعية في شمال شرقي البرازيل خلال حقبة طويلة من تاريخ هذا البلد ناجم جزئياً عن كون الفلاحين في الحقب الصعبة كانت تتوفر لهم إستراتيجية الخروج باتجاه مشاريع إنتاج ومعالجة قصب السكر على الساحل.

إن تطور علم الاجتماع المعاصر في مادة العنف السياسي قد يبرهن من جهته على انتقال إستراتيجيات البحث، ففي الأعمال الأخيرة الأكثر أهمية بات السعي إلى إقامة قوانين أقل من رسم نماذج بنيوية. وفيما يتعلق بفكرة العلاقة المباشرة إلى حد ما بين الإحباط والعنف، ثمة ميل اليوم إلى مواجهة مفهوم العنف بصفته أثراً منبثقاً يمكن أن

يظهر في بعض أنماط البنى الخاصة بالنشاط المتبادل: فلكي يظهر العنف ينبغي وجود سوق للاستياء قابلة للاستغلال. ووفقاً لمدى اتساع هذه السوق ووفقاً لمدى استعداد هذا القطاع أو ذاك في المحيط {«الرأي»، «السلطة»، السياسة، المثقفون} لفهم أسباب العنف وإضفاء الشرعية عليه، عبر استعمال الموارد التي تتوفر لهم، وفقاً لمدى توفر المقاولين أو عدم توفرهم لإلهام وقيادة الفعل الجماعي وطبيعته وكميته وفقاً للموارد التي يستطيع هؤلاء المقاولون تعبئتها، إلخ..، يكون للعنف الكثير أو القليل من الفرص للظهور في هذا الشكل أو ذاك. هذا النموذج العام الموصوف بدقة، يسمح - على سبيل المثال لأوبرشال (Oberschall) - بتفسير الفروقات الشكلية التي اتخذتها الحركة لمصلحة حقوق السود في شمال الولايات المتحدة وجنوبها خلال سنوات الستينيات. ففي الجنوب تنخرط الكنائس البروتستانتية في النسيج الاجتماعي بشكل أوثق مما هي عليه في الشمال. ولها موقف إيجابي إزاء النخب السوداء. وبما أن المنظمات الدينية تمثل للمقاولين المهتمين بتسخير حقوق السود، مورداً مهماً لإضفاء الشرعية، كان هؤلاء يبحثون عن إستراتيجيات فعل جماعية تسمح لهم باستعمال هذا المورد الثمين والمحافظة عليه: كانوا يدعون إلى أشكال غير عنيفة للفعل الجماعي، بطريقة لا تسيء إلى رصيدهم لدى الكنائس. أما في الشمال فالمقاولون لا يتمتعون بالموارد نفسها. وبما أنهم كانوا يعملون في نسيج اجتماعي أكثر انفصاماً، وبما أنهم أكثر انعزلاً، كانت المشكلة لهم انتزاع انتباه الرأي العام والمثقفين والصحفيين والسياسيين. ترتبط بوضعية بنيوية مختلفة عقلية مختلفة. ففي الشمال يتخذ الفعل الجماعي شكلاً عنيفاً.

إن الأمثلة السابقة توضح الشكل الثالث لطموح عالم الاجتماع إلى العمومية. وإن بناء نموذج بنيوي مثل نموذج هيرشمان هو بالتأكيد عملية مميزة من تلك التي تقضي إما بإقامة قوانين شرطية عامة وإما بإقامة قوانين تطويرية. ليس المقصود هنا البحث عن

ضوابط على مستوى الظواهرات وإنما بالأحرى عن صور متطابقة، على الرغم من التذبذبات الخاصة، مع حقائق يمكن أن تكون مختلفة من وجهة نظر ظاهرية.

لربما كان ينبغي البحث على هذا المستوى عن الخصوصية الحقيقية لعلم الاجتماع قياساً إلى التاريخ. إن مجموعة القواعد المشار إليها بتعبير النظرية السوسيولوجية، تشكل أساساً، كما يمكن تبين ذلك دون عناء، من جملة النماذج البنيوية الضمنية أو الصريحة المستعملة في تحليل هذه الظاهرة أو تلك. حتى عندما يحلل عالم الاجتماع ظاهرة فريدة (سواء تعلق الأمر بعصابة من الجانحين، أم بحادثة تاريخية، أم بميزة فريدة بهذا المجتمع أو ذاك)، نادراً ما يكون هدفه تحليل غرضه في فرديته، وإنما يكون هدفه تفسيره بصفته التحقيق الفريد لبنى أعم. (المعجم النقدي لعلم الاجتماع، بودون، 1986، 130)

:

يدرس علم النفس العمليات النفسية والإدراكية والعقلية عند الفرد، مثل الذاكرة والتعلم والذكاء والانفعالات والدوافع. أما علم الاجتماع فيدرس الجماعة من حيث تركيبها ووظائفها وعلاقات أفرادها.

ونجد أن الفصل الأساسي بين علم الاجتماع وعلم النفس هو أن علم النفس يتصل بالعمليات النفسية والعقلية الفردية بينما يرتبط علم الاجتماع بالجماعة والمجتمع. إن كل العلوم الاجتماعية تهتم بجوانب متعددة من حياة الإنسان، لذلك فبين علم النفس وعلم الاجتماع علاقة قوية، لأنه لا يوجد جماعة دون أفراد.

وبين علم النفس وعلم الاجتماع صلة مشتركة؛ هي أن حياة الفرد العقلية ترتبط بأثر الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه. ومن ذلك أن ذكاء الفرد يستمد أصوله من مصادر اجتماعية.

لقد أجريت تجارب متعددة على أطفال من بيئات مختلفة، وتبين أن الوسط الاجتماعي للأفراد يؤدي دوراً في حياة الفرد ودرجة ذكائه، فلقد أخذ العلماء عشرة أطفال من بيئة فقيرة وعشرة أطفال من بيئة غنية في عمر واحد، وهو عمر الدخول إلى المدرسة (ست سنوات)، فتبين أن أولاد الأغنياء يملكون حصيلة لغوية أكبر من أولاد الفقراء. . . فالطفل يدخل إلى المدرسة بحوالي /600/ كلمة مأخوذة من وسطه الاجتماعي، وهي وسطياً كانت عند أولاد الأغنياء أكثر من ذلك بكثير، وعند أولاد الفقراء أقل، مما يدل على أن الطفل في البيئة الأغنى يتصل بوسط اجتماعي أكثر تنوعاً، وبالتالي يحصل على معلومات أكثر من الوسط الاجتماعي. وهذه صلة أكيدة بين علم النفس وعلم الاجتماع؛ لأن مشكلات الفرد النفسية هي على الغالب ذات علاقة بالوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه.

وهناك ظواهر عديدة مثل القيادة والشخصية واتجاهات الرأي العام والثورات ترجع في حقيقتها إلى أسباب اجتماعية. . . فكل شخصية تأخذ من وراثتها وتأخذ أيضاً من وسطها الاجتماعي. ولهذا نشأ علم النفس الاجتماعي، وهو علم يبحث في علاقة الفرد بالمجتمع وأثر المجتمع في الأفراد.

التأثير الاجتماعي في الفرد يرتبط بمجموعة من العادات والتقاليد التي يأخذها الفرد من المجتمع وتشكل مجموعها شخصيته الاجتماعية، وتأثير القائد في الجماهير يرتبط أشد الارتباط بنوع الجماعة التي يتعامل معها، أي أن التفاعل بين القائد والجماهير يرتبط بشخصية القائد الفردية ونمط الجماعة التي يتعامل معها، فالقائد يخاطب الجنود بمصطلحات ومفاهيم تختلف عن مخاطبته للضباط من رتبة أقرب إلى رتبته، أكانت أعلى أو أدنى.

وبدراسة العلاقة بين علم النفس وعلم الاجتماع يمكن أن نتقدم نحو فهم أكبر للإنسان والسلوك الإنساني الذي هو سلوك فرد ضمن وسط اجتماعي. (الأخرس، 1981، 30). إن عبقرية العبقر لا يمكن أن تظهر إلا في وسط ملائم لنضوج هذه العبقرية وفتحها ووجود الشروط المناسبة لتحقيق هذه العبقرية على أرض الواقع.

— : —

تعريف الأنثروبولوجية: هي العلم الذي يتناول دراسة تاريخ الإنسان وتاريخ علاقة الإنسان بالمجتمعات التي يعيش فيها.

- ولقد ارتبطت الدراسة الأنثروبولوجية بدراسة المجتمعات البدائية البسيطة، ودراسة نشأة الإنسان الأول على الأرض، ولغة هذا الإنسان، والأساليب التي كان يتبعها في العمل وفي التفكير، وكذلك عادات وتقاليد المجتمع البدائي. وتدرس الأنثروبولوجية ثقافة المجتمعات البدائية والنظم والعلاقات فيها.
- إن البحث الأنثروبولوجي يفيدنا في معرفة أصول النظم الاجتماعية، ودرجة التطور من نظم بسيطة إلى نظم معقدة في المجتمعات الراقية والحديثة.

وستحدث الآن عن الفروق الأساسية بين علم الاجتماع والأنثروبولوجية:

- يدرس علم الاجتماع المجتمعات المعقدة والراقية، بينما تدرس الأنثروبولوجية المجتمعات البدائية والمنخفضة النمو. وعموماً يهتم علم الاجتماع بالظواهر المرتبطة بالحضارة الحديثة، بينما الأنثروبولوجية تهتم بالمجتمعات البسيطة التي لم تتصل بالحضارة.

• الأنثروبولوجية تهتم بالمجتمعات البدائية التي هي أقدم، وتتصل بفترات دخول الإنسان إلى الأرض الجديدة (أمريكا)، مما يعني أن الأنثروبولوجية أقدم من علم الاجتماع. فقد نشأ علم الاجتماع في بداية القرن التاسع عشر مع أوغست كونت 1798-1857م، مع مشكلات الإنسان المادية والحضارية وتعدد العلاقات الاجتماعية. بينما نشأت الأنثروبولوجية منذ أوائل القرن السادس عشر، مع بداية الحملات الاستعمارية ورغبة الدول الاستعمارية في التعرف إلى شعوب المناطق التي استعمروها، وخاصة بعد اكتشاف القارة الأمريكية عام 1492 على يد كروستوف كولومبس.

• المنهج في الأنثروبولوجية هو منهج يعتمد على المشاركة في الحياة العامة للأقوام البدائية، حيث يقوم الباحث الأنثروبولوجي بالمعيشة الميدانية، والمقابلات غير الرسمية، ومشاركة الأقوام البدائية في أفراحهم وأحزانهم وكل نشاطاتهم (زواج- ولادة مولود- احتفال ببلوغ الصبي. . .)

أما علم الاجتماع فيستخدم منهج البحث الميداني العلمي الذي يعتمد على بيانات اجتماعية واستمارات ومقابلات مقننة (محددة ومعروفة) تهدف إلى الوصول إلى حقائق عن المجتمع.

- يرتبط علم الاجتماع بالأنثروبولوجية بروابط عميقة تعبر عن علاقة المجتمعات المنخفضة النمو بالمجتمعات الراقية والمعقدة، وبالتالي فإن علم الاجتماع يعتمد على الأنثروبولوجية بصورة كبيرة في فهم أصل وتطور العلاقات والظواهر والقيم والمؤسسات الاجتماعية.

وأهم من اعتمد المنهج الأنثروبولوجي وقام بدراسات على المجتمعات البدائية هما العالمان البريطانيان: راد كليف براون (1881-1955)- وبرانسلاف مالينوفسكي (1884-1942) والاثنان عاشا في مجتمعات بدائية ونقلنا إلى العالم مفاهيم حياة هذه

الجماعات وعاداتهم وطرق عيشهم وغط تفكيرهم وفروقات حياتهم عن الحياة الحضرية لعالم اليوم.

علم الاجتماع والانتروبولوجية الاجتماعية:

هناك علاقة وثيقة بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية. ولفظ الأنثروبولوجيا (Anthropology) من كلمتين يونانيتين:

- Anthropo بمعنى إنسان.
- Logia بمعنى علم.

وبهذا فإن الكلمة تعني علم الإنسان. وإن كان علم الانتروبولوجية يدرس الإنسان فهو لا ينفرد بهذه الدراسة إذ نجد علوم الحياة مثلاً، كعلم التشريح ووظائف الأعضاء والأجنة تدرس ذلك، ومن ناحية سلوكه وتصرفاته نجد العلوم النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وغيرها من العلوم الاجتماعية الأخرى. يرى الدكتور أحمد الخشاب أن مصطلح (علم الانتروبولوجية) يطلق على الدراسة النظرية العلمية الكاملة للإنسان من حيث هو كائن حي يتألف من جسم وعقل، ويتميز بخصائص طبيعية فيزيقية في تكوينه وتطوره ونموه، وهذه الخصائص يتميز من باقي الكائنات الحية الأخرى، كما يدرس علم الانتروبولوجية الإنسان من حيث إنه كائن اجتماعي له وظائف اجتماعية، وآثار حضارية، ومعال ثقافية، ومظاهر فكرية.

وبهذا فإننا نلاحظ أن دارس الانتروبولوجية يتجه في دراسته اتجاهين:

الأول: هو دراسة الإنسان في ذاته من حيث إنه كائن طبيعي، والثاني: هو دراسة الإنسان من حيث إنه كائن اجتماعي. وعلم الانتروبولوجية في دراسته هذه لا يقتصر على دراسة إنسان بذاته أو مجتمع بعينه أو مرحلة ما من مراحل التاريخ، ولكن دراسته تتصف بالشمول والتكامل، ومن هنا كانت الدراسات الأنثروبولوجية بمفهومها العام من

أوسع الدراسات موضوعاً وأقدمها عهداً، فعلم الأنثروبولوجية إذا كان يقوم بدراسة الإنسان عامة فهو يقوم بهذه الدراسة في جميع الأزمنة والعصور، سواء منها ما كان قبل التاريخ أم بعده، وتتطرق دراسة هذا العلم إلى: التركيب العضوي للإنسان في مختلف مراحل تطوره، ولذا فهو يقوم بتشريح البناء الجسماني والهيكل الفيزيقي للنوع الإنساني، كما يدرس التطور القديم حتى وقتنا هذا.

وسواء أكانت الدراسات الأنثروبولوجية هدفها الوصول إلى نتائج تتعلق بمجتمع واحد بالذات، أم بعدد من المجتمعات، أم المجتمعات كلها على اختلافها، فالطريقة واحدة لا تتغير... أي أنها بالتحليل والدراسة تحاول الوصول إلى بعض التجريدات من الوقائع الاجتماعية المعقدة، ثم ربط هذه التجريدات بعضها ببعضها الآخر بما يمكن في النهاية من إظهار العلاقات الاجتماعية الكلية في نسق واحد يساعد العقل على إدراك الحقيقة من مختلف نواحيها وزواياها واتجاهاتها بترابط كلي يؤدي بنا إلى تبين الملامح الأساسية المهمة لتلك العلاقات. (الجوهري، 1991، 30). ومن تفرعات الانثروبولوجية نجد :

أولاً - الأنثروبولوجية الطبيعية، Physical Anthropology :

وهو علم يختص بدراسة الهيكل الجسمي للنوع الإنساني، مهتماً بتاريخ تركيب الإنسان الجسمي وتطوره وطبيعته من أقدم العصور إلى وقتنا هذا، ولهذا نجده يتتبع تاريخ الخصائص والصفات الجسمية للإنسان، مستخلصاً الخصائص المميزة للسلاسل البشرية التي تساعد على تصنيف أجناس السلاسل والعائلات البشرية المعينة المتفاوتة في خصائصها الجسمية، كلون البشرة والعينين، وشكل الشعر، وطول القامة، وحجم الرأس وشكله مثلاً.

ثانياً - الانثروبولوجية الحضارية (الثقافية)، Cultural Anthropology :

وهي تناول دراسة المظاهر الحضارية في جانبها المادي وجانبها الروحي المعنوي للجماعات الإنسانية. فالواقع أن أهم ما يميز الإنسان مقدرته الفريدة على اختراع أشكال جديدة من التصرفات التي لا تخضع لأي أساس وراثي أو غريزي، حتى عند قضاء حاجته العضوية البيولوجية، كحاجته إلى الطعام مثلاً، وإرضاء دوافعه المختلفة النفسية والاجتماعية، فنجد حراً في اختيار الطرق المختلفة التي يشبع بها هذه الحاجات، والحضارة تظهر عادة نتيجة للاختراعات الاجتماعية، كما أنها تنتشر وتكتسب عن طريق الاتصال والتعليم، هذا علاوة على أنها غير غريزية. (الجوهري، 1991، 33)

:

تعريف علم الاقتصاد: هو العلم الذي يدرس مشكلات التوفيق بين الموارد وحاجات الإنسان، فهو يبحث في موارد الإنسان الاقتصادية، وكيفية تصرفه بهذه الموارد، ومدى كفايتها لحاجات الإنسان.

إن غرض علم الاقتصاد هو تعريفنا بكيفية الاستعمال العقلاني للموارد المتاحة، بقصد تحقيق قيم متدرجة على سلم الرغبات البشرية.

فهو العلم الذي يحدد أحسن الشروط التي يمكن للنشاطات الاقتصادية أن تحقق فيها أفضل مردود من أجل كفاية الحاجات الإنسانية.

ومعروف أن حاجات الإنسان تقسم إلى أساسية وكمالية: فالأساسية هي

الغذاء واللباس والأمن. والكمالية مثل الترويح وزوائد الحاجات.

وموضوع التقسيم بين أساسية وكمالية يرتبط بوضع الإنسان الاقتصادي والاجتماعي، وقيمه، ومرحلته العمرية، ووجهة نظر المجتمع الذي يعيش فيه إلى هذه الحاجات.

حاجات الطفولة تختلف عن حاجات المراهقة، وتختلف كثيراً عن حاجات الكهولة، وتختلف كثيراً بين طبقة وأخرى صعوداً أو نزولاً.

ويدرس الاقتصاد الظواهر التي ترتبط بالموارد في مجتمع محدد، ولذلك لابد من تعاون عالم الاقتصاد مع عالم الاجتماع لفهم علاقة الموارد بالحاجات في مجتمع محدد. فالحقيقة أن حاجات الإنسان لا ترتبط بما يملك وثن الحاجة فقط ، وإنما ترتبط أيضاً بنفسيات الأفراد والقيم السائدة في المجتمع، من هنا جاءت قصة الملك ميداس الذي أصبح الذهب عنده غاية بحد ذاته، لا وسيلة لغايات أخرى.

إن الاقتصاد يرتبط بالمجتمع، ومن هذا المنطلق نشأ علم الاجتماع الاقتصادي: وذلك لأن الأفكار الاقتصادية لا تعيش حياة مستقلة عن الظروف التي ولدتها. ودراسة تاريخ الفكر الاقتصادي تهتم بالكشف عن المسار التاريخي لظهور الأفكار الاقتصادية وتطورها وصراعها وتتابعها بدءاً من العالم القديم وانتهاءً بأيامنا الحاضرة.

لذلك يقوم علم الاجتماع بتقديم الأرضية التي يستخدمها المفكر الاقتصادي في التعامل مع الموارد والحاجات، هذه الحاجات التي تتغير من مجتمع إلى آخر، ومن الماضي إلى الحاضر، إلى المستقبل. . .

علم الاجتماع الاقتصادي هو أقرب علم يجمع بين دراسة المجتمع ودراسة الاقتصاد، ويعبر عن استخدام الإنسان للحاجات والموارد، واستخدام المجتمع وتصرفه بموارده، ويجمع ما بين علم الاجتماع وعلم الاقتصاد وحدة الموضوع المدروس وهو الإنسان، ووحدة الهدف وهو رخاء الإنسان.

وليس من شك في أن التركيز على الجانب الاقتصادي وحده لا يكفي للفهم الكامل للحياة الاقتصادية داخل المجتمع؛ نظراً لتشابك ظواهر الحياة الاجتماعية، وتداخلها ، وتساندها وظيفياً، ولا نستطيع أن ننكر الاتصال الوثيق بين الأهداف

الاقتصادية والأهداف الاجتماعية في المجتمع، ومن ثم عُدت الظواهر الاقتصادية جزءاً من النشاط الاجتماعي، حيث يشكل الاقتصاد نسقاً فرعياً يتفاعل مع الأنساق الاجتماعية الأخرى. ومن ثم أصبح الجانب الاقتصادي للحياة الاجتماعية أحد الفروع الأساسية التي يعنى بدراستها علم الاجتماع، مما أوجد فرعاً من فروع علم الاجتماع هو «علم الاجتماع الاقتصادي».

إن علم الاجتماع الاقتصادي يهتم بالتكامل والتساند والتأثيرات المتبادلة بين النظم الاقتصادية وبقية النظم الاجتماعية الأخرى، حيث إن العمليات الاقتصادية إنما تتم داخل مجتمع معين، وفي فترة زمنية معينة، وبالتالي فلا بد أن تتأثر بخصائص هذا المجتمع وبالقوى الاجتماعية السائدة فيه، ويهتم علم الاجتماع الاقتصادي بالبحث عن العلاقة المتبادلة بين المتغيرات الاجتماعية والقرائن الاقتصادية وغير الاقتصادية، مثلاً «مدى اتصال الأدوار الأسرية والمهنية بالدور الوظيفي للمجتمع المحلي، وعلاقة ذلك بالبناء السياسي».

ويمكن لعلم الاجتماع الاقتصادي أن يساعدنا على معرفة أي النظم الاجتماعية وأي التطبيقات الاقتصادية يمكن أن تلائم هذا المجتمع أو ذاك.

ويربط علم الاجتماع الاقتصادي السلوك الاقتصادي بالجوانب الاجتماعية لهذا النشاط، ويتمثل ذلك في اهتمامه بالعوامل الاجتماعية التي تسبق العوامل الاقتصادية وتحدها، فلو تناولنا مثلاً: «موضوع العرض والطلب لوجدنا أن نسبة البيع تختلف بحسب عدة عوامل اجتماعية مثل «قوة العادة والموضة، ومستوى المدنية.. إلخ».

وهناك عوامل اقتصادية تسبق الظواهر الاجتماعية وتحدها، مثل «دراسة الحركة الصناعية بوصفها مؤثراً في الأخلاق». (رشوان، 1993، 173)

والثروة كذلك لا توجد إلا في مجتمع، ولا تنجح إلا عن طريق الأيدي العاملة، ولا تتداول إلا بين الأفراد الذين تربطهم نظم وأوضاع اجتماعية، فعند دراسة عالم الاجتماع لمشكلة الفقر مثلاً، لا بد من إرجاعها إلى علم الاقتصاد الذي يستمد منه المبادئ التي يقوم عليها توزيع الثروة، والقوانين الضابطة لذلك. والواقع أن هناك قدراً من التساند بين المتغيرات الاقتصادية والسوسيولوجية، ويدرس علم الاجتماع الاقتصادي العلاقات والصراعات التي تنشأ بين العمال والإدارة ويهتم بالروح المعنوية لدى العمال.

كما يمكن لعالم الاجتماع الاقتصادي أن يلاحظ المتغيرات الاجتماعية في المجالات الاقتصادية وغير الاقتصادية في المنشأة الصناعية، وذلك بدراسة أنساق المراكز والسلطة والانحراف. ويدرس عالم الاجتماع الاقتصادي العلاقة بين الإنتاج الاقتصادي وبعض المشكلات الاجتماعية «كالسكان، والجريمة، والأسرة»، ويهتم بصور الإنتاج والتداول والاستبدال والاستهلاك والتوزيع، والوسط الاجتماعي الذي تعيش فيه كل صورة من هذه الصور.

وكذلك يدرس عالم الاجتماع الاقتصادي النظم الاقتصادية من زاوية تطورها واختلافها من مجتمع إلى آخر. (يوسف، 61، 1995)

وكذلك يهتم علماء الاقتصاد بدراسة الثروة التي كما ذكرنا لا توجد إلا في مجتمع، وهي في معظمها عبارة عن أشياء اجتماعية، ومن ناحية أخرى يهتم علماء الاجتماع بدراسة العلاقات الاقتصادية بين العمال وأصحاب الأعمال (أي العلاقات المنظمة للعمل ورأس المال). وكلها موضوعات يشترك فيها كل من علمي الاجتماع والاقتصاد.

إذن يمكن لعالم الاجتماع وعالم الاقتصاد أن يدرسا موضوعاً واحداً، ولكن كل منهما يتناوله من زاوية معينة، وكل من العالمين يستفيد عند دراسته من نتائج العلم الآخر. (رشوان، 1993، 177)

:

إن مختلف العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية غايتها سعادة الإنسان وتفسير حياته ومحيطه، وتسهيل العيش الكريم له. وهي متكاملة فيما بينها تكامل العلوم العسكرية والمدنية في أي مجتمع. لقد وجدنا أن علم الاجتماع يعتمد على الفلسفة في مقولاته الكبرى؛ لأن الفلسفة أم العلوم وأن علم الاجتماع يتصل بالسياسة لأنهما معاً يدرسان المجتمع بمكوناته وطبقاته.

وأن المشكلات السكانية موجودة في مجتمع محدد تؤثر فيه الهجرة وصحة الأطفال والعمر المتوقع لأبنائه... ثم تطرقنا للتاريخ بوصفه علماً يدرس تطور المجتمعات، وفرقنا كذلك بشكل أساسي بين علم النفس للفرد وعلم الاجتماع للجماعة. وبعلاقة علم الاجتماع بالأنثروبولوجية وجدنا تطور وتعقد الظواهر والمؤسسات الاجتماعية. وكذلك الجامع بين علم الاجتماع والاقتصاد وهو علم الاجتماع الاقتصادي... إن كل هذه العلوم مترابطة مع علم الاجتماع، ومع علوم أخرى مثل علم القانون وعلم اللغة وعلم الحياة والفن... وكل هذه العلوم تتناول جوانب حياة الإنسان في المجتمع وسبل تطوره وتقدم المجتمع لخير الإنسانية.

الفصل السابع

أولاً- علم الاجتماع التربوي

ثانياً- علم الاجتماع البدوي

ثالثاً- علم الاجتماع الريفي

رابعاً- علم الاجتماع الحضري

خامساً- علم الاجتماع الأسري

سادساً- علم الاجتماع الديني

سابعاً- علم الاجتماع الطبي

ثامناً- علم الاجتماع الأدبي



تأثر علم الاجتماع - كغيره من العلوم - بظاهرة التخصص التي برزت بشكل واضح مع انتشار الحركة الصناعية وتقدم البحث العلمي، فتشعبت اهتماماته وتعددت ميادينه.

تحدد ميادين علم الاجتماع بنوع المتغيرات الاجتماعية المطلوب تحليلها، وتفسير الظواهر الاجتماعية المتنوعة والمتداخلة معها، ومن تعددها وتميزها وتطورها وتعدد المشكلات الاجتماعية، تتعدد ميادين علم الاجتماع وتنوع فروعه، ولقد أصبحت الميادين في علم الاجتماع أكثر من ثلاثين ميداناً، منها السياسي والبدوي والعسكري والحضري وغيرها.

والميادين تعبر عن ازدياد التخصص والمعلومات في مجال محدد من مجالات علم الاجتماع الذي اغتنى في القرن العشرين كثيراً وتعددت ميادينه، وأصبح هناك مختصون في مجال محدد لخدمة جماعات معينة، مثل الجماعات التي تعتمد في حياتها على بيئة معينة مثل علم الاجتماع البدوي أو الريفي أو الحضري، وكل ميدان يهتم أكثر بقضاياها ويفصل فيها ويبين كيف تخدم هذا المجال، وطبعاً من منطلق اجتماعي، فعلم الاجتماع الديني لا يتناول فقه الدين وفحواه، وإنما هدفه بيان دور الدين في المجتمع عبر العصور. وكل ميدان يدرس اليوم في الجامعة بشكل مستقل لبيان تطوره وأهدافه وما يقدمه للمجتمع.

لقد تطورت العلوم الاجتماعية وازدهرت وتشعبت مجالات العمل بها، وتراكم كل علم في معلوماته، وهذا ما سبق وحصل في الفيزياء مثلاً، فلقد انقسمت الفيزياء مع تطور العلوم إلى علوم خاصة من الفيزياء، وخرج منها علم الميكانيك وعلم الضوء وعلم التربة. . . إلخ.

وكذلك تطورت وازدادت المعرفة بالعلوم الاجتماعية، ومنها علم الاجتماع وازداد التخصص، فانقسم علم الاجتماع إلى مجموعة من المجالات والميادين التي تعبر عن علاقة علم الاجتماع بهذا الميدان أو ذاك.

:

علم الاجتماع التربوي هو ميدان من ميادين علم الاجتماع، يهتم بالجوانب التربوية للظاهرة الاجتماعية التي يتناولها علم الاجتماع التربوي ليسهم بدور فعال في النظر إلى الظاهرة التربوية بوصفها عملية اجتماعية وثقافية.

كما أن علم الاجتماع يقدم لعلم الاجتماع التربوي الإطار النظري العام الذي يساعده على فهم أبعاد الظاهرة التربوية والأمور المتعلقة بها، مثل النشاط المدرسي والطريقة التعليمية والتنظيم الاجتماعي والجماعات الاجتماعية الخاصة بالمؤسسات التعليمية، مثل جماعة الإدارة المدرسية وجماعة المدرسين وجماعة التلاميذ. إضافة إلى تناوله التفاعل القائم بين المدرسة بوصفها مؤسسة اجتماعية والمحيط الاجتماعي العام والمحلي، وما يشتمل عليه من جماعات اجتماعية تعد الأسرة في مقدمتها.

وإذا كان عالم الاجتماع يعمل لدعم الجهود المتخصصة في نطاق علم الاجتماع التربوي، فلأنه يستفيد من معطيات علم الاجتماع التربوي في تناوله للتربية وأنساقها الاجتماعية، وما تشتمل عليه من نظم وترتيبات تتعلق بالعملية التعليمية عامة وعملية التعليم خاصة في الوصول إلى الفهم العميق الشامل لأبعاد العمليات التربوية في المجتمع، مما يساعد على تحديد الخصائص والظروف العامة المرتبطة بها، والسمات والظروف الخاصة التي تؤثر في العمليات التربوية من محيط مجتمعات وثقافات معينة تختلف في بعض جوانبها عن ظروف وثقافات المجتمعات الأخرى.

كما أن تناول علم الاجتماع التربوي للظاهرة التربوية يعتمد بصورة أساسية على فهم علم الاجتماع لمظاهر التفاعل الاجتماعية في المجتمع، والعوامل التي تؤثر فيها، والقيم والمعايير التي توجه سلوك الأفراد في المجتمع لتحديد مقتضيات صياغة الشخصية، من خلال العملية التربوية وما تتطلبه عملية الصياغة تلك من خبرات ومهام ومهارات.

ولهذا نجد الكثير من مفاهيم علم الاجتماع ومصطلحاته تستخدم في المجال التربوي وما فيه من تفاعل واتصال في عملية التعلم؛ ذلك لأن عملية التعلم بمنزلة موقف اجتماعي يتفاعل فيه الأفراد والجماعات، شأنها في ذلك شأن المواقف الاجتماعية الأخرى وما تتضمنه من صور تفاعل وعلاقات واتصالات.

ومحصلةً لتطور المجتمعات الإنسانية وتقدم العلم والمعرفة في مختلف المجالات والمواضيع العلمية، جاء علم الاجتماع التربوي علماً يصف ويفسر أثر الأنظمة وأثر العمليات والعلاقات الاجتماعية في شخصية الفرد داخل المؤسسات التربوية المختلفة.

وهذا العلم التطبيقي ظهر فرعاً من فروع علم الاجتماع العام؛ لبحث في المؤسسات التربوية المختلفة والمدارس والمعاهد والكليات والجامعات داخل البناء الاجتماعي العام.

ويهدف إلى الكشف عن العلاقات بين العمليات التربوية، وإبراز أصل العملية التربوية بوصفها ظاهرة اجتماعية لها وظيفة أساسية في المجتمع.

إن علم الاجتماع التربوي هو العلم الذي يختص بدراسة الإنسان حينما يدخل في علاقة مع إنسان آخر في إطار تربوي يهدف إلى تكوين الخبرة أو المعرفة أو الثقافة أو التعلم أو التدريب. أي العلاقات بين تلميذ وآخر، وبين تلميذ ومعلم، ثم العلاقة بين التلاميذ والمعلمين كلياً وبين كل من المؤسسة التربوية والنظام التربوي بشكل عام، وبين كل من في هذا الإطار التربوي والمؤسسات الاجتماعية الأخرى في المجتمع.

تركز التربية بوصفها عملية اجتماعية على العمليات الثقافية التي تشكل حياة الفرد، كما يركز علم الاجتماع التربوي على التفاعل بين الفرد ومحيطه الثقافي بمكوناته المختلفة من أفراد وجماعات وأنماط سلوكية وأنظمة اجتماعية.

من هنا تعد التربية: العملية الواعية التي تؤدي إلى إحداث تغيير في سلوك الفرد، الذي يحدث بدوره تغييرات في الجماعة التي ينتمي إليها: عملية مستمرة ولذا يستمر تغير الفرد في مجتمعه طوال حياته، وبوساطتها تتم عملية التنمية وتصل الجماعة إلى أهدافها المنشودة؛ لأن التربية في محتواها دوماً خيرة.

وبهذا المفهوم الاجتماعي للتربية لا تنحصر في المدرسة أو المنزل والأسرة فقط مع أنهما المؤسسات الاجتماعيتان الرسميتان والمسؤولتان بصورة مباشرة عن التأثير في سلوك الأطفال والناشئين والشباب؛ بل إن التربية تمتد إلى المؤسسات الاجتماعية والتربوية الأخرى، مثل أماكن العبادة والعمل، والمؤسسات الترويجية، إضافة إلى المؤسسات الاقتصادية والمنظمات والمؤسسات السياسية من أحزاب ونقابات وجمعيات.

إن كل هذه المؤسسات وما تمليه الحياة من سرعة تغير المجتمعات الحديثة وتعدد مصادر التغير وما يظهر من مشكلات. . . يفرض على التربية مسؤولية التوجيه والضبط لسلوك الأفراد والجماعات. لقد تغيرت وظائف التربية وأجهزتها في عصر التكنولوجيا الحديثة عنها في العصور القديمة، والتي كانت تتسم بالبساطة ونقل التراث وأنماط الحياة المألوفة. فالتربية اليوم لها دور مهم في العملية الاجتماعية وتوجيه الأفراد كما تريد الجماعة أو المؤسسات السياسية الرسمية، وعن طريقها يمكن ضبط أي سلوك وتوجيه الفئات الاجتماعية فتغرس فيهم الاتجاهات والتوجيهات المرغوبة من قبل المجتمع، فتتأصل في نفوسهم القيم وأنماط السلوك العامة المرغوبة اجتماعياً.

فالتربية إذن عملية اجتماعية تعمل على تكييف سلوك الأفراد ومواقفهم لتساير القوالب والأنماط الثقافية والضوابط الاجتماعية التي ارتضتها الجماعة.

يدرس علم الاجتماع التربوي طرق انتقال الأفكار والعادات والتقاليد من جيل سابق إلى جيل لاحق، وهذا ما يسمى بالتنشئة الاجتماعية، وكذلك الوسائل التربوية لنمو الشخصية الاجتماعية.

أهداف التربية:

- تهدف التربية إلى تعليم الإنسان وسائل كسب العيش، وذلك للحفاظ على حياة الأفراد. التربية تربي الفرد على أن يعيش ليكسب، وعلى أن يعمل ليحقق حاجاته، وهي تعلمه أن العمل ليس واجباً إنسانياً فحسب، وإنما متعة لتحقيق إنسانية الإنسان.
- تعلمنا التربية تكوين الجسد، فالجسد القوي ضروري للعقل والعمل، وللعناية بصحة الإنسان منذ الصغر، وتوخي السبل الممكنة لذلك، وتجنب المرض.
- تكوين الخلق والأخلاق وهو عمل التربية من خلال البيت والمدرسة والعمل، وأماكن العبادة، وجميع المؤسسات التربوية؛ لكي تقدم إنساناً ومواطناً خلوقاً مع أقرانه وجيرانه، ويتأثر الفرد في تربيته بالدين والمفاهيم الاجتماعية السائدة وعوامل أخرى.
- **حسن المواطنة:** أي أن يكون المتربي مواطناً مخلصاً يعرف واجباته الوطنية، فيؤديها ويعرف حقوقه فلا يتنازل عنها.
- **تنمية العقل:** ليس هدف التربية العقلية حشو الذهن بالمعلومات، وإنما هو الموازنة بين العقل والعاطفة والجسد، وهكذا تتماشى التربية العقلية مع تربية

الجسد ومع تهذيب العقل وصقل العاطفة وحسن الخلق للإقدام على العمل المنتج المثمر.

- **نقل التراث:** إن كل أمة تبدأ تربيتها بنقل تراثها وعاداتها إلى مواليدها الجدد. وتهدف من وراء ذلك إلى صقل الإنسان، وإحساسه باستمرارية الأجيال والأبناء على تراثهم القومي، منطلقة من حقيقتين أساسيتين:
أ- إن لكل أمة تراثها الخاص وطابعها القومي.
ب- الإيمان بقدرة الإنسان على التقدم بذاته وبالعالم إلى ما هو أفضل.

وقد عدّ دوركهايم التربية ظاهرة اجتماعية تتأثر بالمتغيرات الاجتماعية التي ترتبط بالتفاعل وبالبناء الاجتماعي. ونحن في الوطن العربي قدمنا إسهامات مهمة في علم الاجتماع التربوي من خلال العديد من المربين الاجتماعيين العرب، قديماً مثل الفارابي والغزالي وابن خلدون...، وحديثاً مثل زكي الأرسوزي وساطع الحصري وغيرهم. وذلك لأننا بدءاً من فترة النهضة العربية نرى الهم التربوي أحد الهموم الأساسية للفكر العربي.

العلاقة قوية بين علم السكان والتربية حيث إننا في الوطن العربي نركز على الفئات الشابة، وهي القسم الأكبر من المجتمع، فلقد وجدنا بأن البلدان العربية ذات هرم سكاني قاعدته عريضة، فلا بد من الاهتمام بالتربية والتعليم، لأن ذلك هو أساس التطور الاجتماعي - الاقتصادي، فلا نهضة دون فكر تربوي متطور يساهم في تغيير البناء الاجتماعي نحو الأفضل.

—
:

يدرس علم الاجتماع البدوي العلاقات الاجتماعية في المجتمعات البدوية التي تعيش على الرعي والانتقال وراء الكلاً. وهذه المجتمعات البدوية لها مشكلات متعددة ترتبط بالتنقل البدوي الذي ينشئ حالة من عدم الاستقرار الاجتماعي، وما يرتبط بذلك

من أمور اجتماعية (التدريس والأمن). ولا يهدف علم الاجتماع البدوي إلى إلغاء الحياة البدوية، وإنما إلى إيجاد الظروف المناسبة كي تتلاءم الحياة الاجتماعية مع ظروف البدو، وليس العكس. أول الباحثين في مجال الحياة البدوية هو العلامة ابن خلدون (1332-1406م) حيث يقول: (أهل البدو وإن كانوا مقبلين على الدنيا إلا أنه في المقدار الضروري لا في الترف ولا في شيء من أسباب الشهوات واللذات ودواعيها، إن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر).

وتعد مشكلة التوطين إحدى المشكلات المهمة في دراسة البدو، إذ إن المحاولات المتكررة من الدول العربية لتوطين البدو باءت بالإخفاق، وهذه القبائل ترفض التوطين. ولذلك - من وجهة علم الاجتماع البدوي - لا بد من التعامل مع قبائل البدو بروية وحكمة، وذلك للتلاؤم مع ظروفهم والعمل على حل مشكلاتهم دون إلغاء وجودهم وحياتهم بوصفهم نمطاً حضارياً.

تعتمد الحياة البدوية على نظام اجتماعي أساسه القبيلة، وشبكة من العلاقات الاجتماعية التي تحكم علاقة الفرد بأبناء القبيلة وشيخها الذي يحمل مكانة خاصة. وتعتمد الحياة البدوية على نظام إنتاجي قام تاريخياً على رعاية الماشية والتنقل بحثاً عن الكلاً والماء، مع معرفة دقيقة بالأماكن المناسبة للتنقل تناسباً مع أحوال الجو والمراعي. وفي تاريخ المشكلات الاجتماعية لسورية كانت مشكلة البدو تقليدياً هي مشكلة الحياة الاجتماعية لمجموعات تعتمد على الرعي والتنقل. والحل الأفضل لها - كما كان يراه الدارسون - هو توطينها، حتى على المستوى الرسمي أيضاً، جرت محاولات متعددة من قبل الدولة لتوطين البدو؛ لحل مشكلات متعددة ترتبط بهم وبالدولة، منها: (التعليم - إقامة سلطة الدولة - الصحة إلخ. . .) ولكن في السنوات الأخيرة بدأت تظهر كيفية أخرى للتعامل مع مشكلة البدو - وهم أصل شكل الحياة في الجزيرة العربية عموماً - من منطلق

فهم خصوصية هذه الجماعات الكثيرة في الوطن العربي؛ إذ تصل نسبتهم في بعض المناطق إلى (25 %)، بينما يشكلون في سورية (6 %) من السكان. إذ إن مشكلات البيئة والإساءة إلى المحيط الحيوي المتنوع لم تظهر حدتها إلا مع ازدياد حدة التحضر إلى أقصاها، وشيوع نمط عالمي واحد للاستهلاك والإنتاج يميل أكثر فأكثر نحو التركيز الصناعي، وتركز الناس في المدن، وتلويث البيئة بسبب أشكال متعددة من رفاهية الإنسان التي يعتقد (ويلز) بحسب توقعات (آلة الزمن) أن تؤدي إلى كسل رخوي شديد عند الإنسان، وخضوع مطلق لكائنات شريرة ومتخلفة.

لقد تكيف البدو مع حياة الصحراء الجافة من دون تكنولوجيا متطورة في مناطق الجفاف وهو طابعها الأساسي. ويستفيد البدو ببراعة من المطول النادر للأمطار، بالتنقل الذي هو آلية للرعي، مع إدراك لأنواع المواسم الطبيعية وسبل مواجهتها. والزراعة عند البدو أقل قيمة من تربية الماشية. ويؤكد التنبؤ الحديث للمسألة أن حياة البداوة - أي الحياة في الصحاري - ليست حياة بدائية، ولا هي مرحلة من مراحل تطور البشر، وإنما هي طراز من حياة سلكته جماعات بشرية استطاعت ببراعة تحقيق التوازن لبيئتها على امتداد آلاف السنين (مجلة العربي، 1993).

وقد أكسبتهم الحياة في الصحاري حدة ذكاء طبيعية من سماء صافية وخيرات نقية وصحية، بعيدة عن المصنعات والمنكهات والأكسدة التي دخلت كل أنواع مائدة المدينة. فالبدوي معروف بذكاء فطري ومعرفة بالجهات الأربع بالسليقة، وباتجاهات الرياح، وأنواع التربة، والعلاقات التعاونية مع أنواع الماشية (مصدر الرزق الأساسي). البدو هم أصل الجزيرة؛ لذلك في أخلاقهم قيم العرب الأصيلة في التعامل مع الأفراد والجماعات؛ من الكرم وإغاثة الملهوف والحرص على الموارد. ونعتقد بأن ظاهرة الثأر - أخذ الحق باليد من القاتل من قبل أقرب الناس إلى المقتول - والتي درست على أنها أهم

الصفات السلبية عند البدو، يمكن أيضاً أن تفهم من أن نظام البدو نظام مغلق للعلاقات، وبالتالي فهم هذه الظاهرة من وجهة نظر البدوي الذي يعيش ضمن قبيلته ويعرف أن الثأر هو وسيلة الحصول على الحق في مجتمع تراثي بعيد عن مراكز الشرطة والسلطة، ويعيش حياته المستقلة عن المدينة.

والحقيقة أن التنمية الشاملة هي التي تراعي مصالح كل الجماعات على أراضيها، بمراعاة التنوع الحيائي، بما يتلاءم مع تنوع العادات والتقاليد وأنماط الإنتاج، دون فرض خط للتطور لا يتغير. وتحقيق التطور يتطلب تحقيق هذا التنوع. إن شكل البادية السورية ومقوماتها يتغير نحو التحضر السلبي بما يدعو للخطر. وهذا ما أشارت إليه دراسة للمركز العربي لدراسات المناطق الجافة (أكساد) نشرتها جريدة الشرق الأوسط 1997/6/29 حيث تبين أن أعداد الإبل في البادية السورية انخفضت من 6950 عام 1980 إلى 3147 عام 1990م، وهو أمر يستدعي الخوف من انقراض هذا الكائن الأساسي في الحياة البدوية. وقد بذلت الدولة مؤخراً جهوداً لمراقبة تطور الإبل، وعدم السماح بذبح الإناث وتحسين نسلها.

والقبيلة تقدم للبدوي وحدة سياسية واجتماعية، يرتبط أبنائها بشبكة من العلاقات والواجبات التي تحدد الخير والشر للحياة اليومية، تماماً كما تفعل الدولة في المجتمع المدني. ولكن الإضافة المهمة هنا هو أن هذه الحقوق تنبع من البيئة الصحراوية وتعبر عن شكل حياة القبيلة البدوية، وغير مفروضة عليها من فوق كما هي حال القوانين المدنية.

ومن ذلك فإن فرض التوطين وشكل الحياة الحضرية على جماعات البدو يبدو قراراً خاطئاً، لأنه أشبه بتلوين كل الشياح بلون واحد، دون مراعاة لرغبات الأفراد باختيار

شكل الحياة. . والتنقل هو الأنسب مادام اختيارهم في حياتهم الذي مارسوه آلاف السنين.

ولا ندعي أن الحياة اليومية لا تحمل سلبيات متراكمة عبر السنين، ومهمة الدولة هنا تكمن في التدخل لمحاربة كل ما يسيء لكرامة الإنسان البدوي، ويحرره من الخرافات بزيادة الوعي المجتمعي، وتهيئة السبل الممكنة لممارسة البدوي الحياة المندمجة بمحيطه الحيوي، والذي عرف دوماً كيف يستثمره لاستمراره.

إذن القضية هي في تكييف أساليب الدولة لمساعدة القبيلة على الاستمرار لا توطيد البدو وتغيير شكل الحياة الأساسية التي تعودوها. ففي مجال التعليم يكون التكيف من قبل الدولة بإنشاء مدارس متنقلة ترتبط بخيم البدو وحياتهم، ويفضل أن يكون المعلمون من البدو الذين يعرفون عاداتهم وتقاليدهم ويندرجون في بوتقتها، والأمر لا يتعلق بتغيير أطر التعليم أو مقولاته، وإنما يرتبط بشكل المدرسة (بين بناء أو خيمة) بما يتناسب مع حياة لا نريد لها أن تفتى أو تذوب. وهي التي أثبتت أنها نمط يناسب البيئة المحيطة وقادر على التعامل معها دون تلوث.

وفيما يتعلق بأمور الصحة والتابعة فكل ذلك يمكن أن يحل بإيجاد طرق مناسبة وبسيطة: فليس من الصعب أن تقوم لجان التلقيح خلال الحملة الوطنية بتلقيح البدو في أماكنهم.

واستخدام وسائل الإعلام التي تتصل بهم في كل ما يتعلق بالتابعة، وتحقيق سلطة الدولة المطلوبة.

وكذلك ليس من الصعب إنشاء مخافر متنقلة وشرطة تابعة لكل قبيلة.

لقد تبين خلال السنوات الأخيرة أن الحفاظ على الغطاء النباتي للبادية السورية أمر حيوي جداً لاستمرار الحياة البدوية الطبيعية من جهة، وللحفاظ على أنواع النباتات

النادرة من جهة ثانية، والإبقاء على علاقة متوازنة بين الكائنات الحية التي تعيش فيها من ناحية ثالثة. كما تبين أن الجور في فلاحه البادية بغية استثمارها زراعياً يؤدي إلى استنزاف الأرض وتغيير بنيتها الطبيعية.

نجد أن دراسة البادية وسكانها مهمة مستعجلة لاختصاصات مختلفة، مثل الجغرافيا والأنثروبولوجية والزراعة وعلم الاجتماع.

:

يدرس علم الاجتماع الريفي التشكيلات الاجتماعية القائمة في مجتمع القرية، وكذلك خصائص المجتمعات الريفية بوصفها نمطاً معيشياً يعتمد على الزراعة، والمشكلات الاجتماعية المرتبطة بالريف وسبل تجاوزها.

المجموعات التي تعيش في ريف سورية لها مشكلات متعددة مطلوب حلها لكي تستطيع الاستقرار، وتتوقف الهجرة الحثيثة نحو المدينة، وتجنب المخاطر المتعددة للتحضر غير المتوازن.

لقد انطلقنا من أن الأمية تعد واحدة من أكبر المشكلات الاجتماعية في الريف، لما لها من أثر في الوعي الريفي بشكل عام، والوعي بمشكلات البيئة بشكل خاص، فقيم النظافة والعناية بالمحيط الأسري والنظافة الشخصية ونظافة الألبسة والأطعمة والتعامل مع القمامة والحيوانات النافقة. . . لا يمكن أن تتم إلا في الأسرة الواعية المتعلمة، حيث ينعكس تعليم النساء بوجه خاص على تربية الأولاد وتوجيههم نحو الأفضل.

إن إعطاء مكانة أعلى للذكور في المجتمع يعد أحد أهم أسباب زيادة عدد أفراد الأسرة الريفية، كما يرتبط بمعدلات الإعالة العالية (حوالي 4 أفراد للمشتغل الواحد). ويترافق مع مشكلة أخطر هي الفيض النسبي للعاملين في الريف. حيث يتركز حوالي

نصف قوة العمل في الزراعة، بينما لا تقدم الزراعة سوى ما يتراوح بين (18-28)% من الناتج الإجمالي المحلي (المجموعة الإحصائية، 1993) وهذا يعني أن القطاع الزراعي متخلف بالعاملين الذين لا حاجة لهم. إن انخفاض إنتاجية العمل في الزراعة ناشئ بالطبع عن تخلف الإنتاج: نقص الآلات الزراعية، واستخدام الوسائل البدائية في الري والتسميد وغيرها من قبل العمال، مما يتطلب عدداً كبيراً من الأيدي العاملة، ولكن لا بد من الإشارة إلى الجانب الآخر في المسألة، وهو أن هناك فائضاً كبيراً من الأيدي العاملة في الزراعة حتى لهذا المستوى المتدني لوسائل وطرق الإنتاج المستخدمة.

في الدراسة الميدانية التي جرت على 10 آلاف أسرة في سورية عام 2002م تبين أن الحالة التعليمية ذات فوارق بين الريف والحضر، وبين الذكور والإناث، وخاصة في نسبة الالتحاق بمرحلة التعليم الإعدادي والثانوي، وهو ما يؤثر بقوة في صحة الأسرة وسلوكاتها الإنتاجية والحياتية، وفي وعي مجمل قضاياها.

لقد أثار تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002م مسألة التعليم في الوطن العربي في فصله الرابع، وتبين أن مخصصات تحمل تكاليف التعليم من قبل الدولة يعاد النظر فيها مع خطورة ذلك، وهذه القضية بدأت تظهر مع الخصخصة وإعادة الهيكلة. ولم تكن مطروحة في الماضي بالطريقة التي تظهر بها الآن، فقد كان التعليم مجاني وللجميع دائماً ولكن ظهور هذه المسألة الآن سيؤدي إلى تأثير كبير في انتشار التعليم ووصوله إلى الفقراء والجماعات المهمشة وسكان الأرياف والصحاري والبادي (الحوات، 2004، 97).

عملية تخلي الدولة عن التعليم ستؤدي إلى زيادة الفجوة التعليمية بين الريف والمدينة أكثر، وزيادة الأمية وتدني نوعية التعليم لمن لا يستطيع الوصول إليه في مستوياته المختلفة. وهذا يدعو إلى دعم أكبر للتعليم بكل مستوياته في الوطن العربي من قبل

الدولة بالذات، لأنه يجب أن يكون قضية مستقبل شكل الحياة المدنية لنا جميعاً. إن مخصصات التعليم في سورية تأتي بعد مخصصات الدفاع، وهي مهمة لتصل المعرفة إلى كل قرية سورية.

وتقوم مديريات الإرشاد الزراعي - الجهة المعنية بالقرية السورية - بتبصير الفلاح لتحسين مستوى الأداء الزراعي والحياتي، ومساعدة الأسرة الريفية نحو تحسين ظروفها الاجتماعية والصحية والتعليمية والسكنية والغذائية، وهي من أهداف الإرشاد الزراعي في سورية للتوعية العامة، ونقل التقنيات الحديثة في الزراعة، وزيادة الغلة بما يساعد الفلاح على الاستقرار في بيئته وعدم الهجرة إلى المدينة. (الأمم المتحدة، 1993). ويؤثر الجهل والأمية في تبني تقاليد قديمة في الزراعة، وعدم الاهتمام بالأساليب الحديثة لإدارة المزرعة، مما يؤدي إلى تراجع الإنتاجية عاماً بعد عام. إن تبصير الفلاح بالأساليب الحديثة في الزراعة، وبالوسائل التي تحد من التأثيرات السلبية لتلك الأساليب في البيئة يجب أن يكون أول درجة في سلم أولويات الإرشاد الزراعي.

هناك مشكلات متعددة تعاني منها القرية السورية، وتجعل الاستقرار أمراً متعذراً، وتدفع الفلاحين إما للانتقال إلى المدينة، وتغيير أنماط الحياة التي تعودوا عليها، أو تحمل الظروف الصعبة في القرية والإنسجام معها، على الرغم من تضائل الإنتاجية الزراعية. نذكر من هذه المشكلات: المستوى المتدني للخدمات الصحية، حيث يحصل على مياه الشرب النقية بحسب معطيات عام 2002، حوالي 67% من سكان الريف، بينما تصل هذه النسبة إلى 95% بين سكان الحضر، وعلى الرغم من ذلك فإن الأسر التي لا تعالج مياه الشرب بعد تسلمها هي في الحضر 91.9% وفي الريف 97.6% أي أنهم في الريف لا يعالجون المياه أكثر رغم الشك الأكبر بمصادرها. أما فيما يتعلق بالصرف

الصحي فإن الاعتماد على شبكة صرف عامة يصل في الحضر إلى 95.7% أما في الريف فهذا الاعتماد هو 45.5% فقط. (المكتب المركزي للإحصاء، 2002، 33).

ومما يدفع الريفيين للهجرة إلى المدينة محاولة تحسين مستواهم العلمي، فخدمات التعليم والأساتذة والمدارس أفضل في المدينة. وكذلك توفر التعليم العالي الذي يقتصر حتى (2004) على مدن أربع فيها أربع جامعات حكومية هي دمشق وحلب واللاذقية وحمص. تداركت الدولة اليوم ذلك بانتشار الجامعات العامة والخاصة في مختلف محافظات سورية.

غير أن السبب الأساسي للهجرة الريفية هو عدم كفاية الدخل الناجم عن العمل في الزراعة لتلبية الاحتياجات المتزايدة، والبحث عن عمل يدر دخلاً أعلى في المدينة.

ويحمل أهمية خاصة في دراسة أوضاع الريف والسبل الممكنة لتنمية سكانه واستدامتهم الحياة على أنماط الإنتاج التي اعتادوها ضمن بيئاتهم: فهم وضع المرأة الريفية في سورية، والعمل على زيادة اندماجها في الحياة الاجتماعية للقرية السورية وتفعيل دورها. فهي تعاني - أكثر من الذكور - من ارتفاع مستوى الأمية، وتدني علاقتها بنظام التعليم كمياً وكيفياً، وتتأثر بالتقاليد الريفية التي تحملها أعباء العمل في الحقل وفي المنزل، وتحرمها من سلطة القرار الموازية. ووضعها يرتبط حتماً بالتنمية المطلوبة لأوضاع الريف عموماً، وإن كان وضعها الاجتماعي المتدني يتطلب اهتماماً إضافياً بعلاقة ذلك بالعادات والتقاليد الاجتماعية السائدة.

يسهم الإعلام بأشكاله المختلفة - إلى جانب علم الاجتماع الريفي - في تنوير الفلاحين وتعميق علاقتهم بالأرض وبالبيئة وبالوطن، وزيادة علاقات التعاون والتآزر لمصلحة القرية.

التنمية الزراعية ضرورة وأمل:

إن المطلب الأساسي من الزراعة هو إنتاج الغذاء، فينبغي علينا لكي ندرك الأبعاد الحقيقية لضرورة التنمية الزراعية أن نجيب عن سؤالين: الأول هل يحصل المواطن العربي على مقدار من الغذاء يماثل ما يحصل عليه المواطن في الدول المتقدمة؟ الإجابة عن هذا السؤال تكون من خلال متوسط نصيب الفرد من بعض المواد الغذائية الأساسية، والمقدار الكلي للغذاء، وذلك في ثلاثة أقطار عربية ودولتين متقدمتين، فيما يتعلق بالأغذية التي اصطلح على تسميتها بأغذية الطاقة، أما السؤال الثاني فهو: هل ينتج داخل الوطن كل مايستهلكه، ولا أقول: ما يحتاجه أو ما يطمح إليه من غذاء؟

«إن الوطن العربي يستورد جانباً كبيراً من احتياجاته من الغذاء والسلع الزراعية، وأن هذا الإستيراد يمثل عبئاً اقتصادياً في حال الكثير من الأقطار العربية، ويؤثر سلباً في طموحاتها وفي التنمية»، فكل مواطن يحصل على أقل ما ينبغي من الغذاء، وهو يستورد جانباً كبيراً من الخارج. «إن التنمية الزراعية على جانب كبير من الأهمية، ليس من أجل إحداث التنمية الشاملة فحسب، بوصفها أهم قطاعات التنمية في كثير من الدول العربية، بل من أجل توفير الغذاء للناس... فضلاً عن ذلك فإن الزراعة ما زالت أهم قطاعات العمل...». (عبد السلام، 1982، 27)

إن التنمية الزراعية ضرورة قصوى للوطن العربي، ولا ينبغي لهذا الوطن أن يعيش عصوراً حضارية متخلفة عن الدول المتقدمة.

— :

يدرس علم الاجتماع الحضري تأثير أنماط الحياة الحضرية المدنية في سلوك الناس، أي الحياة المدنية علاقاتها ونظمها الاجتماعية.

ويدرس علم الاجتماع الحضري المدينة بوصفها ظاهرة اجتماعية في نموها وتركيبها، والوظائف التي تؤديها. وهناك عوامل متعددة تشترك، ويؤدي تفاعلها إلى إنشاء المجتمع المدني، والتفسير الكامل لنمو مدينة ما يرتبط بالتاريخ الكلي لها، وبطابعها الخاص، وبوظيفتها المتميزة دينية أو سياسية أو إدارية أو تجارية أو صناعية.

وتبرز أهمية مدينة من المدن في مجال معين تاريخياً بحسب علاقة المدينة بهذا المجال، ومحافظتها على هذه العلاقة، مثل علاقة بعض المدن بالدين مثل (مكة المكرمة- المدينة المنورة- الفاتكان) ولبعض المدن ثقل سياسي في العالم مثل نيويورك، موسكو. . ونجد مدناً اشتهرت تاريخياً بعمق واتساع علاقتها بالتجارة مثل (حلب، بكين) وفي المجال الصناعي هناك مراكز صناعية كبيرة في العالم مثل (ميلانو- كييف).

ويتفرع من علم الاجتماع الحضري دراسة الأسرة- وتباين السكن- وحجم الشقق- وتخطيط المدن. ويدرس كذلك قيم التصنيع، وهي تختلف كثيراً عن قيم الريف أو البداوة. ففي المدينة حجم الأسرة أصغر، وتميل الأسرة إلى السكن المنفرد، وحجم الشقق أصغر والعلاقات بين الحي الواحد والجيران أقل تأثيراً وحجماً، وكل ذلك يرتبط بطبيعة الحياة الاجتماعية الحضرية، وهذا من صلب دراسة علم الاجتماع الحضري.

إن القيم في المجتمع الحضري مختلفة عما عليه في مجتمع القرية: فالقيمة ترتبط عادة بنمط الحياة وشبكة العلاقات الاجتماعية السائدة، لذلك نجد أن قيم التصنيع، والوقت، والنظرة إلى المرأة. . ترتبط في المدينة بعلاقات الناس التي تصبح أكثر انفتاحاً وأكثر تحديداً. فالوقت مثلاً: يمتلك في المدينة أهمية أكبر من الريف، فالتعامل مع الصناعة والآلات يفترض زمناً محدداً للعمل، بداية العمل ونهايته، بينما في الريف الارتباط بوقت شروق الشمس وغروبها.

الاهتمام بالمدن وظواهرها عائدة إلى عهد بعيد. . . فقد درس ذلك ابن خلدون في كتابه: "ديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" وفي مقدمته ما يقترب من علم الاجتماع الحضري، إذ عدّ نشوء الدول مرتبطاً بإعمار المدن، ذلك أن الإنسان إذا بنى بناءً استقر في ذلك المكان، وأنشأ مجتمعاً ودولة، ومن ذلك سُمي علم الاجتماع باسم (علم العمران البشري).

شكل الحياة في الريف يجعل محيطهم طارداً للسكان، ويزيد مشكلة المدينة الجاذبة للسكان، فيؤثر في شكل تطور المدينة ويزيد مشكلاتها.

لقد استمرت المدن مركزاً أساسياً لتسويق قوة عمل كثير من السكان، وخاصة الريفيين في المناطق التي تعتمد على الأمطار، والتي تشكل أكثر من (85%) من مجموع الأراضي الزراعية في سورية، وبسبب عدم قدرة المدينة في المستوى الحالي لقاعدتها الاقتصادية على استيعاب هؤلاء الباحثين عن عمل، والذين لا يمثلون في الواقع سوى جزء من الفائض عن حاجة الزراعة في الريف، فإنهم يتحولون في المدن أيضاً إلى عبء على الإنتاج. إن عدداً ضئيلاً من هؤلاء المهاجرين يحظى بأعمال منتجة، بينما يظل معظمهم على هامش الاقتصاد، في حين يتجه المتعلمون عموماً إلى الأعمال الإدارية والمكتبية.

يعد ازدياد سكان الحضر والمهجوم على الأراضي الزراعية وامتداد الغابات الباطونية حول المدن الكبرى وابتعاد الخضار والمزروعات. . . أعقد مشكلات التلوث في القطر العربي السوري. فإن معدل نمو سكان الحضر في سورية خلال الأعوام 1960 - 2000 أعلى بكثير من معدل نمو مجموع السكان.

النسبة	العام

1960	%37
1970	%42
1981	%47
1987	%49
2000	%51
2004	%53

نسبة سكان الحضر إلى عدد السكان الإجمالي في سورية.

إن تركيز الحضر متضخم في خمس محافظات هي: دمشق، حماه، حمص، حلب، اللاذقية. أدت هذه الزيادة الحضرية إلى نشوء أحزمة من البؤس حول المدن الكبرى، وخاصة حول مدينة دمشق، حيث تعاني تلك المناطق من سوء الخدمات بمختلف أنواعها. . . وبهدف الإسكان يجري التعدي على الأراضي الزراعية والمستصلحة في عدة محافظات.

لقد ازدادت الكثافة السكانية في سورية من 74 نسمة/كم² عام 1994م إلى 97 نسمة/كم² عام 2004م. ولكن هذه الكثافة في دمشق كانت 13754 نسمة/كم² عام 1994م ارتفعت إلى 14.381 نسمة/كم² منتصف عام 2004م مما يعني أن العاصمة تتحمل فوق طاقتها. (المكتب المركزي للإحصاء، 2004، 659).

يتناول علم الاجتماع الحضري ظاهرة ظهور المدن وتطورها وأنماطها إضافة إلى إهتمامه الواضح بالتأثير المباشر للحياة الحضرية في تلك المدن في الأفعال الاجتماعية والعلاقات والنظم الاجتماعية وأنماط المدينت ومعالها المختلفة، التي يمكن اشتقاقها من أساليب الحياة الحضرية، والتي تركز عليها بشكل مباشر. ويرجع الاهتمام المباشر في هذا الفرع من فروع علم الاجتماع بالمدن إلى أنه دون المدن يظل الجنس البشري عند المستوى

البداية للحياة، ومن ثم كان علم الاجتماع الحضري دراسة خاصة لتأثيرات البيئة في الإنسان، وأسس منذ فترة من الزمن بوصفه مجالاً بحثياً وتعليمياً، وهو بمنزلة فرع متخصص من موضوع معين في إطار علم الاجتماع. وما يقدمه علم الاجتماع الحضري من معلومات ومعارف لا يمكن أن يقدمها فرع آخر من فروع علم الاجتماع في المجال الذي يتناوله علم الاجتماع الحضري بالدراسة والتحليل، وقد عرفه كل من جوزيف رويك ورولاندرات: أنه الفرع الذي يهتم بالدراسة الحضرية وسمات سكان المدينة وتنظيماتهم وأنشطتهم المؤسسية وعمليات التفاعل الأساسية. كما تحدث عن الحياة الحضرية وتأثير التغيير الاجتماعي في المدينة، والمشكلات المختلفة التي تواجه المجتمع الحضري، كما أن راف يعرف علم الاجتماع الحضري أنه العلم الذي أصبح مرادفاً تقريباً لعلم الاجتماع العام، ذلك لأنه يختص بموضوع خاص في إطار علم الاجتماع العام. وهو عندما يتحدث عن علم الاجتماع الحضري، يشير إلى أنه علم البيئة الحضرية، وذلك لأن التوزيع المكاني في المدن وما حولها، وما يدب فيها من علاقات اجتماعية يعد الظاهرة الحضرية الأساسية التي يستند إليها في تأكيد مشروعية قيام واستمرارية علم الاجتماع مجالاً مميزاً. وقد عرف مصطفى الخشاب علم الاجتماع الحضري أو إيكولوجيا المدينة: أنه العلم الذي يهتم بدراسة المدينة بوصفها مركز الحضر، وهو بذلك يدرسها في نشأتها وتطورها ووظائفها والأبنية الإدارية والفنية القائمة في تلك المدن، كما أنه يتناول التقسيمات الطبيعية والمهنية ومستوياتها التكنولوجية والمشكلات التي تعاني منها، كما أنه يستطرد في تعريفه لهذا العلم بالتأكيد على أهمية الباحثين في هذا العلم بدراسة المسائل المتصلة بالفرد الإيكولوجي والعزلة الاجتماعية والتتابع وحروب الإباداة، إضافة إلى اهتمامهم بدراسة التركيز السكاني وأثره في الظاهرة الانحرافية بصورها المتعددة. ومحاولة الوصول إلى مقاييس معينة لدرجة الانحراف تلك. (الجولاني، 1998، 3)

وفي ضوء ذلك نجد أن الاهتمام بتعريف علم الاجتماع الحضري قد أخذ مسلكين: أولهما تعريف علم الاجتماع الحضري بالاستناد إلى طبيعة الموضوع الذي يتناوله هذا العلم. أما الثاني: في تعريف علم الاجتماع الحضري فينحو منحى متميزاً نسبياً عن المنحى الأول، وإن كان يلتقي معه في نهاية المطاف، حيث يعرف علم الاجتماع الحضري أنه مجال متميز في إطار علم الاجتماع، العام ويهتم بدراسة الحقائق المتعلقة بالمدن. (الخشاب، 1976، 39)

مجال علم الاجتماع الحضري:

تحدد المجال العام لعلم الاجتماع الحضري بصورة أساسية في دراسة المدينة والاهتمام بالظواهر الحضرية وظواهر نشأة المدن ونموها وأنماط هذه المدن ووظائفها، بأن هذه الجوانب المختلفة يمكن أن تكون مجالاً لنظام علمي خاص، ومن ثم بدأ العلماء يهتمون ويتحدثون عن علم الاجتماع الحضري بدراسة خصائص المجتمع الحضري الذي يتسم بروابطه الثانوية وتنوع أدواره وارتفاع معدلات حركته وكبر حجمه وكثافة السكان وعدم تجانسهم، وبذلك يتخذ من المدينة بظواهرها المختلفة الوحدة الأساسية التي يتحدد بها مجال علم الاجتماع الحضري.

وهناك من يتخذ من القيم الثقافية الموضوع الأساسي الذي يستند إليه علم الاجتماع الحضري في تفسير جميع مظاهر الحياة بما تشتمل عليه من تنظيمات وأبنية اجتماعية إيكولوجية، في حين أن البعض يتخذ من نشأة المدن ونموها وتحليلاتها التاريخية ركيزة أساسية لعلم الاجتماع الحضري الجديد.

بذلك يتضح أمامنا أن دراسة المدن ومظاهرها وخصائصها وظواهر نشأتها ونموها وما تتضمنه من ظواهر وقيم وأبنية وتنظيمات اجتماعية وإيكولوجية... جانب أساسي من الجوانب المكونة لمجال الدراسة النظرية والتطبيقية لعلم الاجتماع الحضري، وهو بذلك

يشتمل على التحليل الوصفي لهذه الجوانب والظواهر التي ترتبط بالمدن والمجتمع الحضري، ولا ينحصر مجاله عند هذا المستوى وفي إطار تلك الدائرة، بل يتخطاه إلى مستوى البحث عن العوامل والظروف التي أدت إلى نشأة المدن، والتي تعمل على نموها المصادر المباشرة وغير المباشرة الكامنة خلف ظواهر المدن والمجتمع الحضري، والتي أدت إلى تمايز خصائصه من خصائص المجتمع الريفي، وطبعته بطابع خاص ومميز من المجتمعات المحلية الأخرى، ومما يساعد على تحقيق مثل تلك الدراسة التحليلية التفسيرية أن المدينة تشكل الوحدة الاجتماعية الأساسية لدراسة علم الاجتماع الحضري، وساعد على تحقيق ذلك أيضاً التحليل التاريخي بهدف تقديم التفسيرات العلمية للظواهر الحضرية وتفسير عواملها ومصادرها، بل يتخطى ذلك ليشمل محاولة الوصول إلى مقاييس تحدد درجة التحضر وتختبر قضاياها، وتساعده على التنبؤ بمستقبل المجتمع الحضري وظواهره في ضوء تحليل عوامله ومصادره واتجاهات تغيره، وبذلك يسهم علم الاجتماع الحضري في دراسة نشوء الحضر ومشكلاته، وكيفية إعادة تخطيط المدن، وتحديد احتياجاتها، وكيفية ترشيد ظواهرها في ضوء الدراسة السوسولوجية للمدن والظواهر الحضرية. (الجولاني، 1984، 8)

المجتمع المحلي الحضري:

نظراً للأهمية الكبرى لتحديد المفاهيم وتعريفها لأي نسق علمي، فقد اهتم (جون أرنست برجل) في مؤلفه (علم الاجتماع الحضري) بتحديد مفهوم المجتمع المحلي بوصفه من أهم المفاهيم المتصلة بالدراسات الحضرية.

وقد أطلق علماء الاجتماع على مصطلح المجتمع المحلي معانٍ متعددة، تختلف كل منها عن الأخرى، فنجد في بعض الأحيان يُستخدم لدى بعض علماء الاجتماع ليشير إلى الموطن العام أو الحياة العامة لجميع الأشخاص في نفس المنطقة، ولكن هذا المصطلح يشير لأكثر من مجرد محله أو مستوطنه، فنجد مثلاً عند وارنر بأن عدد من الناس

يشتركون في مصالح واهتمامات خاصة وسلوك متفق وعواطف مشتركة تجعلهم ينتمون إلى جماعة اجتماعية، كما يعرفه وافيير أنه جماعة إقليمية صغيرة يمكن أن تتضمن جوانب الحياة الاجتماعية، فهي جماعة محلية صغرى يمكن أن تكون في الغالب الأعم مجتمعاً كاملاً.

فالمعيار الأساسي إذن للمجتمع المحلي هو العلاقات الاجتماعية الواحدة التي توجد داخل المجتمع المحلي، ويمكن أن نضيف إلى الحديث عن المجتمع المحلي أنه الوطن العام الذي يولد الروابط العاطفية الإيجابية بين أعضاء المجتمع، وفي ذلك نجد أن قيام الإجماع (الاتفاق) وانتظامه والشعور بالانتماء جانب مهم وله قيمته في وجود المجتمع المحلي، فإذا شعرت كل الجماعات بعضها نحو بعض بالمحبة والوفاق كان نمو التعاون أمراً ممكناً، وبذلك يستطيع المجتمع المحلي أن يحقق وظائفه كاملة، فعندما يكون المجتمع المحلي قادراً على الإنجاز الثقافي وتحسين الأحوال المعيشية، تكون وظيفته إيجابية وحسنة، وهنا تكون القيم إيجابية ومحقة للتكامل في المجتمع المحلي، فإذا كان الاتفاق غير منظم وغير قائم بصورة مرضية فإن التوتر يسود بين المواطنين أو الجماعات المستوطنة، وتميل المعارضة لمنع قيام التعاون، وهنا لا يمكن للمجتمع المحلي أن يؤدي وظيفة كاملة، وبذلك يكمن الخطر في عدم التكامل، أو في العدوانية المستحكمة، والنتيجة المترتبة على ذلك هي الشعور بعدم الارتياح.

ويشير مصطلح المجتمع المحلي بهذا النحو إلى جمع من الناس يشغلون منطقة جغرافية، ويشتركون في النشاط الاقتصادي والسياسي، ويشكلون بصفة أساسية وحدة اجتماعية تحكم ذاتياً ببعض القيم العامة، وخبرة الشعور بانتماء بعضهم إلى بعض، والواقع أن المدينة اليوم تشكل وحدة محلية، وينمو المدن وظهور التجمعات الحضرية

ضعف الانتماء لنقص التماسك والتوحد في قطاعات كبيرة من السكان. (شتا، 1977، 24)

التحضر :

ينظر معظم الديموغرافيين إلى أن التحضر هو عملية التركز السكاني، فنجد تزدال، يعرف التحضر بأنه عملية التركز السكاني وتتم بطريقتين أساسيتين هما:

- تعدد نقاط التركز.
- تزايد حجم التركز الفردي.

من الواضح أن تعريف التحضر بأنه عملية تركّز سكاني يتضمن التعريف لمناطق التركز بالفعل، فالمدن تعرف ببساطة أنها مناطق أو نقاط تركّز سكاني، والتعريفات الأخرى للتحضر تتضمن تعريف المدينة في ضوء محل التحضر، ولكنها تبدو متضمنة لخاصية حضرية توجد غالباً في المدن، وبذلك تكون المدينة مكاناً متسماً بالخصائص الحضرية.

أما عن التعريف الآخر للتحضر، فإنه يتمسك بأن التحضر هو عملية التركز السكاني التي يزداد فيها معدل الناس المتحضرين، وهذا التعريف يتضمن تعريفاً للمدن مستقلاً عن عملية التحضر، فإنه عندما تزداد نسبة السكان القادمين من منطقة ما للإقامة في مدينة فإن التحضر يحدث هنا.

وهذا التعريف يشير إلى أن حدوث التحضر يرتبط بنزوح السكان من منطقة إلى مدن معينة، إذ إن هؤلاء يكتسبون هنا خاصية الجذب والسرّيان، فالمدن تجذب الناس، وفي نفس الوقت تأخذ عملية التحضر في الانتشار وشمول هؤلاء الناس، إذ إن التحضر هو عملية انتشار من منطقة إلى مناطق أخرى، فالتحضر إضافة إلى الجذب هو الغزو أيضاً للمناطق غير الحضرية لإكسابها السمات والخصائص الحضرية، وبذلك يكون

الزحف الحضري من منطقة إلى أخرى غير مشروط بنزوح الناس إلى المدن لإكسابها خاصية الحضرية، بل يتعداها إلى غزو بعض المناطق لتحضيرها.

بذلك يكون للتحضر علاقة واضحة بمظاهر التغيير، وذلك لأن الديناميكية التي تتسم بها عملية التحضر تحمل في مضمونها عناصر التغيير الاجتماعي. سواء كان هذا التغيير بنائياً أم وظيفياً في كيان المجتمع، فالتحضر يأخذ بالمجتمع الريفي ومجتمع القرية والبادية من حالة الحياة الريفية والبدوية إلى حالة تحضر، أو إلى الطريقة الحضرية بوصفها أسلوباً عاماً للحياة في المجتمع الحضري. (شتا، 1977، 27)

خصائص طريقة الحياة الحضرية:

1- الجماعات الثانوية:

الواقع أن سكان الحضر يعيشون في حالة احتكاك دائم ومستمر بالعديد من الجماعات البشرية خلال اليوم، وذلك على نحو ما هو حادث بين الموظفين في المكاتب وفي النوادي الأهلية، وهذه الجماعات تختلف عن الجماعات الأولية التي في نطاق المجتمعات المحلية الريفية إذ تعد من أهم الخصائص المميزة لطريقة الحياة الريفية، والتي تقوم على أساس ضبط الجماعات الأولية مثل الأسر الكبيرة لأعضائها، حين يكون التفاعل، والناس بعضهم مع بعض طوال اليوم في نطاق الأسرة أو الجيرة، وذلك على نقيض ما هو قائم في المدينة، حيث نجد أن نفوذ الأسرة الكبيرة قد تقلص، كما أن الجيران لا يعرفون بعضهم، وبذلك لا يتفاعلون بعضهم مع بعض على نحو ما هو حادث في الريف، كما أن الضبط الخاص بالجماعات الأولية على الأعضاء يمارس من خلال المكافأة والتأنيب حيث يكون له وقع كبير على سلوك الأفراد.

فالجماعات الثانوية لا تكون العلاقة فيها وجهاً لوجه، بل يمارسون علاقاتهم من خلال الجماعات الثانوية كالشرطة والمحاكم، فالذي يحدد أن الشخص عضو في الجماعة هو مدى استخدامه لمعايير الجماعة وقيمها.

2- الحراك الاجتماعي:

يعد الحراك الاجتماعي من أهم الخصائص المميزة للمدن والحياة الحضرية بشكل ملحوظ، وذلك ما أكد عليه علماء الاجتماع الحضري بصفة خاصة، وعلماء الاجتماع بصفة عامة، وذلك يؤشر إلى وجود حراك اجتماعي علوي وسفلي في معدلات الرهط التي ترتفع وتزداد، إضافة إلى كثرة الانتقال والتغيير من مهنة إلى مهنة، ومن عمل إلى عمل آخر، كما توجد أيضاً تغيرات وانتقالات واضحة ومتكررة من مكان الإقامة إلى مكان آخر.

3- عدم التجانس:

يتسم سكان المجتمعات المحلية الحضرية أيضاً بخاصية عدم التجانس النسبي، وذلك لوجود العديد من وجهات النظر الاقتصادية والسياسية، إضافة إلى الانتماءات الدينية والخلفيات القومية والطائفية، وإضافة أيضاً إلى وجود مظاهر الغنى والفقر بصورة واضحة في المدينة عنها في الريف، ونتيجة لذلك يتعامل الفرد في الغالب مع العديد من الناس الذين لا ينتمي إليهم لاعتبارات مختلفة، فهو - أي الفرد - خلال سيره على الأقدام لمسافة لا تتجاوز مئة متر قد يقابل الغني والفقير، إضافة إلى أناس ينتمون لسلالات وقوميات مختلفة متباينة، وأناس من اتجاهات سياسية متفاوتة... وذلك ما نلمسه اليوم بوضوح في المدن المعاصرة.

4- الارتباط على أساس المصالح:

تكشف لنا الكتابات الحضرية عن اتسام طريقة الحياة الحضرية بخاصية الترابط على أساس المصالح أكثر من الترابط على أساس المحلية التي يتسم بها الترابط في المجتمعات الريفية، وذلك ما نلمسه في الجيرة التي لا تعتمد عادة على الزيارات المتبادلة والمشاركة في المناسبات وغيرها من صور الترابط العام القائم بين الناس في الجيرة الريفية، فرغم أن الناس يعيشون في المدينة بجوار بعضهم إلا أن حياتهم ليست قائمة على أساس ارتباط كل منهم بالآخر على نحو ما هو قائم في الريف، وإذا كان سكان المدن يميلون إلى الارتباط بالناس فما ذلك إلا لأنهم ذوي مصالح عامة. فالأندية والجمعيات الخيرية وغيرها من التنظيمات الاجتماعية والدينية في المدينة، تجذب إليها الناس من أنحاء المدينة، إلا أن ارتباطهم هذا قائم على أساس وجود مصالح مشتركة.

5- التخصص:

تكشف الكتابات الحضرية المتنوعة عن وجود تأكيد واضح على التخصص بوصفه سمة من سمات الحياة الحضرية في المدن، وذلك لأن الحياة في المدن اليوم تعتمد على التخصص بصفة أساسية، وهذا لأن المدن تقدم الخدمات والسلع لأناس آخرين، وتحصل بدورها على النقود لشراء الضروريات التي لا تنتجها أو التي لا تقدمها مؤسسات المدينة. والشيء الثابت والمؤكد أن المدن الكبرى لا تستطيع أن تحيا وتعيش لفترة طويلة دون تنظيم عمليات نقل الغذاء أو الضروريات اللازمة لها من أماكن أخرى، وبذلك فإن مدن اليوم تكشف لنا عن وجود تنظيم اجتماعي معقد متسم بالتخصص وتقسيم العمل، ولهذا يكون فيها تخصصات متنوعة في مختلف المهن.

6- التوسع الرسمي والعلاقات الفاترة:

نظراً لأن التفاعل في المدن يقوم على أساس رسمي، أي أنه تفاعل من خلال وسائل الإعلام المتقدمة والمعاملات الرسمية التي تحكم علاقاتهم، فإننا نجد أن العلاقات

بين سكان المدن لا تقوم على أساس الوجه للوجه، ولهذا فهي علاقات فاترة تحكمها الإجراءات واللوائح والقوانين بصورة أساسية، وذلك على عكس ما هو قائم في الريف، حيث يكون التفاعل غير رسمي، أي أنه قائم على علاقة الوجه للوجه، ولهذا لا نجد في البيئة الحضرية علاقات دافئة يمكن أن تتلمسها من خلال تفاعلاتهم اليومية التي تخضع لتوجيهات وسائل الإعلام الرسمية. (الجولاني، 1984، 164)

7- اختفاء معالم البيئة الطبيعية:

لا تحكم حياة الناس في المدن حياة الطبيعة وعواملها ومظاهرها مثل الشمس والجبال والوديان والسهول. على نحو ما هو حادث في حياة المجتمعات المحلية الريفية، وذلك لأن الأفق يكون محدداً بالمنازل والمباني الشاهقة في المدن، كما أن خطوط المواصلات تنتشر في المدن على نحو مخالف لحياة الريف، والإضاءة تجعل الناس لا يعتمدون على الشمس كما هو الحال في القرى، وبذلك نجد أن الإنسان قد أدخل في المدينة تعديلات جوهرية على البيئة الطبيعية.

إن ظروف الحياة الحضرية مغايرة لظروف الحياة الريفية من حيث إن ظروف الحياة الحضرية لها ضغط معين على الناس، كما أنها تعزز ظواهر معينة تتمثل في صراع المعايير وحالات الانفصال... إضافة إلى التفكك الاجتماعي وحالات سوء التنظيم. إن علم الاجتماع الحضري يتخذ من المدينة أساساً لدراسته النظرية والتطبيقية بوصفها وحدة اجتماعية مميزة في ذاتها من حيث نشأتها وتطورها بنائياً ووظيفياً.

:

هو العلم الذي يتناول أحد الميادين الأساسية في علم الاجتماع، والمقصود الوظائف التي تؤديها الأسرة في البناء الاجتماعي. فمن المعروف أن الأسرة هي الخلية

الأساسية في الحياة الاجتماعية، ويعد علم الاجتماع الأسري الأسرة جماعة أولية، إذ يتلقى فيها الطفل مبادئ الحياة الاجتماعية ويتعلمها، فمع الأسرة تنشأ القيم الاجتماعية ويستكمل الطفل عناصر حياة الجماعة. ومن خلالها يتعلم الطفل العادات والتقاليد وأسلوب المعيشة والعلاقة مع الآخرين.

لقد تطورت الأسرة على مر العصور من الأسرة الكبيرة الممتدة التي تشمل الأب والأم والأعمام والعمات والجدات، إلى الأسرة النووية الأحادية، التي تتكون من الأب والأم والأولاد.

وتطور الزواج من الزواج الداخلي الذي يتم ضمن قبيلة واحدة إلى الزواج الخارجي الذي يتم من خارج القبيلة. ويرتبط بالأسرة وبالزواج نظام متكامل للمحارم، أي أن المجتمع يحدد للأفراد العلاقات الممكنة والمحرمة، فبعض المجتمعات كانت تسمح بالزواج الداخلي ضمن الأسرة، وتسمح بزواج الأخوة (كما فعل الفراعنة للحفاظ على الملك ضمن العائلة المالكة) أو ضمن القبيلة، وبعض المجتمعات لا تسمح بالزواج إلا من خارج القبيلة فتصبح كل القبيلة محارم.

عندما كانت العشيرة تترابط بصورة متينة، كانت حركات تكوين الأسر تتم ضمنها بصورة آلية، ويتم انتقال الزوجة من أسرة إلى أخرى: كانتقلها من غرفة إلى غرفة أخرى، فالأسرة الجديدة قريبة لها دمويًا، وهكذا تحتويها الأسر الجديدة على أنها عنصر أساسي ملتحم بها؛ لأن العشيرة - مجموع الأسر - متلاحمة أصلاً برباط دموي متكامل. وهناك من يعد هذا الزواج هو الأفضل والأسهل للحياة الجديدة، فالكنة تتعلم عند الحماية أسس نظافة الطفل والاعتناء به، وأسس الطبخ كما يجب زوجها في عائلته الأصلية، فتنساب الأمور من القديم إلى الجديد بيسر وسهولة. أما في الوقت الحاضر فإن الأسرة اكتسبت استقلالاً ذاتياً مع نمو المدن وشيوع المسؤولية الفردية فأصبحت الأسرة تكون حلقة

منفصلة ومنعزلة ترتبط بالأسر القريبة لها دموياً بوشائج أقل حدة وأكثر بعداً، وما مشكلات الكنة والحماة التي نسمع بها كثيراً إلا مشكلات التنازع الأزلي على السلطة في المنزل الواحد.

تعريف الأسرة الذي يقدمه "رودجرز": "العائلة منظومة نصف مغلقة من أناس فاعلين يمثلون مواقع متداخلة يحددها المجتمع الذي تكون فيه منظومة العائلة جزءاً فريداً في تلك المنظومة، وذلك فيما يتعلق بمحتوى دور المواقع وبأفكار وصلات القرى. . وتتغير تعريفات محتوى الدور الموقعي على مدى تاريخ الجماعة". (رودجرز، 1986، بتصرف)

يعالج "كلود ليفي شتراوس" (1800-1874) في دراساته الأنثروبولوجية موضوع الأسرة، حيث يؤكد وجود الأسرة تنظيمياً ووحدة اجتماعية منذ فجر الإنسانية، ويضع شتراوس نموذجاً لما يدور في أذهاننا عندما نطلق عبارة (الأسرة): إن هذه الكلمة تحدد مجموعة اجتماعية ذات صفات ثلاث:

- أن لها أصلاً في الزواج.
- أنها تتألف من زوج وزوجة وأطفال نتاج زواجهما. (مع أنه من الملاحظ أن أقرباء آخرين قد يجدون مكاناً لهم قرب هذه النواة الرئيسية).
- يتحد أعضاء الأسرة بعضهم ببعض بوساطة:
 - أ- علاقات شرعية.
 - ب- حقوق وواجبات اقتصادية ودينية وخلافها.
 - ج- شبكة محددة للحقوق الجنسية والموانع، إضافة إلى عدد كبير من الأحاسيس النفسية المتعددة والمتنوعة كالحب والعواطف والاحترام والرهبة.

يعرّف علماء الاجتماع الأسرة أنها مؤسسة منظمة لتنفيذ مهمات اجتماعية. ولهذه المنظمة وظائف متعددة تدفعنا إلى الزواج في كل المجتمعات تقريباً.

ومن هذه الوظائف:

- التناسل، فالأسرة مجال المجتمع للحفاظ على نفسه من الاندثار.
 - صيانة الوظيفة البيولوجية، أي حماية الطفل وتأمين حاجاته وإعالته.
 - تأهيل الأعضاء الجدد بما يسمى التنشئة الاجتماعية لتربية الأجيال المتوالية، ومن أجل استمرارية الحضارة.
 - إنتاج وتوزيع البضائع والخدمات: في كل مجتمع أدوار محددة لعناصر الأسرة الواحدة، مثل: دور الأب الإعالة، والأم مديرة للمنزل، والابن الأكبر والجددة. . ويتوزع المجتمع أعمالاً تخص الرجل وأعمالاً تخص المرأة.
 - صيانة النظام الاجتماعي: بين السلطة المجتمعية والسلطة داخل الأسرة علاقة وثيقة. ومن تعود الديمقراطية المنزلية يمكن أن يمارسها بين الناس لأنه تربى عليها، كثيراً ما يطلق على الدولة: الأسرة الكبيرة.
 - صيانة المعنى والدافع لنشاط الجماعة: الأسرة في كثير من المجتمعات حتى اليوم هي العنصر الأول لمعنى الحياة، وهي نقطة الاستناد الأساسية لتتابع حياة الفرد ووضعه الاجتماعي.
- كما يضيف علماء الاجتماع الأسري لهذه الوظائف المتعددة: الوظيفة التعليمية، ووظيفة الحماية، ووظيفة الملكية في الأسرة.
- هذه الوظائف تغيرت عبر التاريخ، ففي الوقت الذي كانت تقوم فيه الأسرة بكل الوظائف في العهود القديمة، يحاول المجتمع شيئاً فشيئاً أن يخفف عن الأسرة بعض وظائفها، فالتعلم كان ينطلق من الأب إلى الأولاد، أما الآن فلقد بدأ المجتمع بإنشاء

مؤسسات خاصة لوظيفة التعليم، وهذه المؤسسات هي المدارس بمختلف مراحلها ابتدائية وإعدادية وثانوية حتى الجامعة، وحالياً تمتد هذه الوظيفة إلى السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل، ورغم ذلك فإن الأسرة تبقى جماعة أولية مؤثرة كثيراً في اللغة والتصرف والعادات؛ لأن الطفل يقضي حتى ينمو غالب أوقاته في المنزل مع أفراد الأسرة.

أول من اهتم بالدراسات الأسرية علماء الأنثروبولوجية الذين قدموا لنا دراسات وبحوثاً عن تطور وظائف الأسرة تاريخياً. ومن أبرز هذه الدراسات دراسة "مورجان" عن أصل العائلة، وعن المشاعات الأولى في التاريخ، وعن شكل الحياة في المجتمعات البدائية، فلقد أثبت مورجان أن العائلة في البداية كانت تنسب إلى الأم، وأن الأم هي التي سيطرت في المرحلة المشاعية، ولكن فيما بعد سيطر وجود الأب والانتساب إلى الأب - الرجل، وذلك مع انتقال المجتمع إلى المرحلة العبودية حيث انتقلت الأسرة إلى نظام العائلة البطيركية أو الأبوية.

وبناءً على أبحاث مورجان كتب أنجلز كتابه الشهير "أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة" فربط بين نشوء العائلة ونشوء الدولة. . . وعدّ ذلك نتيجة منطقية للملكية الخاصة، ورأى أن نشوء الملكية الخاصة مع بداية نشوء المجتمع العبودي أدى إلى تمييز الرجل القادر على الاستغلال والسيطرة، فكان لابد أن يحافظ كل شخص على ملكيته ويحصرها في أسرته وفي أولاده بذاتهم، ومن ذلك نشأت العائلة.

نهج علم الاجتماع في دراسته للأسرة:

ما هي الطروحات التي نهجها علماء الاجتماع لمعالجة موضوع الأسرة مع توضيح لكل نهج؟

"النهج جمع نهج" وهناك بعض الطروحات التي نهجها العلماء، وهي كما يلي:

أ- النهج المؤسسي ب- النهج الهيكلي-الوظيفي ج- النهج التفاعلي د- النهج التطوري ه- النهج الصراعى.

أ- النهج المؤسسي:

أبرز طروحات هذا النهج وأقدمها هو الطرح العضوي الذي يرى أن الكائنات متنامية بشكل مرتقي، (وظهر هذا النهج في بداية القرن التاسع عشر في علم الاجتماع وقبله بقرن في علم الإنسان) وإنما لم يستمر هذا الطرح في مسيرته لأنه اتضح له أن التغير الاجتماعى لم يحصل بشكل مستقيم مع حركة التقدم الاجتماعى. وآليات هذا النهج أي (الوسائل والأساليب التي يعتمد عليها في تحقيق أهدافه البحثية) هي التاريخية والمقارنة.

والمواضيع التي تركز عليها ملاحظة الباحث المتتبع لهذا المنهج هي الأسرة وأهميتها في المجتمع، وكيفية نمو بنائها وقيامها بوظائفها، (هذه الرؤية النهجية تقوم على الأسلوب الوصفى لا التحليلي)، فهذا المنهج يتسم بوصف وتفسير الحاجات الاجتماعية وسبل إشباعها، مع التركيز على التغيرات الاجتماعية التي تحصل لوظائف الأسرة واكتشاف أسباب هذه التغيرات وآثارها التي تطرأ عليها وعلى المؤسسات الأخرى المتصلة بها عبر الزمن.

أبرز المشتغلين في هذا المنهج هو (كارل زيمرمان) صاحب (النظرية الدائرية)، واستطاع زيمرمان أن يصل إلى وضع تصنيف أسري يتخذ الأنواع التالية:

1- الأسرة الوكيلية: التي يوكلها المجتمع في تأدية وظيفته الضبطية، لذلك منحها نفوذاً واسعاً تمارسه على أعضائها، وتكون مكانة الأب والأم ودورهما يتمتعان بحماية دائمة، ويمنح الزوج نفوذاً وسلطة على الزوجة شبه مطلقة، وجميع أعضاء الأسرة يخضعون لسلطة الأب، لكن إذا أخفق أحدهم: فإن مصيره يكون الطرد، وبشكل خاص

(الزوجة)؛ لذلك لا تضحي الزوجة بأسرتها أبداً، وتكون من أكثر المناصرات والمؤيدات لوحدة الأسرة وتكاتفها، وهذا النوع من الأسر يندر فيه وقوع الطلاق أو الانحراف.

2- الأسرة البيتية: تفرع هذا النوع من الأسر الوكيلية، تكون فيها سلطتها على أبنائها ضعيفة (بالمقارنة مع الأسرة الوكيلية) بسبب تنامي سلطة الدولة والكنيسة وهيمنتها على سلطة الأسرة، بيد أن هذا لا يعني أنهما (الدولة - الكنيسة) استطاعتا أن تنوبا عن الأسرة، بل لديها القدرة والإمكانية على معاقبة الخارجين عن القوانين العامة والآداب والأعراف الاجتماعية، وإزاء هذه الإشكالية الأسرية برزت حالة الطلاق بين الزوجين ولكنها ليست واسعة النطاق. أي أن الدولة والكنيسة جردتا الأسرة من أهم وظائفها (السياسية والدينية).

3- الأسرة النواة: يتسم هذا النوع من الأسر بسمات نقيضة لسمات الأسرة الوكيلية من حيث الحجم والسلطة والتضامن، فحجم الأسرة النواة أصغر من الأسرة الوكيلية والبيتية، وتكون سلطة الأبوين ضعيفة في ممارستها على الأبناء، حتى سلطة الزوج على الزوجة، أما البناء الأسري فيها فيكون قابلاً للتفكك لهشاشته بسبب تفشي النزعة الفردية فيه، حتى الرباط الزوجي لا يكون روحياً، بل رسمياً مكتوباً على صيغة عقد يربط بين الزوجين خالٍ من القدسية ولا يعبر عن التماسك الأسري، ولا يهتم أعضاء الأسرة بحماية ممتلكاتها وصيانتها، ولا يكثر الزوجين بأهمية إنجاب الأبناء، بل يعدونهم عائقاً لميزانية الأسرة، وهذا النوع من الأسر تبرز فيه مشكلات متعددة مثل شيوع حالات الطلاق، وانحراف الأحداث، وانتشار مشكلات نفسية واجتماعية بين أعضاء الأسرة.

نظرية كارل زيمرمان حول تطور الأسرة توضح لنا أنه لم يستخدم وظائف الأسرة في تحديدها مؤسسة بل استخدم نفوذ الأبوين وسلطتهما معياراً لتحديد مفهوم الأسرة - فالنوع الأول (الوكيلة) كان زيمرمان موفقاً في تسميتها، بينما النوع الثاني (البيتية) فلم

يوفق؛ لأن هذه الحالة ليس لها علاقة بالتحويلات الاجتماعية، أما النوع الثالث (النواة) فقد تأثرت التسمية بحجم الأسرة.

وأما عالم الاجتماع الأمريكي (وليم أوكبرن) فاستخدم النشاط الاقتصادي في تحديد الأسرة على أنها مؤسسة اجتماعية، فكانت الأسرة تقوم على زيادة إنجاب الأبناء لكي تستخدمهم قوى عاملة في العملية الإنتاجية، وجعل ميل الناس للزواج في ذاك الوقت لا يخرج عن كونه صفقة تجارية تتم بين الرجل والمرأة، لأن الرجل لا يريد أن يتزوج من أجل إشباع حاجة نفسية أو اجتماعية أو جنسية بقدر ما يبحث عن أيدي عاملة تساعد في تحقيق طموحاته المالية والاقتصادية، وفي الوقت ذاته تتزوج المرأة لا لإشباع حاجاتها النفسية والاجتماعية والجنسية، بل تبحث عن عمل بيتي خاص، لذا فإن حالة الطلاق لا تقع بسهولة، وإزاء هذه الدوافع وما يترتب على الطلاق من تبعات مالية واقتصادية ينذر حدوثه، لكن الوضع الراهن للأسرة قد تبدل بسبب زوال العمل البيتي، وأصبح المعمل والمصنع يضم عدداً هائلاً من العمال والمهندسين الذين لا تربطهم روابط قرابية أو أسرية، وأضحى عقد الزواج بين الرجل والمرأة لا يمثل سوى عقداً مدينياً لا يترتب عليه آثار اقتصادية كبيرة سلبية يتحملها الزوجان.

نلاحظ في طرح أوكبرن أنه استخدم معياراً أحادياً في تحديد إطار الأسرة بوصفها مؤسسة، وهو النشاط الاقتصادي، وإذا عقدنا مقارنة بين زيممان وأوكبرن نجد أن أوكبرن كان أكثر عمقاً في تحديده مراحل تطور الأسرة.

(<http://www.ar.wikipedia.org>)

ب- النهج الهيكلي الوظيفي :

ساد هذا النهج بشكل طاعٍ علم الاجتماع إبان العقد السادس من القرن العشرين، وصب اهتمامه على دراسة آثار ارتباط كل جزء من النسق بباقي أجزائه المكونة

له، وينطوي هذا النهج على دراسة المستويات الآتية: المستوى الفردي الذي سلط الضوء على نمو شخصية الفرد، والمستوى المؤسسي الذي كشف النقاب عن كيفية قيام الأسرة بمهامها، والمستوى المجتمعي الذي أوضح أهمية النسق الاجتماعي.

يعد هذا النهج ظاهرة كونية سادت وتسود وتستسود المجتمعات الإنسانية كافة (البائدة والقادمة) وينظر أيضاً إلى الفرد لا من حيث كونه كائناً بشرياً بل من حيث كونه مجموعة معايير وقيم تعلمها واكتسبها من أسرته.

أحد رواد هذا النهج هو (تالكوت بارسونز) الذي درس الأسرة الأمريكية المعاصرة، فوجدها من النوع القرابي المنعزل عن الجماعات القرابية جغرافياً واجتماعياً، أي لا تخضع لإرشاداتها وتوجيهاتها، لأنها لا تنحدر من نسق قرابي واحد بل من عدة أنساق قرابية مختلفة، وهذا يشير إلى أن ولاء الفرد داخل الأسرة يكون للأبناء وللزوج وللزوجة، وإذا حصل تقارب أحد الزوجين لأحد من أقربائهما فإنه يعمل على إحداث أو تشكيل اعتلال وظيفي للزوج داخل الأسرة، وبعبارة أخرى تنعزل الأسرة القرابية الأمريكية جغرافياً وبنائياً، وتحل محلها الجاذبية العاطفية والحب الرومانسي. يضيف بارسونز: لا يقتصر الرباط الرومانسي على الجاذبية العاطفية فحسب، بل يشمل على عامل الدخل والموقع المهني والاعتبار الاجتماعي والوظيفي ونمط العيش، وهذه الوظيفة الأسرية تجعل الزوجين يفصّلا عالمهما المهني عن عالمهما الأسري؛ لأنهما إذا مزجا بينهما نشأت متاعب ومشكلات أسرية ومهنية لا حدود لها.

ج- النهج التفاعلي:

أكثر النهج شيوعاً واستعمالاً في أدبيات الأسرة المتأثرة بأعمال علماء الاجتماع القدامى أمثال (جورج زيمل، وليم جيمس، تشارلز هرتن كولي، جورج هيربرت ميد) التي

ركزت على فهم وتفسير السلوك البشري في المحيط الاجتماعي، وعدت الإنسان حصيلة التطور الذي أصاب المخلوقات البشرية.

ينطلق هذا النهج من كون الإنسان الوليد: شبه اجتماعي وليس اجتماعياً بالكامل أو أنه ضد المجتمع، ومن ثم تحول إلى كائن اجتماعي، بعدما خضع لمؤثرات عملية التفاعل الاجتماعي التي تحصل بينه وبين أسرته، وذلك بتعليمه رموز مجتمعه الثقافية وإشاراته وما تمنحه معايير مجتمعه من معان لها، أي تعليمه دوره داخل الأسرة وكيف يمارسه بالشكل المطلوب، على أن لا ننسى أنه ليس من المتوقع أن يقوم الطفل بهذه الممارسات بشكل كامل، إنما بدرجة مقارنة، إذ كلما التزمها حصل على رضا المحيطين به والعكس صحيح، لذلك يكون حكم الآخرين له بمنزلة ضابط اجتماعي. بل هذا النهج يأخذ بعين الاعتبار تأثير الوليد في الوالدين، إذ إنه يوضح لهما درجة نجاحهما أو إخفاقهما في ممارسة دورهما (أي تأثير وتأثر – أخذ وعطاء). إن هذا النهج أرسى الملامح الأولى للأسرة بوصفها خلية اجتماعية لا مؤسسة اجتماعية، أي أن هذا النهج حصر رؤيته داخل الأسرة.

د- النهج التطوري:

برز هذا النهج في العقد الثالث من القرن العشرين موضحاً الأسرة بوصفها خلية اجتماعية مهمتها إنماء الطفل نفسياً واجتماعياً وتنظيم اقتصاد المنزل.

صوّر المراحل التطورية التي تمر بها الأسرة بدءاً بمرحلة زواج الخطيبين وانتهاء بوفاة أحدهما أو كليهما، وجاء اهتمامه هذا من خلال تأثره بالمذهب العضوي، إذ يرى المذهب أن كل شيء في الوجود يخضع لقانون التطور والنمو عبر الزمن بما فيه الأسرة. ويرى أيضاً أن لكل مرحلة تطورية ظروفاً وشروطاً تلتزم الأسرة فيها القيام بمهام معينة لكي تواجه شروط مرحلة تطورية جديدة وظروفها.

وإزاء هذه الرؤية وضع هذا النهج ثمان مراحل لتطور الأسرة ونموها بحسب شكل دائري سماه دورة حياة الأسرة، وكانت صاحبة هذا الطرح الدائري (إيفلين ميلز). أما المراحل الثمان التي حددتها إيفلين ميلز فهي:

- 1- المرحلة الأولى: تبدأ من زواج الخطيبين وتنتهي قبل ميلاد الوليد الأول (أي أسرة تضم زوجين دون طفل)، "وأطلقت عليها الشطر التأسيسي".
- 2- المرحلة الثانية: تبدأ من ولادة الوليد الأول وتنتهي عند بلوغه "30" شهراً (أي أسرة تضم زوجين وطفل) "وأطلقت عليها الشطر التوقعي" أو "شطر الانتظار" الذي يبدأ من فترة معرفة الحمل.
- 3- المرحلة الثالثة: تبدأ قبل دخول الأبناء المدرسة وتنتهي عند بلوغهم "6" أعوام (أي أسرة تضم زوجين وأبناء تتراوح أعمارهم بين عامين ونصف و"6" أعوام).
- 4- المرحلة الرابعة: تبدأ من دخول الأبناء المدرسة وتنتهي عند بلوغهم "13" عاماً (أي أسرة تضم زوجين وأبناء تتراوح أعمارهم بين "6" أعوام و"13" عاماً).
- 5- المرحلة الخامسة: تبدأ من مرحلة المراهقة "13" عاماً وتنتهي عند بلوغ الأبناء سن "20" عاماً (أي أسرة تضم زوجين وأبناء تتراوح أعمارهم بين "13" عاماً و"20" عاماً).
- 6- المرحلة السادسة: تبدأ من مغادرة الابن الأول أسرته وعيشه بعيداً عنها، وتنتهي بمغادرة الابن الأخير لها (أي يصبح بيت الأسرة مركزاً للإبحار إلى العوالم الاجتماعية الأخرى).
- 7- المرحلة السابعة: تبدأ من مرحلة العش الفارغ وتنتهي عند تقاعد الزوجين.

8- المرحلة الثامنة: تبدأ من تقدم عمر الزوجين نحو الشيخوخة وتنتهي بوفاة أحدهما أو كليهما.

هـ- النهج الصراعى:

يعد هذا النهج جديداً في أدبيات الأسرة على الرغم من تناول فردريك إنجلز له. برز هذا النهج بشكل قوي وفعال في علم الاجتماع في الولايات المتحدة الأمريكية، مع تفاقم مشكلات سادت العقد السادس من هذا القرن، إذ ظهرت فيه حركات نسوية وتنظيمات للدفاع عن حقوق المرأة، مطالبين بتغيير ميزان القوى داخل الأسرة.

هذا النهج لا ينظر إلى النزاعات الأسرية على أنها سلبيات تقوض كيان الأسرة، بل لها إيجابيات تعود على بنيتها وتصفي وتنقي أجواءها.

بشيء من الدقة يركز هذا النهج على الحصول على المصادر النادرة (المال والثروة والسلطة الأسرية، وممارسة الأدوار الرئيسية، ومنافسة أعضاء الأسرة في الحصول على أهداف ذاتية) التي تمثل المصدر الرئيسي لوقوع النزاع داخل الأسرة، لذلك يقع النزاع أو الصراع داخلها ويبدأ من استخدام الأدوات الجارحة أو القاتلة.

ثم يردف هذا النهج فيقول: إذا لم يكن الزواج اختيارياً، ولم يخضع ميلاد الوليد لاختيار الوليد ذاته، أو أن ولادته في أسرة لا يرغب فيها ولم يؤخذ رأيه في اختيار اسمه أو دينه، فإن ذلك يتعارض مع مصالح أبناء الأسرة الذاتية وأهدافهم الشخصية، وهذه مصادر إضافية لوقوع الصراع داخل الأسرة.

يتوغل هذا النهج إلى عمق العلاقات الأسرية الداخلية لكي يحقق المساواة في الحقوق والواجبات بين أفراد الأسرة كافة، بل إنه يعطي أهمية بالغة للمصالح الشخصية والرغائب الذاتية أكثر من المصلحة الأسرية. (<http://www.ejtemay.com/vb>).

يدرس علم الاجتماع الديني الدين بوصفه ظاهرة اجتماعية رافقت المجتمعات البشرية على مر العصور، فيبحث في نظم الحياة الدينية وأشكالها ومظاهرها على اختلافها، وكذلك يبحث في وظيفة الدين على مر العصور في أي مجتمع.

(1) السحر والدين:

انطلاقاً من فرضية الفيلسوف هيجل التي تقول بأن عصرراً ساد فيه السحر قد سبق عصر الدين في تاريخ الحضارة الإنسانية، قام رائد الأنثروبولوجية النظرية في بريطانيا العالم جيمس فريزر بصياغة نظريته المعروفة حول أصل الدين وعلاقته بالسحر. في البداية، يفترض فريزر أنه مر على الإنسان عهد ظن فيه أنه بإمكانه التحكم في سير عمليات الطبيعة بوساطة تعاويذه ومظاهره السحرية. وعندما اكتشف بعد فترة طويلة قصور هذه الوسائل عن تحقيق غايتها تصور أن الطبيعة التي تأبت على الانصياع له واقعة تحت سلطان شخصيات روحانية فائقة القدرة، فتحول إلى عبادة هذه الشخصيات واستعطفها واسترضائها بالأضاحي والقربان، لتقف في صفه وتلي له حاجاته. وبذلك ظهر الدين وتحول الإنسان عن السحر، وحل كاهن المعبد محل ساحر القبيلة. يقول في كتابه (الغصن الذهبي): « في شكله الصافي، يفترض السحر التعاطفي أن الأحداث في الطبيعة يتلو بعضها بعضاً، بشكل إطرادي دون تدخل شخصيات روحانية ماورائية. من هنا فإن المفهوم الأساسي للسحر يتشابه مع المفهوم الأساسي للعلم الحديث، حيث يسود الإيمان التام بالانتظام والتماثل في الطبيعة، فالساحر لا ينتابه شك في أن الأسباب الواحدة سوف تنتج بالضرورة النتائج نفسها، وفي أن إتيان المظاهر الدينية المناسبة المصحوبة بالتعاويذ المناسبة سوف تتلوها النتائج المرغوبة، إلا إذا تدخلت قوة ساحر أقدر منه للحيلولة دون ذلك، والساحر في عمله هذا لا يلتمس عون أية قوة عليا، ولا يسعى

لاستمالة كائن روحاني ما، متقلب المزاج أو عصبي على الإرضاء. إنه يؤمن بقدرته غير المحدودة طالما استطاع استخدام تقنياته على الوجه الصحيح».

« ولكن إذا كان السحر هو أقرب الأقرباء إلى العلم من حيث افتراضاته الأساسية، فما هي صلته بالدين؟ قبل الشروع في الإجابة عن هذا التساؤل، ينبغي علينا أن نوضح ما الذي نعنيه بالدين، لأن الإجابة سوف تتلون وفق ما نراه من شأن الدين وطبيعته. إن الدين كما أراه، هو تلك الأفعال المهادفة إلى استعطاف أو استمالة قوى متفوقة، يعتقد الإنسان بقدرتها على التحكم بمسار الطبيعة والحياة الإنسانية. أي أن هنالك عنصرين مكونين للدين، أحدهما نظري يتعلق بالإيمان بالقوى المتفوقة، والآخر عملي يتعلق بالعمل على استرضاء هذه القوى». (السواح، 1998، 190).

(2) ظاهرة الموت:

من أولى الظواهر التي أثارت دهشة واستغراب الإنسان البدائي ظاهرة الموت، حيث إن موت الأخت أو الأم أو الحبيبة أمر كان يؤثر كثيراً في الإنسان، ولا يجد له تفسيراً، وكان الإنسان البدائي أمام أحد حلّين:

- إما أن هذا الموت ينهي وجود الإنسان، وبهذا الموت يتوقف عن عضويته في الجماعة، ولا علاقة له بأي شيء خارج هذه الحياة، حيث ينتهي بنهايتها، حتى الآمال التي لم تتحقق، ولن تتحقق أبداً.
- الحل الآخر أمام الإنسان البدائي هو أن الموت مرحلة تحول فقط ثم نعود إلى حياة جديدة هي حياة ما بعد الموت التي تجمعنا بكل من مات وبكل من نحب، وتحقق لنا السعادة والوئام والخلود.

إن دافع الرغبة في الحياة هي التي جعلت الإنسان البدائي يختار الحل الثاني.

(3) تطور موضوع الدين:

لقد تطور الدين وأشكال الحياة الدينية عبر العصور، ولكنه بقي في أساسه مختاراً للحل الثاني (أي اختيار العدل في حياة أخرى). لقد تطور الدين من مرحلة عبادة أرواح الأموات وعددهم أعضاء في الجماعة وجزءاً منها، وإجراء المظاهر والولائم لهم، وعدّ الأموات يمكن أن يساعدونا في حياتنا أو يغضبوا علينا، إلى مرحلة عبادة قوى الطبيعة مثل الشمس والقمر والرياح والمطر. . . إلخ، إلى مرحلة عبادة التوتم، وهو رمز القبيلة المعبر عن القبيلة كلها إذ قد يكون حيواناً معيناً أو مظهراً من مظاهر الطبيعة (الشمس مثلاً). إلى مرحلة عبادة آلهة خاصة منقسمة بحسب حاجات الإنسان. . . فأصبح هناك إله الخمر، وإله الجمال، وإله الحب. . . إلخ، إلى المرحلة الأقرب إلينا وهي مرحلة عبادة الإله الواحد.

(4) ثلاثة علماء وثلاثة آراء في الدين:

لقد آمن (دوركهايم) بأن الدين ذو وظيفة أساسية في حفظ تماسك الجماعة، ولذلك بوصفه عالم اجتماع أكد على الوظيفة الاجتماعية للدين بغض النظر عن أنه مجال اعتقادي، وهو يتابع بذلك موقف "سبنسر" من الدين الذي يرى بأن الحكام والزعماء الأوائل قد اعتبروا شخصيات إلهية، كما عدت أوامرهم ونواهيهم والأعراف التي استنوها في حياتهم، بمنزلة شرائع مقدسة فرضها على الناس خلفاؤهم، الذين رُفعوا أيضاً إلى المرتبة نفسها وعُبدوا إلى جانب سابقينهم، وبذلك تم تشكيل مجمع الآلهة الأول. فأخذ الزعيم الأقدم دور الإله الأكبر، ومن تلاه دور الآلهة الأدنى.

يرى دوركهايم أن نشوء الدين جاء من إحساس الفرد باعتماده المطلق على المجتمع، وجاء الإيمان بخلود الروح نتيجة إدراك الفرد لنسبيته وخلود الجماعة. وعبادة الآله بنظر دوركهايم هي عبادة الجماعة ذاتها.

ويرى دوركهايم: أن وظيفة الدين في المجتمع هي فرض إرادة المجتمع على الأفراد، ويعتبر أن اللقاء بين رجال الدين ورجال الدولة مهماً لاستقرار الحياة الاجتماعية، لأن الدين يرضي نوازع الإنسان الفعلية نحو الاستقرار وتحقيق العدالة داخل هذه الحياة والحياة الأخرى.

- أما ماركس: فوجد أن الدين قد نشأ لحل التناقضات الطبقة، لذلك قال جملة الشهرة (الدين أفيون الشعوب) وهو يقصد بذلك أن الدين في التشكيلات الاجتماعية التناحرية له دور محدد لكسب الفئات الشعبية وضمان سكوتها عن تجاوزات الطبقة السائدة في المجتمع.

- أما المفكر الاجتماعي ماكس فيبر: فقد قدم تحليلاً للدين مغايراً، يعد فيه الدين محفزاً للنشاط الاقتصادي، وذلك في كتابه (روح الرأسمالية)، حيث درس أثر الدين في ظهور الرأسمالية الصناعية، وعدّ في هذا الكتاب المسيحية البروتستانتية (أحد مذاهب المسيحية التجديدية الداعية إلى قومية الدين) هي المؤدية إلى نهضة أوروبا؛ لأن البروتستانتية فيها مبادئ دينية تشجع على العمل الفردي المنتج وعلى كسب المال.

(5) الدين موضوعاً للبحث السوسيولوجي:

أ- سوسيولوجية الظاهرة الدينية:

الدين بوصفه ظاهرة اجتماعية يدخل في علاقة تفاعلية مع الوحدات الاجتماعية الأخرى المكونة للمجتمع، وهي حقيقة تمثل حجر الزاوية في علم الاجتماع الديني. لكن بعضهم ينظر إلى الدين على أنه السياق الذي يتحد الإنسان فيه مع ما هو فوق الإنساني، ويرى آخرون الدين مظهراً من مظاهر رد الفعل الغريزي للقوى الكونية، ويرى فريق ثالث أن الدين مجموعة من الرسائل الظاهرة من الإله، ولكن وجهات النظر

هذه تقلل أو تتجاهل، وربما ترفض الجوانب السوسولوجية للدين. إن الدين بوصفه ظاهرة اجتماعية يتضمن العديد من الاعتبارات:

- أن الدراسة السوسولوجية للدين تتعد عن الأحكام المعيارية، أي أن الباحث عندما يتناول الدين لا يتناوله من حيث الصدق أو الكذب، بل في دراسة الحقيقة الدينية والتي تتطلب الحياد والمعارية.
- أن علم الاجتماع الديني علم أمبريقي، أي أنه يتوصل إلى نتائج من الظواهر التي يدرسها ويلاحظها.

تحتم الوضعية والأمبريقية استخدام المنهج العلمي في دراسة الدين، والدراسة العلمية للدين تتطلب البحث عن المتغيرات الدينية، وهذا لا يمكن التوصل إليه عن طريق الوصف والملاحظة.

هناك اتجاهات جديدة في علم الاجتماع الديني تميل إلى تبني الاتجاه الداخلي والخارجي لدراسة الظاهرة الدينية، فالمعلومات الأمبريقية لا تشكل المعلومات الوحيدة المهمة عن الدين.

لعل الحافز للاهتمام السوسولوجي بالدين راجع إلى تقارير الأنثروبولوجيين في بداية القرن التاسع عشر ومنتصفه، توصل هؤلاء العلماء الاجتماعيون إلى ملاحظتين أساسيتين هما: أولاً وجود شكل من أشكال الدين في كل مكان، وثانياً التنوع المذهل في أشكال السلوك الديني، وبعبارة أخرى لوحظ أن الدين منتشر ومتنوع في كل مكان في المجتمعات البدائية. لكن اهتمام السوسولوجي بالدين لم يتخذ الشكل الجدي بسبب:

- أن بعض علماء الاجتماع تأثروا بالجمعيات التاريخية والدينية والفلسفية والميتافيزيقية، والدين لا يمكن أن يدرس أمبريقياً.
- تأثر بعض علماء الاجتماع بالعديد من الجماعات الدينية في معارضة البحث السوسولوجي للدين.

- خشي فريق ثالث من علماء الاجتماع من فقدان وظائفهم لو أنهم تخطوا الحد الفاصل بين الكنيسة والدولة.

- اعتقد آخرون أن الدين يمضي في طريقه إلى الانقراض.

- يذهب بعضهم ممن يرفضون الدين من واقع تجربتهم الشخصية إلى رفض أي اتصال به، ولو كان هذا الاتصال نوعاً من البحث العلمي.

في عام 1940م بدأت بحوث ودراسات جديدة لمعرفة شكل وظائف الدين على المستوى الفردي والمجتمعي، وأصبحت النظرة إلى الدين ليست على أساس صدقه أو زيفه، ولكن على أساس أنه ظاهرة اجتماعية. (زيدان، 1981، 43)

ب- الأسباب التي أدت إلى الاهتمام بالدراسة السوسيولوجية للدين:

تعد دراسة الدين من الموضوعات التي نالت اهتمام علماء الاجتماع منذ وقت مبكر، وقد جعل كثيرون في القرنين التاسع عشر والعشرين من التحليل السوسيولوجي للدين محوراً لأبحاثهم ومفاهيمهم عن الحياة الثقافية والاجتماعية.

ويرجع الاهتمام بدراسة الدين إلى:

1- أن هناك نظرة اجتماعية فلسفية للدين على أنه المنبع الأساسي لكل العمليات في المجتمع الإنساني. فنجد فيبر يستخدم الدين مفتاحاً لفهم الاختلافات الجوهرية بين مجتمعات الشرق والغرب، ومن ناحية أخرى نجد دوركهام يعطي اهتماماً لدور الدين بوصفه عاملاً أساسياً في تحقيق التضامن والتماسك الاجتماعي.

والحق أن الدراسات السوسيولوجية للظواهر الدينية يمكن أن ترجع إلى أحد هذين المدخلين.

2- لقد نمت كتابات علماء الاجتماع الكلاسيكيين في الفترة التي مازال الدين فيها موضوعاً ذا أهمية في المجتمعات التي كانوا أعضاء فيها، أو في تلك المجتمعات المتشابهة ثقافياً واجتماعياً مع مجتمعاتهم.

3- ساعد التصنيع والتحضر في العالم الغربي على الاهتمام بدراسة الدين، وبذلك أصبحت العلاقة بين النظم الاقتصادية والسياسية وغيرها مشوهة، أي أصبحت العلاقة بين الدين وتلك النظم موضع تساؤل.

4- ظهر في فرنسا اتجاه سوسيوجرافي حاول أن يقيم خريطة يحدد فيها الارتباط الديني على أساس الإقليم الجغرافي. وتطور هذا الاتجاه باستخدام المناهج المنظمة لجمع البيانات، وحاول إيجاد علاقات محددة بين التدين ومتغيرات أخرى مثل الاختلافات الحضرية الريفية، والمكانة المهنية.

لعل التطور السريع لعلم الاجتماع الديني يرجع إلى علماء الاجتماع في أمريكا، وذلك يعني أن الكثير من اتجاهات علم الاجتماع الديني بدأ بها أولئك العلماء ودعموها. ولكنهم حاولوا أن يقيموا علم اجتماع ذا نزعة دينية. (زيدان، 1981، 56)

(6) التدين ظاهرة اجتماعية:

إذا كانت الأسرة هي (وحدة المجتمع) فإن الظاهرة الاجتماعية هي وحدة علم الاجتماع. والظاهرة الاجتماعية ليست هي كل شيء في المجتمع، كما يظن بعض الباحثين، وإلا لكان النوم والشرب والأكل والتأمل، كلها من الظواهر الاجتماعية. وتمتاز ظاهرة التدين - كغيرها من الظواهر الاجتماعية - بمجموعة من السمات والخصائص:

1- التدين ذو خاصية موضوعية: يتصف التدين بالموضوعية، فالدين يقتضي الإيمان بالله على طريقة الإسلام مثلاً، وله مقتضى عملي ينبغي أن يتحقق في واقع الحياة الاجتماعية، وبذلك إذا كانت ركائز التدين مستقرة داخل الذات،

فإن نشاطات الإنسان تعبر عن التزامها أو عدم التزامها، أي أن للتدين (وجوداً) خارج شعور الأفراد، كما أن له وجود داخل ذواتهم. والتدين بكونه خارج شعور الفرد ليس من صنعه، وإنما يتلقاه الإنسان من المجتمع الذي نشأ فيه، أي أنه ليس وليد التفكير الذاتي.

فالغاية الأساسية لعلم الاجتماع الديني هي تحقيق الموضوعية، أي أن عالم الاجتماع الديني عندما يدرس بداية الظواهر الدينية يتعين عليه أن يتخذ موقفاً يماثل موقف العالم الطبيعي الذي يفترض أنه يرتاد ميداناً غير معروف وغير مكتشف.

وبمقتضى هذه الصفة (الخارجية) فإن هذه الظواهر الدينية تدوم من جيل إلى جيل، ولا تتأثر بتغير الأفراد، وكذلك لا تختفي بوفاتهم، لكونها مستمرة وبشكل معين، ويولد الأفراد ليجدوا الظاهرة الدينية سابقة على مولدهم ويعرفونها، ويأخذون بها عن طريق التنشئة الاجتماعية والتعليم.

2- خاصية القهر والإلزام بالتدين:

لما كانت ظاهرة التدين (موضوعية وشيئية) فإنه يترتب على هذه الخاصية، خاصية أخرى وهي (خاصية القهر والإلزام)، أي أنه لما كانت الظواهر الدينية ضرباً من الشعور أو السلوك الذي يوجد خارج ضمير الفرد، فمن الضروري أن تفرض نفسها على شعوره وسلوكه. والحق أن الفرد لا يشعر في كثير من الأحيان بهذا القهر، لأنه يستجيب له بحسب العادة ودون تفكير، بل ودون شعور بالجهد البدني، فالمرء منذ ولادته يجد نفسه محاطاً بأسرة تعمل على تحويله من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي يعيش في جماعة، ويشكل الدين إحدى ركائزها الأساسية، وإحدى المتغيرات القوية التي تفرض نفسها على الإنسان، لكي يستجيب لها.

وربما يبتعد الفرد عن الدين فترة من الزمن، وربما يسيطر الشك عليه، لكنه سرعان ما يتوب ويعود إلى رشده، ويجدد انتماءه للدين بتأثير ضغط «التدين» بوصفه ظاهرة اجتماعية.

الدين وأشكال المجتمعات:

أ- النموذج الأول: المجتمعات البدائية وسيادة القيم الدينية:

يمثل هذا النموذج المجتمعات الصغيرة المنعزلة والبدائية، والتي تتميز بقدر بسيط من التطور التكنولوجي وتقسيم العمل، تعد الأسرة في هذه المجتمعات من أهم الأنظمة غير المتطورة، هذا فضلاً عن سير معدل التغير الاجتماعي بطريقة بطيئة. في هذه المجتمعات لا يمكن التمييز في نسق الاعتقاد بين الأفكار والاعتقادات والأساطير، فهي مندجعة بعضها مع بعضها الآخر، أي أن الناس لا يستطيعون تمييز موضوعات التقديس الديني منفصلة أو بعيدة عن أنفسهم، فالرموز الدينية عندهم مجموعة من الأشكال الأسطورية، مثل أسلاف القبائل أو الأبطال الذين يرمز إليهم برموز مختلفة.

وأما التنظيم الديني فليس له وجود مستقل عن التنظيم الكلي للمجتمع، فكل عنصر في المجتمع هو عضو في دين الجماعة، فالتنظيم الديني لا يتميز بكونه نظاماً مستقلاً ولكنه يمثل جانباً من الأنشطة الكلية للجماعة.

وللدين وظائف في هذه المجتمعات، فله أثر واضح في نسق القيمة في هذا المجتمع، وفي كثير من الأحيان يمتزج بالسحر ليكون وسيلة في معالجة مواقف الضغوط.

وغالباً ما تتميز القيم الدينية في هذا النموذج بالاتجاه المحافظ، وتمنع أي نوع من التغير الاجتماعي، وبهذا تمثل التقاليد قوة كبرى في السيطرة على الفرد والمجتمع.

أما الفرد فللدين فيه تأثير واضح في عملية التنشئة الاجتماعية التي تتميز بارتباطها بالشعائر الدينية عند الولادة والبلوغ والزواج، وكل المناسبات المرتبطة بدورة الحياة.

ب- النموذج الثاني: المجتمعات الصناعية الحديثة وسيادة القيم العلمانية:

هذا النموذج قائم على أساس الوضع الاجتماعي والثقافي في المجتمعات الغربية الحديثة، وهي تتميز بدرجة عالية من الديناميكية، فتأثير التكنولوجيا متزايد في كل جوانب الحياة، وله نتائج مهمة على الدين نفسه.

وليس هناك وجود لنسق عام مقبول للرؤية الدينية إلى الدرجة التي تكون فيها التنظيمات الدينية المتنوعة قادرة على فرض أنساقها الرمزية الرسمية، والمصدق عليها من أعضائها، هنا يمكن القول بوجود تعدد في الأنساق الرمزية المصاحبة، والذين ينتمون إلى تنظيمات دينية يشعرون بحرية تفسير الأنساق الرمزية التقليدية في السلطة الدينية أو رفضها.

وفي هذه المجتمعات نجد أن التنظيم الديني متعدد ومنقسم، فالعضوية اختيارية، على الأقل من حيث المبدأ، فليس هناك ادعاء من أي مركز ديني بأن له السيطرة والولاء، ويجب أن يكون من كل الأفراد باستثناء بعض الحالات، وبوجه عام هناك عدد هائل من التنظيمات الدينية المتنافسة في تلك المجتمعات.

أما وظائف الدين في هذه المجتمعات فتتأثر بالخصائص المتغيرة للدين، فالانقسامات الدينية إضافة إلى النمو المتزايد للعلمانية، كل ذلك أدى إلى تغير الوظيفة التكاملية للدين.

فقد يؤدي الدين وظيفة تكاملية داخل التنظيمات المتنوعة نفسها، خاصة في التنظيمات التي تكون فيها العضوية قائمة على أساس الأقليات الطبقية أو العضوية

داخل المجتمع الكبير، فهو يقوم بوظيفة محاور الانتماء داخل الجماعات التي تشعر بالظلم أو الإحباط. (بيومي، 1985، 322).

أخيراً .. نعرّف علم الاجتماع الديني أنه ميدان في علم الاجتماع يبحث في نظم الحياة الدينية ووظيفة الدين الاجتماعية وتاريخ الأديان وفلسفتها في المجتمع.

— :

1- تعاون المجالات:

إن علم الاجتماع الطبي مجال للتداخل العلمي والاعتماد المتبادل بين علوم متعددة، ولا يستفيد هذا العلم الجديد من جهود ودراسات علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعي فقط، بل يستفيد أيضاً من جهود الباحثين في مجال الطب والصحة العامة، وعلماء الأوبئة، واقتصادات الصحة، والأطباء المهتمين بدراسة الأدوار التي يؤديها. ويقدم علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي وجهات نظر فريدة حول الممارسة الطبية، وخاصة أن مجال الطب يفتقد المفاهيم النظرية الأصلية، ولهذا يضطلع علم الاجتماع وباقي العلوم الاجتماعية بتقديم وجهات نظر، ومفاهيم ومصطلحات متقدمة تسمح لنا بتراكم كفاء للمعرفة، وتحديد دقيق لبؤرة البحث، وتقديم أولويات بحوث المستقبل في علم الاجتماع الطبي.

وعلى هذا فإن علم الاجتماع الطبي يمثل مجالاً مشتركاً بين الطب وعلم الاجتماع، ويمثل من ناحية أخرى مجالات للبحث التطبيقي. ولعل في ذلك الطابع ما جعله يتحول في أمريكا من مجرد وظيفة تعليمية إلى ميدان التطبيق العملي، ولقد أدى التعاون المشترك بين الأطباء وعلماء الاجتماع دوره في انتهاج مدخل علم الطب واختراق مجاله

لاستكمال الطريق، والوصول إلى مدخل لمشروعاتهم التي كانت تطابق أغراضهم وتخضع لتخطيطاتهم.

2- التعريف: يعرف علم الاجتماع الطبي أنه: "مجموعة الجهود الرامية إلى تطوير الأفكار السوسيولوجية داخل سياقات الأنساق الطبية، وإلى دراسة القضايا التطبيقية المهمة فيما يتصل بعمليات المرض ورعاية المريض".

إذا كان الطب يهتم بقضايا الصحة والمرض، وعلم الاجتماع يدرس البناء الاجتماعي، فإن علم الاجتماع الطبي إذن يمثل حلقة الوصل بين العلمين، الاجتماع والطب، أي أنه يدرس قضايا الصحة والمرض في ضوء علاقتهما بالنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية. ومن هنا يتحدد تعريفنا لعلم الاجتماع الطبي أنه الدراسة السوسيولوجية لقضايا الصحة والمرض، وتناول المستشفى بوصفها نسقاً اجتماعياً وثقافياً، وفحص علاقة المريض بالقوى العاملة والمؤسسات الطبية والمؤسسات العلاجية، كما يحددها البناء الاجتماعي والوضع الطبقي. وهكذا تنبسط الأفكار السوسيولوجية لتتخلل النسق الطبي، وتقدم لأعضائه صورة شاملة عن أهمية العوامل الاجتماعية المرتبطة بالصحة والمرض، وسلوك المرض وعلاقته بالخدمة الصحية المقدمة، ونمط الأسرة (نووية أو ممتدة) ودوره في اتخاذ القرار الطبي باللجوء إلى إحدى المؤسسات الصحية، وصورة بناء القوة السائدة في المجتمع، ودرجة تأثيره في أداء الخدمة الصحية. أضف إلى ذلك أن علم الاجتماع الطبي يبرز اتجاهات المجتمع وقيمه نحو العلاج الشعبي، وكيفية استثمارها في تدعيم الطب الرسمي في مواجهة الطب الشعبي. وتساعدنا الأنثروبولوجية الطبية في استكمال معالم الصورة المؤثرة في الصحة والمرض، بالتركيز على العناصر الثقافية كالعادات والمعتقدات والأمثال الشعبية والمظاهر السائدة ودورها في الصحة والمرض.

3- النظرة الاجتماعية للصحة والمرض:

من المسلمات في علم الاجتماع الطبي أن التصورات والقيم والتعريفات المتعلقة بالصحة والمرض تحكمها وتحددها اعتبارات اجتماعية في المقام الأول، تنتج عن خبرة الناس ومعيشتهم في جماعات اجتماعية مختلفة. أضف إلى ذلك أن السن والنوع والظروف الأسرية والأصول الاجتماعية والطبقية، تؤدي دورها المهم في تحديد المرض. وإذا كان المرض يعني - من بين ما يعني - عملية تكيف بيولوجي، وتعبيراً عن تكيف جسم الإنسان مع الضغوط الداخلية، والظروف الخارجية الخطرة، فإن تحديد المرض ذاته تحكمه اعتبارات اجتماعية تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات. وفي هذا الصدد أكد أوبري لويس على ثلاثة محكات طبية تقليدية تحدد المرض، ويأتي على رأسها خبرة الشخص المريض نفسه (وهي التي تعبر عن طبيعة المجتمع والثقافة)، واكتشافه لبعض الاضطرابات في وظيفة الجسم، وفي نهايتها الأعراض التي تتوافق مع النمط الإكلينيكي (وهي المستمدة من الطب، وخاصة نظرية تنميط المرض) والخلاصة أن المرض ظاهرة من صنع المجتمع، ومرآة تعكس طبيعة الثقافة السائدة.

والأمر نفسه ينطبق أيضاً على مفهوم الصحة وطبيعة النظرة إليها. فإذا عرفنا أن الصحة هي: "حالة التحسن الجسدي والعقلي والاجتماعي الكامل، وليست مجرد غياب المرض أو العلة"، أدركنا مدى الأهمية الاجتماعية لمعناها، والدور البارز الذي يؤديه السياق الاجتماعي والثقافي في تحديد المقصود بالتحسن الجسدي، وكيف تتدخل الجماعات الاجتماعية والبيئة الثقافية في تحديد معنى الصحة، وتميز الشخص الصحيح من العليل.

4- ملامح تأثير المجتمع والثقافة في الصحة والمرض هي:

1) إن المجتمع هو الذي يحدد معنى المرض، ومدى خطورته، والآثار المترتبة عليه. ولعل خبرة الناس وطول معاشتهم للمرض، وتفاعلهم معه من خلال المحاولة والخطأ، وأوضاعهم الطبقيّة وظروفهم الأسرية. . إلخ هذه العوامل هي المسؤولة أساساً عن تحديد مفهوم المرض وأسلوب التعامل معه. وفي نفس الوقت المجتمع هو الذي يحدد معنى الصحة، ويضع المؤشرات الدالة والمقاييس التي تقيسها.

2) إن المفاهيم الاجتماعية للصحة والمرض متعددة، وهي عموماً تعكس فلسفة الشعوب وثقافتها حيال المرض والموت، واتجاهاتها نحوهما، وفي ضوء تلك الفلسفة تتعدد الاتجاهات ما بين الوصف (للمرض وأعراضه، وللصحة ومقاييسها ومؤشراتها)، والتصنيف (أمراض خطيرة، وأخرى عارضة يسيرة، وصحة دائمة، وأخرى مؤقتة)، والتقويم (بإضفاء الأحكام الأخلاقية عليها بالقبول أو بالرفض، وبالإبطاء في العلاج أو المسارعة فيه).

3) إن مفاهيم المرض والصحة تعج بالكثير من القيم الاجتماعية والأخلاقية التي تفسرها. وفي ضوء تعدد وتنوع المجتمعات والثقافات تتعدد وتنوع تلك القيم والأخلاقيات التفسيرية. وعلى هذا تفسر بعض المجتمعات المرض على أنه انحراف عن المعايير في المجتمع، وبالتالي يواجه المريض بالعقوبة الاجتماعية حيناً، وبالعقوبة البدنية حيناً آخر. كذلك قد ينظر المجتمع إلى المرض ويفسره على أنه جريمة في حق الأسلاف، أو انتهاك للمحرمات، أو إتيان سلوك غير مرغوب فيه، أو إساءة إلى ذوي الأرحام، أو البعد عن الله. . إلخ. وفي نفس الوقت تحدد الثقافة شروط التمتع بالصحة ومنها راحة العقل، وتجنب المشاجرات، والحلم والهدوء، والوفاء بالفرائض الدينية.

4) يؤدي النظام السياسي والأيدولوجيا دورهما الآخر في تحديد معنى المرض، ومدى أهميته بوصفه رأسماً سياسياً أو وسيلة للتخلص من المعارضين والمنشقين؛ بالإيداع في المستشفيات العقلية حتى القتل.

5) ينطوي العامل السكاني على أهمية كبيرة في النظرة الاجتماعية للصحة والمرض، حيث يراعي الباحثون توزيع السكان النوعي (ذكوراً وإناثاً) والعمرى (أطفالاً وشباباً وشيوخاً) والتعليمي والمهني، وعلاقة كل ذلك بالخدمة الصحية، والأمراض والأوبئة، والوقاية والعلاج، والوعي والحالة الصحية المجتمعية. . . إلخ. فهناك هرم سكاني للصحة والمرض.

6) تربط النظرة الاجتماعية بين المهنة التي يزاولها الإنسان وصحته ومرضه. إذ من المعروف أن الأمراض المهنية تنتج عن مزاوله مهنة معينة مدة من الزمن - طالت أم قصرت - تظهر أعراضها أثناء العمل، وتقرن بطبيعته، وترتبط بمكان مزاولته. (المكاوي وآخرون، 1998، 62)

5- السياق الاجتماعي للصحة والمرض:

السياق الاجتماعي هو الإطار الشامل الذي تندرج فيه الصحة والمرض، فيعطيها طابعهما الاجتماعي، ويميزهما بأنهما ظواهر ذات طابع اجتماعي يسمو على الطابع الفردي. وتستلزم هذه النظرة استقراء التراث العلمي في علمي الاجتماع والأنثروبولوجية الطبية، وربطه بالواقع الاجتماعي الثقافي المعيش.

ولعل الممارسة الطبية تكشف عن أهمية هذا الطابع الاجتماعي منذ أن صاغ أبقرات (460-375 ق.م) القسم الطبي بأسس أخلاقية، واجتماعية وثقافية، حيث راعى تأثير البيئة الطبيعية والاجتماعية في صحة الإنسان ومرضه، وأوجب على الطبيب مراعاة هذه التأثيرات والاهتمام بها. ومن هنا توجب الممارسة الطبية توجيه الاهتمام

اللائق (بالإنسان كلياً). فإذا أهمل الطبيب الأخذ بهذا التوجيه، فإنه لا يؤدي دوره بدقة وكفاءة.

ومرد ذلك مرة أخرى إلى الفصل الواضح بين الدور الطبي للطبيب والدور الاجتماعي له. ولا شك في أن اهتمام الطبيب "بالمريض" يتضمن مراعاة السياق الاجتماعي للصحة والمرض، وارتباطهما بالثقافة السائدة، مما يسفر في النهاية عن نجاح محقق وخدمة صحية أفضل. والواقع أن الصحة والمرض يوجدان في سياق اجتماعي يتفرع إلى سياقين: وهما سياق التنظيم وسياق المعنى بوصفه سياقاً اجتماعياً؛ لأنه يشير إلى عملية الاتصال الرمزي، وعلى ذلك تتحدد إحدى المهام الجوهرية لعلم الاجتماع الطبي في ربط الصحة والمرض بملامح البيئات والأبنية الاجتماعية التي تؤخذ منها، ويمكن توضيح تلك الفكرة بالشكل التالي:

الواقع أن النظرة الأنثروبولوجية الطبية ترى جوانب البناء الاجتماعي وعناصر الثقافة متغيرات مستقلة، وتعد الصحة متغيرات تابعة. ويتضمن موضوع البناء الاجتماعي علاقة أنساقه (كالنسق الاقتصادي مثلاً) بالصحة والمرض، والمكانة الاجتماعية، وما يرتبط بها من أدوار، وعلاقاتها بالصحة والمرض. ومنها دور المرأة وعلاقتها بالممارسات والمشكلات الصحية، وعلاقة الزوجين بالأقارب، وأثره في الصحة، ودور الجماعة القروية والجماعات الأخرى في حالة المرض، والاستجابة له. وتجدد الإشارة إلى أن سياق التنظيم - بوصفه جزءاً من السياق الاجتماعي - يضم نمطين من الأبنية الاجتماعية التي تحوي الصحة والمرض، ويشير أول النمطين إلى النظم الاجتماعية الوثيقة الصلة: كالنظام الاقتصادي والسياسي والتربوي، وما يتضمنه كل منهم من آثار في الصحة والمرض، ومن علاقة وثيقة بالخدمة الصحية. فإذا دعم النظام الاقتصادي النظام الصحي بالإمكانيات المختلفة، فإن الخدمة الصحية تصل إلى الجمهور المستحق، وبالأسلوب الأفضل. وتدل

بعض البحوث الحديثة حول العلاقة بين الاقتصاد والصحة على أن العوامل الاقتصادية تؤدي دوراً رئيسياً في تحديد أنماط المرض حتى في المجتمعات المتقدمة، وأن دور الخدمات الصحية لم يحظ بالاهتمام الكافي بعد، وكذلك الأمر للنظام السياسي، حيث يستطيع اتخاذ القرارات السياسية ذات التأثير الفعال في شمول الخدمة الصحية لفئات المجتمع المختلفة، وتقديمها مجاناً أو بأجر مخفض، أو من خلال نظام التأمين الصحي. ويشير النمط الثاني من الأبنية الاجتماعية إلى أبنية غير متخصصة نسبياً، وليس لديها الطابع التنظيمي المحكم في علاقتها بكل من الصحة والمرض والخدمات الصحية. ومن أمثلتها أبنية الزمالة، وأبنية القرابة، وجماعة الرفاق، فإذا تناولنا دور الجماعة القرابية على سبيل المثال، وجدناها تلاحظ المرض، وترعى المريض، وتواسيه، وقد يستدعي أعضاء الجماعة الآخرين ليلاحظوا أعراض المرض، فإذا لم تُجدِ المواصفات المنزلية التي ينصحون بها، قرروا استدعاء ممارس شعبي متخصص، وتتولى الجماعة تنفيذ توصياته، وإبلاغه بسير العلاج وحالة المريض. فإذا نجح العلاج وبرئ المريض أعطته الجماعة أجره الذي يرضيه، وإلا عادوا إلى استشارته مرة أخرى، وربما ينصح في تلك الحالة باللجوء إلى ممارس شعبي آخر أو الذهاب إلى مستشفى حديث. وتنتشر هذه الأمثلة بين النافاهو في أميركا. والتيف في وسط نيجيريا.

أما سياق المعنى فإنه يشير إلى الدلالة التي تكمن في التوجيهات والإرشادات التي تزودنا بها الحياة الاجتماعية، وتعلمها عن طريق التنشئة الاجتماعية، فتساعدنا على فهم ما غمض علينا، واستيضاح ما استغلق على عقولنا. ومن المؤكد أن فهم أمور الصحة والمرض حق الفهم لا يتيسر للمرء إلا إذا أدرجها في سياقها، أي سياق المعنى.

6- دراسات علم الاجتماع الطبي، Medical sociology:

غريباً: نشأ مع تزايد مسؤولية الدولة عن الرعاية الصحية.

أ- **بريطانيا:** المفهوم الاجتماعي للطب تبلور مع بداية فلكسندر Flexiner بداية القرن العشرين الذي أرتخ للطب، فقال إن الطب بدأ اجتماعياً ثم أصبح بيولوجياً بحثاً في مراحل الوسطى، وأخيراً أصبح اجتماعياً ثقافياً. لقد انتقل الطب من المعابد وسط التراتيل والتعاويد ودور الدين الغالب إلى الممارسة الطبية...

ب- **ألمانيا:** أصدر (موللر-لاير) كتاب «علم الاجتماع الخاص بالمعاناة» عام 1914م.

ج- **بلجيكا:** دراسة مين Meynne حول «الطبوغرافية الطبية للبلجيكيين» وعلاقة الأمراض بالتربية والتغذية والجو والفقر والإسكان، وأثر العوامل الاجتماعية في الصحة والمرض.

د- **أميركا:** نما علم الاجتماع الطبي بعد الحرب العالمية الثانية بين 1950 - 1960م وجرى التحول من الرؤية الاجتماعية المصغرة (الميكرو) إلى الرؤية الأكبر (الماكرو) وأخذت الأسباب الاجتماعية في تفسير المرض، وفيها تبلورت مفاهيم الطب الاجتماعي Social medicine على أساس:

- 1) أن صحة الناس مسؤولية مباشرة تقع على عاتق المجتمع.
 - 2) أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية لها آثار مهمة في الصحة والمرض.
 - 3) أن رفع المستوى الصحي لا ينفصل عن رفع المستوى الاجتماعي.
- عربياً:** هناك إشارات عربية إلى الأنماط السلوكية والأنشطة ذات الطابع الصحي والوقائي في وقت مبكر من حياة المفكرين وعملهم منذ القرن التاسع الميلادي، أمثال: إخوان الصفا وابن سينا والبغدادي... ضمن المعطيات العلمية لعصرهم.

ومعروفة قصة ابن سينا مع ابن الأمير الذي عاجله بمعرفة ظروفه النفسية وعشقه الذي أدى إلى مرضه.

البداية العربية هي دراسة نبيل صبحي عام 1980 بعنوان «أنثربولوجي في العنبر» وهي دراسة أولية لعنبر مستشفى بريطاني. وفي نفس العام قدمت ماجدة حافظ للجامعة عين شمس ماجستيراً بعنوان «ديناميات التفاعل الاجتماعي في المؤسسات العلاجية في مصر».

وفي عام 1983م نشر حسين رشوان كتاباً بعنوان: «دور المتغيرات الاجتماعية في الطب والأمراض: دراسة في علم الاجتماع الطبي»، يناقش فيه العلاقة بين المجتمع والطب.

وفي عام 1985م نشرت فوزية رمضان كتاباً عنوانه «علم الاجتماع الطبي».

وفي عام 1987م نشر د.نبيل صبحي دراسة حول «الطب والمجتمع» ولصاحبها اهتمام طويل بهذا المجال.

وفي عام 1988م نشر د.علي مكاوي دراسة عنوانها «الجوانب الاجتماعية والثقافية للخدمة الصحية: دراسة ميدانية في علم الاجتماع الطبي» فيها فصل واحد نظري وخمسة فصول ميدانية لدراسة الواقع الاجتماعي الصحي. وبعد سنتين ألف مكاوي كتاب «علم الاجتماع الطبي: مدخل نظري» (مصر 1990م) تناول فيه منهجية علم الاجتماع الطبي والعوامل الاجتماعية المرتبطة بالمرض والصحة، وكذلك المشفى بوصفه نسقاً اجتماعياً... بمختلف الأدوار والعلاقات الاجتماعية القائمة في المشفى.

في سورية:

أول من أسس لعلم الاجتماع الطبي في سورية الدكتور عبد الكريم اليافي (1919-2008) وهو صاحب الفكر الموسوعي، فأنشأ دراسات متعددة عن العلاقة بين الأمراض والمجتمع، وصدر له في العقد السادس من القرن العشرين عدة كتب، منها

«فصول في النفس والمجتمع» الذي كان يدرس في كلية الطب للدلالة على دور العرب في الطب من جهة، ولتناول علاقة المجتمع بالطب والممارسات الاجتماعية من جهة أخرى. وفي تأسيس اليافي لعلم السكان قدم ترجمات ومصطلحات للرعاية الصحية - الاجتماعية العربية مثل وفيات الرضع والخُدَّج والحدث... ومعادلات حساب العمر في المجتمع الفعلي والمتوقع، ومعدل الإعالة، وشروط الإحلال السكاني، والزيادة السكانية، وتنظيم الأسرة... كلها قضايا تدخل في دراسات الطب وعلم الاجتماع. قام الدكتور عبد الكريم اليافي بتدريس هذه المواضيع في كلية الطب، واستفاد الطلاب من ثقافته الموسوعية في الفيزياء وعلم الاجتماع والسكان، وإخلاصه للغة العربية. وفي فترة لاحقة من عام 1990 أسهم الدكتور صفوح الأخرس في تقديم فصول عن الجوانب السلوكية والاجتماعية في دراسة الطب وطب المجتمع خصوصاً.

أخيراً... إن علم الاجتماع الطبي يتناول الظروف الاقتصادية والاجتماعية والنفسية المحيطة بالإنسان في حالة الصحة والمرض؛ فهو مجال مهم من مجالات العلوم الاجتماعية المهمة بسعادة الإنسان وتطور المجتمعات.

— : —

1- نشوء علم الاجتماع الأدبي: حوالي سنة 1800م بدأ الأدب يعي بُعده الاجتماعي، ويعد كتاب مدام دوستال المنشور بهذا التاريخ بعنوان (الأدب في علاقاته بالمؤسسات الاجتماعية) أول محاولة في فرنسا لجمع مفهومي الأدب والمجتمع في دراسة واحدة منهجية.

تحدد مدام دوستال موقفها في المدخل بقولها: (لقد عزمت على أن أنظر في مدى تأثير الدين والعادات والقوانين في الأدب). فهذا يعني أن نطبق على الأدب الأساليب

الذي اعتمدها - مونتسكيو - أحد أساتذة مدام دوستال في كتابه (تاريخ الحقوق) أي أن نتكلم عن روح الأدب.

ويفسر إيدانوف Idanov هذا الموقف عام 1956م على الشكل التالي: يجب أن ننظر إلى الأدب في علاقته غير المنفصلة عن حياة المجتمع، وفي خلفية العناصر التاريخية والاجتماعية التي تؤثر في الأديب. هذا كان دائماً المبدأ الموجه في الأبحاث الأدبية. (سكاريت، 1983، 30) الأدب هو الظاهرة الاجتماعية، وهو الإدراك الحسي للحقيقة عبر الصورة الخلاقة.

2- الارتباط التاريخي بين الأدب والبيئة:

يبدو الارتباط التاريخي بين الأدب والبيئة أشد وضوحاً إذا كان الإنتاج الأدبي معداً صراحة للاتصال بالجمهور، أو إذا أريد أن يخدم غرضاً ذاتياً أو موضوعياً (ديناً أو سياسياً..). وتعد هذه الفرضية من الحوافز الأولى للإنتاج الفني، وكان جمهورها أفراد الجماعة بكاملها، ففي أشكال المعرفة البدائية نجد الفن (ومنه الأدب) مرتبطاً بالسحر والدين.

ويذهب غوتشيف إلى أن جميع آثار المبدعين (تماثيل ومساكن وأغانٍ وطقوس) التي تفهمها فهماً جمالياً فحسب، كانوا يرون فيها علاقات سحرية تجتذب قوى الأرواح، وبالتالي كانت موضوعاً جماعياً.

إن المسرح نفسه ذو أصول دينية! فإذا ما غُصنا في أعماق تاريخ أي مسرح وجدنا أصله في غالب الأحيان يعود إلى تمثيل أسطورة دينية، حيث تبسط الأحداث المسرحية بعض أشكال العبادة أو تتوكل عليها. وينطبق هذا على الأوبرا أو الباليه.

ويرى غوتشيف أنه مع ظهور المجتمع الطبقي يبدأ الوجود الحقيقي للفن والشعر، وحتى ذلك الحين فإن جميع آثار المبدعين المادي منها والروحي كانت تؤدي دوراً عملياً

واضحاً في حياة الفئات الاجتماعية. فقد كان خنجر الصيد يرصع بالزخرفة لأهم كانوا يرون فيها علاقات سحرية تجذب قوى الأرواح لمساعدة الصياد. وكان الناس يقومون بألعاب في أوقات معينة من السنة، وينشدون أغاني تهدف إلى استعطاف آلهة الطبيعة لضمان وفرة المحصول، ومع التكرار غدت هذه الأفعال مصدر لذة في ذاتها وأصبحت تمارس دون انتظار لنتيجة مادية محددة، وإنما من أجل المتعة الذاتية الاجتماعية فحسب، ولم تعد الآثار الناتجة عن تلك الأفعال تهدف إلى التأثير في قوى الطبيعة والوحوش والأرواح والآلهة، بل غدت تتوجه إلى داخل المجتمع توظف في أعضائه لوناً من ألوان المعاناة والتصورات.

ولو عدنا إلى الأدب العربي لوجدنا الغرضية الاجتماعية، فالقصيدة الاجتماعية بما فيها من فيض وجداني يرافقها من مطلعها إلى بيت القصيد، إنما هي رسالة هادفة تقال لتسمع، ويتناقلها الركبان، وترد أصداؤها تموجات الرمال إلى أن تصل إلى الأذن المعنية، بما تحمله من نسيب أو مدح أو هجاء أو فخر اجتماعي الباعث واجتماعي الفعل. فالفخر نادراً ما يقتصر على الفرد المفتخر، بل إنه غالباً فخر بالجماعة التي يقوى بها الفرد، وكذلك الهجاء، لا يعلق على شخص الفرد المهجو فقط بل يتجاوزه إلى قومه؛ لأن الإقذاع في وصفهم بما يعير والإقلال من شأنهم هما أكبر ضربة توجه إلى كبرياء أي فرد منهم (من الأعداء) وهكذا بات للشاعر موضع اجتماعي ودور مهم، فالقبيلة مهما كبر أبطالها تبقى خاملة طالما لم ينبغ فيها شاعر يجسد بطولاتها ويضخمها في الأسماح.

والخطابة هي الفن الثري الوحيد الذي عرفه الجاهليون، وهي تعريفاً خطاب يتوجه للجمهور بمقياس مشكلاته واهتمامه، ويتوقع أن يحدث في هذا الجمهور تأثيراً فورياً، فيشفي بعض عله، أو يؤزم بعض انفعالاته، أو يوجه فكره وخياله. (صنادي، 1994،

297)

3- الشروط اللازمة لنشأة علم الاجتماع الأدبي:

اقترح (البرميسي) خمسة أسس جوهرية يمكن أن يقوم عليها علم الاجتماع الأدبي قد نقبل بعضها وقد نتحفظ عن بعضها الآخر، وقد نرفض بعضها الثالث. وهذه الأسس هي:

أ- ينبغي النظر إلى الوقائع الأدبية بأنها وقائع اجتماعية: يرى بعض الفلاسفة أن مصطلح (الواقعة) يتميز عن (الحادثة) من ناحية، وعن (الظاهرة) من ناحية أخرى. فالحدث هو واقعة ينظر إليها بكل خصائصها الزمانية والمكانية، فالواقعة أكثر عمومية، وإن كانت تشير إلى معطى مركب وعيني. أما الظاهرة فهي الواقعة محللة، وينظر إليها بصدد عناصرها المجردة، بغض النظر عن أية خاصية تتعلق بالزمان والمكان، وتتضمن إمكانية تكرارها. ويرى آخرون أن الواقعة مرادفة للظاهرة، فإذا فرضنا أن رواية صدرت في تاريخ معين لمؤلف ناشئ فلاقت نجاحاً هائلاً، ووزعت منها آلاف النسخ، فهذه يمكن أن تعد واقعة، ولكن إذا قلدت مجموعة من الروائيين هذا الروائي ولاقت رواياتهم نجاحاً فهذه واقعة أيضاً، ولكن يمكن عدها ظاهرة.

على ضوء ذلك يرى ميمي أنه يجب أن نضع الوقائع الأدبية في منظور علم الاجتماع، ويجب أن لا نشك بإمكانية قيام علم الاجتماع الأدبي فرعاً من فروع علم الاجتماع، ولكن ذلك لا يعني أن علم الاجتماع الأدبي يستطيع بمفرده أن يحيط بكل أبعاد الأعمال الأدبية، فالباب مفتوح أمام العلوم الاجتماعية الأخرى التي قد ترى جدارتها بدراسة الأعمال الأدبية من وجهات نظرها الخاصة.

ب- لا ينبغي رد الوقائع الأدبية إلى شيء آخر غير ذاتها: هذا الأساس يحدد الأساس الأول ويكمله في نفس الوقت. إن الوقائع الأدبية كثيراً ما ترد إلى أشياء أخرى بدعوى الرغبة في فهمها، وهذا شائع لدى الكثير من النقاد، ويعود السبب في ذلك إلى التزمّت والافتقار إلى المناهج المضبوطة التي تمكن من الفهم الحقيقي للوقائع الأدبية، ولكن ذلك الفهم الصحيح لا ينجح إلا إذا اطلعنا على العوامل الاجتماعية المحيطة بنوعية الوقائع الأدبية، وبذلك نتأكد من أن الواقعة الأدبية لم تتأثر في تكوينها بالظروف المحيطة، ولا بالمقاصد التي يسعى المؤلف إلى تحقيقها ولا بأصدائها الاجتماعية والنفسية.

ج- الواقعة الأدبية واقعة قيمية: إن تجاهل كون الواقعة الأدبية هي قيمة أدى في كثير من المحاولات إلى غرق الواقعية الأدبية في مجالات بالغة الاتساع، وهذا ما أدى إلى الإخفاق في كشف حقيقتها. وتبدو أهمية هذا المبدأ في كونه سيضع الحدود بين العمل الأدبي بمعناه الحقيقي وأي آمال أخرى قد تنتمي لعالم الكتابة والفكر، ولكن لا بوصفها أدبية على الإطلاق، كالتمييز بين ديوان شعر أو رواية وكتاب في الاقتصاد السياسي...

د- الواقعة الأدبية ليست واقعة معرفية محضة: نعني بذلك علاقته بعلم اجتماع المعرفة. ولعل هذا يعد أهم مشكلة تجاه علم الاجتماع الأدبي. غير أن الرأي الصحيح في نظر الباحثين هو أن الواقعة الأدبية ليست واقعة معرفية فقط، وأن علم الاجتماع الأدبي ليس مجرد فصل من فصول علم اجتماع المعرفة. والواقعة الأدبية يمكن أن تنقل إلينا بعض الأشياء المحددة، وغالباً ما يكون هذا هو غرض المؤلف أن ينقل للقارئ شيئاً، وهذا يجعل علم الاجتماع الأدبي أحد أدوات الاتصال المهمة في المجتمع، ولكن قد تكون مقاصد المؤلف غير محددة أو تتغير

أثناء كتابته، ومعنى هذا أن طريقة المؤلف في التعبير عن نفسه أهم في نظره مما يقوله فعلاً.

إن هذا الديالكتيك في عمل الكاتب يعد أساساً في فهم عمل أدبي، لذلك هناك عدة أمور يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، وهي:

- لا ينبغي أن ننظر إلى الواقعة الأدبية وكأنها وثيقة أو أنها نتيجة بحث، لأن هناك دائماً قدراً من تشويه الواقع الذي يحدث نتيجة لعملية إعادة بناء مجموعة من الوقائع بطريقة خيالية، أو لأسباب تتعلق باصطناع الحيل، وهذا لا يعني طبعاً تهويناً من شأن البيانات التي يضمونها الأدباء بأعمالهم، ولكن الغاية التي يستهدفها العمل الأدبي لا تتطابق بالضرورة مع الغاية التي تستهدفها وثيقة من الوثائق. فلو كانت وظيفة العمل الأدبي عرض بيانات أو تقديم معلومات لكان أي جهاز تسجيل يعمل في الخفاء في عيادة مختص نفسي، أو بحث اجتماعي مصمم جيداً أفضل من أي عمل أدبي، ولو كان الأمر لا يتعلق إلا بعرض الواقع الاجتماعي لكانت أي مجموعة من الجرائد أعلى قيمة من جميع الروايات التي نشرت في نفس الفترة التي صدرت فيها.

- لا ينبغي النظر إلى الواقعة الأدبية بوصفها مجرد دلالات اجتماعية أو نفسية؛ لأن في ذلك خطورة في إزالة التفرقة بين العمل الأدبي الناجح والعمل الأدبي المخفق، بل قد تؤدي إلى إعلاء شأن أعمال أدبية ليست رفيعة المستوى، لأنها قد تكون أكثر أهمية من ناحية الدلالات التي تتضمنها من الأعمال الرفيعة.

هـ- الواقعة الأدبية أداة عمل: يرى بعض الباحثين أن اشتراط تكون الواقعة الأدبية أداة عمل يعد مطلباً خارجاً عن الغايات الجمالية للعمل الأدبي. وهذا الاتجاه لا يطالب بأن تكون الأعمال الأدبية أدوات للدعاية ووسائل للحث والحض على العمل، وهذا الاتجاه يشير مشكلة قديمة ثارت بشأن الخير والجمال

في العمل الأدبي، وهي التي تناقش تحت شعار الالتزام في الأدب، وهذه القضية هي التي أثارت الكثير من الجدل بين الأدباء والنقاد.

4- المجالات الأساسية لبحوث علم الاجتماع الأدبي:

يرى بعضهم أنه يمكن تقسيم هذه المجالات إلى ثلاثة مجالات، وهي:

المؤلف - العمل الأدبي أو النتاج الأدبي - الجمهور. وعلينا أن لا ننسى أنه لا يوجد انفصال بين هذه المجالات الثلاثة، إذ إنه مهما تعددت الزوايا التي تدرس من خلالها الواقعة الأدبية فلا بد أن يكون تكامل نظرتنا شرطاً أساسياً من شروط بحثنا فالدراسة السوسيولوجية للجمهور، إذا أريد لها أن تكون ذات قيمة، فلا بد أن تسهم في تحديد الملامح الحقيقية للموضوع الأدبي وفهمه، أي أنه لفهم أحد الأطراف الثلاثة (المؤلف - العمل - الجمهور) لا بد من فهم الأطراف جميعاً. وسنتناول هنا وضع المؤلف وعلاقة ظروفه ومهنته وطبقته بالإنتاج الأدبي الذي يقدمه، والمؤلف هو الطرف الأهم في دراسة علاقة الأدب بالمجتمع:

أ- الوضع الاقتصادي:

إن دراسة الوضع الاقتصادي للأديب مشكلة بالغة الأهمية، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن للاعتبارات المادية تأثيرها في الإنتاج الأدبي، فالأديب إنسان قبل كل شيء، ومشكلة الأديب الاقتصادية مشكلة قديمة، ويشهد على ذلك العبارات التي جرت مجرى الأمثال، كما يقال: (فلان ضيعه الأدب)، أي لم يحترف حرفة يرتزق منها، وظن أنه يستطيع العيش من مداد قلمه فضاع. وغيرها من الأمثال، وهناك مثل فرنسي يقول: (الأدب ليس قادراً على أن يطعم الأديب».

يمكننا التعرف إلى أوضاع المؤلف الاقتصادية بالاعتماد على المؤشرات الموضوعية التي يمكن تقديرها بدقة مثل عقود النشر التي يبرمها مع دور النشر، وكشف حساباته مع الناشرين، ومذكراته الخاصة التي يتعرض فيها لظروفه المالية.

وبنظر البعض لا تعيننا المستويات المعيشية للمؤلفين في حد ذاتها، وإنما في علاقتها بالأعمال الأدبية ودلالاتها في فهم الموضوع، فلا شك أن الظروف الاقتصادية تتدخل أحياناً في نشأة عمل أدبي ما أو في تحديد مصيره، فعلى الباحث في علم الاجتماع الأدبي أن يحدد عن طريق بحوثه الصور المختلفة التي يتم بها تأثير الظروف الاقتصادية في الأعمال الأدبية. فبهذا الطريق نستطيع اكتشاف العلاقات المتشابكة بين المطالب اليومية لحياة الأديب وضروب الإنتاج الأدبي للأديب. وقد يكشف عن هذه العلاقات - على سبيل المثال - تحديد أبعاد مشكلة الاستكتاب، والاستكتاب يعني أن تطلب جهة ما (مؤسسة، جريدة..) من مؤلف ما أن يكتب لها في موضوع معين بشروط محددة، وليس من الضروري أن يكون للاستكتاب آثار ضارة في نوعية الأعمال التي ينتجها المؤلف، فهناك روائع أدبية في تاريخ الأدب العالمي كتبت نتيجة لاستكتاب المؤلفين (راسين - دوستوفيسكي).

وقد يندفع المؤلف من تلقاء نفسه وبغير تكليف من أحد فيلبي بطريقة شعورية أو لا شعورية ما يحس أنه مطلوب منه: كأن يساير ما هو شائع فيكتب أعمالاً على غرارها، كأن تسود كتابة الرواية في فترة ما، فيندفع المؤلف الموهوب في كتابة المقال لكتابة رواية تحت هذا التأثير. وقد يخضع المؤلف لتأثير النجاح، فإذا ما نجح له عمل من نوع معين يدفعه لتكرار أعماله من نفس النوع؛ سعياً للحصول على نفس النجاح. ويلقي إسكرابيه أضواء جديدة على صلة الأوضاع الاقتصادية للمؤلفين بنوعية أعمالهم الأدبية، فهو يناقشها تحت عنوان: (مشكلة التمويل) (تمويل المؤلف، وتمويل النشر). وتتمثل صورة

الرعاية في أن يتكفل شخص أو مؤسسة بحماية المؤلف وإعالتة، وفي مقابل ذلك يقدم المؤلف لهذا الشخص أو لهذه المؤسسة مقابلاً ثقافياً لقاء ذلك يتمثل في إنتاجه الأدبي. إن نظام الرعاية نما وتطور حول بلاط الأمراء والملوك والباباوات، ويرى إسكارييه أن نظام التفرغ الموجود في بعض الدول، والذي بمقتضاه تمنح المؤلفين منحاً تكفل لهم الإنتاج بشروط خاصة هو امتداد لهذا النظام، وفي العصر الحديث يتخذ هذا النظام صوراً خاصة، مثل تخصيص وظائف رسمية ثابتة يشغلها المؤلفون، مثل وظيفة (الشاعر الملكي) في إنكلترا و(مؤرخ الملك) في فرنسا. ونشأ على هامش نظام الرعاية ما يمكن أن يطلق عليه الرعاية غير المباشرة، ويقوم على شراء الحكومة كميات هائلة من كتب مؤلف معين، لكي تزود بها المكتبات العامة وأجهزة الدعاية الخاصة بها، وهذا من شأنه أن يعود بأرباح ضخمة على المؤلف، ومن الأساليب الشائعة نظام الجوائز الأدبية، التي تكون قيمتها المادية كبيرة جداً.

ويرى إسكارييه أنه ليس من العدل تجريح نظام الرعاية في صورته الحديثة (الجوائز الأدبية) وهذا النظام قد كفل للكاتب أن يتكامل مع الدورة الاقتصادية، التي لم يكن له فيها مكان، ومن ثم أتاح للمؤلف أن يعيش وينتج، ولعل عدداً من الآثار الأدبية الرائعة تعد من ثمرات هذا النظام. إلا أن نظام الرعاية بالرغم من الخدمات التي قدمها للأدب تاريخياً لم يعد اليوم يتفق مع الأخلاقيات الاجتماعية لعصرنا، ولا يمكن عدّه نظاماً سليماً.

ب- الوضع المهني :

من المعروف أن قلة من المؤلفين تعيش من نتاج أعمالها الأدبية، وقد جرت بحوث إحصائية لتحديد المهن التي يمتنعها الأدباء وأنواعها... وتعد المهنة الثانية (كما سماها طه حسين) لأديب صورة من صور التمويل الذاتي. وإذا كانت الصورة النموذجية للتمويل

الذاتي تتمثل في تعويل الأديب في معيشتة على ثروته الشخصية، فإن هذه الصور اندثرت في كثير من البلدان. وتنتمي في الغالب الأعم إلى نمط محدد هو المهن الحرة أو الوظائف الإدارية، حيث إن المهنة التي يمتنها المؤلف لا بد أن تسمح له ببعض الفراغ من ناحية، ولا تتطلب منه القيام بمجهودات خارقة لكي يحقق التكيف الشاق مع المتطلبات المادية والأدبية التي يتطلبها العمل الأدبي من ناحية أخرى، وقد يفسر بندرة المؤلفين الذين ينتمون إلى فئة العمال اليدويين أو الفلاحين. ومن هنا يمكن أن توجه نقداً للحل الذي يتمثل في المهنة الثانية، والذي يقصرها على فئة اجتماعية واحدة يستطيع أفرادها أن يمارسوا مهناً حرة أو أن يشغلوا وظائف إدارية.

ومن هنا يخلص إسكارييه إلى أن حل الرعاية مقبول، إلا أنه محدود الأثر، ويتوجب على المجتمع البحث عن صور أخرى تحل محل نظام الرعاية من شأنها حل مشكلة تكامل الأدب مع نظام الرعاية الاجتماعي السائد.

ج- الطبقة الاجتماعية للمؤلف:

ينبغي النظر إلى الظروف الاقتصادية للمؤلف من خلال انتماء هذا المؤلف إلى طبقة اجتماعية أو إلى جماعة اجتماعية كاملة، وهذا الانتماء يتسم بأنه أكثر تركيباً وشمولية من مجرد تحديد وضعه الاقتصادي أو المهني. ويجب التمييز بين نوعين من الانتماء هما: الانتماء الاجتماعي - الاقتصادي والانتماء الإيديولوجي. فالانتماء الاقتصادي والاجتماعي يمكن دراسته من خلال الاعتماد على الوضع الاقتصادي والمهني.

وهناك علاقة وطيدة بين الوسيلة التي يتعيش منها الكاتب والطبقات الاجتماعية في المجتمع، وكما ذكرنا أن الأدب لا يستطيع بمفرده أن يكفل الحياة للمؤلف، مما يدفعه لحل المهنة الثانية التي من شروطها أن تكون مجزية، وألا تكون تستوعب تماماً كل نشاط المؤلف، أي أن هذه المهنة لا بد أن تكون مميزة. ويرى ميمي أن الكاتب يتمنى بوجه عام

أن يعيش كما لو كان ينتمي إلى طبقة مهيمنة أو إلى طبقة في سبيلها إلى أن تكون طبقة مهيمنة، أما عن الانتماء الإيديولوجي للكاتب فهل يعبر الكاتب دائماً عن طبقة اجتماعية؟ وكيف؟

إن التعبير عن قيم طبقة ما كثيراً ما يحدث بصورة واضحة، حيث يمكن أن نشير إلى دراسة لوسيان غولدمان، والتي عنوانها (الإله المختفي) والتي حلل فيها أعمال راسين وباسكال كاشفاً عن المضامين السياسية المبثوثة في ثنايا أعمالهما الأدبية.

يمكن القول إن تعبير الكاتب عن قيم طبقة ما يتم بطريقة شبه آلية، وإن الكاتب المنحدرين من أصل برجوازي يعبرون عن القيم البرجوازية ويدافعون عنها، إلا أن ذلك لا يحدث دائماً، فهناك حالات لكاتب برجوازيين رفضوا القيم البرجوازية بمنتهى العنف. ومثل هذه الحالات تحدث كثيراً بأن يكون هؤلاء الكتاب ييشرون بطبقة جديدة ليست في السلطة حقاً، ولكنهم يأملون أن تصل للسلطة لكي تسود قيمها، وهذا ما يمكن أن يسمى أحياناً (الخيانة الطبقية) كالمؤلف الذي ينتمي إلى الطبقة الرأسمالية، ولكنه يرفض القيم التي تتبناها ويتبنى قيم الطبقة العاملة. (تماماً كما فعل أنجلز).

إضافة إلى ما سبق نجد بعض الكتاب يعبرون عن مشاعر مشتركة لطبقات أو جماعات متعددة فلا يظهر أنهم ينتمون كلية إلى طبقة معينة.

5- منهج علم الاجتماع الأدبي :

ينطلق علم الاجتماع البنوي التكويني من مقدمات أهمها:

أ- العلاقة الجوهرية بين الحياة الاجتماعية والإبداع الأدبي لا تهم مضمون هذين القطاعين في الواقع البشري، ولكنها تهم البنى الذهنية فقط وهي ما يمكن

تسميته بالمقولات التي تنظم في وقت واحد الوعي التحريبي لفئة اجتماعية معينة، والكون التخيلي الذي يبدعه الكاتب.

ب- تجربة الفرد الواحد هي تجربة أكثر إيجازاً من أن تقدر على إنشاء بنية ذهنية، التي لا يمكن أن تنتج إلا عن طريق نشاط مشترك لعدد من الأفراد الموجودين في وضعية متماثلة.

ج- العلاقة المشار إليها بين بنية الوعي الخاصة بفئة اجتماعية ما، والبنية التي تنظم العمل الأدبي تكون في أكثر الأحيان ملائمة للباحث؛ لأنها تشكل علاقة ذات دلالة.

د- إذا انطلقنا من هذا المنظور يصبح بإمكاننا أن ندرس قمم الإبداع الأدبي، واكتشاف أن علم الاجتماع الأدبي هو ما يمنح العمل الأدبي وحدته.

هـ- البنى التي تنظم الوعي الاجتماعي الجمعي، والتي يتم نقلها إلى الكون التخيلي للمبدع ليست واعية وليست لا واعية بالمعنى الفردي للكلمة، ذلك المعنى الذي يفترض سيورورات غير واعية مماثلة في بعض الجوانب لتلك التي تنظم عمل البنى الفعلية أو العصبية، وتحدد الطابع الخاص لحركاتنا وإيماءاتنا، دون أن تكون سبب ذلك لا مكتوبة ولا غير واعية، وهذا يعني بخصوص علم الاجتماع الأدبي أنه على الباحث ليفهم العمل الذي هو بصدده: أن يهتم أولاً بالبحث عن البنية التي تكاد تشمل كلية النص، وثانياً أن يحيط بمجمل النص ولا يضيف إليه شيئاً. إن هذه الطريقة في طرح المسألة تتبع عدداً كبيراً من النتائج التي تعدل بعمق المناهج التقليدية في دراسة الوقائع الاجتماعية، ولا سيما الأدبية، ولهذا فإن علم الاجتماع الأدبي، والنقد بوجه عام، يعامل النوايا الواعية للكاتب على أنها مجرد علاقة بين علاقات عديدة أخرى، وأنها نوع من التأمل في العمل الأدبي، وعدم المبالغة في تقدير أهمية الفرد عند القيام بالتفسير، الذي هو قبل كل شيء

البحث عن الذات الفردية أو الجماعية، التي اتخذت البنية الذهنية المنتظمة للعمل الأدبي بفضلها طابعاً وظيفياً وذا دلالة.

فالعمل الأدبي يمتلك دائماً وظيفة فردية ذات دلالة، لكاتبه، إلا أن الوظيفة هنا غير مرتبطة أغلب الأحيان، أو مرتبطة قليلاً جداً بالبنية الذهنية التي تنظم الطابع الأدبي الخالص. ثم هي لا تنشئها مطلقاً على أية حال. (غولدمان، 1981، 11).

:

إن الميادين المتخصصة التي انفصلت عن علم الاجتماع العام، وتطورت بشكل متزايد ومعقد حول مختلف قضايا الإنسان الحياتية والاجتماعية، هي كثيرة جداً وغير متوقفة أي أن الأيام تظهر باستمرار تطور ميادين جديدة تعبر عن اتساع المعرفة وتناميها. لقد تناولنا في هذا الفصل بعض هذه الميادين التي أصبحت علوماً متجذرة في علم الاجتماع، وهي علوم تتصل بالحياة ومجالاتها، ما دامت تتصل بالحياة المجتمعية في البداوة والريف والحضر... وترتبط بمجالات التربية وغاياتها في الوطن العربي، ثم علاقة الأسرة بالمجتمع، وعلاقة الدين بالمجتمع، وعلاقة الطب بحياتنا...

إشراف اجتماعي، Social supervision : إشراف على الحدث بناء على الحكم الصادر بذلك من المحكمة. ويقتضي هذا الإجراء نوعاً من الرقابة لا يرفع إلا حينما تثبت المحكمة من أن الحدث قد أصبح سلوكه مقبولاً.

إصلاح اجتماعي، Social reform : حركة عامة تحاول القضاء على المساوئ الناشئة من اختلال وظائف النسق الاجتماعي أو بعض جوانبه. ويسعى الإصلاح الاجتماعي عادة لتذويب الفوارق بين الطبقات، ولتكافؤ الفرص والمساواة أمام القانون والعدالة الاجتماعية وتمتع الأفراد بالحريات الأساسية.

إعادة البناء الاجتماعي، Social reconstruction : المقصود من ذلك إعادة تنظيم المجتمع كله أو بعض نواحيه.

بحث اجتماعي، Social research : اعتماد أسلوب علمي في دراسة المجتمع وما يتضمنه من ظواهر وما يحدث فيه من مشكلات، ويفيد البحث الاجتماعي خاصة في تشخيص المشكلات الاجتماعية ومعالجتها والوقاية منها، كما يعين استخدام نتائج البحث في رسم الخطط الاجتماعية وسن التشريعات الاجتماعية.

بيئة اجتماعية، Social Environment : هي المجتمع بوصفه مجالاً لوجوه نشاط الأفراد، كذلك مجموع النظم والأشكال والعادات والأنماط والعمليات الاجتماعية التي تؤثر في الأفراد وتطبعهم بطابعها، كالمهنة والسكن والحالة الاقتصادية والحالة الصحية والتعليم، وهذه كلها أمور متشابكة ومتداخلة.

تاريخ اجتماعي، Social History : تاريخ اجتماعي للعميل في فن خدمة الفرد، وهو تقرير شامل لمختلف الأحداث التي مرت به، وذلك لتيسير العلاج الذي يلي الدراسة.

تأمين اجتماعي، Social Insurance : نظام يقصد الاحتراز من نتائج الأخطار الاجتماعية التي يتعرض لها من لا يمكنهم مواجهة هذه الأخطار بمفردهم لضعف إمكانياتهم المالية. وهذه المخاطر على نوعين: مخاطر ذات علاقة بالعمل، كإصابات العمل وأمراض المهنة والبطالة، مخاطر عامة مشتركة بين العمال وغيرهم، كالمرض والشيخوخة والعجز والوفاة.

التحضر، Urbanization : أ- تحول منطقة ريفية إلى حضرية بسبب ازدياد سكانها واعتمادها على الصناعة، ويؤثر ذلك في التركيب الاقتصادي للسكان، وقد يتضمن تغيرات أساسية في تفكيرهم وسلوكهم وقيمهم واتجاهاتهم. ب- زيادة عدد سكان المدن بسبب تفاقم الهجرة الريفية إليها، ويسبب هذا التفاقم مشكلات اجتماعية وصحية واقتصادية متعددة.

التخطيط الاجتماعي، Social Planning : وضع خطط متعلقة بالموارد والمؤسسات الاجتماعية لتلبية حاجات المجتمع ولتطوره ونمائه، كما يتضمن تنظيم العلاقات الإنسانية بين أفرادها.

التخطيط القومي، National Planning : يقوم التخطيط القومي: على أساس دراسة كاملة شاملة لحاجات المجتمع المختلفة، ووضع الخطط التي تكفل الاستخدام الأمثل الكامل لمختلف الموارد والإمكانيات في المجتمع من أجل تأمين هذه الحاجات.

التراتب الاجتماعي - Social stratification : يستخدم هذا المصطلح في علم الاجتماع عموماً للإشارة إلى دراسة ظاهرة اللامساواة الاجتماعية المنظمة (المؤسسة)، أي الدراسات التي تتناول أي نوع من عدم المساواة المؤسسي بين الجماعات، والتي تنشأ نتيجةً غير مقصودة للعمليات والعلاقات الاجتماعية.

تشريع اجتماعي، Social Legislation : أحكام مقننة تصدرها السلطة التشريعية بهدف تقرير حقوق الأفراد الاجتماعية، من تعليم وصحة وعمل، كما يهتم التشريع الاجتماعي بالسعي لتحقيق المساواة بين الأفراد في هذه الحقوق، وتقريب الفروق التي بين مختلف الطبقات.

التصورات الجمعية - Collective representations : يشير هذا المصطلح ببساطة إلى الأفكار التي لا يمكن اختزالها إلى مكونات فردية، وتحتل التصورات الجمعية مكانة محورية في سعي دوركهائم عن مصادر التضامن وهو يرى في كتابه (الأشكال الأولية للحياة الدينية) الذي صدر 1912م أن هذه التصورات تظهر من خلال التفاعل الكثيف للشعائر الدينية، لأنها أكثر غنى وثراء من الأنشطة الفردية، فنجدتها تكتسب وجوداً مستقلاً عن الجماعة التي ظهرت فيها.

تغير اجتماعي، Social Change : كل تحول في التنظيم الاجتماعي، سواء في بنيته أم في وظائفه، خلال فترة زمنية معينة. والتغير الاجتماعي على هذا النحو يطلق على كل تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي أو في نظمه الاجتماعية أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد، والتي تحدد مكانتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها.

التفكك الاجتماعي، Social Disorganization : قلة كفاية النسق الاجتماعي أو إخفاقه في تحديد مراكز الأفراد وأدوارهم التي ينبغي أن تكون مترابطة ومنسجمة بشكل يؤدي إلى بلوغهم أهدافهم بصورة مرضية، كما يعني اختلال التنسيق بين الوحدات التي يتكون منها المجتمع بحيث يحول ذلك بينه وبين تحقيق وظائفه وضمان استمراره وبقائه.

التكيف الاجتماعي، Adaptation : تغير سلوك الفرد كي يتفق مع غيره من الأفراد، وخاصة باتباع التقاليد والخضوع للالتزامات الاجتماعية.

التماسك الاجتماعي، Cohesion : المقصود بالتماسك من الناحية الاجتماعية زيادة العلاقات الموجبة التي تدور في المحيط الداخلي للجماعة، فكلما ازدادت هذه العلاقات ازداد تماسك الجماعة، وكلما تشتتت هذه العلاقة واتجهت نحو الجماعة الخارجية ضعف التماسك الداخلي.

التنشئة الاجتماعية Socialization : هي العملية التي يتم بها نقل الأدوار والقيم والمهارات والمعلومات والمعايير الثقافية إلى الفرد عضو المجتمع، وهي إعداد الفرد منذ ولادته لأن يكون كائناً اجتماعياً وعضواً في مجتمع معين، وقد يستخدم اللفظ بمعنى قريب من التربية أو من تكوين الشخصية، واستخدم علماء الاجتماع هذا المصطلح لوصف العملية التي يتعلم فيها الانسجام مع المعايير الاجتماعية.

تنظيم اجتماعي، Social Organization : نمط مستقل نسبياً، ولكنه متطور من العلاقات الاجتماعية ووجوه النشاط المختلفة، يقوم على أنساق من الأدوار الاجتماعية والمعايير والمفاهيم المشتركة، كما يعتمد اتساق فئات اجتماعية تستند إلى الفرق في الأعمار والذكورة والأنوثة والقرابة ونوع العمل ونواحي السكن وطرز الملكية والمكانة الاجتماعية، وغير ذلك... والهدف إقامة حياة كريمة لأفراده.

النمية الاقتصادية، Economic Development : عملية تستخدم الدولة مواردها المتاحة بموجبها لتحقيق معدل سريع للتوسع الاقتصادي يؤدي إلى زيادة مطردة في دخلها القومي وفي نصيب الفرد من السلع والخدمات، وذلك عن طريق توافر رؤوس الأموال والخبرة الفنية والتكنولوجية والتغلب على المعوقات الاقتصادية.

التوازن الاجتماعي Social Equilibrium : يشير هذا المصطلح إلى حالة الانسجام التي يحققها النسق أي أنه في حالة سوية (تكيف من الانسجام الداخلي مع البيئة الخارجية) فكل تغيير يحدث في جزء من النسق لابد أن تتبعه تغيرات توافقية في الأجزاء الأخرى لتحقيق التكامل.

الثقافة، Culture : نقصد بالثقافة، هذا الكل المعقد الذي يشمل المعارف والمعتقدات والفنون والقواعد الأخلاقية والقوانين والعادات، وغيرها من المهارات والقدرات التي يكتسبها الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه، وبعبارة أخرى: الثقافة هي المجموع الكلي لطرق التفكير والتنفيذ في الماضي والحاضر لجماعة من الجماعات، وهي مكتسبة أي متعلمة، تنقلها الجماعة للأبناء والأحفاد كما يتناقلها الآباء عن الأجداد، وهي من صنع الجماعة نفسها فهي الميراث الاجتماعي الذي يولد الطفل عليه وينشأ فيه ويتعلمه. ولكل ثقافة من الثقافات طابعها الخاص الذي يميزها عن غيرها من الثقافات، وتحاول كل ثقافة طبع أفرادها بطابعها، ولذلك ينشأ أفراد الثقافة الواحدة ولهم طابع مشترك يميزهم عن غيرهم من أفراد الثقافات الأخرى. ويؤدي تشرب هذا الطابع إلى وحدة الميول والاتجاهات النفسية بل التفكير والعمل، وهذا ما يدفع أبناء الوطن الواحد إلى إكبار كل ما يمت إلى وطنهم وثقافتهم بصلة وانتقاد ما عداه. وليس أدل على وجود الطابع المشترك من السهولة التي يتعرف بها الغريب في ثقافة غريبة إلى أبناء

جلدته، وتميزهم من غيرهم لا من ملامحهم الجسمانية فقط، ولكن من مظاهر عامة في سلوكهم، كنغمة الصوت وطريقة الكلام والضحك أو المشي أو رد التحية. وعلى الرغم من وجود التشابه بين أفراد الثقافة الواحدة بحكم النشأة المشتركة فيها، فإننا نجد اختلافات بين الأفراد في نفس الثقافة الواحدة، مثل هذه الاختلافات الإقليمية الجغرافية، كالاختلافات الموجودة بين أبناء الوجه البحري والصحراوي، والاختلافات بين أهل الريف وأهل الحضر. كما توجد اختلافات تحتها الطبقة الاجتماعية، فقد يختلف أبناء الطبقة الدنيا عن أبناء الطبقة الوسطى في سلوكهم بحكم النشأة في ثقافة طبقتين مختلفتين. والأسرة هي الوحدة الاجتماعية في كل ثقافة، وهي المسؤولة عن إعداد ثقافة الطفل حتى يتمكن من الحياة فيها، فهي التي تنقل إليه الآراء والأفكار والمعتقدات والقيم والعادات السائدة في ثقافته. وكل أسرة تختار من بين ما هو سائد في ثقافتها ما تنقله إلى أطفالها وما لا تنقله، كما أنها تفسر لهم ما تنقله من وجهة نظرها الخاصة، ولذا نجد أن أطفال الثقافة الواحدة يختلفون فيما بينهم، فالثقافة تشكل وتبلور الأطفال، مما يوجب التشابه بينهم ويجعل لهم طابعاً خاصاً مميزاً.

الثورة الاجتماعية Social Revolution: هي تبدل جذري في حياة المجتمع، ففي الأدبيات الماركسية يدل هذا اللفظ على استبدال تشكيلة اجتماعية-اقتصادية بأخرى أرفع مستوى، ومن ألوانها: الثورة البرجوازية والاشتراكية، ويتطلب قيامها توافر الوضع الثوري.

الحاجز الاجتماعي Social Barrier: يتمثل في مجموعة القيم والأعراف والتشريعات وغيرها من الأمور التي تعوق المرء عن الانضمام إلى طبقة أو فئة اجتماعية أو امتهان حرفة معينة، وما إلى ذلك.

الحراك الاجتماعي، Social Mobility : انتقال الأفراد من مركز اجتماعي إلى آخر، أو من هيئة اجتماعية إلى أخرى، وقد يكون الحراك بمعنى الانتقال الأفقي من وضع اجتماعي أو عمل اجتماعي إلى آخر مساوٍ له، أو رأسياً مثل الانتقال من الطبقة الدنيا إلى الطبقة الوسطى.

الحركة الاجتماعية: Social Movement: يغطي هذا المصطلح أشكالاً متعددة من الفعل الجمعي ضمن التنظيمات الاجتماعية، ولم تصل الحركات الاجتماعية بشكل عام إلى مرحلة التأسيس العالي، بل تظهر تلقائياً من المعارضة الاجتماعية بشكل مباشر لمظالم محددة أو ضيم معين. وتعني أيضاً جهوداً منظمة يبذلها عدد من الناس المؤثرين تهدف إلى تغيير (أو مقاومة التغيير) جانب أساسي أو أكثر في المجتمع، وأول من استخدم هذا المفهوم سان سيمون في فرنسا أواخر القرن الثامن عشر لوصف حركات التمرد الاجتماعي، والتي مثلت قوى سياسية معارضة للوضع القائم، والحركة الاجتماعية تكون هادفة، على عكس السلوك الجمعي الذي لا يكون له هدف. وتعد الحركة الاجتماعية نشاطاً موحداً ومنظماً لطبقة أو فئة اجتماعية واسعة ذات طابع اجتماعي سياسي على الأغلب.

حقوق اجتماعية، Social rights : تتمثل في حقوق المواطنين جميعاً في التعليم والرعاية الصحية والعمل والتأمينات الاجتماعية والعدالة الاجتماعية الشاملة.

خدمات الرعاية الاجتماعية، Social Welfare Services : هدف هذه الخدمات أن تتيح للأفراد والأسر: الفرص التي أوجدها المجتمع لتحقيق حاجاتهم الضرورية، بالتأكيد على ضمان الحد الأدنى من الحاجات الاجتماعية والمادية لدى الفئات الضعيفة كالأطفال والمعوقين والمهاجرين والجانحين، وكذلك

الأشخاص الذين يعيشون في مناطق محررة سواء كانت متخلفة أم تأثرت بالحروب أو بالكوارث، وكذلك الأشخاص الذين لا يتمكنون من إعالة أنفسهم اقتصادياً... وهي على نوعين: خدمات الرعاية الاجتماعية العامة التي تقوم بها الدولة، وخدمات اجتماعية تقوم بها الجمعيات الأهلية والخاصة.

الخلل الوظيفي Dysfunction: خلل في عمل عضوية أو منظومة، وفي السوسيولوجيا يستخدم اللفظ لوصف الظاهرة التي تقوض أسس استقرار أو بقاء منظومة تشكل هذه الظاهرة جزءاً منها.

دفاع اجتماعي، Social Defense: جهود تبذل لحماية أعضاء المجتمع من المجرمين ومن خطر الوقوع في الجريمة، وذلك باعتماد مختلف الوسائل للإقلال من ظاهرة الإجرام، ويعتمد المجتمع بذلك على سيادة القانون وعلى أجهزة الشرطة الرادعة.

دور اجتماعي، Social Role: سلوك متوقع من الفرد في الجماعة، وهو الجانب الحركي لمركز الفرد، فبينما يشير المركز إلى مكانة الفرد في الجماعة فإن الدور يشير إلى نموذج السلوك الذي يتطلبه المركز، ويتحدد سلوك الفرد في ضوء توقعاته وتوقعات الآخرين منه، وهذه تتأثر بفهم الفرد والآخرين للحقوق والواجبات المرتبطة بمراكزهم الاجتماعية، ثم إن حدود الأدوار تتضمن تلك الأفعال التي تتناقلها الجماعة في ضوء مستويات السلوك في الثقافة السائدة، وعادة ما يكون للفرد المتمدن عدة أدوار داخل النظام المجتمعي الذي ينتمي إليه، فهو الأب والابن والمدرس وعضو نادي ما.. ويترتب على كل دور اجتماعي حقوق وواجبات وسلوكيات معينة.

الدورة التاريخية Historical Cycle: نظرية الدورة التاريخية تقول إن المجتمع كله أو بعض ميادينه (الحياة السياسية- الثقافية...) يتطور وفقاً لحلقة مغلقة،

فيعود دوماً إلى نقطة الانطلاق بعد طور الصعود وطور الانحدار، ومن أبرز زعمائها فيكو- نيتشه شينغلر- سوروكين- الداروينية الاجتماعية. وبحسب معجم علم الاجتماع المعاصر هذه النظرية ليس لها علاقة بتشارلز داروين ذاته، لقد ساد هذا الاتجاه الولايات المتحدة الأمريكية، وأخذ عدة أشكال فهناك قوى خفية لا يمكن مقاومتها في المجتمعات مثل القوى الموجودة بالطبيعة، وتعمل في المجتمعات النباتية والحيوانية، ويمكن للفرد أن يكون قوانين اجتماعية مشابهة للقوانين الطبيعية. وتعمل هذه القوى على إنتاج تقدم متطور من خلال صراعات طبيعية بين الجماعات الاجتماعية؛ إذ تكون أفضل الجماعات الاجتماعية متكيفة. إلا أن هذا المصطلح يشير إلى تفسير العلاقات الاجتماعية بأن تطبق على الشؤون الإنسانية مبادئ تشارلز داروين التي جاءت في أعماله من أجل تطور الأنواع بوساطة الانتخاب الطبيعي أو حفظ السلالات المفضلة في الصراع من أجل الحياة، والذي ظهر عام 1859م، والعنصر الرئيسي في أعماله هو فكرة التغير الذي ينتقل عن طريق الوراثة التي هي موضوع عملية الانتخاب، وقد وصفت هذه العملية بالبقاء للأصلح. وهذا المصطلح يعني الإيمان بنظرية التطور عن طريق الانتخاب الطبيعي، التي يرجع الفضل الأول في تطورها إلى كل من تشارلز داروين وألفرد والاس. وتفترض الطبيعة الأساسية لهذه النظرية أنه كلما كانت أعداد سكان مجتمع معين مستقرة - مع أن عملية التكاثر تتم بمعدل أعلى من معدل الإحلال- فإن ذلك يعني أن هناك آلية انتقائية منظمة، وهذه الآلية تسمى (الانتخاب الطبيعي).

الراديكالية، Radicalism: صفة للأفكار الرامية إلى التغير الثوري الجذري السريع لنظام اجتماعي قائم، والفلسفة الراديكالية فلسفة إصلاحية، دعاها من المنادين بالتغير الجذري، والراديكاليون ليبراليون يعارضون الطبقة وامتيازات

أصحاب رأس المال وكبار الصناعيين وأصحاب الألقاب، وكانوا دائماً في طليعة البرجوازية الليبرالية. والراديكالية قد تكون يسارية أو يمينية (كما في الحركات الفاشية النمط).

الرأي العام، Public Opinion : وجهات النظر والشعور السائد بين جمهور معين في وقت معين إزاء موقف أو مشكلة معينة، ويتخذ الرأي العام شكله من المجتمع الذي ينبع منه، ويتأثر بما يحدث فيه من تفاعلات، وبوسائل الإعلام وقادة الرأي.

سياسة اجتماعية، Social Policy : تفكير منظم يعبر عن أهداف المجتمع البعيدة، ويوجه مجالات التخطيط والبرامج الاجتماعية، ويحدد الاتجاهات العامة لتنظيمها وأدائها.

الصحة الاجتماعية، Social Hygiene : وسائل تستعمل لحفظ صحة المجتمع، ولاسيما رقابة البغاء ومكافحة الأمراض التناسلية.

عادات، Customs : هي أنماط السلوك الجمعي التي تنتقل من جيل إلى جيل، وتستمر فترة طويلة حتى تثبت وتستقر وتصل إلى درجة اعتراف الأجيال المتعاقبة بها، وفي بعض الأحيان نجد أن العادة تقوم مقام القانون في المجتمع. ويفرق بعض العلماء بين العادة والتقليد على أساس أن العادة تتعلق بالسلوك الخاص، وأن التقليد يتعلق بسلوك المجتمع فالاحتفال بأعياد الزواج والميلاد الخاصة تعد من العادات، أما الاحتفال بميلاد نبي أو زعيم فيعد من التقاليد.

العبودية Slavery : هي مؤسسة تم تحديدها على أنها شكل من أشكال الملكية، ويقوم نظام الرق على خضوع العبد لسيده، وقد ظهر في مصر وبابل،

وبلغ أوج ازدهاره في اليونان من 5-4 ق.م وروما 2 ق.م ثم أخلى مكانه للإقطاع.

عدالة اجتماعية، Social Justice : حصول الناس في المجتمع على فرص متساوية فعلية لكي ينمو ويتعلم كل منهم أقصى ما تتيحه له قدراته ومواهبه.

عدم الاستقرار الاجتماعي، Social Instability : حالة من عدم التوازن بين مختلف وحدات المجتمع، كفقد التكيف، وقلة التوافق بين هذه الوحدات، فينشأ من ذلك نزاع وصراع يصحبهما كفاح للحصول على المركز والسلطة.

عدم التناقض Non- Consistency : التماسك، الاتساق: خلو القول أو المحاكمة أو النظرية من التناقض، وفي الأنساق الأكسيومية والصورية عامة يميز بين نوعين: بنيوي ودلالي، فيدل البنيوي على أنه من الممتنع في النسق استنتاج صيغة ما ونقيضها معاً، ويكون النسق غير متناقض دلالياً إذا كان له ولو شكل واحد، أي جملة موضوعات يعكسها هذا النسق.

عدم المساواة الاجتماعية، Social inequality : هي حالة التفاوت الناشئة عن الاختلافات الفردية في النوع والسن والذكاء والتدرج الطبقي الاقتصادي والاجتماعي. ويقصد بعدم المساواة الاجتماعية في بعض المجتمعات الفروق في النفوذ الاجتماعي، وهي قائمة على الفروق في أصول الأسر والتقاليد الاجتماعية والثروة والدخل والأثر السياسي والتعليم والآداب الاجتماعية وآداب السلوك في المجتمع المتجانس.

علاج اجتماعي خارجي، Social External Treatment : علاج الأحداث الجانحين داخل أسرهم دون اضطراب الدولة إلى إيداعهم منشآت الإيواء.

علاج اجتماعي، Social treatment : يقصد بالعلاج الاجتماعي في خدمة الفرد معاونة العميل على تحسين دوره في المجتمع بطريق العلاقات المهنية، وذلك بالتأثير في شخصيته وتدعيم مقدرته على القيام بوظائفه الاجتماعية، وتعديل آثار البيئة واستغلال مواردها.

العلاقات الإنتاجية Productive Relation: جملة العلاقات الاقتصادية المادية التي تنشأ بين الناس في عملية الإنتاج الاجتماعي وفي مسيرة المنتج الاجتماعي بدءاً من الإنتاج وانتهاء بالاستهلاك، وتقوم في صلبها علاقات الملكية التي تحدد كيفية توزيع وسائل الإنتاج والناس أيضاً.

علم اجتماع العائلة Sociology of Family: دراسة العائلة (الأسرة) والزواج والعلاقات الزوجية تشكلها وتطورها وتأديتها لوظائفها في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الملموسة (الحاجة الاجتماعية إلى مؤسسة العائلة، وأهداف هذه المؤسسة ووظائفها، وآراء المجتمع والفرد، ومعاييرها وجزائها، والأدوار الأساسية للأفراد في العائلة) ويعمل علم الاجتماع العائلي على إدخال منظور دورة الحياة في اعتباره، موضحاً كيف تختلف الأسر عبر مراحل تطورها المختلفة منذ مرحلة الزواج المبكرة ووصولاً إلى سن الشيخوخة.

علم اجتماع العمل Sociology of Work: يرتبط علم اجتماع العمل بكتابات بعض علماء الاجتماع الفرنسيين، الذين قدموا في ذلك الوقت نقداً مفيداً لاتجاه دراسة المصنع، ويهتم بالعمل بوصفه ظاهرة اجتماعية، ويدرس العوامل الاجتماعية التي تسهم في زيادة إنتاجية العمل وفعاليته، وتأثير الظروف التكنيكية- التكنولوجية والاجتماعية في الموقف من العمل والأدوار الاجتماعية الناجمة عن تقسيم العمل.

علم اجتماع اللغة Sociology of Language: دراسة الأبعاد الاجتماعية للغة، وانعكاس الفوارق الاجتماعية والطبقية والمهنية فيها، وانعكاس العوامل الاجتماعية في التغيرات التي تحدث فيها، والوظائف الاجتماعية للغة، ودورها في الضبط الاجتماعي والاتصال الجماهيري، وتمايز اللغات (اللهجات) تبعاً للتمايز الاجتماعي.

علم اجتماع المعرفة Knowledge Sociology: يهتم بعلاقة المعرفة بأساسها الاجتماعي، ويشغل بقضايا الطبيعة الاجتماعية والتاريخية للمعرفة، والجوانب الاجتماعية لإنتاج الأنماط المختلفة من المعارف واستخدامها، سواء على نطاق المجتمع كله أم على مستوى الطبقات والفئات والتنظيمات الاجتماعية، ومن المؤلفات في هذا المجال كتاب كارل مانهايم (الإيديولوجيا واليوتوبيا) 1936.

علم الاجتماع التاريخي Historical Sociology: تيار في السوسيولوجيا الغربية المعاصرة، يهدف إلى دراسة المسيرة التاريخية للمجتمعات والنظم الاجتماعية، وإلى وضع النظريات السوسيولوجية للتطور التاريخي وصياغة الطرق السوسيولوجية في بحث المعطيات التاريخية التي مر عليها خمسون سنة أو أكثر، سواء كانت أولية (كالوثائق الأصلية في الأرشيفات) أم ثانوية (كالتاريخ المكتوب الذي ينتجه المؤرخون أنفسهم) من أعلامه: بيكر، بيندكس.

علم الاجتماع التجريبي Empirical Sociology: جملة الأبحاث التطبيقية في إطار الدراسة السوسيولوجية للمدينة والريف والشببية والمسنين والتعليم والعمل والأسرة...إلخ.

علم الاجتماع التطبيقي Applied Sociology: ويعمل على وضع المعارف التي حصل عليها علم الاجتماع النظري والتجريبي في حيز التطبيق، بهدف المساعدة على حل المشكلات الاجتماعية.

علم الاجتماع التنظيمي Sociology Organization: ويبحث في الأبعاد الاجتماعية لمختلف أشكال التنظيم قيامه وآلياته وتأديته لوظائفه وتطوره.

علم الاجتماع الحضري Urban Sociology: هو علم اجتماع المدينة، وقد نشأت التقاليد المميزة لعلم الاجتماع الحضري في أوروبا وأمريكا خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، والسنوات الأولى من القرن العشرين، ويدرس المدن بوصفها وحدات متميزة في أصلها وجوهرها ومكانتها في المجتمع، والقضايا العامة لتطورها، وتأديتها لوظائفها، والمشكلات التي تعانيها، ومن أهم موضوعاته التفكك الواضح للمجتمع المحلي وللضبط الاجتماعي الذي ترتب على نمو المدن وتسارع التحضر.

علم الاجتماع الريفي Rural Sociology: ويبحث في قضايا الريف: مكانته في المجتمع، والعوامل المؤثرة في تطوره، وبنية سكانه الاجتماعية والمهنية، وخصوصية نمط الحياة، والثقافة فيه، وعلاقته بالمدينة والبيئة المحيطة، وقد تأثر علم الاجتماع الريفي تأثراً قوياً بالنزعة ضد الحضرية التي ولدت وجهة نظر نمطية تجاه المجتمع الريفي على أنه جامد.

علم الاجتماع الصناعي Industrial Sociology: فرع من السوسيولوجيا ترجع أصوله إلى الآباء المؤسسين لعلم الاجتماع نفسه، وارتبط نموه خلال القرن العشرين بالتشجيع المستمد من بعض إدارات الشركات، وخاصة داخل الولايات المتحدة الأمريكية بدءاً من 1930م، ويدرس البنية الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية في ميدان الإنتاج الصناعي، وأرسى أسسه تايلور ومايو.

علم الاجتماع الصوري Formal Sociology: اتجه في السوسيولوجيا راج في ألمانيا وأمريكا خاصة أواخر القرن 19 وأوائل القرن 20 وكان من أعلامه: تونيس، وزيميل، فيري ويهتم بدراسة الأشكال الاجتماعية المحيطة المشتركة بين

الظواهر الاجتماعية كافة دون العناية بمضمونها التاريخي الملموس، وتتنوع هذه الأشكال عند تونيز إلى أنماط ثلاثة: العلاقات، الجماعات، التجمعات.

علم الاجتماع الطبي Medical Sociology: ميدان من ميادين علم الاجتماع، يركز على الطب بوصفه مجموعة من الأفكار والممارسات، ويدرس الأبعاد الاجتماعية للصحة والمرض، وتنظيم الخدمة الطبية ومجموعاتها ودور الصحة في حياة المجتمع والفرد.

علم الاجتماع الظاهري Phenomenological Sociology: الظاهرية، مدرسة اجتماعية استقيت من الفلسفة الظاهرية تركز بشكل معمق على تحليل الحياة اليومية ووصفها حيث ركز هذا العلم بشكل خاص على الصفات الاجتماعية الفريدة الحدوث أثناء عملية التفاعل الاجتماعي، وهو اتجاه منهجي في علم الاجتماع الغربي المعاصر، ينظر إلى المجتمع على أنه ظاهرة ولدت وتتولد باستمرار في مجرى التفاعل الروحي بين الأفراد، وأرسى أسسه شيوتس.

علم الإجرام Criminology: استعملت الكلمة لأول مرة في كتابات الفرنسي توينارد في نهاية القرن التاسع عشر، ويدرس الجرائم، أسبابها وعوامل شخصية مرتكبها والتدابير الواقية منها، فضلاً عن أساليب حجز المجرمين ومعاملتهم وعقابهم.

العمل الاجتماعي Social work: هو عمل فردي أو جماعي موجه نحو أفراد آخرين أو جماعات أخرى، أو مجهود جماعي يرمي إلى تحقيق غاية خاصة معينة.

العمل الضروري اجتماعياً Social Necessary Work: في الماركسية هو

1- العمل المنفق على صنع سلعة ما، في شروط اجتماعية عادية، أي عند مستوى متوسط من التقنية والمهارة ووتيرة العمل، ويحدد القيمة الاجتماعية

للسلعة. 2- العمل الموزع بين فروع الإنتاج تبعاً لتركيب الاحتياجات الاجتماعية وحجمها.

فعالية اجتماعية، نجوع، Social Efficiency : تحقيق النتيجة المقصودة تحقيقاً كاملاً وإلى أعلى حد ممكن بأقل جهد ووقت وتكلفة.

الفينومولوجيا Phenomenology: هي علم الظاهرات، والتي تقول بدراسة الظواهر من حيث نمط ظهورها، وذلك قبل المباشرة بأية عملية تقديمية أو تفسيرية أو إطلاق حكم يستند إلى معايير قيمة، لكن الفلاسفة استخدموا الكلمة بمعنى مختلف إلى حد بعيد، فهي تشكل عند - هيغل - فيمولوجيا الروح عالم الأفكار منذ نشوئها من رحلة الإدراك الحسي وإلى وصولها إلى مرحلة العقل المطلق والانتقال من المنهج إلى النظام.

المتغير Variable: المتغير في اللغة الاجتماعية يصف الظاهرة التي يتغير حجمها بحسب الحالات الفردية، وعندما تتطور الظاهرة يصبح من المهم البحث عن وجود صلات بين المتغيرات، مع تحديد نوعها هل هي متلازمة زمنياً أو مترابطة؟ **والمتغير المستقل Natural Variable** يعني الكمية التي تتطور، بغض النظر عن باقي المتغيرات، وضع المتغير بين المتغير المستقل والتابع - أي الذي يتبع في تغيره للمتغير المستقل - دون القيام ببحث تجريبي للترابط بين المتغيرات لا يسمح بوجود علاقة قيمة، فقد يكون بحسب تغير ما متغير ما سواء كان تابعاً أم مستقلاً أم عاملاً مجهولاً يعمل فعله سراً دون أن نتمكن من ملاحظته وتحديده، وفي تعريفات أخرى: المتغير يستعمل في العلوم الاجتماعية للإشارة إلى موضوع الدراسة، ولها فوائد عديدة: منها معالجة الظواهر خلال مجموعات أو فئات. والمتغير هو صفة شيء أو عدد من الأشياء التي يمكن أن تتغير نوعياً أو كمياً لعدد من الأشخاص أو للشخص نفسه في أوقات مختلفة.

مستوى المعيشة، Standard of living : يفرق غالباً بين ثلاثة أنماط هي: أ- مستوى المعيشة المنشود. ب- مستوى المعيشة الطبيعي. ج- مستوى المعيشة الواقعي. يتعلق التعبير الأول والثاني بالهدف الذي يسعى المرء لتحقيقه في حياته، والذي تسعى الدول نحو ضمانه لرعايتها، أما التعبير الثالث فيعني الأحوال المعيشية الجارية على الفرد، أو بوجه عام على الشعب. هذه الأحوال المعيشية متعددة، فهي مادية واجتماعية واقتصادية وتربوية وصحية وسكنية ومتصلة بقضايا العمل.

مسح اجتماعي، Social survey : أحد المناهج الرئيسية التي تعتمد في البحوث الوصفية، وهو عبارة عن الدراسة العلمية لمنطقة أو مشكلة من مشكلات المجتمع بقصد الحصول على بيانات كمية ومعلومات كافية من أجل الوصول إلى جوهرها ومعرفة الظروف المحيطة بها والأسباب الدافعة إلى ظهورها، ويمكن الاستفادة من نتائج المسح في وضع مشروعات ملائمة للإصلاح الاجتماعي وتنفيذها.

مشكلات اجتماعية، Social problems : مفارقات بين الظروف الواقعية والمستويات الاجتماعية المنشودة أو المرغوبة، وهي تمثل اضطراباً وتعطياً في النظم الاجتماعية، وتحول دون قيام الأفراد بأدوارهم الاجتماعية.

موارد اجتماعية، Social resources : يقصد بهذا المصطلح في الخدمة الاجتماعية جميع الأشخاص والمنظمات والمنشآت التي يمكنها مساعدة الفرد أو مساعدة مؤسسات الخدمة الاجتماعية في النواحي التي تستدعي هذه المساعدة.

مورفولوجية اجتماعية، Social Morphology : هي دراسة بناء المجتمع من حيث مظهره المادي الخارجي، أي من حيث تركيب السكان، كالجنس والعمر والثقافة والنشاط الاقتصادي، وحركتهم كالهجرة الخارجية والداخلية من الريف

ومن المدن، وموقع بلادهم وضيقها أو سعتها، وقربها من البحر أو بعدها منه، وطرق المواصلات التي تربطها بغيرها. وبين هذا العلم والديمغرافية والجغرافية البشرية وعلم البيئة تداخل واضح.

نظرية الأدوار Role Theory: من المفاهيم الأساسية في النظرية الاجتماعية، فهو يحدد لنا طبيعة التوقعات الاجتماعية المرتبطة بمكانات أو أوضاع اجتماعية معينة.

النظرية النسبية Theory of Relativity: نظرية فيزيائية وضعها أينشتاين عام 1905م (النسبية) الخاصة، وطورها عام 1916م (النسبية العامة) ومن أهم موضوعاتها القول بأن المكان والزمان ليسا مطلقين كما تقول الفيزياء الكلاسيكية، وإنما يتوقف أحدهما على الآخر.

الهجرة الداخلية، Internal Migration : انتقال السكان من الريف إلى المدن، أو بالعكس، أو من المدن إلى المدن، أو من الريف إلى الريف بفعل عمل الدفع والجذب، وعادة تعتمد الإقامة في المنطقة الجديدة هجرة: إذا تجاوزت 6 أشهر، وذلك كله ضمن الدولة الواحدة، وأهم هذه الحركات وأشدّها انتقاهم من الريف إلى المدن.

الهندسة الاجتماعية Social Engineering: مصطلح في السوسيولوجيا الغربية يهتم بوضع جملة من الوسائل واستخدامها للتأثير في سلوك الناس وتوجهاتهم، وذلك بهدف حل المشكلات الاجتماعية الحادة، والمساعدة على تكييف المؤسسات الاجتماعية مع الظروف المتغيرة، والحفاظ على الاستقرار.

وعي اجتماعي، Social Consciousness: اهتمام الأفراد بالتعرف إلى أحوال مجتمعهم والمشاركة في تحمل مسؤولية حل المشكلات الاجتماعية وتحسين أحوال المجتمع.

الازدواج (التناقض الوجداني) Ambivalence : يستخدم غالباً في علم النفس والتحليل النفسي، ويشير إلى وجود اتجاهات عاطفية متعارضة عند شخص معين وفي وقت واحد، مثل الحب والكراهية تجاه موضوع أو شخص آخر. كما يستخدم أيضاً للدلالة على وجود انفعالات أو دوافع متناقضة يعترف بها شخص معين بأن أدائه لفعل بعينه أو لدور محدد سوف يؤدي إلى نتائج سلبية، أو إلى الاعتداء على المستويات المعيارية للسلوك.

الإطار المرجعي للفعل، Action Frame of Reference : أداة تصويرية استخدمها (بارسونز) لتحليل الأنساق الاجتماعية، وأنساق الشخصية، ويركز الإطار المرجعي للفعل على الفاعل من وجهة نظر قيمه وأهدافه، في مواقف محددة، وقد أكد (بارسونز) على ذلك حينما كان يتحدث عن فكرته في توجيه الفاعل نحو الموقف، بوصفه جزءاً من نظريته العامة في النسق الاجتماعي.

الأعراف ، Customary law : هي مجموعة النماذج السلوكية التي يجب التزامها من قبل أفراد المجتمع؛ لما لها من أهمية تقليدية واجتماعية بالغة. والوقوف ضد التعاليم الأساسية للأعراف يستلزم العقاب الصارم الذي يفرض على المخالفين، ذلك العقاب الذي يتسق مع العادات والتقاليد أو الرأي العام.

الانتحار Suicide: الانتحار عمل فردي دون منازع، يتعلق بموضوع كلاسيكي في علم الاجتماع، وقد تطرق إليه الإحصائيون، ويمكن تفسير اهتمام الإحصائيين الأخلاقيين بظواهر الانتحار بوساطة ثلاثة أسباب، أولاً: ثمة في

العديد من البلدان إحصاءات رسمية للانتحار، ثانياً: كانت معدلات الانتحار تظهر بصورة عامة متصاعدة بانتظام خلال القرن التاسع عشر بكامله، ثالثاً: إن الانتحار عمل فردي دون منازع. إن كتاب الانتحار لدوركهيم هو المؤلف الأساسي الصادر عن تيار الإحصاء الأخلاقي، فدوركهيم يحاول أن يبرهن مستعملاً مجموعة من المعطيات أن الانتحار لا يمكن اختزاله إلى ظاهرة نفسية أو نفسانية مرضية، فلا نرى علاقة إحصائية بين معدل الانتحار ومؤشرات حدوث الأمراض العقلية، ولكن برهان دوركهيم حول هذه النقطة ليس مقنعاً، فأشكال الانتحار لا يمكن ربطها لا بالأسباب الفردية ولا بالأسباب الطبيعية، وينبغي أن تدرك بصفاتها أثراً لمتغيرات اجتماعية، فهنا يوسع دوركهيم نظريته للانتحار إلى أن تكيف الفرد مع المجتمع يفترض ألا تكون التفردية قصوى جداً فيسميها الأنانية. إن الصعوبات التي يصادفها تطبيق الطرائق الإحصائية على تحليل الانتحار ولدت نقداً، فالهدف الذي عليه أن يسعى إليه عالم الاجتماع المهتم بالانتحار لا يمكن أن يكون إلا إظهار تفسير الانتحار للفرد الذي يرتكبه. فدراسة الانتحار لا يمكن أن تتعمق إلا إذا كان بإمكاننا تحليل دوافع الانتحار، وتقتضي معرفة الدوافع، أي توزيع دوافع الانتحار، والأسباب الاجتماعية المؤثرة في هذا التوزيع، فأسباب الانتحار مرتبطة ببنية الشخصية.

الانتماء Affiliation: حاجة المرء إلى العشرة وإلى التماس العاطفة من الآخرين، ويتجلى في ميله لأن يكون عضواً في جماعة، وفي التفاعل مع الناس ممن حوله، وتقديم العون لأعضاء المجتمع، وتقبل المساعدة منهم

الانتهازية Opportunism: النزعة النفعية التي تتمثل في انتهاز الفرص والتكيف مع الظروف بعيداً عن المبدئية، وهي ببساطة أن يفضل المرء مصلحته

الخاصة على القضية العامة، ويحقق الانتهازي مصلحته في الخلاص الفردي وتحقيق مصالحه على حساب غيره.

الانعزالية Isolationism: تعني الانغلاقية انطلاقاً من التفرد ، وغالباً ما تتماثل مع مفهوم الرفية الذي ينقل بلغة تعبيرية بليغة انغلاق الريف و تقوقعه وضعف اتصاله أو تواصله مع غيره، فهي تعني التزمت وإظهار الانغلاقية وتأكيد للأصولية، فهي تتميز بالانصراف إلى العالم الداخلي الذاتي والتوقع فيه، والانعزال عن العالم الخارجي .

بارا سيكولوجيا - علم النفس الغيبي - Para-Psychology: دراسة علمية لحدوث حالات إدراك عقلي أو التأثيرات في الأجسام الفيزيائية دون تماس مباشر معها، ومعظم المواضيع التي تطرح للدراسة فيها في نطاق التأثيرات (عقل - عقل) مثل الإدراك فوق الحسي، أي يدرس أشكال الإدراك التي تتم دون توسط الحواس، وأشكال تأثير الكائن الحي في الظواهر الفيزيائية دون تدخل الجهود العضلية، مثل الاستبصار والتخاطب.

تحقيق الذات، Self Realization: ترتبط هذه النظرية أكثر ما ترتبط باسم إبراهيم ماسلو الذي يرى من واقع دراساته للأفراد الناجحين أن هناك ترتيباً للحاجات الإنسانية التي لا بد أن يتم إشباع كل منها قبل أن يحقق الشخص كامل إمكانياته، ويرتب ماسلو تلك الحاجات في نظام تصاعدي تبدأ من الحاجات الفيزيولوجية، ثم الحاجة إلى الأمن والحب والانتماء والتقدير والمكانة، وأخيراً تحقيق الذات، والتي تعني الرغبة في أن يصبح المرء كل شيء يمكن أن يكون.

التحليل النفسي، Psychological Analysis: منهج في علم النفس، قوامه استكشاف مجال اللاوعي للبحث عن الأسباب الكامنة فيه، والتي تؤدي إلى

ظهور الاضطرابات العصبية لدى الفرد، ابتدعه العالم النمساوي سيجموند فرويد (1856-1939م) وهو طبيب متخصص بالأمراض العصبية، وكان يرى أن هناك ثلاثة مستويات رئيسية للعقل أو للشخصية هي: *the id*، *the ego*، و *the super ego*، وتتفاعل هذه المستويات الثلاثة فيما بينها بشكل وثيق، وتكون محصلة السلوك الإنساني. وذهب فرويد أيضاً إلى أن الإنسان يمر أثناء نموه بخمس مراحل نفسية، الأولى: هي فترة الولادة وما بعدها بسنة واحدة، يكون المصدر الرئيسي فيها للإشباع وللحصول على اللذة هو الرضاعة، ويطلق عليها تسمية المرحلة الفمية *the oral phase* المرحلة الثانية: وتمتد من السنة الثانية إلى السنة الثالثة من العمر، وتكون فيها منطقة الشرج المصدر الرئيسي للحصول على اللذة، ويطلق عليها اسم المرحلة الشرجية *the anal phase*. المرحلة الثالثة: تمتد من السنة الثالثة إلى السنة الخامسة من العمر، وتصبح فيها الأعضاء التناسلية هي المصدر الرئيسي للحصول على اللذة، ويطلق عليها اسم المرحلة القضيبيّة *the phallic phase* وفي هذه المرحلة يمر الأولاد بعقدة أوديب [راجع: عقدة أوديب]. وتمر الفتيات بعقدة ألكترا [راجع: عقدة ألكترا]. المرحلة الرابعة: وهي التي اصطلح فرويد على تسميتها بمرحلة الكمون *the latency phase* حيث يكبت الأطفال ميولهم الجنسية نحو الوالدين ويحولونها إلى موضوعات غير جنسية. المرحلة الخامسة: وهي المرحلة التي تتجه فيها مشاعر الفرد نحو الجنس الآخر، وهي تشمل مرحلة المراهقة، ويطلق عليها فرويد اسم المرحلة التناسلية *the genital phase*، ويقتضي التدرج الطبيعي أن يمر الفرد بهذه الأدوار الخمسة.

التطهير، Catharsis : تعني الكلمة لغوياً التنظيف أو التطهير، أما في مجالات الدينامية النفسية فإن المصطلح يشير إلى إطلاق المشاعر التي تفضي إلى تقليل التوترات ومشاعر القلق الكامنة وراءها.

التعصب، Fanaticism : يشير بصفة خاصة إلى اتجاه لا يتسم بالود نحو جماعة، وقد يؤدي هذا الاتجاه أو قد لا يؤدي إلى فعل عدائي واضح، وهو اتجاه يجعل الشخص يفكر ويدرك ويشعر أو يسلك طريقة مقبولة أو غير مقبولة نحو الجماعة.

التلاؤم، Accommodation : عملية اجتماعية، وظيفتها تقليل أو تجنب الصراع، أو هي عملية تكيف اجتماعي تؤدي إلى إيقاف الصراع بين الجماعات عن طريق التدعيم المؤقت أو الدائم للتفاعل السلمي. ويشير المصطلح - بما يتضمنه من مضمون سيكولوجي - إلى السلوك الفردي أو إلى السلوك الجماعي، أو هو التوافق مع مواقف الصراع من خلال تجنب مظاهر العداء كافة عن طريق منح تعويضات اقتصادية، واجتماعية، ونفسية لجماعة من جماعات الأقلية.

التنشئة الاجتماعية Socialization: هي تشكيل الفرد عن طريق ثقافته حتى يتمكن من الحياة في هذه الثقافة، ففي ثقافتنا مثلاً نعلم الفتاة الطهي وحياسة الملابس والعناية بالأطفال لنعدها لدورها أمّاً وربة منزل، بينما نعلم الولد كيف يحرق الأرض ويرويها ويزرع الزرع ليُعيل الأسرة بدوره كغيره من الرجال في ثقافتنا. فالتنشئة عملية تلقين الفرد قيم مجتمعة الذي يعيش فيه ومقاييسه ومفاهيمه حيث يصبح متدرباً على اشتغال مجموعة أدوار تحدد نمط سلوكه اليومي، وعملية التنشئة الاجتماعية هي عملية مهمة لكل من الفرد والمجتمع، إذ

إن الفرد دون أهداف عليا ودون الوسائل الضرورية التي تساعد في اكتساب الخبرات والتجارب والمعلومات التي تتطلبها حياته الخاصة والعامة لا يمكن أن ينمي قدراته وقابلياته التي يحتاجها المجتمع، ويؤنس الفرد أو يُرَبَّى من قبل الأفراد الذين يحيطون به، فيكتسب منهم الأدوار الاجتماعية التي تكون مكملة لأدوارهم. وقد استعملت كلمة التنشئة في الأدب الانكليزي، وكان المقصود بها تهيئة الفرد لأن يتكيف ويعيش ويتفاعل مع المجتمع، غير أن مشكلات نظرية التنشئة تدور حول المواضيع والأشخاص والأدوات التي تستعمل في عملية التنشئة، وقدرة الأفراد على استيعاب الخبرات والمعلومات والأوامر التي تتطلبها منهم عملية التنشئة، والفروق الفردية في استيعاب ما يدور في عملية التنشئة، والمتأتية من عوامل: الجنس والعمر والذكاء والصحة العقلية والعضوية في الجماعات الاجتماعية.

التميط Typification: رأي ثابت ذو طبيعة تقويمية وتعميمية، ويشير إلى فئة من الناس أو عنصر أو جماعة معينة متشابهين ضمن اعتبار معين، وهو التعميم الفني والتعبير عن الأفكار العامة والجوهر الاجتماعي للعمليات والظواهر من خلال النماذج النمطية الملموسة.

التوافق Accordance: مصطلح سيكولوجي أكثر من سوسيولوجي، يستخدمه بعض علماء النفس الاجتماعي للإشارة إلى العملية التي من خلالها يكون الفرد علاقة منسجمة وصحية مع بيئته الفيزيقية والاجتماعية، وأحياناً يستعمله علماء الاجتماع للإشارة إلى ما تقوم به وحدة اجتماعية مثل جماعة أو منظمة محققة نفس الغاية. وتكون الصعوبة في تحديد قيم ما هو منسجم أو صحي وغير صحي.

التوفيقية Eclecticism: هي الجمع بين عناصر من آراء أو مذاهب أو أنساق مختلفة، ومحاولة التأليف بينها في كل واحد متماسك.

الجريمة Crime: يشير هذا اللفظ إلى أي فعل من أفعال الشر، أو أنها أي خطأ يرتكب ضد المجتمع ويعاقب عليه القانون، وقد يكون هذا الخطأ ضد شخص معين أو ضد جماعة من الأشخاص.

الجماعة Group: مجموعة من الأفراد المدفوعين لتحقيق هدف مشترك عن طريق أنشطة مرتبطة ومتفاعلة خلال هذه الأنشطة تتبلور بصورة هرمية تؤدي إلى اختلاف في المواقع والحقوق والأدوار والالتزامات تجاه الآخرين.

الجماعة الأثنية Ethnic Group: (الأتنوس) هي فئة اجتماعية مستقرة من الناس تشكلت تاريخياً، وتمثل في قبيلة أو شعب أو أمة.

الجماعة الاجتماعية Social Group: وهي مجموعة كبيرة أو صغيرة من الناس تربطهم العلاقات الاجتماعية، أي الصلات الاقتصادية والسياسية والثقافية.... إلخ ولهم هوية مشتركة يتفاعلون بانتظام على أسس من التوقعات المشتركة ذات العلاقة بالسلوك، وهناك العديد من الجماعات الاجتماعية لكل منها صفاتها ومميزاتها المنفردة (الطبقات - النقابات - الأحزاب).

الجماعة الأولية Primary Group: هي الجماعة المحددة المحصورة والثابتة والمتميزة بحياة مشتركة وعلاقات شخصية حميمة بين أعضائها، وتتميز بدرجة عالية من الترابط العاطفي، وقد تكون غير رسمية كالعائلة.

الجماعة الثانوية Secondary Group: تقابل الجماعة الأولية، وتكون عادة كبيرة العدد ورسمية الطابع، وقد تكون العلاقات بين الأفراد تعاقدية ومسوغة

بهدف معين ومحدد، وهي علاقات شكلية ووظيفية مثل (النقابات- الحزب السياسي- الجمعية- المشروع).

جماعة الضغط- (اللوبي) Lobby Group: ناتجة عن التنظيمات التي تمارسها صفوفها على الحكومة لتحملها على الخدمات المدنية وعلى باقي المؤسسات السياسية لتحقيق أهدافها لصالح أي تنظيم، وتؤدي هذه الجماعة دوراً مهماً في المجتمع، وهي مرتبطة بمفهوم التعددية، وطالما يتم مشاهدة العمليات السياسية على أنها ناتجة عن عدد كبير من الضغوط.

الجماعة المرجعية Reference Group: جماعة يعتمد عليها الفرد في تكوين معايير وأهدافه وقيمه ومقارنة وضعه بغيره، ويستمد منها سلوكه.

الجماعة الهامشية Marginal Group: وهي تكون على محيط جماعة أكبر، كالنازحين الجدد إلى مجتمع محلي أو إلى تخوم جماعتين متباينتين.

الجيل Generation: جملة الأفراد المتساويين في عددهم عن الأسلاف المشتركين، فالآباء والأبناء والأحفاد يشكلون ثلاثة أجيال متتابعة، والفواصل الزمني بين ولادة الأب والابن والأم والبنت يعد عادة 33 سنة.

الحاجة- الحاجات Needs: الحاجة شيء يعد ضرورياً من أجل بقاء الفرد أو التنظيم، ويشيع استخدام المفهوم بدرجة كبيرة في العلوم الاجتماعية، مع التركيز على ما يسمى بالحاجات الإنسانية، وعادة ما تتم المقابلة بين الحاجات والرغبات، حيث تشير إلى ما تشتهيها النفس. وهذا المصطلح يشير إلى إشباع الحاجات الإنسانية، وهذه الحاجات متعددة، مثل الحاجات الفيزيولوجية والمادية للطعام والنوم والمأوى.... وقد استخدم العلماء ولاسيما أصحاب التوجه الوظيفي مفهوم الحاجة في دراسة كيفية أداء المجتمع لوظائفه. والحاجة هي ما

يفتقر إليه الكائن الحي أو الفرد البشري أو الجماعة أو المجتمع كله في وجوده أو نموه أو تلبية رغباته، وهي دافع داخلي للنشاط والعمل، وتقسم إلى بيولوجية شارك فيها الإنسان الأحياء كافة، واجتماعية تتوقف على مستوى الاقتصاد والثقافة، وفي علم النفس يدل اللفظ على شعور المرء بالتوتر وعدم الرضا والألم بسبب عدم التوافق بين حالته الداخلية والشروط الخارجية لنشاطه، بما في ذلك الحرمان.

الذهان، psychosis : اختلال عميق (حاد أو مزمن) في القوى النفسية والعقلية، وهو نوع من المرض النفسي الحاد كثيراً ويعد مقابلاً للعصاب، يتسم الذهان باضطراب التفكير أو المشاعر أو الإدراك على نحو ما يحدث في الضلالات أو الهلوسات.

الرأي العام، Public Opinion : هو الحكم الاجتماعي لجماعة ذات وعي على موضوع ذي أهمية بعد مناقشة عامة مقبولة، وهو ظاهرة اجتماعية وسياسية تتأثر بالنظام السياسي الذي يسود المجتمع، ويتشكل الرأي العام بطريقة غرضية بوساطة المؤسسات أو المنظمات أو الجمعيات أو النقابات المهنية أو الطبقية، كما يتشكل عضوياً بخبرة الناس العملية، وبما لديهم من أعراف وتقاليد وعقائد مؤيدة أو معارضة.

رهاب الأجنبي Xeno Phobia: خوف مرضي ووهمي من كل ما هو أجنبي أو غريب.

رهاب الأساطير، Matho Mania : خوف مرضي ووهمي من الحكايات الأسطورية.

رهاب الأماكن المغلقة، Claustro Phobia: هو مرض ووهمي من الحلول فيها.

رهاب الظلام ، Mycto Phobia ، Scoto Phobia : خوف مرضي من الظلام.

زمن الاستجابة، Reaction Time : الفترة الزمنية التي تفصل بين لحظة وصول الإشارة (البصرية أو السمعية) إلى المرء ولحظة رد فعله عليها.

السببية، Causality العلاقة القائمة بين العلة (السبب) والمعلول (المسبب) وهي أيضاً الأثر السلي أو الإيجابي لأحد العوامل في الآخر. والعوامل السببية أو المسببة تتضمن الأسباب التي يقدمها الأفراد لما يقومون به، وكذلك التأثيرات الخارجية في سلوكهم.

طبقة اجتماعية مجردة، Abstract Social Class : هي طبقة من الأشخاص، أو فئة اجتماعية يشعر أعضاؤها بوجودهم - إلى حد ما - على مستوى المشاعر والمصالح المشتركة، وينقصهم الوحدة أو التنظيم، مما يمكن أن يرفعهم إلى مستوى الجماعة، أو إلى مستوى الجمع. وتختلف الطبقة الاجتماعية المجردة عن الفئات الاجتماعية التي يصنفها باحث من أجل الدراسة، ومن أمثلة هذه الطبقات: ربات البيوت، وذوي الهوايات الخاصة وقد أدخل هذا المصطلح في علم الاجتماع (جورج هيرت ميد) حيث ميزه من الطبقة الاجتماعية المشخصة.

العتبة الحدية Terminal Threshold : الحد الأعلى الذي تكون بعده زيادة شدة المنبه غير مؤثرة، أو ينقلب الإحساس إلى نوع آخر إلى تألمي في حال الضوء الباهر.

العتبة الحسية (عتبة الشعور) Threshold of Consciousness: المستوى الذي يبدأ عند الإحساس بالمؤثر أو المستوى الذي تبدأ عنده الخبرة في الظهور في نطاق الشعور.

العتبة الفارقة Ferential Threshold: أصغر فرق يمكن ملاحظته بين مؤثرين، ففوقها يشعر المدرك بوجود اختلاف بينهما، وتحتها يبدو أن له تأثيراً واحداً.

العتبة المطلقة Absolute Threshold: المقدار الذي بدأ منه الشعور يولد الاستجابة في صورة إحساس شعوري عادة، أما إذا قل المؤثر عنه فإنه لا يولد الإحساس.

العصاب Neurosis: مرض نفسي وظيفي ناشئ عن عوامل نفسية كالانفعالات المكبوتة والصدمات، وتصحبه أحياناً مظاهر جسمية شاذة، ومن أشكاله الهستيريا والاستحواذ، وقد ميز فرويد بين العصاب الحقيقي والعصاب النفسي.

عقدة النقص Inferiority Complex: هي عقدة الخصاص اللاشعورية المصاحبة لعقدة أوديب، وهو مفهوم مركزي في علم النفس، يعبر ادلر عن أن النقائص والعيوب الجسمية والنفسية لدى الفرد تؤدي إلى تكون شعور بالنقص عنده، وأن التخلص من هذه العقدة هو الذي يحدد أسلوب حياة الفرد بما في ذلك رغبته في التفوق الذي يأتي بمنزلة نوع من التعويض.

عقدة أليكترا Electra Complex: عقدة عند البنات، تتمثل في رغبة مكبوتة في إقامة علاقات جنسية مع الأب، وما يتصل بذلك من كراهية للأُم، وشعور بالإثم، وأليكترا في الأسطورة اليونانية ابنة اغاممنون وكلتيمنسترا كانت

متعلقة بأبيها، فحرضت أخاها وساعدته على الثأر لأبيها بقتل أمه وعشيقتها، وتقابلها عقدة أوديب عند الصبيان.

عقدة أوديب Oedipus Complex: عقدة عند الصبيان تتمثل في رغبة مكبوتة إلى إقامة علاقات جنسية مع الأم، وما يتصل بذلك من كراهية للأب وشعور بالإنثم، وأوديب في الأسطورة اليونانية ملك طيب قتل أباه وتزوج أمه على غير علم بأنهما والداه، ولما عرف الحقيقة فحرق عينيه ندماً، وتقابلها عقد أليكترا عند البنات وتبلغ ذروتها بين ثلاث وخمس سنوات.

عقدة أوريسست Orestes Complex: رغبة الابن في قتل أمه، وأوريسست في الأسطورة اليونانية ابن إغاممنون وكلتمسترا، قتل أمه وعشيقتها انتقاماً لقتلهما أباه.

عقدة ديانا Diana Complex: عقدة نقص لدى المرأة؛ لاكتشافها أنها أقل من الذكر، مما يدفعها إلى التفوق وتبني سلوك الرجال، وديانا في الأسطورة اليونانية والرومانية ربة عذراء حامية للعبيد والقمر والخصب وإنجاب الأطفال، كانت تتفاخر بعذريتها وترتدي ملابس الذكور.

عقدة ميديا Medea Complex: أو عقدة الانتقام، وميديا في الأسطورة اليونانية ساحرة انتقامت من زوجها ياسون الذي رغب في التزوج عليها بأن قتلت غريماتها وولديها منه.

العلة الأولى Cause Prima: هي علة الوجود، أي ما يجب بها وجود المعلول، وهي مبدعة فاعلة متممة للكل، وعلة كل وجود.

العلة الذاتية Cause Sui: هي ما لا علة له وتطلق على ما هو معلول حقيقة.

العلة الغائية Cause Finalis: هي تفسير فلسفي للعمليات الحياتية على أساس غاياتها وأهدافها وأغراضها، وهي ما يوجد لأجلها المعلول، كالجُلوس بالنسبة للسريّر، وهي علة العلل وتتقدم سائر العلل، وذلك لأن سائر العلل تصير عللاً بالفعل لأجل غاية، وعلة العلل ليست لأجل شيء سوى نفسها.

العلة الفاعلة Cause Efficiencies: ما يوجد الشيء بسببه كالنجار بالنسبة للسريّر، ومبدأ العلل الفاعلة يقول إن الظواهر تكون سلاسل، وجود السابق فيها يعين على وجود اللاحق.

العلة المادية Cause Materials: ما يجب بها وجود المعلول بالقوة، كالخشب والحديد بالنسبة للسريّر.

علم الاجتماع التربوي Educational Sociology: فرع من فروع علم الاجتماع، يهتم بدراسة عملية التعليم المدرسي، وخاصة نظم التعليم الجماهيرية، وموضوعه التربية (التعليم) بوصفها مؤسسة اجتماعية (وظائفها في المجتمع وتفاعلاتها مع المؤسسات الأخرى) وكذلك هيئاتها (المدارس، المعاهد، الجامعات) بوصفها تنظيمات اجتماعية، والسياسة الاجتماعية في ميدان التربية.

علم العلم Scientology: يدرس وظيفة العلم وتطوره، وبنية النشاط العلمي وديناميته، والتفاعل بين العلم وباقي ميادين حياة المجتمع المادية والروحية.

علم النفس الإثني Ethno Psychology: فرع من علم النفس الاجتماعي، يدرس خصوصيات التكوين النفسي للأجناس البشرية والشعوب.

علم النفس الاجتماعي Social Psychology: يدرس خصائص سلوك الناس في علاقاتهم النابعة من انتمائهم إلى جماعات اجتماعية، وكذلك المواصفات النفسية لهذه الجماعات، إضافة إلى عمليات التثقيف والتنشئة الاجتماعية والتأثير الذي تمارسه الجماعة في نمو الشخصية، ويقوم بدراسة الفرد بوصفه وحدة في جماعة اجتماعية، في نفس الوقت الذي يؤكد فيه على تحليل السلوك الفردي في ضوء مصطلحات المراكز والأدوار.

علم النفس الإدراكي Verstehede Psychology: اتجاه في علم النفس المعاصر يدرس ظواهر الحياة الروحية عبر الإدراك الحدسي لروابطها المعنوية الداخلية، ولمضامينها التاريخية - الثقافية، كما يدرس دور المعرفة في السلوك وتنظيم المعرفة في الذاكرة.

علم النفس البنيوي Structural Psychology: هو مدرسة في علم النفس، زعيمها أدوارد تيتشنر، ترى أن موضوع علم النفس هو عناصر الوعي (الأحاسيس والصور والعواطف) والعلاقات البنيوية بينهما، التي تستجلى عبر الاستبطان التدريبي.

علم النفس التاريخي Historical Psychology: فرع يهتم بسبر الوثائق من كل الأنساق المتوافرة من عصر من العصور لتحديد موضوعات البحث السيكولوجية، بما لهذه الموضوعات من تواريخ يتعين معرفة نشأتها، كما يدرس الخصائص النفسية لتشكيل وعي الفرد، ولتمثل العادات والمظاهر في العصور التاريخية المختلفة.

علم النفس التحليلي Analytical Psychology: وهو فرع يبحث في تحليل الشعور والحياة العقلية وعملياتها، ويؤكد على العوامل اللاشعورية التي تؤدي دوراً

حاسماً في تنظيم السلوك الإنساني، وتعد الشخصية الكلية أو النفس التي تمثلها الذات بمنزلة النقطة المركزية التي تجتمع حولها بقية النظم النفسية الأخرى.

علم النفس التربوي Educational Psychology: هو فرع نظري وتطبيقي من فروع علم النفس، يهتم أساساً بالدراسات النظرية والإجراءات التطبيقية لمبادئ علم النفس في مجال الدراسة، وتربية النشء وتنمية إمكاناتهم وشخصياتهم، ويركز بصفة خاصة على عمليتي التعلم والتعليم والتدريب، والأسس النفسية لعمل المدرس، ويمكن تحديد طبيعة علم النفس التربوي في الآتي : 1- يعتمد على مجموعة من الحقائق والمعارف المشتقة من البحث العلمي في علم النفس. 2- يركز على دراسة السلوك في مجالات العمل المدرسي. 3- يتبنى منهجاً للبحث العلمي وتجميع البيانات والمعارف وتنظيمها. 4- دراسة المبادئ والشروط الأساسية للتعليم. 5- تعويد الأطفال على العادات والاتجاهات السليمة. 6- إجراء التجارب لمعرفة أفضل المناهج التعليمية. 7- الاستعانة بالاختبارات النفسية لقياس ذكاء التلاميذ. ويهدف علم النفس التربوي إلى توفير مجموعة من الحقائق المنظمة والتعليمات التي يمكن أن تساعد المعلم على تحقيق أهدافه المهنية وتقدير أهمية العلاقات الإنسانية داخل حجرات الدراسة في بناء شخصيات التلاميذ، إلى جانب فهم الأساليب الدقيقة في الحكم وتقدير نتائج التلاميذ.

علم النفس التطبيقي Applied Psychology: فرع من علم النفس، يرمي إلى أغراض عملية لا إلى مجرد المعرفة النظرية، حيث يضع المبادئ والقوانين والحوادث التي يكتشفها الباحثون في كل مجالات الحياة موضع التطبيق.

علم النفس التفاضلي Differential Psychology: فرع من علم النفس، يدرس الفوارق النفسية سواءً بين الأفراد أم بين الجماعات من البشر، وأسبابها ونتاجها.

علم النفس الجشطلطي Gestalt Psychology: نظرية نفسية تذهب إلى أن الظواهر النفسية لها خصائص كلية، وأن الكل غير مجموع أجزائه، وأن الجزء يكتسب معنى معيناً ويقوم بوظيفة مخالفة إذا نزع من الكل الذي يحتويه، كما يرى أن العناصر الأولية والأساسية للنفس ليست هي الأحاسيس، وإنما هي بنى نفسية كلية متكاملة.

علم النفس الجنائي Criminal Psychology: مبحث في علم النفس القضائي، يهتم بدراسة الأسباب النفسية للجريمة والمجرمين، ودوافعها الشعورية واللاشعورية والفطرية والمكتسبة، وكذلك الأسباب الاجتماعية التي تؤدي إلى الجريمة والجنوح، وطرق العلاج، ورسم سياسة للدفاع الاجتماعي ضد الجنوح والجريمة.

علم النفس السياسي Political Psychology: فرع من علم النفس، يدرس تطبيقات مكتسبات هذا العلم في مجال العمل السياسي، والتي تكون على صعيد الوعي السياسي للشعوب والطبقات والجماعات والحكومات والأفراد، وتتجسد في أعمالهم السياسية الملموسة.

علم النفس الشرعي Forensic Psychology: مبحث في علم النفس القضائي، ويدرس الجوانب النفسية للقضاء، نفسية القضاة والمحققين والمحامين والمدعين والمدعى عليهم والشهود والجمهور.

علم النفس الطبي Medical Psychology: فرع معرفة يدرس إسهامات علم النفس، ويستخدم الطرق السيكلوجية في تشخيص الاضطرابات النفسية والعقلية لمعرفة أسبابها وعلاج هذه الاضطرابات عندما تحدث، وطرق البحث فيها والوقاية منها.

علم النفس الفيزيولوجي Physiology Psychology: فرع من السيكلوجيا والفيزيولوجيا، يبحث في علم الجسم والعقل معاً، وهدفه الأساسي اكتشاف آليات السلوك الفيزيولوجية للعمليات والظواهر النفسية.

علم النفس القانوني Judicial Psychology: يدرس الجوانب النفسية لنشاط الناس في ميدان العلاقات القانونية.

علم النفس المرضي Patho Psychology: هو فرع من علم النفس، يختص بالتغيرات المرضية في النفسية، حيث يدرس العمل الوظيفي غير السوي للفكر الإنساني، واختلافات السلوك الوظيفية التي ينبغي تمييزها من الانحرافات السلوكية.

علم النفس الوظيفي Functional Psychology: اتجه في علم النفس، يعد أساس البراغمية والذرائعية، قام ردّ فعل علم النفس التركيبي الذي يقتصر على تحليل العمليات الشعورية ووصفها، ويعد عمليات الإدراك والانفعالات والتفكير والإرادة وظائف تخدم عملية تكيف الإنسان مع بيئته وسيطرته عليها.

علم نفس الإبداع Psychology of Creative Activity: ويدرس الجوانب النفسية للإبداع في مختلف مجالاته في العلوم والآداب والفنون وغيرها.

علم نفس الأنا Ego Psychology: اتجه في التحليل النفسي يدرس عالم المكبوت في اللاشعور باعتباره الأعماق السحيقة التي تضع أيدينا على فهم ما

وراء هذه الظاهرة أو تلك من أسباب، ويؤكد على دور الأنا الواعية بوصفها قوة رئيسية في عملية تكامل النفسية.

علم نفس الحيوان Zoo Psychology: هو فرع من علم النفس، يدرس السلوك لدى أنواع متعددة من الحيوانات، ويبحث في عقلية الحيوان وتصرفاته ونمو جهازه العصبي وحواسه وإحساساته وإدراكه. ومن مهامه الرئيسية دراسة المقدمات البيولوجية للوعي البشري والظواهر السابقة له.

علم نفس الدين Psychology of Religion: يدرس العوامل النفسية والاجتماعية التي تحدد خصوصيات الوعي الديني وبنيته ووظائفه.

علم نفس الشيخوخة Geronto Psychology: يدرس تأثير الشيخوخة على العمليات والصفات النفسية بما في ذلك استيعاب المعارف.

علم نفس الفن Psychology of Art: نظرية حديثة، ترى تطبيق علم النفس على الأعمال الصناعية الحديثة، ويدرس الآليات النفسية للنشاط الفني، وخصوصيات تجلي شخصية المرء عند إبداع الأعمال الفنية، كما ترى هذه النظرية إدخال تعديلات على الآلات حتى تصير ملائمة لحركات الإنسان.

العلية الاجتماعية Social causality: أ- المعنى العام لهذا المصطلح يشير إلى عملية ارتباط الحوادث بعضها ببعض على أساس السبب والنتيجة، ومعنى ذلك أن هناك رابطة ثابتة بين الأحداث، وأن هناك حدثاً معيناً يسبق الآخر، ومن ثم فإن الارتباط بين الأحداث يمكن أن يعبر عنه في قضايا عامة وقواعد. ب- ويستخدم المصطلح في علم النفس والاجتماع بمعنى غائي، فالسبب الذي يكمن وراء أفعال معينة يقصد منها تحقيق أهداف معينة، قد يتمثل في هدف مرغوب فيه من جانب الفرد أو الجماعة. ج- وهناك اتجاهات مختلفة في تحليل

العلية الاجتماعية، فبعض النظريات تذهب إلى أن ظروفًا معينة تعد كافية للحياة الاجتماعية، ومعنى ذلك أنه يمكن تفسير الظواهر الاجتماعية في ضوء سبب واحد، مثل التفسير الاقتصادي الماركسي، والتفسيرات الثقافية والسيكولوجية التي تتخذ صورة المجتمعات. د- وهناك مناقشات فلسفية وأخلاقية للعلية الاجتماعية تتعلق بالعلاقة بين هذا التصور ومشكلة حرية الإرادة الفردية، ودور الفرد في التاريخ، وهل المجتمعات هي بالضرورة أنساق حتمية؟

العمر الزمني Chronological Age: هو عمر الفرد مأخوذاً من لحظة ميلاده إلى لحظة حسابه هذا العمر، أي الزمن الذي انقضى عليه في هذه الحياة الدنيا حتى وقت حساب عمره.

العمر العقلي Mental Age: هو عمر افتراضي تحدده اختبارات الذكاء، أي السن الذي يكون متوسط الذكاء فيها مساوياً لفرد في ذكائه، وبحسب بطرق مختلفة، منها أن يحدد العمر القاعدي، ويجمع إليه عدد الإجابات الصحيحة عن أسئلة كل من الأعمار التالية مقسوماً على عدد الأسئلة المطروحة.

العمر القاعدي Basal Age: هو عمر افتراضي يحدد بواسطة اختبارات الذكاء، ويعد العمر القاعدي لمفحوص معين هو أعلى سن يجتاز هذا المفحوص كل فقراتها وأسئلتها بنجاح، وعلى هذا يقابل العمر القاعدي العمر الأقصى.

العنف Violence: استخدام القوة استخداماً غير مشروع أو غير مطابق للقانون. ومن شأنه التأثير في إرادة فردٍ ما وهو عملية فيزيائية يقوم بها الجسم وفقاً لمبدأ الفعل ورد الفعل، وكل جسم في داخله يملك طاقة كامنة، وهذه

الطاقة تخرج بصورة سلبية أو إيجابية كردة فعل لمثير خارجي يحدث خارج ذلك الجسم. وفي تعريف آخر: استخدام فعلي للقوة المادية لإلحاق الضرر بالذات أو بالآخرين، فجسم الإنسان يملك طاقة إذا خرجت هذه الطاقة كرد فعل لمؤثر خارجي غير مفضّل أو ضد ميول أو رغبة الشخص، وبشكل سلبي غير مشروع ومدمر نطلق عليه مصطلح ردة الفعل. العنف له عدة أشكال عنف مباشر جسدي، كالضرب - غير مباشر كالحرب النفسية.

الغائية Teleology: الغائية مذهب يرى أن بعض المجموعات من الحوادث المتسلسلة موجهة نحو غرض أو غاية، وأن طبيعة الغاية إلى حد ما تؤدي إلى دوران في سير هذه الحوادث وتوجيهها، وفي تعريفات أخرى: الغائية تقول إن عمليات الكائن الحي العضوية تقوم على قوة موجهة نحو غاية، وهي تحقيق نموذج الكائن الحي، أو صورة الغائية موجودة في جميع حوادث النظام الطبيعي، وتقابلها العلية التي ترى بأن الموجود يفسره ما سبقه، فالتفسير الثاني يقول: لماذا وقع الحادث؟ بينما التفسير العلي يقول: بماذا حدث؟.

الغريزة Instinct: الغريزة هي الدافع الأصلي لنشاط الكائن الحي حفظاً لبقائه وإشباعاً لحاجاته، وذلك بالإقبال الملائم والابتعاد عن المنافي، وتهدف إلى الحفاظ على وجود الإنسان، وهي نوعية، أي أنها واحدة لجميع أفراد النوع من جنس واحد، والغريزة فطرية، وهي مستقلة عن التجربة وعمياء تجهل الغرض الذي تحققه، وهي نشاط يهدف للحفاظ على بقاء الإنسان والنوع البشري، وهي موجودة عند جميع الأفراد.

الغيرية Altruism: يستعمل تعبير الغيرية في اللغة الشائعة (بمعنى التصرف) الذي يقوم به الفرد تجاه الآخرين، وبمعنى الاهتمام بشؤونهم ورغباتهم

ومساعدتهم، وبذلك تكون الغيرية نقيض الأنانية، وتفترض شيئاً من نكران الذات. استخدمها أوغست كونت لوصف المشاعر والمواقف المناقضة للأنانية. وفي تعريفات أخرى: هي مجموعة الميول والغرائز المتعلقة بالتعاطف مع الآخرين، والتي تولد مع الإنسان تماماً مثلما تولد معه الميول والغرائز المشار إليها بمنزلة ناتج النقل الوظيفي للدماغ، وبالتالي قابلة للنمو أو الضمور.

الفردية Individuality: نزوع قوي عند الفرد للتحرر من الجماعة والاستقلال بنفسه، والإعلاء من قيمته على قيمة الجماعة، وهي مذهب أو نظرية تقول: إن المبادرة والجهود الفردية ينبغي أن يكون لها السبق على التحرك الاجتماعي أو الحكومي، وهي مذهب يعلي من قيمة الفرد على قيمة الجماعة بما يميز الفرد من الآخرين أو تفرد به سمات معينة، أو هي تكامل سماته التي تظهر تفرد عنه الآخرين، وهي تحرر الفرد من الجماعة والتفكير بنفسه وبما هي الخصائص التي تميزه من هذه الجماعة، وقيمه أهم من قيمة الجماعة، وهذا المفهوم يغطي تنوعاً كبيراً من المذاهب والمواقف والأفكار التي تشترك جميعها في إيلائها الفرد مكانة مركزية.

الفرويدية Freudism: الفرويدية هي علم النفس الذي يقوم على التحليل النفسي بطريقة فرويد، والمبني على مقولاته في التداعي الحر وتفسير الأحلام، أي تبني منهج فرويد في التحليل النفسي. وهي اتباع طريقة فرويد في التحليل النفسي في التداعي الحر وفي تفسير الأحلام والأنا والأنا الأعلى والدوافع البنائية الجنسية أو دوافع الأنا والدوافع التدميرية أو دوافع الموت تالياً ومبدأ اللذة والواقع والصراع ومراحل النمو النفسي والجنسي ونظريته في العصاب النفسي.

الفعل المنعكس الشرطي Conditioned Reflex Act: عندما يكون استجابة للمنبه الطبيعي بل لمنبه جديد ليس من خصائصه أن يثير هذه الاستجابة غير أنه يكتسب هذه الخاصة نتيجة اقترانه بالمنبه الطبيعي قبل الجديد بعدة ثوانٍ أي تكون ردة الفعل فيه نتيجة لمنبه جديد غير المنبه الطبيعي، ولكن ارتباط المنبه الجديد بالمنبه الطبيعي بفترة قصيرة يحدث ردة الفعل نفسها التي يحدثها المنبه الطبيعي.

الكاريزما (الإلهام) Charisma: صفة أو خاصية غير عادية، تحقق لدى الفرد فتجعل قدراته خارقة للعادة، ومن الناحية اللفظية تعني هبة الله، أي من ترسله العناية الإلهية إنقاذاً لأمته، وهي سمة غير عادية تتجلى بقوة خارقة وصفات نادرة وقدرات روحية، ويرتكز النظام الكاريزمي على طاعة البطل والتضحية من أجل تأدية رسالته، وبقدر ما يقوم به الشخص أو الزعيم من خوارق الأعمال في ظل النظام فإنه يستطيع شد الأتباع بزعامته، وتعتمد العناية الملهمة على البطولة أو القدسية أكثر من اعتمادها على الوضع الرسمي. أكد دور الكاريزما التاريخي ودور الفرد عالم الاجتماع ماكس فيبر.

الكبت Depression: حيلة دفاعية لا شعورية يلجأ إليها الفرد لكي يستبعد أفكاراً غير مقبولة وخبرات مؤلمة، وإجبارها على البقاء في اللاشعور والعقل الباطني، لكي يتمكن من نسيانها أو إنكار وجودها، وهي حيلة للتخفيف بخداع الذات، وهي الوسيلة التي يتقضى بها الإنسان إدراك نوازعه ودوافعه التي ينكرها ويتم دون وعي الفرد ودون علمه، وله أسباب عديدة، منها تهذيب الذات، وهو وسيلة هروب مؤقتة. وفي تعريفات أخرى: هو التعامل مع مادة مثيرة للقلق والانفعالات والأفكار الشعورية المؤلمة والمخيفة والمخزية، وطردها إلى

حيز اللاشعور، وهو عملية دفاعية لاشعورية والأفكار التي تؤدي إلى القلق يتم عزلها عن الإدراك الواعي الشعوري، فهو ليس برفض أو إنكار من قبل الفرد؛ لأنه يتذكر الواقعة وإنما نجد أن الفكرة أو الواقعة تستبعد من الشعور بوساطة قوى لاشعورية لا سلطان للفرد عليها هو حيلة دفاعية لاشعورية.

مسافة اجتماعية (بعد اجتماعي) Social Distance: أ- يستخدم مصطلح المسافة الاجتماعية في علم الاجتماع وعلم النفس للإشارة إلى درجة الفهم التعاطفي (الألفة) التي تسود بين طرفين لعلاقة اجتماعية. ويعتمد القياس على مدى ارتباط مشاعر الأطراف بالفهم التعاطفي الكامل. فكلما اقتربنا من هذا الفهم قلت المسافة الاجتماعية، وكلما ابتعدنا عنه زادت المسافة. ب- وأدخل هذا المصطلح في تراث علم الاجتماع بارك وبيرجس، ثم ذاع استخدامه بعد أن وضع بوجاروس مقياس المسافة الاجتماعية، ويتألف هذا المقياس من عناصر أو وحدات مرتبة تكشف عن درجة الألفة والفهم بين الأشخاص والجماعات. ج- إحساس بالانفصال، أو انفصال اجتماعي واقعي بين أفراد أو جماعات. ولذلك كلما زاد البعد الاجتماعي بين جماعتين لكل منهما مكانتهما أو ثقافتهما المستقلة، قلت درجة التعاطف والفهم المشترك والمودة والتفاعل بينهما. وجدير بالذكر أنه عندما يكون بناء المجتمع قائماً على تسلسل المراكز، كما هو الحال في نسق الطبقة المستقلة، قلت درجة التعاطف والفهم المشترك والمودة والتفاعل بينهما. وجدير بالذكر أنه عندما يكون بناء المجتمع قائماً على تسلسل المراكز، كما هو الحال في نسق الطبقة المغلقة، يمثل البعد الاجتماعي جزءاً من بناء الدور في المجتمع، لما قد يمكن النظر إليه بوصفه مرغوباً وشرعياً داخل

النسق التقليدي والمستقر للتدرج الطبقي الاجتماعي، وقد كان جورج زيمل أول من استخدم هذا المصطلح.

الهلوسة Hallucination: خداع في الحواس يتخيل به المرء وجود حقائق خارجية لا وجود لها في الواقع، وليس ثمة مثير خارجي لها، ولها أنواع: سمعية (تخيل أصوات أو ضجيج) وبصرية (تخيل صور أشخاص أو أشياء) وهي ترافق الأمراض النفسية عادة.

وسائل الإعلام الجماهيري Mass Information: كل القنوات المعاصرة التي تنقل المعلومات بما فيها الصحف، والتلفاز والإذاعة، والسينما، والوسائل نوعان أساسيان: وهي الصحافة المطبوعة، والإذاعة والتلفاز والنوع الثاني: هو وسائل ثانوية كالسينما والمسرح وشريط التسجيل والملصقات الجدارية والمنشورات واللافتات والصور والكتب.

الأرستقراطية، **Aristocracy**: الأرستقراطية، معناها طبقة النبلاء من الشعب، ويقابلها طبقة العامة وسواد الشعب، وكان لهذه الطبقة الدور الأكبر في حياة الرومان القدماء. فمنها يجب أن يكون الحكام وقواد الجيش وعظماء البلاد، وعلى العامة أن تخضع لمشئمة الطبقة الأرستقراطية. وقد انتهى دور هذه الطبقة بعد أن بدأت الجماهير تأخذ دورها، وأصبح هذا العصر يعرف بعصر الجماهير.

الإستراتيجية والتكتيك، **Strategy, Tactic**: تعبيران عسكريان في الأصل، وقد ظهرت حولهما كتابات كثيرة ومؤلفات ضخمة من أقدم العصور إلى الآن. ويطلقان الآن في مجالات أخرى سياسية واقتصادية وغيرها. وقد وضعت مبادئ أولية للإستراتيجية العسكرية أخذت بها معظم القيادات العسكرية في العالم بشكل أو بآخر، وتتلخص تلك المبادئ بما يلي: 1- الهدف. 2- الهجوم. 3- التعاون (وحدة القيادة). 4- المركزية 5- اقتصاد القوة. 6- المناورة. 7- المباغثة. 8- الأمن. 9- البساطة والوضوح. 10- الإدارة. 11- الإبادة. وقد عرفت الإستراتيجية أنها «فن المغامرة المرسومة» وهي التي ترشد القادة العسكريين إلى الرؤيا الواضحة في ضباب الحروب. إنها المخطط العام الموضوع لمقابلة العدو والتغلب عليه. وفي مجال التمييز بين الإستراتيجية والتكتيك يمكن القول إن الإستراتيجية تبحث في التخطيط لأماكن أرحب وعهود أطول وتحركات أعظم للقوات. بينما التكتيك على عكس ذلك تماماً. والإستراتيجية هي المدخل المخطط للمعركة (قد تكون المعركة سياسية أو اقتصادية أو أي شيء آخر) أما التكتيك فهو التحرك على أرض المعركة ذاتها. وعلى الرغم من هذا الفصل

النظري بين الإستراتيجية والتكتيك فإنهما عملياً متمم بعضهما لبعض ولا يمكن فصل الواحد منهما عن الآخر. الإستراتيجية هي التي تحدد للتكتيك مهمته، وتبحث فيما تؤول إليه نتيجة المهمة. وهناك علاقة تفاعل وتأثير متبادل بين كل من الإستراتيجية (العامة) والتكتيك (الخاص).

الاستعمار الجديد ، Neo-Colonization : فرض السيطرة الأجنبية من سياسية واقتصادية على دولة ما مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها، دون الاعتماد في تحقيق ذلك على أساليب الاستعمار التقليدية، وأهمها الاحتلال العسكري. ويستخدم الاستعمار الجديد في تحقيق أغراضه وسائل خاصة لتحاشي المعارضة الشعبية الصريحة أو معارضة الرأي العام العالمي، ومن ذلك عقد الاتفاقيات الثنائية غير المتكافئة، وتكبير الدول النامية بشروط تحد من حرية التصرف، وإقامة القواعد العسكرية... إلخ.

الاستعمارية، Colonialism : استعمال دولة حق السيادة على إقليم خارج حدود أراضيها، فيفقد بذلك كيانه الخاص وشخصيته الدولية، ويتبع ذلك السيطرة على شؤونه كافة والحصول على كل المزايا الاقتصادية التي تطمع فيها الدولة المستعمرة بشكل مححف بالإقليم الواقع تحت سيطرتها.

الاضطهاد- الظلم، Oppression : ممارسة السلطة ممارسة ظالمة وقاسية وانتهاك المبادئ الدستورية، وخاصة ما كان منها متعلقاً بحماية حقوق الإنسان.

أما تعريف النخبة: فهي جماعة أو صنف من الناس أو مجموعة من الأفراد الذين يملكون بعض الصفات والقابليات التي يشمنها المجتمع كالقابلية العقلية العالية،

والمراكز الإدارية الحساسة، والقوة العسكرية، والسلطة الأخلاقية. تيمرد يقول: إن النخبة هي الطبقة التي تتكون من جماعات مهنية تتمتع بمنزلة عالية في المجتمع.

الإمبريالية، Imperialism : الإمبريالية تعني في الأصل الاستعمار، ولكن مفهوم الإمبريالية تطور ليعني السيطرة الشاملة ليس على مقدرات بلد معين أو شعب واحد وإنما على مقدرات جميع الشعوب وكل البلدان. إن استعمار بلد واحد أو بلدان يعني الكولونيالية أي الاستعمار المحدد. أما الإمبريالية فتعني محاولة فرض السيطرة الكاملة على العالم بأسره. وذلك من خلال الاحتكارات الاقتصادية العالمية. وخير ما يمثل الإمبريالية الآن هو الاستعمار الأمريكي الذي يريد أن يفرض سلطانه وسلطان احتكاراته على جميع الأمم. وعلى هذا يكون الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية، وتكون الإمبريالية أعلى مراحل الاستعمار، والإمبريالية تطور لفظي لكلمة إمبراطورية، وهما من مصدر واحد.

الأممية Internationalism: الأممية حركة كانت تهدف في الأصل إلى توحيد أحزاب الطبقة العاملة في جميع أنحاء العالم. وكانت مبادئ الثورة الفرنسية - التي قامت في عام 1789م، في الديمقراطية والحرية- هي التي أوحى بهذه الحركة. وقد تم تأسيس الأممية الأولى في اجتماع حاشد في قاعة سان مارتين في لندن، وذلك في 28 أيلول عام 1864م تحت اسم « رابطة العمال الدولية» ولم يكن لماركس أي دور في التحضير لهذا الاجتماع، ولكنه كان من المدعوين لحضوره. وقد انتخب واحداً من بين 32 عضواً آخرين يشكلون المؤتمر العام للرابطة. ولم يلبث أن أصبح رئيساً للرابطة نفسها. وفي المؤتمر الذي عقده في بازل 1869 تبنيت الرابطة نهائياً الأهداف الاشتراكية، كانتقال الملكية الخاصة للأرض والغابات إلى الملكية العامة. وبدأت الأحزاب الاشتراكية تتشكل على أساس

قومي بعد انهيار الأممية الأولى. وهكذا جاءت الأممية الثانية التي تشكلت في مؤتمر باريس عام 1889م، مختلفة في شكلها وجوهرها عن الأممية الأولى، فقد قامت على أساس اشتراك الأحزاب الاشتراكية القومية والاتحادات النقابية أعضاءً مشاركين فيها، واختفت المركزية التي كانت سائدة في الأممية الأولى. وفي عام 1919م تم تأسيس الأممية الثالثة المعروفة باسم الكومنترن، وذلك في المؤتمر المنعقد في موسكو الذي حضرته مجموعات الأحزاب الشيوعية في دول أوروبا الشرقية والوسطى. وظل تعبير «الكومنترن» مرادفاً للأممية الثالثة حتى حل رسمياً في أيار 1943م. وفي عام 1947م أعيد تشكيل جديد تحت اسم الكومنفورم، ولكن الكومنفورم بعد انسحاب تيتو منه في عام 1948م، بدأ يضعف ويتلاشى وتنتهي معه الأممية الثالثة. وتنتهي معه أيضاً سيطرة روسيا على الحركة الاشتراكية الأممية.

الأوتوقراطية، Autocracy: ومعناها الحكم المطلق الذي تتجمع فيه السلطة في أغلب الأحيان بيد رجل واحد. وكان يطلق هذا التعبير في الأصل على الحكومات الملكية التي يصبح فيها الملك مركز السلطات كلها. وتعد عبارة لويس الرابع عشر ملك فرنسا: «أنا الدولة» خير تمثيل لهذا النوع من الحكم. أما في العصور الحديثة فخير ما يمثل الأوتوقراطي هو الحكم الفاشستي في إيطاليا والنازي في ألمانيا، وكذلك حكم الجنرال فرانكو في إسبانيا سابقاً.

الأوليغاركية Oligarchy: شكل من الحكم يعني حكم نخبة صغيرة غير تمثيلية على وفق مصالحها ولاسيما من حيث جمع الثروة والمنافع، فهي حكم أقلية تتولى مقاليد السلطة، ويستعمل المصطلح أحياناً على نحو عام مرادفاً لأية نخبة حاكمة.

الأوليغاركية المالية **Financial Oligarchy**: فهي مجموعة صغيرة لأكبر أغنى الاحتكاريين الذين يشغلون مواقع السيطرة في اقتصاد البلدان الرأسمالية، ويمارسون تأثيراً مباشراً في السياسة الداخلية والخارجية.

Ideology : يقصد بالأيديولوجية علم الأفكار - حقائقها وأخطاؤها- من خلال نظرية نقدية لعمليات العقل الحقيقية. وقد أصبحت الكلمة بسرعة كلمة شائعة بصفة عامة، وتعني نظاماً من الأفكار والعواطف والاتجاهات في العالم والمجتمع والإنسان، ولقد طبق المفهوم أكثر ما طبق بالنسبة للأفكار والعواطف والاتجاهات في السياسة، وتحرك من خلالها العمل السياسي واكتسب شرعية، وبهذا المعنى تعزى الأيديولوجية إلى الممثلين على مسرح السياسة نتيجة لأفعالهم وأقوالهم ولولم يعبروا عنها.

Bourgeoisie : البرجوازية تعبير يقصد به الطبقة التي تشكلت على أنقاض الطبقة الإقطاعية من تجار المدن وأغنيائها، ومن جماعة المثقفين الذين أسهموا فكرياً في القضاء على الطبقة الإقطاعية، وقد تم أول انتصار حاسم لطبقة البرجوازية على الحكم الإقطاعي أثناء قيام الثورة الفرنسية التي تمثل البورجوازية خير تمثيل. ثم توالى انتصارات البرجوازية في أوروبا كلها وقامت ثورات 1948م التي كانت في حقيقتها ثورات برجوازية، إلى جانب كونها ثورات قومية. هذا وقد نتجت البورجوازية الحديثة عن أربع حوادث اجتماعية مهمة هي: اكتشاف أمريكا، نمو التجارة ونشوء سوق عالمية، التصنيع، تقسيم العمل. وقد تخطت البرجوازية الحدود القومية فأصبحت مصالحها متضامنة في كل العالم. وبذلك وضعت الأساس الاقتصادي لقيام حضارة عالمية كلية أساسها حركة رأس المال في البحث عن مواد أولية جديدة وعن أسواق لتصريف المنتجات.

وبذلك حققت تقدماً صناعياً وإنسانياً حاسماً، ولكنها في ذات الوقت أخضعت كل العلاقات الإنسانية للنقد. فكل شيء في نظرها (بما في ذلك الإنسان) أصبح سلعة خاضعة للعرض والطلب فيمكن أن يشرى ويبيع. لقد «علمت» البورجوازية كل مقدسات المجتمعات السابقة. وهذه خطوة مقدمة هائلة، ولكنها أنشأت صنمية جديدة كانت أساساً لكل الضياعات التي تعاني منها الإنسانية، وهي النقد. وأصبحت معها الحرية هي حرية تبادل المنتجات والسلع، والقانون هو قانون الاستغلال، والفردية هي فردية الإنسان الأناني.

البروليتاريا، Proletaria : البروليتاريا هي الطبقة العاملة التي تعمل دون أن تملك شيئاً. وإنما تملك قوة عملها فقط. إنها الطبقة الكادحة المستغلة والمضطهدة التي تكونت مع بداية العصر الرأسمالي في إنكلترا أولاً، ثم في أوروبا. وقد استطاع نضال طبقة البروليتاريا هذه أن يفجر أول ثورة عمالية في باريس عام 1871م حيث سيطر فيها العمال على الحكم من 18 آذار إلى 28 أيار من العام نفسه. وقد عرفت تلك الفترة وما رافقتها من أحداث باسم كومونة باريس.

البلشفية Bolshevism: البلشفية هو التعبير الذي أطلقته جماعة الجناح اليساري، من أنصار لينين، في حزب العمل الاشتراكي الديمقراطي الروسي على نفسها، وذلك في عام 1903م. وقد ظلت تلك الجماعة تعرف بهذا الاسم حتى بعد نجاح ثورة تشرين الأول في عام 1917م التي عرفت باسم الثورة البلشفية. وظل التعبير متداولاً حتى بعد تبديله رسمياً باسم «الحزب الشيوعي» في آذار عام 1918م. وكلمة البلشفيك في اللغة الروسية تعني الأكثرية، ومن هنا نفهم أن أنصار لينين كانوا يشكلون الأكثرية في الحزب. أما المنشفيك فهي

كلمة روسية أيضاً، وتعني لغوياً الأقلية، أما سياسياً فتعني تلك المجموعة التي سيطرت على الحكم فيما بين شباط وتشيرين الأول 1917م بزعامة كيرنسكي. وقد انتهى المنشفيك باندلاع ثورة 17 تشيرين الأول تحت زعامة لينين.

البيروقراطية، Bureaucracy: البيروقراطية تعبير مأخوذ عن الأصل الفرنسي الذي يعني «المكتبية» أي سلطة المكاتب. وهو يدل على مدى تأثير العقلية البطيئة الروتينية في دوائر الحكومة والسلطة. كما يعني أيضاً تحكم طبقة الموظفين ومكاتبهم في أمور الدولة. والبيروقراطية في الحكم هي من أهم العقبات التي تعترض السلطة القوية التي تعتمد على الديناميكية والحركة السريعة. وقد عانت معظم الحركات الثورية من البيروقراطية، ولا تزال تعاني منها معظم الحركات الثورية وخاصة تلك التي تعتمد المركزية في كل شيء. والتجربة والعمل هما اللذان يحلان المشكلات التي تنتج عن البيروقراطية.

تحالف، Alliance : ارتباط قائم بين شخصين أو جماعتين أو أكثر في نطاق جمعية مشتركة تواجه قوى خارجية معارضة. وبهذا المعنى يمكننا أن نتحدث عن تحالف بين القادة السياسيين أو الأحزاب، أو التحالف بين العلم والمال ضد المرض. ويستخدم في السياسة الدولية لكي يشير إلى تبادل المساعدات المالية والعسكرية بين بعض الدول في مواجهة قوى دولية معارضة.

التطهير السياسي، Political Purgation : يشير إلى استبعاد القيادة للعناصر المعادية أو المعارض عليها من الحزب السياسي أو الحكومة أو أي مؤسسة أخرى، مع الاعتقال أو دونه، وهو أحياناً يطبق على الاعتقال والسجن أو الإعدام بالجملة لفئات من السكان تعد «خطرة على المجتمع» وبهذا المعنى عده بعض المؤلفين مظهراً من مظاهر النظم الديكتاتورية.

التكنوقراط، **Technocracy** : حركة بدأت عام 1932م في الولايات المتحدة (Technocracy) تكنوقراطية. والتكنوقراطيون يتكونون من المهندسين والمعماريين والاقتصاديين المشتغلين بالعلوم، ودّعوا إلى قياس الظواهر الاجتماعية ثم استخلاص قوانين يمكن استخدامها للحكم على هذه الظواهر، هم النخب المثقفة الأكثر علماً وتخصصاً في مجال المهام المنوطة بهم، وهم غالباً غير منتمين للأحزاب. والتكنوقراط كلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين: التكنولوجيا: وتعني المعرفة أو العلم، وقرط وهى كلمة إغريقية معناها الحكم، وبذلك معنى تكنوقراط حكم الطبقة العلمية الفنية المتخصصة المثقفة.

التكنولوجيا، **Technology**: تعبير علمي يقصد به فن الاستفادة من أحدث ما توصل إليه العلم في الاختراعات الحديثة، وخاصة في مجالات الآلات الأوتوماتيكية التي تعمل بنفسها دون الحاجة إلى تدخل الإنسان. أي أنه العلم التطبيقي لاستخدام الآلة.

توتاليتارية **Totalitarianism**: شكل من أشكال الحكم، تشرف فيه الدولة على كافة ميادين الحياة ضمن مجموعة من الأنظمة الاجتماعية والسياسية، وتنعقد فيه عملياً الحريات الدستورية والديمقراطية، بالرغم من وجود سمات متباينة أو حركات اجتماعية تنتمي إلى مجتمعات حضرية جماهيرية.

الثورة **Revolution**: مصطلح يستخدم في سياقات عدة، إذ قد يشير إلى تغيرات جذرية وأساسية في حقل من حقول العلم والمعرفة، كالقول بالثورة الصناعية أو الثقافية أو الاقتصادية، أو قد يكون إشارة إلى تحولات رئيسية في البنى الاجتماعية والسياسية، وغالباً ما يشير هذا المفهوم إلى تفسيرات تحدث عن طريق العنف والانقلاب في شكل حكومة بلد ما.

الثورة البرجوازية Bourgeoisie Revolution: ترمي إلى القضاء على الإقطاع ومخلفاته، وإقامة النظام الرأسمالي، وكذلك إلى الظفر بالاستقلال الوطني في البلدان المستعمرة والتابعة، وبدأت في القرن السادس عشر واستمرت حتى القرن العشرين.

ثورة التحرر الوطني National Liberation Revolution: وتعني ثورة شعب مستعمر خاضع للقهر القومي ضد القوى الاستعمارية الأجنبية، ولقد وجد هذا النوع من الثورة منذ أن وجد الاستعمار، ومنذ أن بدأت الدول القوية بالسيطرة على الشعوب الضعيفة واستغلالها ونهب ثرواتها، وهذه الثورة تستهدف طرد المستعمر من البلاد، أو قلب النظام العميل الذي يقيمه المستعمر ويدعمه ويخلفه.

الثورة الثقافية Culture Revolution: هذا المصطلح من الأدبيات الاشتراكية، يدل على الانقلاب الجذري في حياة الشعب الثقافية والروحية بعد الثورة الاشتراكية، ويهدف إلى تصفية رواسب الثقافة القديمة (البرجوازية والإقطاعية) وترسيخ الإيديولوجية الاشتراكية.

الجماعة- ديناميكية الجماعة، Group, Group dynamics: الجماعة الاجتماعية هي مجموعة من الناس كبيرة أو صغيرة الحجم تربط أعضائها علاقات اجتماعية قوية تساعد على تحقيق أهدافهم الأساسية. أما ديناميكية الجماعة فهي الدراسة التي تتعلق بطبيعة التغيرات التي تطرأ على الجماعات الصغيرة نتيجة حدوث تغيرات ديناميكية في بعض أجزاء الجماعات الكبيرة التي تتكون فيها الجماعات الصغيرة، وقد أصبحت دراسات الجماعة الصغيرة متطورة وناضجة خلال الحرب العالمية الثانية لأن الجيش والقوات المسلحة من الجماعات

الثانوية الصغيرة. كما ارتفعت أهمية دراسة الجماعة الصغيرة بعدما أدركت المنظمات العسكرية للحلفاء أهمية الجماعة الصغيرة في رفع الحالة المعنوية للجندي، وبالتالي زيادة كفاءته العسكرية والقتالية.

الجنسية Nationality: المواطنة- التبعية- الانتماء السياسي والحقوقى للشخص إلى دولة ما، وبموجبها تشمل قوانين الدولة المواطن وتحدد الحقوق والواجبات الوطنية، (كحق الاقتراع والتصويت).

حركة عدم الانحياز Non- Alignment Movement: تضم أكثر من مئة دولة، وذلك من البلدان النامية أساساً التي اختارت بعد الحرب العالمية الثانية سياسة عدم المشاركة في الأحلاف والتكتلات الحربية السياسية الدولية، وهي تعارض الاستعمار القديم والجديد، وتنادي بالسلام، وتدافع عن استقلالية سياسة البلدان غير المنحازة.

الحرمان النسبي، Relative deprivation: أدخل (سلوفر) وزملاؤه هذا المفهوم في كتابهم (الجندي الأمريكي) عام 1949م وصاغه (ميرتون) فيما بعد وجعل له معنى دقيقاً ومحددًا وربطه بنظرية سلوك الجماعة المرجعية. فالأفراد يرون أنفسهم محرومين (أو أن لهم بعض الامتيازات، ولذلك يشير ميرتون إلى مفهوم الإشباع النسبي) بمقارنة موقفهم بموقف فئات الأشخاص والجماعات الأخرى. (المقارنة قائمة بين ضباط الشرطة العسكرية وضباط القوات الجوية).

حرية الإرادة Free - will: تفهم عموماً على أنها حرية الاختيار، وترتبط بها مسألة عملية أخلاقية هي مسؤولية المرء عن أعماله، وقد اختلف المفكرون حولها؛ فأنصار الجبرية أو الحتمية يقولون إن الإرادة البشرية مشروطة سببياً بعوامل فيزيائية، ويرفض ذلك أصحاب الاحتمية.

حرية الكلام Freedom of Speech: هي حرية التعبير عموماً من كلام وكتابة ونشر، وغيرها من وسائل نقل المعلومات والأفكار دون التعرض لأي عقاب، وهو مضمون شكلي في أكثر الدول الديمقراطية البرجوازية؛ ويسمح لها في حدود القانون، وتتقيد عادة بقيود مثل تجنب الإساءة إلى الآداب العامة أو كرامة الناس أو التحريض على الشغب والعنف.

حزب Party: يدل على الحزب السياسي خاصة، وهو تنظيم سياسي يعبر عن مصالح فئات اجتماعية معينة، ويضم العناصر الأكثر وعياً ونشاطاً فيها، ويتولى قيادتها للوصول إلى المثل والأهداف المنشودة. أو هو مجموعة من الناس تحاول عن طريق الانتخاب أن تجنس أعضائها في مراكز الحكم، وأن تسيطر على أعمال الحكومة أو توجهها، أو هو مجموعة من المواطنين الذين يؤمنون بأهداف سياسية وإيديولوجية مشتركة، وينظمون أنفسهم بهدف الوصول إلى السلطة وتحقيق برنامجهم.

الحكم المطلق - الاستبدادية، Absolutism : أحد أشكال الحكم، يتولى السلطة العليا في ملك أو جماعة صغيرة بمقتضى دستور أو دونه، ويتميز بالسلطة غير المحدودة أو الاستبدادية.

حوار جنوب- جنوب South - South Dialogue: تعاون البلدان النامية المستعمرة سابقاً لتعزيز الروابط فيما بينها، ولإعادة بناء العلاقات الدولية على أسس عادلة ومتكاملة.

حوار شمال- جنوب North - South Dialogue: ويدور بين البلدان الرأسمالية المتطورة والبلدان النامية المستعمرة سابقاً، وفي إطاره تطالب الدول النامية بإقامة نظام اقتصادي عالمي جديد بهدف تمتين موقعها في الاقتصاد

العالمي وزيادة المعلومات الاقتصادية المقدمة لها، ومنحها امتيازات تجارية، وتحسين شروط الحصول على التكنولوجيا.

الدبلوماسية Diplomacy: النشاط الرسمي لرئيس الدولة وللحكومة والأجهزة المختصة في مجال تنفيذ أهداف السياسة الخارجية للبلاد ومهامها فيما يخص حماية حقوق البلاد ومصالحها ومؤسساتها ومواطنيها في الخارج، ويتم من خلال المفاوضات والمراسلات والبعثات الدائمة، وفي عبارة أخرى جملة الأساليب المستخدمة في المفاوضات والعلاقات مع الدول الأجنبية، ويعرف هذا المصطلح باللباقة وحسن التدبير أو المهارة والدهاء.

دولة الرفاه، Welfare state : في الأدبيات الغربية الدولة التي تعمل على تأمين الرفاهية لأعضاء المجتمع كافة، وتقدم خدمات وتأمينات اجتماعية ومعونات إلى أفراد المجتمع، بما يحقق ارتفاع مستوى المعيشة أو ضمان حد أدنى لها، وينطلق هذا المفهوم من حق كل إنسان في الحياة الكريمة. وذلك في مقابل الدولة الحارسة التي تنحصر وظيفتها في وضع قواعد صيانة النظام في المجتمع، ويذهب بعضهم إلى أن الدولة المعاصرة في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة تتطور بهذا الاتجاه.

الديالكتيكية، Dialectic : الديالكتيكية كلمة يونانية، ومعناها المحادثة والمجادلة. وكان الديالكتيك يعني في عهد الأولين فنّ الوصول إلى الحقيقة عن طريق اكتشاف التناقضات التي يتضمنها استدلال الخصم، والتغلب عليها. وكان بعض الفلاسفة الأولين يعدون اكتشاف تناقضات الفكر والمصادمة بين الآراء هما خير وسيلة لاكتشاف الحقيقة. وهذا الأسلوب الديالكتيكي في التفكير - الذي طبق فيما بعد على حوادث الطبيعة- أصبح الطريقة

الديالكتيكية لمعرفة الطبيعة نفسها. إن حوادث الطبيعة بموجب هذه الطريقة متحركة متغيرة دائماً وأبداً. وتطور الطبيعة هو نتيجة لتطور تناقضاتها، ونتيجة للفعل المتبادل بين القوى المتضادة فيها. ويمكن فهم الديالكتيك على أنه من حيث جوهره ضد الميتافيزيكية. هذا ويقوم الديالكتيك في الأصل على أربعة أسس هي: 1- الطبيعة كل واحد متماسك ترتبط فيه الأشياء والحوادث فيما بينها ارتباطاً عضوياً. 2- الطبيعة في حالة حركة وتغير، وتحدد وتطور، وبشكل دائم. 3- التغيرات الكمية تؤدي إلى تغيرات كيفية. 4- التطور يحدث نتيجة لصراع المتضادات.

الديماغوجية، Demagogy: أسلوب في السياسة، يستخدم لاكتساب النفوذ السياسي أو الوصول إلى السلطة أو تدعيم السلطة بعد الوصول إليها، وذلك بالاعتماد على إثارة مشاعر الجماهير ضد وضع معين أو تأييداً لوضع معين، بوساطة الكذب السياسي.

الديمقراطية العسكرية Military Democracy: مصطلح أدخله مورجان للدلالة على سلطة القادة المحاربين التي لا تزال تحافظ على بقايا النزعة التعاونية والديمقراطية المميزة للمشاعة البدائية، والتي قامت في مرحلة تفسخ هذه المشاعة، كالمجتمع الإغريقي في العصر الهومييري مثلاً.

الديمقراطية، Democracy : الديمقراطية كلمة يونانية تعني حكم الشعب. وقد تطورت المفاهيم حول كيفية تطبيق مبدأ حكم الشعب نفسه بنفسه. ففي حين كان اليونان يرون أن حكم الشعب ديمقراطياً لا يمكن أن يتم إلا بوساطة سيطرة طبقة النبلاء وحرمان العبيد والعامّة من الحرية أو ممارسة أي حق في الحكم، أصبح مفهوم الديمقراطية في الوقت الحاضر يعني إعطاء الحرية لأوسع

الجماهير من أجل مشاركتها الفعالة في حكم نفسها بنفسها عن طريق إرسال ممثليها إلى المؤسسات الديمقراطية كالبرلمان أو المجالس الشعبية أو النقابات العمالية أو المنظمات الشعبية أو الأحزاب السياسية أو غير ذلك.

الراديكالية، Radicalism: معناها الرغبة في التغيير الثوري الجذري لنظام اجتماعي ما. وقد استخدمت الكلمة في إنكلترا بمعنى سياسي من قبل تشارلز جيمس فوكس الذي دعا في عام 1797م إلى «إصلاح راديكالي» بتوسيع حق الاقتراع حتى يشمل الجنس البشري كله دون تمييز. واستخدم التعبير فيما بعد ليعني (الحزب الراديكالي الفرنسي) مع أنه في الحقيقة بعيد عن هذه الصفة. أما في الولايات المتحدة فالراديكالية تعني التطرف في كل شيء، سواء نحو اليمين أم نحو اليسار. وتمثل الشيوعية الراديكالية اليسارية، بينما تمثل الفاشية الراديكالية اليمينية.

الرجعية، Retro Activity: في القانون نقل أثر القانون أو القانون أو الحكم إلى الماضي، إلى الوقائع التي جرت قبل نشره وسريان مفعوله، أو هي ردة فعل لثورة معينة أو لإجراء سياسي جريء وخطير، والمقاومة السياسية والاقتصادية والإيديولوجية للتقدم الاجتماعي والنزوع للحفاظ على الأنظمة البالية أو العودة إليها.

السلطة، Authority: هي نوع من أنواع القوة تنظم جهود الآخرين وواجباتهم من خلال الأوامر التي تصدرها لهم، إذ تعد هذه فعالة لكونها صادرة من أشخاص شرعيين بحسب اعتقاد الأشخاص الخاضعين لمشيئتها.

السلوك الاجتماعي Social Behavior: هو سلوك شخص أو مجموعة أشخاص، ويحدث استجابة لسلوك أشخاص آخرين دون أن يكون لهؤلاء الأشخاص وجود مادي، وهذا يعني أن الشخص يستجيب في ضوء توقعه لسلوك الآخرين. والسلوك الجماعي هو سلوك الأفراد النابع من انتمائهم إلى هذه الجماعة أو تلك.

السوفييتات Soviets: وهي كلمة روسية تعني المجلس، وتدل على مجالس مندوبي العمال ومجالس مندوبي الفلاحين خاصة، والتي ظهرت أثناء الثورة الروسية (1905-1907م) وانبعثت عام 1917م بعد ثورة شباط (سوفييتات مندوبي العمال والجنود) وثورة أكتوبر (سوفييتات مندوبي العمال والفلاحين والجنود الحمر) ومنها جاءت تسمية الاتحاد السوفيتي. وفي عام 1936-1977م عرفت بـ(سوفييتات مندوبي الكادحين) وبعد عام 1977م (سوفييتات مندوبي الشعب) وتعد السوفييتات صاحبة السلطة في المنطقة المعنية، وأجهزة للإدارة المحلية، وهي تندرج من سوفييتات الأحياء فالمدن فالمناطق إلى السوفييت الأعلى في الجمهوريات، فالسوفييت الأعلى لعموم البلاد.

السياسة الاجتماعية Social Policy: هي وضع الخطط والبرامج التي تنظم الميدان الاجتماعي من حياة المجتمع ورسم الاتجاهات العامة لتنفيذها. وهي التفكير المنظم الذي يعبر عن أهداف المجتمع البعيدة، ويوجه مجالات التخطيط والبرامج الاجتماعية، ويحدد الاتجاهات العامة لتنظيمها وأدائها، ووصف سياسات الحكومة في مجال الخدمات الاجتماعية، أي وصف المسائل المتعلقة

بالصحة والتعليم والإسكان والتأمين الاجتماعي والمساعدات الأهلية، وإدارة الدولة لهذه القضايا.

الشوفينية Chauvinism: هي المغالاة في التعصب القومي وحب الوطن. إذ يعد الشوفيني وطنه أفضل الأوطان جميعاً، وأمته فوق جميع الأمم. وقد جاءت هذه الكلمة من اسم نيكولاس شوفان الجندي الفرنسي الذي جرح عدة مرات في حروب الثورة الفرنسية وحروب نابليون، ولكنه ظل أبداً يقاتل في سبيل مجد فرنسا ومجد نابليون. وتعمل الشوفينية حالياً في مجال الاستهجان وعدم الاستحسان، وتمثل النازية الألمانية قمة التعصب الشوفيني.

الضبط الاجتماعي، Social control: يشير بالمعنى الواسع إلى ناحية من المناقشة السوسيولوجية المتعلقة بدعم النظام والاستقرار، وقد يستخدم بالمعنى الضيق للإشارة إلى الوسائل المختلفة المتخصصة المستخدمة في دعم النظام (القوانين والمحاكم ورجال الشرطة) وقد يستخدم للإشارة إلى مناقشة النظم الاجتماعية وعلاقتها المتبادلة، طالما تسهم بصفة نوعية في الاستقرار الجماعي، ومن بين تلك النظم الاجتماعية النظم القانونية والدينية والسياسية، وهو أحد الموضوعات الأساسية في علم الاجتماع.

العدوان، Aggression: رغبة في ممارسة القوة على الآخرين عند آدلى، أو استبعاد فكرة الموت عند فرويد. وفي السياسة الدولية أو القانون الدولي يستخدم هذا المصطلح في المعاهدات الدولية بمعنىين: الأول يقوم على تصنيف حالات العدوان، أما الثاني فيعتمد على التعريف المجرد له. ولهذا يعد إعلان الحرب على دولة أخرى من العدوان، فإنه يكون واحداً من الأسس التي تقوم عليها محاولات تعريف العدوان بصورة مجردة.

العقد الاجتماعي Social contract: مفهوم في النظرية السياسية التي طورها المفكر الهولندي غروتوس، وراجت خاصة في عصر الثورات البرجوازية في القرن 18-19 (هوبز - روسو) على الرغم من أن أصولها ترجع إلى عهد أفلاطون، وتذهب هذه النظرية إلى أن الدولة تنشأ نتيجة اتفاق بين الناس بأن يتخلى الأفراد طوعاً عن جزء من حقوقهم الطبيعية يوكلونه إلى السلطة الحكومية، وقد ذهب هوبز إلى أن يد الحاكم الحازمة شرط ضروري للسلام والازدهار.

علم الاجتماع السياسي Political Sociology: يدرس العلاقة بين الميدان السياسي وباقي ميادين الحياة الاجتماعية، وارتباط المؤسسات السياسية (الدولة، الأحزاب...) بباقي المؤسسات الاجتماعية، ويدرس أيضاً الأسباب والآثار الاجتماعية لتوزيع القوة على نحو معين داخل المجتمعات أو بين المجتمعات وبعضها مع بعض، والصراعات الاجتماعية والسياسية التي تؤدي إلى تغيرات في حظوظ الأطراف المختلفة في القوة. كما يدرس الظواهر السياسية الواقعية التي تؤثر في البناء الاجتماعي والثقافي، وتتأثر به في نفس الوقت، ويستخدم علم الاجتماع السياسي طرق الدراسة السوسيولوجية بما في ذلك الطرق المستخدمة في دراسة الاتجاهات، مع دراسة المحتوى الواقعي للسلوك السياسي.

العنصرية Racism: الاعتقاد الذي يقوم على أساس فكرة التفوق العنصري لبعض الأجناس، وتقوم على أساس سلالات مختلفة المراتب ومتفاوتة القيم، وأنه يحق للسلالات العليا أن تحكم السلالات الدنيا، ويعد هذا الاتجاه أحد أشكال التكبر. وفي تعريف آخر العنصرية هي الاعتقاد بأن الجماعة التي ينتمي إليها الفرد تتكون من سلالات متميزة تفوق السلالات الأخرى. العنصرية تقوم على فكرة التمييز العنصري لجنس دون آخر، أو طبقة اجتماعية دون أخرى.

الفايية Fabianism: وهو اسم يطلق على جمعية اشتراكية تأسست في لندن عام 1883م. وكانت الجمعية الفايية هذه تهدف إلى «إعادة بناء المجتمع طبقاً لأفضل المثل الأخلاقية الممكنة للتحقيق». وقد اشتق اسم الجمعية من اسم القائد الروماني فابيوس كنكتاتور الذي اشتهر باتباعه تكتيكاً بارعاً أثناء انتصاراته العسكرية على أعدائه الذين كانوا يفوقونه في العدد. ومن أعضاء هذه الجمعية الأوائل جورج برناردشو، وسدي وي، وغيرهما من الكتاب والأدباء، وفي 1889م نشرت الجمعية مجموعة أخرى تحت عنوان «أبحاث فايية جديدة».

الفاشية، Fascism: وهي فلسفة سياسية ومذهب خاص في الحكم، وتشابه مع النازية في أنهما كليهما تمجدان الدولة والعرق، وتدعوان إلى حكم أوتوقراطي على رأسه زعيم ديكتاتوري، وإلى السيطرة على كل شكل من أشكال النشاط القومي. هذا وقد تجسدت الفاشية في إيطاليا بشخص موسوليني كما تجسدت النازية في ألمانيا بشخص هتلر.

الفدرالية والكونفدرالية، Federalism, Confederalism: تعبران متشابهان يدلان على رغبة مجموعة من الشعوب المستقلة التي ترتبط ببعض الروابط بالاتحاد فيما بينها ضمن شروط تتفق عليها الشعوب أو البلدان المعنية. ففي الاتحاد الكونفدرالي مثلاً يركز على فكرة الاستقلال الداخلي لكل بلد من بلدان الاتحاد. وخير ما يمثل هذا النوع هو الولايات المتحدة، أما في الاتحاد الفيدرالي فيركز على إعطاء الدولة الاتحادية وقوانينها الأهمية الكبرى ومنحها السلطات العليا. ويمثل هذا النوع الاتحاد السوفيتي السابق، وقد وضعت في العصر الحديث

عدة مشاريع اتحادية من أجل توحيد البلدان العربية، وأخفقت كلها لأنها لم تنطلق من مبدأ الإيمان بأن العرب أمة واحدة تجمعهم نفس الروابط،

الكوسموبوليتانية، Cosmopolitanism: هو مذهب فلسفي ينادي بالتححر من الأحقاد القومية أو المحلية الضيقة، ويعد العالم كله وطناً واحداً. أي أنه يدعو إلى المواطنة العالمية والتخلي عن المواطنة المحلية، في مجال معين.

الكومبرادور، Comprador: هي الطبقة الوسيطة من أبناء البلدان المستعمرة التي تشكلت لتكون رابطة الوصل بين المستعمرين الأجانب وأبناء البلد المستعمر. وكان هؤلاء الوسطاء من وكلاء للشركات الأجنبية أو مستشارين وطنيين لدى السلطات الأجنبية الدخيلة، أو عملاء يخدمون تلك السلطات ويقدمون لها العون.

الليبرالية، Liberalism: مذهب سياسي واقتصادي معاً. ففي السياسة يعني تلك الفلسفة التي تقوم على أساس استقلال الفرد بذاته واحترام الحرية الشخصية، وحماية الحريات السياسية والمدنية، وتأييد النظم الديمقراطية البرلمانية والإصلاحات الاجتماعية. أما في الاقتصاد فيعني تلك النظرية التي تؤكد على الحرية الفردية، وتقوم على المنافسة الحرة واعتماد قاعدة الذهب في إصدار النقود.

المؤسسة العسكرية، Military institution: نسق مترابط بين الأدوار والمعايير الاجتماعية المنظمة حول أنشطة الصفوة السياسية المسيطرة في الدولة، وتطبق العنف في صورته المتطرفة. وتعمل المؤسسة على إضفاء الشرعية على ممارسة العنف في عملية سلب حياة العدو ومحاولة تدميره. كما أنها تسعى -

فضلاً عن ذلك وبصورة مستمرة- إلى ردع التحديات الخارجية والداخلية التي تهدد بقاء «الطبقة المسيطرة» أو نفوذها، وقد تفعل ذلك في ظل شعار الدفاع عن مصالح المجتمع العليا.

المانوية Manichaeism: نسبة إلى أحد المفكرين اليونانيين، ويدعى ماني (216 - 276 م) وقد دعا هذا المفكر إلى الإيمان بعتيدة دينية مزدوجة، قوامها الصراع بين النور والظلام، وبين الخير والشر، وبين الحق والباطل.

المانيفكتورة، Manufacture: أسلوب في الإنتاج ظهر مع بداية تأسيس المصانع الصغيرة في البلدان الرأسمالية، حيث كان الاعتماد على العامل نفسه، ولا يزال هو الأساس في إنتاج السلع. فكان العمال يتجمعون في مكان واحد ويتوزعون العمل فيما بينهم. ومانيفكتورة تعني لغوياً «مصنوع باليد».

المجتمع الجماهيري، Mass society: يستعمل هذا المصطلح في وصف المجتمعات الديمقراطية الحديثة التي تعطي المجال للجماهير للتعبير عن أفكارها حول الأمور والمشاكل التي تواجهها خلال حياتها المعقدة. ويتضمن المزايا التالية: التصنيع الواسع، التنمية الحضرية الضخمة والإدارة البيروقراطية الشاملة، ويتميز بالحركات الأيديولوجية التي تنتهي دائماً بظهور نخبة خلاقة تقود المجتمع وتحافظ على سماته الحضارية.

المواطنة، Citizenship: يمكن تعريف المواطنة بأنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين شخص طبيعي ومجتمع سياسي (الدولة)، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الثاني مهمة الحماية، وتحدد هذه العلاقة بين الشخص والدولة عن طريق القانون، كما يحكمها مبدأ المساواة. فإن

فكرة المواطنة ذات جانبين: الأول الحقوق السياسية التي تمنحها الدولة للشخص حين تستعين بأرائه في وضع السياسة وتنفيذها ، والثاني التزامه بالإسهام الفعال، وخضوعه لما يترتب على ذلك من نتائج.

الميتافيزيكية، Metaphysics : الميتافيزيكية وتعني لغوياً «ما وراء الطبيعة» أو «ما وراء الوجود الفيزيائي» وهي طريقة في التفكير الفلسفي تنكر الروابط بين الأشياء الموجودة والحوادث التي تجري في الطبيعة، وتنظر إليها منفصلاً بعضها عن بعض، وتعد الطبيعة والمجتمع في حالة جمود واستقرار.

ميزان القوة، Balance of power : يستخدم هذا المصطلح غالباً في الأغراض الإعلامية لتسويغ بعض السياسات، إلا أنه قد يصف مبدأً استراتيجياً في السياسة الدولية، حين تعمل دولة على مواجهة التهديدات الخارجية لها، وذلك بزيادة قوتها النسبية من أجل استعادة ميزان القوة الذي يمكن أن يكون قد اختل نتيجة دخول عناصر مادية أو معنوية أدت إلى اختلال هذا الميزان.

النخبة Elite: جماعة من الأفراد يعترف بعظمتها في التأثير والسيطرة على شؤون المجتمع، وأول من كتب عنها العالم باريتو، وموسكا، وميتشل الذين قالوا بأن النخبة هي الطبقة الحاكمة التي تشكل الأقلية من أبناء الشعب. وهذه الطبقة يمكن تمييزها من الطبقة المحكومة في معيار القوة والسلطة حيث إنها تتمتع بسلطان القوة والتأثير أكثر مما تتمتع به الطبقة المحكومة في المجتمع. ولهذه الطبقة بعض الصفات الإيجابية التي تساعد على استلام صولجان الحكم، وهي أن أفرادها متحدون، أي أن كل واحد منهم يعرف الآخر فيتفاعل ويتعاون معه، وهذا ما يساعد هذه الطبقة على تحقيق أهدافها الأساسية.

نظام الحزب الواحد **one- Party- System**: يتولى فيه الحكم حزب واحد، ولا يسمح بإضافة أحزاب أخرى، ويتميز بالقدرات المركزية والسلطة الدكتاتورية-السلطوية.

الهيروقراطية Hierocracy: حكم رجال الدين، هي الحكومة الدينية، ويكون فيها لرئيس الدولة السلطة العليا في الميدانين الديني والسياسي، وتتميز بهيمنة رجال الدين على الشؤون الدنيوية والسياسية، كما تتميز بتسلط رجال الدين، أي تكون السلطة مطلقة.

البرجوازية الصغيرة **Petty Bourgeoisie**: طبقة انتقالية تتلاقى في داخلها مصالح طبقتين رئيسيتين في المجتمع الرأسمالي، وهما (البرجوازية و البروليتاريا) فهي تقع بين الطبقتين من حيث مصالحها وموقفها الاجتماعي، وتضم صغار التجار وأصحاب المزارع وصغار الملاك في المدن والأرياف الذين يعيشون بصورة كاملة أو غالبية على ثمار عملهم أنفسهم.

البطالة، Unemployment : عدم قدرة الشخص على أن يبيع قوة عمله في سوق العمل رغم رغبته في ذلك.

البلدان النامية **Developed Countries**: هي المجتمعات الأقل نمواً التي ليس فيها إنتاج صناعي، وإن وجد لا يكون على درجة كبيرة من النمو، ويعيش معظم سكان العالم في بلدان تنتمي إلى بلدان العالم الثالث.

تجديد الإنتاج Reproduction: تكرار عملية الإنتاج وتجديدها بصورة مستمرة، وتشمل تجديد الخبرات المادية والقوى العاملة والعلاقات الإنتاجية، ويميز ماركس بين نمطين من تجديد الإنتاج، وهو نمط الإنتاج المبسط: ويتكرر معه الإنتاج في حدوده السابقة، وهذا النمط مميز للتشكيلات التي قبل الرأسمالية، وتجديد الإنتاج الموسع: يتجدد معه الإنتاج في إطار أوسع، وهو مميز للتشكيلات الرأسمالية والاشتراكية.

التضخم الاقتصادي Economic Inflation: هو من أكبر المصطلحات الاقتصادية شيوعاً، غير أنه على الرغم من أن التضخم الاقتصادي أشاع استخدام هذا المصطلح، فإنه لا يوجد اتفاق بين الاقتصاديين بشأن تعريفه، ويرجع ذلك إلى انقسام الرأي حول تحديد مفهوم التضخم، حيث يستخدم هذا المصطلح لوصف عدد من الحالات المختلفة مثل: 1- الارتفاع المفرط في المستوى العام للأسعار. 2- ارتفاع الدخل النقدي أو عنصر من عناصره مثل الأجور أو الأرباح. 3- ارتفاع التكاليف. 4- الإفراط في خلق الأرصدة النقدية. وليس من الضروري أن تتحرك هذه الظواهر المختلفة في اتجاه واحد في وقت واحد.... أي أنه من الممكن أن يحدث ارتفاع في الأسعار دون أن يصحبه ارتفاع في الدخل النقدي... كما أن من الممكن أن يحدث ارتفاع في التكاليف دون أن يصحبه ارتفاع في الأرباح.... ومن المحتمل أن يحدث إفراط في إنشاء النقود دون أن يصحبه ارتفاع في الأسعار أو الدخل النقدي. ومن هنا يرى بعض الكتاب أنه عندما يستخدم تعبير التضخم دون تمييز الحالة التي يطلق عليها فإن المقصود بهذا المصطلح يكون تضخم الأسعار، وذلك لأن الارتفاع المفرط في الأسعار هو المعنى الذي ينصرف إليه الذهن مباشرة عندما يذكر مصطلح التضخم.

تعبئة الموارد، Allocation of resources: يقصد بها توفير الإمكانيات المادية والبشرية اللازمة لإنتاج السلع والخدمات، ويهتم الاقتصاد بتهيئة الظروف الملائمة لإيجاد أعلى مستوى من الاستغلال للموارد المتاحة في المجتمع. وفي الاقتصاد الموجه تتم تعبئة الموارد بصورة مخططة تخدم مصالح المجتمع كله. أما في

الاقتصاد الحر فإن تعبئة الموارد وتوطينها تتم على أساس رغبات المستهلكين، كما تتضح من ميكانيزمات السوق.

الثورة الصناعية Economic Revolution: وهي تحولات عملية وتقنية عميقة برزت خاصة في الصناعة والمواصلات، وبدأت بوادرها في القرن السادس عشر، وتوضحت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وكان انطلاقها من إنكلترا لتنتشر في بقية دول أوروبا الغربية.

الاحتمية الاقتصادية، Economic Determinism : موقف فلسفي ونظري ارتبط في الغالب بالتأكيد الماركسي على أن جذور الظواهر الاجتماعية تكمن في علاقات الإنتاج ففي رأي ماركس تشكل علاقات الإنتاج البناء التحتي الذي تنهض عليه عناصر البناء الفوقي القانونية والسياسية، كما أن علاقات الإنتاج هذه هي التي تقوم ببناء العلاقات الاجتماعية وتأسسها بين الطبقات التي تنتج بدورها مختلف أشكال الوعي الاجتماعي. ويستخدم اللفظ في الدور الحاسم للعوامل الاقتصادية في تطوير المجتمع، فتد مباشرة إلى الاقتصاد (بمعنى القوى المنتجة) كافة الظواهر الإيديولوجية- الثقافية، ويتم تجاهل دور نشاط الناس والسياسة الإيديولوجية والصراع الطبقي، قد يطلق الوصف على المذهب الماركسي نفسه.

حثة البروليتاريا Lumpen- Proletariat: هي في المجتمعات الرأسمالية الفئات المنسلخة عن طبقتها، وتمارس حياة طفيلية غير منتجة، وتعيش غالباً في المدن كالمشردين والمتسولين والجرمين والبغايا، بعبارة أخرى هي الفئات التي فقدت نزعتها الطبقيّة من سكان البلدان الرأسمالية، والتي تعيش في المدن

الكبرى، وهم الذين قذفوا من مجرى الحياة الطبيعي وليس لديهم عمل معين ولا وسائل للحياة، ويعني مصطلح حثالة بروليتاريا أدنى الطبقات الاجتماعية، ويستخدم ليعني صغار الأشخاص من الطبقة الدنيا في أي مكان.

الحرية الاقتصادية Economic Freedom: ممارسة النشاط الاقتصادي دون تدخل الجهات الرسمية أو الحكومية، وتشمل حرية عمليات تداول الثروات وتحويلها وجميع النشاطات الاقتصادية أيًا كانت صورتها وأشكالها، وجميع عمليات الوساطة بين المنتجين والمستهلكين، كما تشمل الصناعة التحويلية - أي تحويل المواد الأولية - إلى سلع صالحة لقضاء حاجات الإنسان.

الدورة الاقتصادية Economic Cycle: تدل على المراحل المتكررة في مسيرة الإنتاج الرأسمالي والممتدة بين أزمة فيض إنتاج إلى أخرى، وتتألف من أربعة أطر: فيض الإنتاج - الكساد - الانتعاش - والنهوض، ويشير هذا المصطلح إلى فترات تضمن مراحل للرواج، ووفرة في الإنتاج تفوق مقدرة المستهلكين على الاستهلاك، وفترات كساد وبطالة وانخفاض في الإنتاج، وتنتهي إلى ما يسمى بالأزمة الاقتصادية.

الدورة التجارية Trade Cycle: هي حركة الرأسمال الصناعي في مجال الإنتاج والتداول، تحوله من الرأسمال النقدي إلى الرأسمال الإنتاجي، فالسلي، فالنقدي، وكل من الرساميل الثلاثة يعد شكلاً وظيفياً للرأسمال الصناعي، ويقابلها في الاقتصاد الاشتراكي دورة الأصول.

ذوو الياقة الزرقاء، **Blue Collars**: أي العمال البدويون، ويرادف اللفظ أحياناً الطبقة الوسطى الجديدة.

ذوو الياقة البيضاء، **White Collars**: وهم كما المشتغلون بالأعمال الفكرية من الموظفين والفنيين ورجال الدين وغيرهم.

رأس مالية الدولة، **State Capitalism**: جملة الإجراءات الرامية إلى إسهام الدولة إسهاماً مباشراً بإدارة اقتصاد المجتمع وهي تسمية تطلق على ثلاثة أشكال مختلفة من التنظيم الاقتصادي الأول: اضطلاع الدولة داخل مجتمع رأسمالي بإدارة قطاعات اقتصادية، والثاني: هو الحفاظ الضروري على قطاع رأسمالي داخل مجتمع ما، والثالث: هو الرأي القائل بأن الاتحاد السوفيتي لم يكن مجتمعاً اشتراكياً، وإنما كان شكلاً آخر من الرأسمالية، وذلك نتيجة سيطرة البيروقراطية على النظام الإنتاجي من خلال ملكية الدولة.

الرأسمال الاجتماعي، **Social Capital**: صك هذا المصطلح عالم الاجتماع الأمريكي جيمس كولمان، واستخدمه لوصف أنواع العلاقات بين الأفراد في إطار الأسرة والمجتمع المحلي، وهو جملة رؤوس الأموال الفردية المأخوذة من ترابطها وتشابكها، وهو يمثل في صيغته البضاعية الناتج الاجتماعي الإجمالي.

الرأسمال الإقراضي، **Loan Capital**: الرأسمال النقدي، يقرضه صاحبه للرأسماليين أو للدولة لقاء فائدة، وتقوم المصارف بدور الوسيط بينه وبين الرأسمال الشغال.

الرأسمال الإنتاجي، **Productive Capital** : أحد الأشكال الوظيفية الثلاثة للرأسمال الصناعي، وهو ينشأ نتيجة تحول الرأسمال من صورته الإنتاجية، وذلك في الطور الثاني من دورة الرأسمال الصناعي.

الرأسمال البشري، **Human Capital** : مفهوم في الأدبيات الاقتصادية يدل على ما للفرد من مهارات وقدرات، ويعتقد جيمس كولمان أن الأفراد في إطار الأسرة والمجتمع المحلي تمارس تأثيراً قوياً في مستويات التحصيل الدراسي.

الرأسمال التجاري، **Commercial Capital** : رأسمال يعمل في ميدان تداول البضائع، وهو مع الرأسمال الربوي أقدم أشكال الرأسمال، فقد راج في المجتمعات العبودية والإقطاعية، وفي الرأسمالية يغدو شكلاً وظيفياً من الرأسمال الصناعي، ثم يكتسب مع تطور التخصص الرأسمالي صيغة مستقلة.

الرأسمال الثابت، **Fixed Capital** : مثل الأدوات والآلات، فإنه ينتج ربحاً دون أن يعرف مزيداً من الدوران. وهو جزء من الرأسمال الإنتاجي، ويشمل النفقات والتجهيزات.

الرأسمال الدائر، **Floating, Working, Capital** : يستخدم في شراء السلع وبصفة أساسية المواد الخام وجهد العمل في إعادة بيعها كمنتجات بغرض الربح. وهو جزء من الرأسمال الإنتاجي يشمل النفقات على قوة العمل والمواد الأولية والوقود وغيرها من مواد العمل. وهو يتميز بأن قيمته تدرج كلية في البضائع المنتجة حديثاً، وتعود كاملة إلى الرأسمال في صورة نقدية في ختام كل دورة للرأسمال (بعد تصريف البضائع).

الرأسمال الفردي، **Individual Capital** : جزء من الرأسمال الجماعي يكون ملكاً فردياً، ويوظف في مؤسسة مفردة وفي نوع معين من الإنتاج.

الرأسمالية الاحتكارية، **Monopoly Capitalism** : أي الإمبريالية، وهي الملكية المباشرة للأسهم، ومحدودية المسؤولية الفردية، وتركز رأس المال في شركات احتكارية لواحد أو قلة من الأفراد أو لشركات قابضة مملوكة من خلال البنوك وبيوت التحويل، وتتسم الملكية فيها بطابعها اللاشخصي.

طبقة اقتصادية، **Economic class**: فئة في المجتمع تتميز من الفئات الأخرى نتيجة العوامل الاقتصادية، مثل التشابه في مستوى الدخل ومصادره، وطبيعة المهنة، وتقارب المشاركة في ثروة المجتمع والقوة والسلطة الاقتصادية والمهنية.

القيمة، **Value**: لهذا المصطلح أهمية كبيرة في علم الاقتصاد وعلم الاجتماع، ففي علم الاقتصاد تعبر نظرية القيمة بصورة مباشرة وغير مباشرة عن نظرية السعر، القيمة في الاقتصاد تدخل ضمن نظرية التوزيع للبضائع والخدمات القائمة على مبدأ العدالة في التوزيع. أما القيم للعالم الاجتماعي فهي حقائق تعبر عن التركيب الاجتماعي، وهو لا يهتم بتخمين وزنها الجوهرى بقدر ما يهتم بتطبيقها على الأفراد والجماعات بغية معرفة مستوياتهم الاجتماعية والفوارق السيكولوجية التي تميز بعضهم من بعض.

الكينزية: يرى كينز أن الفقر والصراع الاقتصادي بين الطبقات والأمم التي تؤدي إلى الحروب، يمكن قهرها بفضل إعادة تنظيم المجتمع، ويرفض اشتراكية الدولة، ويرى أن الرأسمالية تصون الحرية الشخصية. وأيد كينز الرأسمالية ورأى أنها

ناجعة وتقول بلا مركزية القرارات ولجوئها إلى المصلحة الشخصية، ولكن الفوضى الاقتصادية المصاحبة لرأسمالية حرية العمل لا تؤمن الحالة الكافية ولا مساواة كافية في توزيع الدخل والثروات، وهذا يجعل دور الدولة ضرورياً، وفي تعريفات أخرى: أكد كينز على دور الدولة وتنامي دور الدولة والإشراف الحكومي الأوثق على الادخار والاستثمار والفوائد المنخفضة وبرامج الأعمال الكبيرة، وهي وسائل بلوغ العدالة والاستقرار الاجتماعيين.

المالتوسية: هي علاقة خاصة بين السكان وموارد المعيشة، وتقول إن زيادة السكان هي السبب الرئيسي في زيادة الفقر، وإن الموارد الغذائية تزيد وفقاً لمتواليات حسابية، على حين أن السكان يزدون وفقاً لمتواليات هندسية، والعلاج الوحيد هو تحديد النسل. وفي تعريف آخر: المالتوسية تقوم على فكرة أن زيادة عدد السكان هي السبب الرئيسي الأول في زيادة الفقر، لذا يجب الحد من عدد السكان بتحديد النسل، وتأخير الزواج مع العفة، وذلك إلى جانب الحروب والمجاعات والأمراض المعدية، وغيرها من العوامل التي تحد من الزيادة الطبيعية للسكان.

المحاكاة Mimesis: كانت تطلق على وصف سلوك بعض الفئات الاجتماعية ذات الدخل المنخفض، والتي يتشكل لديها الميل لاستهلاك نفس السلع التي تستهلكها فئات اجتماعية ذات دخل مرتفع. واستهلاك الفئات الغنية لبعض السلع يؤدي إلى إثارة الرغبة باستهلاك نفس السلع لدى الفئات ذات الدخل المنخفض، وعندما يزيد دخل الفئات الدنيا فإن الدخل الجديد يخصص لاستهلاك مثل هذه السلع ولا يخصص للادخار. وتستخدم في

المبادلات الدولية بسبب ارتفاع دائرة التداول على الصعيد الدولي، وتطمح الفئات الغنية في البلدان المتخلفة إلى تقليد نمط معيشة الأمريكيين والأوروبيين، وبذلك كلما ازدادت دخول البلدان النامية الفقيرة استعملت الموارد الجديدة لإشباع الرغبات الجديدة لدى الفئات المحظوظة، وهنا تشكل المحاكاة عائقاً مهماً في وجه الادخار، وتكون رأس المال في البلدان النامية. وتعد ظاهرة سلبية سواء على المستوى المحلي أم العالمي، فهي تؤدي إلى تبديد طاقات اقتصادية فردية ووطنية مهمة.

نظرية النمو الاقتصادي Economic Development Theory: نظرية من التاريخ البشري طرحها عالم الاجتماع الأمريكي روستو أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، في مقابل النظرية الماركسية في التشكيلات الاقتصادية الاجتماعية، ويذهب روستو إلى أن النمو الاقتصادي يمر بمراحل خمس: المجتمع التقليدي - الانتقالي - النهوضي - النضج - مرحلة الاستهلاك الجماهيري الواسع.

نمط الحياة Way of life: هو أنماط العلاقات الاجتماعية واستهلاك السلع المادية والثقافية التي تعمل معاً في تكوين أنماط الحياة، وتستخدم للتمييز بين أشكال الريف والحضر.

هجرة رأس المال Capital Migration: هي نقل رأس المال في إطار البلد الواحد أو من بلد إلى آخر بحثاً عن ظروف أفضل لتوظيفه.

وسائل الإنتاج Means of Production: جملة وسائل العمل وموضوعاته ووسائل العمل هي ما يستخدمه الناس للتأثير في موضوعات العمل (الآلات-التجهيزات-المعدات-الأبنية-المنشآت-وسائل النقل) وموضوعات العمل هي كل ما يعمل عليه الإنسان، كالفحم والغاز والنفط والأرض.

وسائل العمل Means of Work: هي مجموعة الوسائل المادية التي يؤثر بها الإنسان في مواضع العمل مغيراً شكلها بما يتناسب مع أهدافه، وتشمل وسائل العمل أدوات العمل (كالآلات والتجهيزات) وتعد الأرض وسيلة عمل عامة.

الإدانة، Condemnation: يراد بها في القانون المدني الحكم على الخصم بكل مطالب خصمه أو بعضها أما في العقوبات فهي الحكم بالعقوبة على من ارتكب مخالفة أو جُنْحَة أو جناية.

التعاقب، Succession: يشير التعاقب بالمعنى الواسع إلى انتقال الحقوق بصفة عامة، كما يشير بالمعنى الضيق إلى انتقال الحقوق الخاصة بالوظيفة، ويستخدم أيضاً مرادفاً للوراثة، أي أن التعاقب هو وراثة الوظيفة، أو بالعكس فالوراثة هي التي تعاقب حقوق الملكية.

الحق، Right: تسويغ قانوني أو أخلاقي يتيح للفرد القيام بسلوك معين، أو مطالبة الآخرين باتباع سلوك محدد يتصل به.

السلطة، شرعية السلطة Authority, Legislative Authority: هو نوع من أنواع القوة تنظم جهود الآخرين وواجباتهم من خلال الأوامر التي تصدرها لهم؛ إذ تعد فعالة لأنها صادرة عن أشخاص شرعيين بحسب اعتقاد الأشخاص الخاضعين لمشيئتها. وتختلف السلطة عن السيطرة القسرية أو الجبرية من حيث إن الأخيرة تلزم الفرد على التكيف لمشيئتها من خلال مقدرتها على فرض العقاب أو تقديم المكافأة. إن السلطة الشرعية هي: السلطة التي تتأثر فعاليتها بالأجهزة

التي تعتمد عليها، كالفائدة والمصلحة المتبادلة المشتركة بين قادتها والأشخاص الذين يخضعون لأوامرها ومتطلباتها. يقسم عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر شرعية السلطة إلى: 1- السلطة التقليدية: وهي التي تعتقد أن نظمها هي امتداد لنظم كانت موجودة في الزمن السابق، وأن رئيسها تقلد منصبه بموجب مؤهلات معينة كانت شرعية في الماضي، وهذا يعني أن هذه السلطة تمارس متطلباتها وأوامرها بسبب شرعيتها التاريخية. 2- السلطة العقلية-الشرعية: الطريقة التي من خلالها يشغل الفرد دور سلطته وطريقة إدعاء السلطة يجب أن تتم بالطرق والأحكام القانونية العامة. 3- السلطة الكارزمية: تنعكس بشخصية الفرد القائد الذي يتميز ببعض الصفات والمزايا المقدسة التي تدل على قابلية القائد وشخصيته التي تعدّ فريدة وإلهامية.

فصل السلطات Separation of Power: نظرية تقول إنه يجب الفصل بين وظائف الحكومة المختلفة التي قد صيغت في جانب مؤلفين عديدين بصورة جزئية أحياناً، مثل جون لوك ومونتيسكيو. فصل السلطة: نجد أحجر تعبير عنه في الدستور الأمريكي يقوم على عدة عناصر، يعهد الدستور بالسلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية إلى عدة أشخاص أو هيئات، والسلطات الثلاث مستقلة ومتساوية ومتناسقة فيما بينها، ولكن أياً منها لا تخضع لأخرى، ولا يمكن للسلطة التشريعية أن تصل إلى السلطة التنفيذية، في حين لا تستطيع

التنفيذية أن تحل التشريعية، والمقصود بفصل السلطة توزيع السلطات بين أجهزة الحكومة المختلفة، فيهتم كل جهاز بوظيفة مختلفة عن الأخرى، ويتم الفصل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية، وحماية كل سلطة من الأخرى، وحماية الشعب من السلطات كلها.

المراقبة، Inspection: هي أسلوب لمعاملة الخارجين على القانون. وقد عرفت في بريطانيا أنها «خضوع المذنب» وهو حر لفترة محدودة- لإشراف المختص الاجتماعي في خدمة الفرد الموظف في المحكمة. ويقوم المذنب خلال هذه الفترة بالمثل مرة أخرى أمام المحكمة إذا لم يكن سلوكه طيباً. والمراقبة في بعض البلاد الأخرى هي شكل من أشكال إيقاف تنفيذ الحكم، فيوضع المذنب تحت المراقبة بدلاً من قضاء فترة في السجن مثلاً، على أن يوضع في السجن مدة أخرى إذا خالف نظام المراقبة.

الملكية، Property: هي حق أو حقوق الأشخاص في الأشياء والموجودات المنقولة وغير المنقولة والعائدة لهم شرعياً وقانونياً، والملكية قابلة للتحويل والانتقال من شخص إلى آخر عن طريق الميراث أو البيع أو الهبة.

النظام الطبقي القانوني، The Estate: يتلخص هذا النظام بضرورة تقسيم المجتمع من الناحية القانونية إلى ثلاث طبقات مختلفة؛ وهي:

طبقة رجال الدين والنبلاء، والطبقة المتوسطة، وطبقة العوام (الكادحين)
وأبناء الطبقة الواحدة متساوون في الحقوق والواجبات، ويتمتعون بدرجة
متساوية من الاحترام والسمعة.



الرومانطيقية، **Romanticism**: تعبير أدبي وفني يقصد به ذلك المذهب في الأدب والفن الذي جاء رداً على الكلاسيكية الجديدة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ويتميز بعمق العاطفة والجنوح إلى الخيال، والابتعاد عن الواقع، واستخدام التلوين الجمالي البديع.

السوسيودراما Sociodrama: هي طريقة تمثيلية تشبه السيكودراما ولكن الممثلين يتعدون فيها عن تمثيل الصفات الفردية، ويعمدون إلى تمثيل أدوار نموذجية مشتركة، فهم لا يؤدون دور هذا الابن أو هذا الأب أو هذا الزوج أو الزوجة أو رئيس المصنع أو المرؤوس، وإنما يؤدون أدوار الأبناء والآباء والأزواج والرؤساء والمرؤوسين بوجه العموم. فالفرق الرئيسي بين السوسيودراما والسيكودراما هو الاهتمام الكبير في السيكودراما بالناحية الفردية الخاصة بالمرء، وحياته التي يحياها، على حين تهتم السوسيودراما بالأمر التي اشترك فيها المرء مع الآخرين، فلأب والابن والزوجين ورئيس المصنع والمرؤوس مشاعر مماثلة لما يشعر به الأبناء والآباء والأزواج والرؤساء والمرؤوسون الآخرون. غرض السوسيودراما إذن تمثيل العلاقات العامة بين الناس، وتوسعة مجال التجارب بين أفراد الجماعة، وتوثيق أواصر الاتفاق والانسجام بينهم. وتجري السوسيودراما ضمن إطار تشترك فيه الجماعة في البحث والتحليل، وتكوّن الجماعة من ممثلين ونظارة ضروري ليشعر كل منهم بشعور الآخرين، وليعرفوا جميعاً أن التجارب التي يعانونها مشتركة قد عاناها كل واحد منهم، وفي هذا ما يزيد تقاربهم ويدخل على نفوسهم الراحة والطمأنينة. وينبغي للمشرف على تجارب السوسيودراما أن

يعنى بالمبدأين الآتيين: 1- أن يكون موضوع السوسيودراما من المشكلات المشتركة. 2- أن يكون أعضاء الجماعة مهتمين بالوصول إلى حقيقة الموضوع. وقد تجري السوسيودراما في أجواء خاصة عند ذلك، ويجوز إضافة مبدأ ثالث أو رابع إن اقتضى الأمر، فإذا جرت السوسيودراما مثلاً في المدرسة بإشراف المعلم أو المعلمة على طلاب فصل من الفصول لزم أن يكون المدرس نفسه راغباً في فحص حقيقة الموضوع، متحمساً في الكشف عنها، وإلا فقد يقدم له الطلاب صورة عن المشكلة التي يظنون أن عنده ميلاً إليها دون أن يشعر بذلك. ومن الأمور الأساسية أثناء البحث وجود الحرية، فإن جرت السوسيودراما في المدرسة مثلاً وجب أن يشعر الطلاب أنهم يستطيعون التعبير عن آرائهم أو تجاربهم تحت إشراف المعلم، وكذلك عفوية التعبير. وتتبع السوسيودراما في حصولها كالسيكودراما مراحل يمكن عرضها كما يلي: 1- اختيار المتطوعين للتمثيل. 2- إثارة حماسة المتطوعين. 3- التعبير الحر عن مشاعر الممثلين والنظارة. 4- تحليل الممثلين والنظارة للمشاهد التمثيلية. 5- تلخيص المشتركين جميعاً من ممثلين ونظارة للمشكلة، وتوصياتهم حول ذلك. والخلاصة أن الفن السوسيودرامي وسيلة لتثقيف الناس بزيادة فهم بعضهم لانفعالات بعضهم، وزيادة فهم الجماعة لعواطف الجماعة الأخرى، وربما كان هذا الفهم غاية هذه الدراسة.

السوسيومتريا Sociometry: اتجاه نشأ في أمريكا بين اتجاهات علم النفس الاجتماعي، ولفظه مؤلف من أصلين لاتيني ويوناني Socius و Matrum. وقد عرفت السوسيومتريا تعريفات كثيرة، فهي الدراسة الرياضية للخواص النفسية في السكان، وهي الأسلوب التجريبي للمناهج الكمية والتتائج الحاصلة عن تطبيقها، وهي البحوث المتعلقة بتنظيم الجماعات وتطورها وبمنازل الأفراد فيها،

وهي علم تنظيم الجماعات من الداخل لا من الخارج، وهي دراسة أنماط العلاقات العفوية بين الناس. والسوسيومتريا تدرس العلاقات بين الأشخاص في الجماعات الصغيرة مركزاً عنايته على جوانبها الكمية. وقد ظهر هذا المصطلح في القرن التاسع عشر، وذلك بالارتباط مع محاولات تطبيق الطرق الرياضية في دراسة الظواهر الاجتماعية، ومن ثم تطورت السوسيومتريا في إطار الميكروسوسيولوجيا خاصة. وإن السوسيومتريا وليدة النشأة حديثة العهد، فليست علماً قائماً البيان مستتم الأركان، وإنما هي محاولات منهجية نظرية وعملية معاً تريد الكشف عن بنية العلاقات الاجتماعية كما هي في الواقع، وتقصد إلى تنظيمها وتحسينها. وليس موضوع البحث في السوسيومتريا الإنسان من حيث هو فرد؛ لأنه ليس ثمة أحد لا علاقة له بالآخر، كما أنه ليس ثمة أحد قد امتصته الجماعة تماماً، وليس هو المجتمع من حيث هو إطار كلي؛ لأن هذا الإطار شيء مجرد وحقيقته تتكون من الأفراد، فموضوع البحث إذن شخصية الإنسان في نسج علاقاته بالآخرين. وتجري الاختبارات السوسيومترية على جماعات محصورة في النطاق معينة كالمدارس والمصانع والأندية والسجون... إلخ. والغرض منها استشفاف القوى النفسية الاجتماعية الكامنة في هذه الجماعات، أي ما يختلج اختلاجاً عفويّاً في نفوس الأشخاص بعضهم تلقاء بعض من تنافر أو تجاذب حين يلتقون أو يعملون معاً. ولا شك أن هذه القوى مرتبطة ارتباطاً مباشراً برضا الأفراد وبنائج الأعمال التي يراد صنعها وبالغاية التي ينوون بلوغها. وإن السوسيومتريين لا يكتفون بالاختبارات التي يقومون بها في الأمكنة التي تجري فيها العلاقات النفسية والاجتماعية، بل يعملون إلى أساليب تمثيلية غايتها تفهّم تلك العلاقات وإدخال الانسجام إليها، وأهم أساليب التمثيل التي يصطنعوها السيكو دراما والسوسيو دراما.

السيكودراما Psychodrama: ضرب من العلاج النفسي، وضعه الأمريكي مورينو، يقوم المريض فيه بتمثيل دور معين في المسرحية التي كتبت لتصوير أعراضه ومشاكله، ويمثل باقي الأدوار مرضى آخرون أو أعضاء من الفريق المشرف على العلاج، كما تستخدم السيكودراما في اختيار وتدريب المرشحين لوظائف معينة. والسيكودراما أسلوب تمثيلي للعلائق الاجتماعية، ويرى مورينو أن المدينة الحديثة تتسم بعلامة أساسية فارقة وهي سيطرة النماذج الثقافية، وتبدو هذه السيطرة من جهتين فنحن نخضع في أذواقنا لأساليب ثقافية قديمة، ونحن من جهة نسلك خططاً معينة وعلاقات اجتماعية أشبه بقوالب جامدة تفرض علينا سلطاتها وتقتضي منا احتذاءها والسير عليها، ويعبر مورينو عن ذلك بقوله: «النموذج الثقافي هو القالب تثبت فيه الفكرة المبدعة لكي تصان وتكرر، وله شكلان: النموذج الأسلوبي كالكتب والأفلام والآلات، والنموذج الإنساني الذي يعتمد على الإنسان في انتشاره وشيوعه». ويريد مورينو بالنموذج الإنساني جملة التصورات الجمعية والأفكار والمبادئ والأوهام التي تبدو عند الفرد والجماعة بمنزلة الخطط السلوكية والتصورات الثقافية، ويزداد خضوع المرء لهذه النماذج الثقافية كل يوم، وهذا ما يهدد المدينة بالفناء، فيصبح المرء عبداً لهذه النماذج، فتضعف عفويته المبدعة ويغور إلهامه وتحمده في نفسه تلك الجذوة المحتدمة. ينبغي إذن أن نرفع عن تلك العفوية قيودها، وأن ننفخ في تلك الجذوة فنثيرها تلقاء تلك الأساليب الثقافية الجامدة الضاغطة. وهناك خلاف بين طريقتي كل من فرويد ومورينو، فإن فرويد يعالج الأشخاص معالجة صناعية وهم بعيدون عن علاقتهم الاجتماعية الواقعية، ويتناول مورينو بالمعالجة شخصياتهم الاجتماعية لا تركيبهم النفسي، لذلك تهتم السيكودراما بالعلائق الاجتماعية، علائق الأشخاص بعضهم مع بعض في شتى هيئات المجتمع، فتحاول تحليل هذه العلائق وعلاج

العقد الاجتماعية الناشئة عنها. وإن التمثيل السيكودرامي ذو ثلاث مراحل؛ هي: التهيئة والإعداد، التمثيل نفسه، الأسئلة والشروح. وللمثيل أساليب متنوعة منها: التبديل، أسلوب المرأة، الارتسام المسرحي، انقلاب الدور، الرمز، أسلوب الأدوار المتعاقبة، أسلوب العالم المساعد.

السيمولوجية: هو علم العلامات، ويرادف السيموطيقا، ويدرس العلامات والمنظومات العلامية في المجتمع، ولا سيما اللغات الطبيعية والاصطناعية وبعض مظاهر الثقافة والطبيعة (الاتصال في علم الحيوان) والإنسان نفسه (الإدراك البصري والسمعي)... إلخ. وتبعاً لوظائف العلامات ومنظوماتها يتوزع هذا العلم إلى ثلاثة مباحث: 1- السيماتيقا: أو علم المبنى ويهتم بالبنية الداخلية للعلامات. 2- السيمانطيقا: أو علم الدلالة، ويدرس العلاقة بين العلامة ومدلولاتها. 3- البراغماتيقا: أو علم المراس، ويعنى بعلاقات العلامة بمن يستخدمها.

علم اجتماع الفن، Sociology of Art: الدراسة السوسيولوجية للفن حديثة نسبياً، وما زالت منجزاتها متواضعة حتى وقتنا هذا، ويمكن وصف هذا الميدان بأنه يمثل وجهة نظر أو موقفاً معيناً تجاه الفن أكثر منه ميداناً معترفاً به من ميادين الدراسة، ويرجع الاهتمام السوسيولوجي بالفن إلى ما يمكن أن يسلطه من ضوء على التفاعل الاجتماعي والتغير الثقافي والاتصال الجمعي، باعتبار أن الفن يعبر عن العواطف والأفكار وينقلها في صورة رمزية.

فن، Art: التعبير الجمالي عن المدركات والعواطف، ونقل المعاني والمشاعر إلى الآخرين، ويلاحظ أن نوع التعبير وأسلوب النقل يختلفان إلى درجة كبيرة من ثقافة إلى أخرى. ويعكس الفن القيم المجتمعية، إلا أنه في بعض الحالات تعكس

التعبيرات الجمالية في المجتمع المعقد قيّم جماعة متخصصة من الفنانين. وقد يستخدم هذا المصطلح ليشير إلى المهارة في عمل أداء معين.

الميثولوجيا، Mythology: علم الأساطير، وهو العلم الذي يبحث في مجموعة الأساطير المعروفة والشائعة لدى شعب من الشعوب، وخاصة الأساطير المتعلقة بالآلهة والأبطال الخرافيين عند شعب ما.

ميلودراما، Melodrama: تعبير فني يستخدم بشكل رئيسي في مجال المسرح. فنقول عن مسرحية ما بأنها من نوع الميلودراما عندما يتخللها مجموعة من الشخصيات الملونة بشكل متناقض بين الخير والشر وبين الأبيض والأسود. وتعالج عقدها ما تعانيه قوى الخير على أيدي القوى الشريرة. ولكن لا بد من انتصار القوى الخيرة في النهاية. وهي تشبه من هذه الزاوية ما يدعى التراجي-كوميدي، أي المزيج ما بين المأساة والملهة في المسرحية.

تعدد الأزواج، Polyandry: هي زواج المرأة الواحدة برجلين أو أكثر، وهو أمر نادر، ولكن عندما يحدث فإنه يتم عادة بين امرأة وشقيقين أو أكثر، ولذلك يسمى أحياناً تعدد الأزواج من الأشقاء أو زواج الأخوة من امرأة واحدة. ويقال إن هذا الزواج موجود في بعض الأجزاء من نيجيريا، حيث تشترك المرأة في السكن مع أي رجل، ولا يشاركما أحد على الإطلاق خلال فترة محددة من الزمن، مع أن المرأة تعد في نفس الوقت زوجة لرجل آخر.

تعدد الزوجات، Polygamy: هو أن يجمع الرجل بين أكثر من زوجة في وقت واحد، وتعدد الزوجات جائز في الكثير من الشرائع مثل الإسلام وبعض الطوائف المسيحية واليهودية. وفي حين تبيح قوانين بعض الدول تعدد الزوجات فإنه ممنوع في دول أخرى، وأحياناً قد تصل العقوبة للسجن. ويختلف العدد المسموح به من الزوجات من ديانة لأخرى، ففي حين يحدده الإسلام بأربع زوجات فإن بعض الديانات لا تضع حداً على عدد الزوجات، مثل طائفة المورمون. ويختلف انتشار تعدد الزوجات في -الديانة التي تبيحه- بحسب الثقافة العامة من دولة لأخرى، فمثلاً يعد تعدد الزوجات ممارسة شائعة في دول الخليج، بينما هي قليلة الحدوث في دولة مثل مصر برغم أنه مباح قانونياً.

الثقافة Culture: هي نشاط بشري تحريري خلاق، وكذلك نتائج هذا النشاط الخلاق، ونميز عادة بين: 1- الثقافة المادية (التكنيك) والخبرة الإنتاجية والثروات المادية. 2- الثقافة السياسية (أهداف المجتمع ووسائله ونتائجه ونشاطه أو

الطبقة أو الأفراد التي تعبر عن درجة التطور الاجتماعي للفرد بوصفه ذاتاً فاعلة للتغيرات في العلاقات الاجتماعية.

الزواج الأحادي، Monogamy : أحد الأشكال التاريخية للزواج، والعائلة لا يسمح فيها لشريك الحياة إلا بالارتباط بعلاقة زواجية واحدة مع شريك واحد في الوقت نفسه، وظهر من الزواج الثنائي في مرحلة تفسخ المجتمع البدائي، وصار الشكل السائد للزواج.

الزواج التعددي، Polygamy: يعني هذا المصطلح جمع الفرد في الزواج أكثر من قرين من الجنس الآخر في نفس العلاقة الزوجية، إلا أن بعض الكتاب يميلون إلى إطلاقه على اقتران الرجل الواحد بزوجتين أو عدة زوجات في نفس الوقت.

الزواج الجماعي، Group Marriage : وهو أقدم أشكال الزواج، وترجع فكرة زواج الجماعة إلى الملاحظات غير الدقيقة للمكتشفين في القرن الثامن عشر - أمثال كوك- للعادات الجنسية عند المجتمعات البولينية. وفيه كان كل الذكور المنتمين إلى جماعة معينة يشتركون في الزواج من كل إناث الجماعة المقابلة. وقد أخلى مكانه لاحقاً للزواج الثنائي.

الزواج الخارجي، Exogamy : القاعدة التي تحرم زواج الفرد من أفراد جماعته /أسرته، عشيرته/ وتفرض زواجه من خارج الجماعة القرابية، ويتوافق عادة بتحريم الزواج الداخلي على نطاق القبيلة كلها، أي يجب الزواج من شخصية تنتمي إلى عشيرة أخرى.

الزواج الداخلي، Endogamy: قاعدة راجت في عصر المشاعية البدائية، وهو الممارسات المرغوبة أو المرسومة للزواج من داخل جماعة قرابية محددة، وقد تكون عشيرة أو قبيلة أو طبقة اجتماعية. وكان الزواج الداخلي على نطاق القبيلة

يترافق عادة بالزواج الخارجي على مستوى العشائر واتحادات العشائر المنتمية إليها.

الزواج المدني، Civil Marriage : الزواج المدني تعقده السلطات المدنية المختصة دون مشاركة الهيئات الدينية، ودون أية مراسم دينية. وقد يدل اللفظ على الزواج الفعلي /غير المسجل رسمياً/.

القبيلة: تتكون القبيلة من عدة بطون، وهي شكل من أشكال التجمع والانتظام السياسي والاجتماعي للشعوب التي لم تندمج بعد حتى اليوم في إطار الحياة الوطنية، وتخضع لسلطة الزعيم، ويعيش أعضاؤها في منطقة واحدة، وينتسب أعضاء القبيلة عادة إلى أصل واحد، وجدّ واحد، بغض النظر عما إذا كان هذا النسب صحيحاً من الزاوية التاريخية أو لا، فالمفهوم هو الشعور بالانتماء الواحد وليس حقيقة هذا الانتماء. وفي تعريفات أخرى: هي تجمع سياسي اجتماعي للشعوب القديمة التي لم تندمج بعد في إطار الحياة الوطنية حتى اليوم، ولكل قبيلة مميزات تميزها من غيرها، وهي تشمل كل مجتمع عائلي موحد، وخاصة عندما يمارس هذا التجمع نفوذاً اجتماعياً نابعاً من قوة تماسكه.

النسب الأبوي Patrilineage: ومنه يرجع النسب إلى ذكر واحد، وتتصرف كجماعة موحدة عندما تتطلب الظروف السياسية، ويعتمد نظام الانتساب للأب على مبدأ توريث الملكية والمكانة عند الأب إلى ابنه الشرعي.

النسب الأمومي Matrilineage: هي جماعات نسب قرى في خط واحد تدعي الارتباط بعلاقة قرابية حقيقية أو متخيلة عبر روابط الأمومة التي تنتسب إلى جدة مشتركة من خلال سلسلة نسب معروفة، وفيها يتم التوريث من الأحوال إلى أبناء الأخت وذلك حفاظاً على الهوية الاقتصادية والسياسية للجماعة القرابية.

نظرية الدورة التاريخية Theory of Historical Cycle: تقول بأن المجتمع كله أو بعض ميادينه (الحياة- السياسة- الثقافة) يتطور وفقاً لحلقة مفقودة، فيعود دائماً إلى الانطلاق بعد طور الصعود وطور الانحدار، ومن أبرز دعايتها نيتشه- سوروكين.

النموذج المثالي Ideal type: هو النمط الثقافي الذي يتطابق مع القيم المعيارية لجماعة ما، وهو من وضع الجماعة، فهي تمثل إجماع آراء أفراد المجتمع على ما يجب أن يكون عليه سلوك الناس، وهو عند ماكس فيبر النمط الأمثل والأكمل الذي يمكن أن تكون عليه الظاهرة، بالمقارنة بين خصائصها الرئيسية وأنماطها المثالية.

النوع والجنس Species and Genus: مفهومان يعبران عن تصنيف الأشياء تبعاً للعموم والخصوص، والجنس أعم من النوع، فيقال إن الحيوان جنس، والإنسان نوع، وقد يكون الشيء جنساً قياساً إلى ما تحته، ونوعاً إلى ما فوقه، وتترتب الأجناس صعوداً حتى تصل إلى الجنس الأعلى، أو جنس الأجناس وتترتب الأنواع نزولاً حتى تصل إلى النوع الأدنى.

الهامشي Marginal: معناه الشيء المتأخر زمنياً أو الشيء القديم الطابع، وقد لقي هذا التفسير قبولاً واسعاً، كما قبله علماء الأثنولوجيا التاريخية، ورأى كوبر أن الشعوب الهامشية هي الشعوب ذات الثقافات المتناهية في البساطة.

الهمجية Vandalism: المراحل الأولى من تطور البشرية، وتليها البربرية، وذهب مورجان إلى أن هذه المرحلة بدأت بظهور الإنسان وانتهت بقيام صناعة الفخار، وكانت فترة تشكل الإنسان والنظام القبلي المبكر.

البوذية Buddhism: هي ديانة غير إلهية وهي من الديانات الرئيسية في العالم، تم تأسيسها عن طريق التعاليم، وتدرجاً انتشرت في أنحاء آسيا، التي تركها بوذا "المتيقظ". نشأت البوذية في شمالي الهند والتبت فسريلانكا، ثم إلى الصين، ومنغوليا، وكوريا، فاليابان. وتتركز العقيدة البوذية حول ثلاثة أمور (الجواهر الثلاث): أولها، الإيمان ببوذا، ثانيها، الإيمان بـ "دهارما" وهي تعاليم بوذا، وتسمى هذه التعاليم بالحقيقة، ثالثها وآخرها، المجتمع البوذي. وتعني كلمة بوذا في لغة بالي الهندية القديمة، "الرجل المتيقظ" (وترجم أحياناً بكلمة المستنير). ويجدر الإشارة إلى أن اللفظ الأصلي لمؤسس الديانة البوذية بوذا هو ("بودا"، بالذال، وليس بالذال)

التابو Taboo: من محرمات مجتمعاتنا العربية مناقشة المواضيع الجنسية إلا خلف الأبواب المغلقة. ومن المحرمات السياسية في الأنظمة الاستبدادية انتقاد الزعيم أو الشاء على نظام آخر مخالف فكرياً. وهذا المصطلح كلمة من لغة التونغا التي تعني المقدس الذي لا يمكن انتهاكه.

التبشير: هو محاولة الغرب الأوروبي نشر الدين المسيحي والثقافة الغربية، في مناطق مختلفة من العالم، فهو مقدمة وأسلوب من أساليب الاستعمار الغربي. وكانت بداية ظهوره في القرن الثالث عشر الميلادي على يد المفكر الإسباني رئيس أساقفة طليطلة ريمون لول عام 1299م، حيث تعلم اللغة العربية، وشرع بالتبشير في البلاد ومناقشة علماء المسلمين. وتتابع حركات التبشير في القرن

الخامس عشر الميلادي، ووصلت الإرساليات التبشيرية إلى الهند، والباكستان (السند) وأندونيسيا (جاوة)، وازداد خلال تلك الفترة اختلاط المبشرين بالمسلمين وعمل البشير خاصة بعد اكتشاف مجاهل أمريكا وأفريقيا.

التناسخ Reincarnation (التمصص) : تصور ديني ميثولوجي عن انتقال النفس أو الروح بعد الموت من البدن إلى بدن كائن آخر إنسان أو حيوان أو إله، وقد عرفت به الديانات الهندية.

الحرية الدينية Religious Freedom : حق الأفراد في اعتناق ما شاؤوا من الأديان والعقائد أو عدم الأخذ بها. ومن ضمنها فصل الكنيسة عن الدولة والمدرسة، وقد تتسع لتشمل حرية التعبير عن العقيدة عبادة أو ممارسة أو تعليمًا، أي المبدأ الذي ينص على حرية الفرد في اعتناق أي مذهب ديني يؤمن به، ولا يحق للحكومة التدخل في هذا الموضوع أو تشجيع حركة دينية معينة.

خرافة Legend: 1- في الأصل: سيرة قديس. 2- وفي الفلكلور: حكاية عن أشياء عجيبة يتقبلها القاص والمستمع على أنها يقينية صادقة. 3- وفي الأدب الحديث: كل عمل يبدعه الخيال الفني الشعري، ولكنه يطمح إلى أن يبدو واقعاً حقيقياً. والخرافة هي اعتقاد أو نظام من المعتقدات يستند إلى روابط متخيلة بين الأحداث غير قابلة للتسويق على أسس عقلانية.

الخطيئة الأصلية Original Sin : في اليهودية والمسيحية خطيئة آدم حين خالف أمر الرب وأكل من شجرة المعرفة التي تمتد إثمها إلى الأجيال البشرية كافة.

الدوغماتية Dogmatic: علم العقائد فرع من علم اللاهوت theology ويعرض عقائد دين معين.

الدين، Religion: في اللغة يعني العادة. وهو مجموعة من المعتقدات والرموز والممارسات، كالشعائر مثلاً التي تنهض على فكرة المقدس التي توحد بين المؤمنين بهذه المعتقدات في مجتمع ديني، والدين بمعنى الفصل بين الدين والرأي أي أن الدين يسلم بالإيمان والرأي يثبت بالخصومة.

الزرادشتية، Zoroastrianism: ديانة فارسية قديمة تنسب إلى زرادشت، وقيل إن ظهوره كان في القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد، أو في السادس أو الخامس ق.م، مبادئها الأساسية المعارضة بين الخير والشر، والقول بالصراع بينهما مضموناً للسيرورة الكونية، والإيمان بأن الخير المتجسد في صورة الإله أهوار أمزدا سينتصر في نهاية المطاف.

عبادة الحيوانات Zoolatry: جملة المعتقدات والشعائر المرتبطة بالتقديس الديني للحيوانات، ومنها تقديس الأبقار في الهند.

عبادة النار Fire Worship: ويصادف تقديس النار لدى العديد من الشعوب، وخاصة لدى قدامى الفرس، وهو عنصر مميز للديانة الزرادشتية.

عبادة النجوم Astral Cults: تقديس الكواكب والنجوم وغيرها من الأجرام السماوية، وكانت شائعة لدى الكثير من الشعوب القديمة.

العدالة الإلهية Theodicy: مبحث ديني وفلسفي يدرس العدالة الإلهية في محاولة التوفيق بين التصور عن الإله بوصفه خيراً وعادلاً ووجود الشر والجور في

العالم، وهي تعني في الميتافيزيقيا تصور العالم شيئاً خلقه الله، وهو يتسم ببعض السمات التي تتناقض غالباً مع الخبرة البديهية.

علم الاجتماع الديني Sociology of Religion: ويدرس الجوانب الاجتماعية للدين والتدين، والجذور الاجتماعية لنشوء الأديان وتطورها، ووظائف الدين الاجتماعية وارتباطه بباقي عناصر الثقافة، وتغير طابع الدين من فئة اجتماعية إلى أخرى، والمؤسسات الدينية (كالكنيسة وغيرها) وعلاقتها بالمؤسسات الاجتماعية الأخرى وهناك اتجاهان متناقضان في علم الاجتماع الديني، أحدهما: يتبع دوركهيلم، والثاني يتبع فيبر، فدوركهيلم كان مهتماً بالوظائف الاجتماعية للدين عموماً في علاقتها بالتكامل الاجتماعي، وأما فيبر فكان مهتماً بمشكلة العدالة الإلهية، وللدراسات السوسيولوجية المبكرة عن الدين ثلاثة مميزات منهجية، فهي تطويرية ووظيفية وسيكولوجية.

اللوثرية: تسلم اللوثرية ضمناً أن القوانين البشرية يجب أن تتجه إلى فرض احترام القوانين الأخلاقية التي تقوم على المساواة بين كل المؤمنين، وأن المسيحيين يتمتعون بالحرية، ولا يفرض قانون الله من الخارج بل إن إرادة المسيحيين هي التي تتبعه بصورة حرة، وليست المملكة الزمنية مطبوعة بالحرية والمساواة ولا الكنيسة الأرضية، والله خلقها لمنع سيطرة الشيطان الكلية، ولا يحتاج المسيحيون الحقيقيون لدولة، والكنيسة يجب أن تعكس الحقيقة باستبعاد القسر، والحق الوحيد هو الوعظ ومنح الأسرار المقدسة والقيام بتأنيبات واللجوء إلى الحرمان تدبيراً أخيراً.

النيرفانا: عند البوذية هي إيقاف حد نمو الحياة إيقافاً تاماً، وذلك بإنضاج البذور التي نعيد غرسها بلا انقطاع في التناسخ.

أبقراط (حوالي 460-375 ق.م) : طبيب يوناني، يعد أبا الطب. قال إن الجسم يحتوي على أخلاط أربعة هي الدم والبلغم والسوداء والصفراء، وإن علاقة هذه الأخلاط بعضها ببعض تحدد مزاج المرء. (348)

ابن خلدون (1332-1406م) : فيلسوف ومفكر عربي، ولد في تونس، درس اللغة والقرآن والفقه وبرع فيها، من أهم مؤلفاته (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن جاورهم من ذوي السلطان الأكبر) وتعد مقدمة ابن خلدون دائرة معارف عقلية وفنية وتاريخية ولغوية وفلسفية لحياة الشعوب العقلية. (10-11-34-72-73-77-78-79-80-81-82-83-84-85-92-271-272-300-301-311)

ابن سينا (980-1037م) : طبيب وفيلسوف عربي، ولد في أفغانستان وكبير ليصبح طبيباً، حيث عين لدى عدة سلاطين في العالم العربي، بل أصبح وزيراً في فارس، سافر بعد ذلك في أنحاء البلاد طويلاً وعرضاً، وكتب عدة أعمال علمية وفلسفية مهمة وكان كتابه في الطب (القانون) يدرس منهجاً زمنياً طويلاً في أوروبا. (262-351)

أبيقور (342-272 ق.م) : تلقى أبيقور تربية ذاتية، فتعلم الفلسفة وحده وأنشأ مدرسة عرفت (بمقدقة أبيقور)، ومن أهم مؤلفاته (الرسائل - شذرات - القانون - مقالة في الطبيعة) ونظريته الأخلاق هي نقطة انطلاق كل نظرية فلسفية، والمتعة أو السعادة هي غاية الحياة الإنسانية وإن الأشياء المادية تطلق على نحو موصول.

آدلر، ألفريد (1870-1937م) : سيكولوجي نمساوي، من مواليد فيينا، بدأ حياته بدراسة طب العيون، ثم انقلب إلى علم النفس وأصبح عضواً فعالاً في فريق فرويد عام 1900م أسس (علم النفس الفردي) وله دراسات في عمل العقل، وعني بدراسة عقدة النقص. (393-423)

أدورنو، تيودور (1903-1969م) : فيلسوف وسوسيولوجي ألماني، غادر إلى أمريكا، وظهر مؤلفه الأول مع ماكس هوركهايمر (جدلية الأنوار) 1947م- حول الشخصية المستبدة، ومن أهم مؤلفاته (فلسفة الموسيقى الجديدة) 1949م (المجتمع ونقد الثقافة)، وكانت مؤلفاته حول تحليل الاستهلاك الثقافي داخل المجتمع الصناعي.

أرسطو (384-322 ق.م) : فيلسوف وأعظم نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني، وكان معلمه أفلاطون، وقيل إن كل فيلسوف إما أفلاطوني وإما أرسطوطاليسي، كان وسيبقى أستاذ الفكر النقدي، ومن أشهر كتبه (الأورغانون، السياسة، ما وراء الطبيعة، المنطق الأسطوري)، وهو فيلسوف حسي صرف. (54-64-65-66-67-68-71-72-73-263)

أفلاطون (427-347 ق.م) : أعظم فيلسوف يوناني في العصور القديمة، من أسرة أرستقراطية بأثينا، مما رشحه للعمل بالسياسة، ومال إلى الفلسفة وهو في العشرين من عمره، وصار تلميذاً لسقراط ولم يفارقه إلى يوم محاكمته وموته انضم بعده إلى إقليدس وأسس مدرسته باسم الأكاديمية، وهي أول معهد للتعليم العالي. (54-57 بالتوالي إلى 73-76-263-423-458-461-476)

الأكويني ، القديس توما (1225-1274م) : عالم إيطالي، دخل نظام الدومينيكان الأخوي سنة 1243م وذهب إلى باريس سنة 1252م ليدرس اللاهوت ومواضيع أخرى، وفي غضون ست سنوات أكسبته سرعة بديهيته ووضوح تحليله وقدرته على إجادة المحاولة صيتاً عظيماً بأنه فيلسوف، ودعاها البابا سنة 1258م ليعلم في مختلف مراكز إيطاليا. (69-71)

إنجلز، فريدريك (1820-1895م) : عالم اجتماع وفيلسوف ألماني، تعرف بكارل ماركس فارتبط معه بصداقة حميمة نتج عنها نشاطات سياسية وعلمية مشتركة، من أهم مؤلفاته (وضع الطبقات العاملة بالإنجلترا/ الثورة العلمية/ بيان الحزب الشيوعي/ الفلسفة الكلاسيكية) تناول النزعات المادية والمثلية والجدلية والاشتراكية، ونشر مجلدين عن رأس المال. (121-123-325-332-362-469-472).

أينشتاين، ألبرت (1879-1955م) : عالم ألماني من مؤسسي الفيزياء المعاصرة، وضع النظرية النسبية التي جاءت بفهم جديد للمكان والزمان، ولعلاقتها بالحركة والمادة. (262-382)

أوغستين، القديس (354-430م) : لاهوتي مسيحي، من أبرز آباء الكنيسة، يتسم مذهبه بالإيمانية فدون الإيمان ليس ثمة معرفة ولا حقيقة، كان رائد فلسفة التاريخ المسيحية، فعارض بين مدينة الله أو المدينة السماوية التي تديرها الكنيسة والمدينة الأرضية أو المدينة الآثمة التي يحكمها الملوك والرؤساء الدينيون، قال بالقدر الإلهي الذي رسم لبعضهم حياة هائلة في الآخرة ولبعضهم عذاباً أبدياً في الجحيم. (69-70)

بارسونز، تالكوت (1902-1979) : عالم اجتماع أمريكي، ولد في كولورادو سبرينغ، ودرس في كلية أمهرست لعلوم الاقتصاد في لندن وفي جامعة هايدلبرغ، وأخيراً في جامعة هارفرد 1927-1973 حيث أوجد قسم العلاقات الاجتماعية عام 1946م، وقام بتدريس ثلاثة أجيال، وكان كتابه الأول (بناء الفعل الاجتماعي) 1937م وهو من أعلام التحليل البنيوي الوظيفي في السوسيولوجيا الغربية. (11-38-177-204-205-206-207-208-232-233-280-329-330-383-460)

باريتو، فيلفريدو (1848-1923م) : سوسيولوجي إيطالي من مؤسسي الوظيفة، ومن أقطاب مدرسة لوزان التي عنت بتطبيق الطرق الرياضية في البحث الاقتصادي، طرح نظرية (دورة النخبة). (208-209-210-428)

برودون، بيير جوزيف (1815-1898م) : اشتراكي فرنسي، من مفكري الفوضوية، وكان أول من استحدث هذه اللفظة في المعجمية السياسية، شجب الملكية الشخصية بوصفها وسيلة استغلال الطبقة الكادحة، وباسمه ارتبط التيار المعروف بالبرودونية. (245)

برون (365-270 ق.م) : فيلسوف يوناني - مؤسس الشككية، قال إن المعرفة لا تنفذ إلى حقائق الأشياء، ولذا تقتضي الحكمة التوقف عن إصدار الحكم عليها إيجابياً أو سلبياً، وإليه تنسب البرونية.

بليخانوف، غيورغي (1856-1918م) : فيلسوف ماركسي روسي، من مؤسسي الحزب الاشتراكي الديمقراطي الشيوعي (لاحقاً) في روسيا، صار بعد عام 1903م من زعماء المنشفية، ولم يؤيد ثورة أكتوبر الاشتراكية عام 1917م، اشتغل بقضايا المادية التاريخية ودور الفرد فيها.

بوير، كارل (1902م) : فيلسوف ومنطقي وسوسيولوجي إنكليزي/نمساوي النشأة، ومن مؤسسي العقلانية النقدية، عارض مذهب التاريخة ممثلاً بأفلاطون وهيغل وماركس القائل بأن هناك قوانين عامة لتطور التاريخ تؤذن بحتمية مساره وأفكاره التنبؤية.

بياجيه، جان (1896-1980م) : عالم نفس وفيلسوف ومنطقي سويسري، وضع نظرية إجدائية operational في العقل، وأسس ما يدعى الإيستيمولوجيا التكوينية. (279)

تايلور، إدوارد (1832-1917م) : قس وشاعر أمريكي وأثنوغرافي بريطاني المولد، اشتهر بدراساته في الثقافة البدائية، ويعد مع سبنسر مؤسسي المدرسة التطويرية في الأثنوغرافيا وتاريخ الثقافة، وضع نظرية حول أصل الدين، نشرت أعماله بعد موته بفترة طويلة بعنوان (أعمال إدوارد تايلور الشعرية). (378)

تورين، آلان (1925م) : اجتماعي فرنسي، عارض المدرسة البنيوية الوظيفية بطرحه لمذهب الفعلانية الذي يؤكد على دور الذات التاريخية في إبداع القيم الاجتماعية، وهو من أنصار نظرية المجتمع ما بعد الصناعي.

توكفيل، أليكسيس (1805-1859م) : مؤرخ وسوسيولوجي وسياسي فرنسي، انتقد فكرة المساواة من حيث إنها تؤدي إلى التساوي في العبودية. (272-273-274-275-276-277-278)

تونيز، فرديناند (1855-1936م) : سوسيولوجي ألماني، من رواد علم الاجتماع المهني، أدخل التمييز بين الجماعة والمجتمع. (24-26-193-379)

حمورابي (1730-1680 ق.م) : أعظم الملوك البابليين، وأهم عمل له شريعته المعروفة باسمه، وهي أولى الشرائع من نوعها في التاريخ، وتتألف من مجموعة من القوانين الأخلاقية والسلوكية تغطي مجالاً واسعاً من الفعالية الإنسانية. (263)

داروين، تشارلز (1809-1882م) : عالم طبيعيات بريطاني، وضع نظرية التطور والانتقاء الطبيعي، كان والده طبيباً ناجحاً وثرياً، فأرسله لدراسة الطب في أسكتلندا، وكان له اهتمامات بالحشرات والطيور، وقال: إن التغيرات الملائمة هي التي تنجح إلى البقاء، وتختفي غير الملائمة وينتج عن ذلك تكوين جديد، ومن أهم آثاره كتاب (أصل الأنواع) عام 1859. (133-214-2154-216-373-466).

دافنشي، ليوناردو (1452-1519م) : هو أعظم الفنانين في كل العصور، ولد بقرية فنشي بإيطاليا، اشتهر عن طريق لوحتيه (العشاء الأخير) و (الموناليزا) وأخرى كثيرة، وكان مهندساً فذاً ومخترعاً لكثير من الآلات الحربية وكان رائداً في الطيران وعالماً بطبقات الأرض وبالتشريح وتخطيط المدن، ويعرف عن دوران الشمس، وله رسومات في ذلك.

داهرنדרوف ، رالف (1929م) : فيلسوف ألماني، من منظري الليبرالية المعاصرة، طرح نظرية النزاع الاجتماعي القائلة بأن التوزيع الطبقي لا يتمثل في علاقات الملكية، وإنما في السيطرة والخضوع.

دوركهايم، إميل (1858-1917م) : من أهم علماء الاجتماع الفرنسيين، ومؤسس المدرسة السوسيولوجية الفرنسية، أكد على دور (التصورات الجمعية) في حياة المجتمع، وقال بتقسيم العمل أساساً للتكامل الاجتماعي، وذلك مقابل

التكامل الميكانيكي الآلي. (11-26-33-37-43-81-82-136 حتى
158-192-193-232-249-274-275-276-277-278-
279-300-336-339-367-384-456)

دوهرينغ، كارل (1833-1921م) : فيلسوف واقتصادي ألماني، أهم مؤلفاته
(الجدلية الطبيعية) (قيمة الحياة) (الرأسمال والعمل).

ديدور، دني (1715-1784م) : ولد في لانفر ومات في باريس، وهو أحد
أبرز ممثلي حركة التنوير، وقد حرر مع (دالامبير) الموسوعة الفرنسية، درس في
معهد اليسوعيين، وله (الخواطر الفلسفية) (نزاهة الشكر) ورواية (المجوهرات
المفشية للسر) و (مبادئ الفسيولوجيا) ومؤلفات رياضية كثيرة.

ديفو، دانيال (1660-1731م) : كاتب إنكليزي عرف بكتابة الكراريس
السياسية، فانتهى به نشاطه في هذا الميدان إلى الاعتقال ثم السجن عام
1702م، وتقوم شهرته على روايته الخالدة (روبنسون كروزو).

ديكارت، رينيه (1596-1650م) : فيلسوف فرنسي، أول فيلسوف
محدث، وواحد من أعظم الرياضيين، حصل على البكالوريا وإجازة الحقوق دفعة
واحدة، وله (انكسار الضوء) (النهج) وهو مكتشف الهندسة التحليلية، وله
القول (أنا أشك فأذن أنا أفكر، وأنا أفكر فأذن أنا موجود).

ديلتي، فلهلم (1833-1911م) : فيلسوف ألماني، من مؤلفاته (ماهية
الفلسفة) (تحليل الإنسان) (تاريخ شباب هيغل) (عالم الروح) التي تقول بأن
الحياة الإنسانية هي مصدر الفلسفة وموضوعها.

راد كليف، براون (1881-1955م) : أنثربولوجي وسوسيولوجي إنكليزي، من منظري المدرسة الوظيفية في الأنثربولوجية، ومن مؤسسي الانتروبولوجية الاجتماعية. (286)

روسو، جان جاك (1712-1778م) : كاتب وفيلسوف فرنسي، ويعتد الوجه الأبعد نفوذاً في الأدب الفرنسي، ولا شك أن كتاباته قد مهدت الطريق لاندلاع الثورة، من مؤلفاته: خطاب في العلوم والفنون/ خطاب في أصل التعامل بين البشر/ اعترافات جان جاك/ العقد الاجتماعي، أو مبادئ القانون السياسي/ هواجس، المتنزه المنفرد بنفسه. (89-90-91-92-94-184-263-423)

ريكاردو، ديفيد (1772-1823م) : اقتصادي وسياسي إنكليزي، ولد في لندن، وبدأ العمل وهو شاب، وبلغ عام 1817م حقق ثروة، ووضع أسس الضرائب في الاقتصاد السياسي، وكان أول من نادى بالتجارة الحرة، ومن أهم آثاره (مبادئ الاقتصاد السياسي وفرض الضرائب).

رينان، جوزيف (1585-1642م) : فيلسوف ومؤرخ فرنسي للفلسفة والمسيحية، تأثر بالفكر الألماني فابتعد عن الإيمان الكاثوليكي، من مؤلفاته (تاريخ أصول المسيحية) (حياة يسوع) تاريخ شعب إسرائيل (مسائل عصرية) (الإصلاح الفكري والأخلاقي).

زيمل، جورج (1858-1918م) : عالم اجتماع ألماني، وفيلسوف مثالي من ممثلي فلسفة الحياة، والحياة عنده صيرورة إبداعية لا عقلانية تتجسد في الصيغ

الجامدة للثقافة، وضع السوسيولوجيا الصورية التي تهتم بالأشكال المجردة للتفاعل الاجتماعي بين الناس. (11-25-38-193-218-330-406).

سارتر، جان بول (1905-1980م) : فيلسوف وأديب فرنسي، زعيم الوجودية الفرنسية الإلحادية، عمل على إكمال الماركسية بالوجودية وبمذهب التحليل النفسي، من آثاره الروائية (الغثيان) عام 1938 ومن آثاره المسرحية (الذباب) 1943 و (الأيدي القذرة) عام 1948 ومن آثاره الفلسفية (الوجود والعدم) عام 1943. (476).

سان، سيمون (1760-1825م) : مفكر فرنسي، وهو الرائد الحقيقي لعلم الاجتماع الحديث، دعا إلى إسقاط سلطة الدولة الإقطاعية وإزالة الامتيازات الدينية، وبين أن التطور التاريخي مر بثلاث مراحل، وبلغ الآن مستوى المرحلة العلمية/ الوضعية، أطلق على علم الاجتماع اسم الفيزيولوجيا الاجتماعية، من مؤلفاته (المسيحية الجديدة) (عقيدة الصناعيين) (حول النظام الصناعي). (97-254-255-371).

سينسر، هيربرت (1820-1903م) : فيلسوف إنكليزي وسوسيولوجي من رواد الوصفية، طرح مذهباً في التطور يرى فيه وحدة للتمايز والتكامل، أرسى أسس المدرسة العضوية في علم الاجتماع أخذ بمذهب النفعية في الأخلاق، وبالنزعة الليبرالية في السياسة، واعتمد كثيراً على نظرية داروين في أوج التطورية الطبيعية، من أعظم آثاره (الفلسفة التركيبية). (11-79-130 إلى 136-146-184-193-194-210-215-216-218-278-336-461).

ستاندال، مارني (1783-1842م) : روائي فرنسي، أحد أبرز وجوه الأدب الفرنسي، اسمه الحقيقي هنري بيل ، اتسمت آثاره الرومانتيكية بطابع السخرية وبنفاذ إلى أعماق النفس البشرية، من أشهر رواياته (الأحمر والأسود).

سقراط (470-399 ق.م) : فيلسوف يوناني من رواد الديالكتيك نَهَجَ البحث عن الحقيقة عبر الحوار (ذلك هو المنهج السقراطي أو منهج التوليد) اتهم بإفساد الشباب بالآراء المتحررة دينياً، وإنكار الآلهة القديمة والقول بغيرها، فقضى بناء على أمر المحكمة متجرعاً كوباً من السم. يرى أن غاية الفلسفة هي معرفة المرء ذاته، وأن هذه المعرفة هي السبيل إلى تحصيل الخير الحق، وأن الفضيلة والعلم شيء واحد، فإذا عرفها الإنسان عمل بمقتضاها. (54 إلى 58-477-458-263)

سمنر، ولیم (1840-1910م) : سوسيولوجي واقتصادي أمريكي، من أنصار الداروينية الاجتماعية، درس المجتمعات البدائية من خلال مفاهيم جماعة الـ (نحن) وجماعة الـ (هم) والمركزية اللاتينية، دعا في الاقتصاد إلى الحرية الاقتصادية المطلقة. (11-185-186-187-188-189-190).

سمول، لیون (1854-1926م) : عالم اجتماع أمريكي، من أنصار الداروينية الاجتماعية، ومن مؤسسي السوسيولوجيا الأمريكية. (11-190-191-193)

سمیث، آدم (1723-1790م) : سياسي إسكوتلندي، وأحد أعلام الاقتصاد السياسي الكلاسيكي، وأول من هذب علم الاقتصاد، ونادى بالحرية الاقتصادية، وأسس نظرية القيمة في العمل.

سوروكين، بيتريم (1889-1968م) : سوسيولوجي روسي أمريكي، ينظر إلى العملية التاريخية على أنها تبدل دوري لأنماط أساسية في الثقافات (حسية- عقلانية- مثالية) بمعنى الحدس، من رواد منظري (التدرج الاجتماعي) و(الحراك الاجتماعي). (11-200 إلى 204-232-372-452)

شاتوبريان، فرانسوا (1768-1848م) : كاتب دبلوماسي فرنسي، أحد رواد الحركة الرومانسية الفرنسية، ولد في سانت مالو، ومن أهم مؤلفاته عام 1802م (روح المسيحية) مما رفع من مكانته واستلم مناصب دبلوماسية، ولكنه أخفق في تحقيق حلمه باستلام رئاسة الوزارة، وألف كتاب (مذكرات ما وراء القبر) ولم ينشر حتى عام 1902.

شبنجلر، أوسفالد (1880-1936م) : فيلسوف ومؤرخ ألماني في مجالات فلسفة الحياة، اقترح نظرية الثقافة التي تعبر عن الروح الجماعية للشعب، وهو يرى أن الثقافة تمر بالمراحل التي يمر بها الإنسان، ومن أهم آثاره (انحطاط الغرب) ويقع في مجلدين.

شكسبير، وليم (1546-1616م) : كبير الشعراء الإنكليز، كان ممثلاً ومؤلفاً مسرحياً، سبر في مسرحياته أغوار النفس البشرية وحللها في بناء متساق، مما جعلها أشبه شيء بالسّمفونيات الشعرية، ومن أشهر آثاره الكوميديّة (كوميديا الأخطاء) (تاجر البندقية) ومن أشهر آثاره التراجيديّة (روميو وجوليت) (يوليوس قيصر) (هملت) إلخ.

غرامشي، أنطونيو (1891-1937م) : كاتب وسياسي إيطالي ومفكر
ماركسي، مؤسس الحزب الشيوعي الإيطالي، عني في الفلسفة بقضايا المادية
التاريخية، ومات في سجون موسوليني.

غوتة، جوهان (1749-1832م) : كبير شعراء الألمان، وأحد عمالقة الأدب
العالمي، كان شاعراً وناقداً روائياً وكاتباً مسرحياً ورساماً وعالمياً وفيلسوفاً، طور
اللغة الألمانية، وكان في الفلسفة من أنصار مذهب وحدة الوجود وحيوية المادة،
أكد على وحدة النظر والعمل له رواية (أحزان فتر الشباب) وأهم مسرحياته
(فاوست).

غورفيتش، جورج (1894-1965م) : فيلسوف وسوسيولوجي فرنسي،
روسي المنشأ، من أنصار الوضعية في علم الاجتماع، سمى مذهبه بـ التجريبية
الديالكتيكية. (28-29-30-31-145)

غوغول، نيكولاي (1809-1852م) : روائي وكاتب روسي، واضع الأساس
للواقعية الروسية، وهو من مبدعي القصة القصيرة والنصوص الهزلية، وكان ملتزماً
بالمسائل الأخلاقية، من رواياته: المفتش، أمسية في المزرعة، وأرابسك.

غولدمان، لوسيان (1913-1970م) : سوسيولوجي فرنسي مؤسس
"البنوية الوراثية". (362-364)

الفارابي: هو أبو نصر محمد بن طرفان الفارابي، ولد في مدينة فاراب في إقليم
خراسان التركي حوالي سنة 870 ميلادية، وتوفي في دمشق سنة 950م وهو
من المفكرين المسلمين الذين لاقت دراساتهم اهتماماً كبيراً حتى لقب بالمعلم
الثاني بعد أرسطو. ويتمثل الفكر الاجتماعي عند الفارابي بأشهر مؤلفاته (آراء

أهل المدينة الفاضلة) والذي وضع فيه الفارابي أهم ما كتب في الفلسفة والسياسة والاجتماع. (11-72 إلى 77-263-300)

فرويد، سيغموند (1856-1939م): طبيب نفسي نمساوي، بدأ بدراسة الطب وتخصص (بالجراحة الدماغية) ثم انقلب إلى الطب النفسي، وضع مذهب التحليل النفسي. (386-393-403-404-423-446-447-458-474)

فريدمان، جورج (1902-1977م) : عالم سوسيولوجي فرنسي، من أقطاب المدرسة الفرنسية في سوسيولوجيا العمل. (34)

فوريه، شارل (1772-1837م) : فيلسوف اجتماعي فرنسي، من أعلام الاشتراكية الطوباوية ويعد من أبرز رواد الاشتراكية في فرنسا، وضع مشروعاً لإقامة المجتمع الاشتراكي على شكل وحدات صغيرة سماها الفالانسييرات تتسع كل واحدة لـ 1800 شخص، يعمل جميعهم لصالح المستوطنة بتعاون وتناغم بين الكفاءات.

فير، ماكس (1864-1920م) : سوسيولوجي واقتصادي وحقوقى وفيلسوف ألماني أحد مؤسسي سوسيولوجيا الفهم ونظرية الفعل الاجتماعي، قال بالأخلاق البروتستانتية بوصفها أساساً لظهور الرأسمالية، وطرح مفهوم النمط المثالي. (11-36-38-159 إلى 185-272-336-339-404-440-452-456)

فيتفنشتاين، لودفينغ (1889-1951م) : فيلسوف ومنطقي نمساوي، من واضعي الفلسفة التحليلية والذرية المنطقية، اقترح مشروع بناء لغة اصطناعية مثالية تكون على غرار لغة المنطق الرياضي.

فيورباخ، لودفيغ (1804-1878م) : فيلسوف وعالم اجتماع مادي ألماني، من أعلام النزعة الأنتربولوجية عدّ الدين وليد أُماني الإنسان، وأثر في تشكيل مادية ماركس وإنجلز.

فيكو، جيوفاني (1668-1744م) : مفكر إيطالي رائد فلسفة التاريخ في العصر الحديث، قال بالدورة التاريخية بأن كل شعب يمر في تطوره بمراحل ثلاث: إلهية (دون سلطة الكهنة) وبطولية (الدولة الأرستقراطية) وإنسانية (الجمهورية الديمقراطية أو الملكية النيابية)، تمثل ذروة نضج البشرية التي يبدأ بعدها الانحطاط والرجوع إلى الحالة الأولية.

كارليل، توماس (1795-1881م) : كاتب ومؤرخ وفيلسوف إنكليزي، أشهر وأهم كتبه (الثورة الفرنسية) عام 1837م، (في الأبطال وتقديس البطل وعنصر البطولة في التاريخ) عام 1841م.

كالفن، جان (1509-1564م) : لاهوتي فرنسي، نشر راية الإصلاح البروتستانتي في فرنسا ثم سويسرا، أنشأ حكومة دينية صارمة في جنيف، وأسس المذهب الكالفيني في فرنسا وسويسرا، ثم هولندا وأسكتلندا، وكان له أثر كبير في أوروبا.

كانط، عمانوئيل (1724-1804م) : فيلسوف ألماني، ومن أبرز الفلاسفة، وقال: إن العقل البشري عاجز عن إدراك حقائق الأشياء في ذاتها، وإن كل ما

نعرفه هو ما يرينا إياه عقلنا، ومن أشهر كتبه (نقد العقل المحض) في عام 1781م ونقد العقل العملي عام 1788م. (94-121-263)

كاوتسكي، كارل (1854-1938م) : واحد من أكبر مُنظري الاشتراكية الديمقراطية الألمانية، وصاحب نظرية ما فوق الإمبريالية، لا مرحلة ما بعد الإمبريالية، ويعد من رجالات الأمم المتحدة الثانية.

كروتشييه، بنديتو (1866-1952م) : فيلسوف ومؤرخ وسياسي، يعد أبرز الفلاسفة الإيطاليين في بداية القرن العشرين، وأسس عام 1903 مجلة النقد وكان لها كبير الأثر في الفكر الأدبي الغربي، قاوم الفاشية وعمل لتحرير إيطاليا 1914 - 1940م.

كروموويل، أوليفر (1599-1658م) : زعيم سياسي وعسكري وديني إنكليزي، زعيم البرجوازية والنبلاء البرجوازيين في مرحلة الثورة البرجوازية الإنكليزية، وعند اندلاع الحرب الأهلية 1642، ألح على ضرورة إعدام الملك تشارلز الأول، وحقق ذلك، وأصبح سيد إنكلترا الفعلي، وأعلن الجمهورية عام 1653م، وهزم إسبانيا بالتحالف مع فرنسا.

كوبرنيكوس، نيقولا (1473-1543م) : لاهوتي وفلكي ورياضي بولوني، برهن على حركة الكواكب حول ذاتها وحول الشمس، ونظريته أن الشمس هي مركز النظام الشمسي، فأحدث ثورة بدلت أسس علم الفلك وتناول المقاسات الفلكية التي وصلت من العرب، ووضع على أساسها صورة الكون، وأثبت كروية الأرض، وكتب عن الفصول الأربعة. (262)

كولي، تشارلز (1864م-1929م) : سوسيولوجي أمريكي، اشتغل أساساً بالجماعات الصغيرة وتكون الشخصية، وأدخل التمييز بين الجماعات الأولية (الأسرة، الجوار...) التي عدها الخلايا الأساسية للمجتمع، والمؤسسات الاجتماعية الثانوية (الطبقات، الأحزاب، الأمم). (22-27-330)

كونت، أوغست (1798م-1857م) : فيلسوف فرنسي، من رواد الوضعية والسوسيولوجيا، طرح نظرية المراحل الثلاث في تطور البشرية العقلي: اللاهوتية وفيها يعلل الناس الأشياء بقوى خارقة، والميتافيزيقية وفيها ترد الأشياء إلى مبادئ مجردة، والوضعية وفيها تفسر الأشياء على أساس المشاهدة والتجارب العلمية. (10-11-23-41-79-87-92-97 إلى 120-131-137-148-210-216-217-265-278-285-403)

لا مارك، جان باتيست (1744-1829م) : بيولوجي فرنسي، ومن أبرز علماء الاتجاه التطوري، ولعل أحداً من الباحثين لم يخدم العلم بقدر ما خدمه لا مارك صاحب نظرية انتقال المورثات إلى الذرية، يعرف مذهبه باللاماركية، عومل بنكران كبير من مجتمعه وإهمال.

لابلاس، دوفين (1749-1827م) : رياضي وفلكي وفيزيائي فرنسي درس حركة القمر والمشتري وزحل، طبق عام 1827/1749م نظرية الجاذبية على النظام الشمسي كله، وأثبت مع لافوازييه عام 1780 أن التنفس عملية احتراق. (112)

لازارسفيدل، بول (1901م-1976م) : سوسيولوجي أمريكي من أنصار
الوضعية، ومن كبار المختصين بمنهجية الطرق الرياضية وتطبيقها في العلوم
الاجتماعية. (278)

لالاند، أندريه (1867-1963م) : فيلسوف فرنسي، بحث في الفكرة
الموجهة للانحلال بالتعارض مع فكرة التطور في منهج العلوم الفيزيائية
والأخلاقية، من مؤلفاته (سيكولوجيا أحكام القيمة) (نظريات الاستقراء
والتجريب) (الأوهام التطورية) وهو عقلائي ليبرالي في فلسفته.

لوثر، مارتن، (1483-1546م) : لاهوتي وزعيم حركة الإصلاح البروتستانتي
بألمانيا، هاجم متاجرة الكنيسة بصفكوك الغفران، وعلق في كنيسة ويتنبرغ
احتجازه عام 1517م فحرمه البابا من شركة المؤمنين، ترجم الكتاب المقدس
إلى الألمانية، مما طور الأدب الألماني.

لوك، جون (1632-1704م) : فيلسوف وسياسي إنكليزي، اشتهر بدعوته
إلى التسامح الديني ودفاعه عن حقوق الإنسان، وعارض الحق الإلهي، وأن
الاختيار أساس المعرفة، ويعد مؤسس (المدرسة الحسية) الحديثة، تأثر بأرائه
معظم الثوريين. (266-440-477)

لوكاتش، جورج (1885-1971م) : فيلسوف وناقد مجري، له دراسات
فكرية متعددة مجدة في الفكر الماركسي، وكتب في النقد الأدبي.

لومبروزو، تشيزاريه (1835م-1909م) : طبيب نفسي وعالم جريمة إيطالي،
رائد الاتجاه الأنثروبولوجي في دراسة الجريمة والقانون الجنائي، قال بوجود نمط

خاص من الناس الذين لديهم استعداد كامن بيولوجي لاقتراف الجرائم.
(150-208)

لينين، فلاديميراليتش اوليانوف (1870-1924م) : زعيم وكاتب ثوري روسي، قائد ثورة أكتوبر البلشفية الشيوعية 1917 التي أوصلت الشيوعيين إلى للسلطة، أسس الاتحاد السوفيتي وأطاح بحكومة كرينسكي، وأصبح أول رئيس لحكومة سوفيتية وهو القائد النظري والعملي للثورة. (263-413)

ماركس، كارل (1818-1883م) : عالم اقتصادي وفيلسوف اجتماعي ألماني، نشر مع صديقه إنجلز البيان الشيوعي عام 1848م، نفي من ألمانيا وفرنسا فأقام في لندن، وانكب على الدرس في المتحف البريطاني أشهر مؤلفاته (رأس المال) عام 1867.
(79-92-120 إلى 130-168-169-170-175-210-217-218-240-245-257-263-271-272-278-280-336 -
409-429-431-437-459-461-470-474)

ماركوزا، هيربرت (1898-1989م) : فيلسوف أمريكي ألماني الأصل، ولد في برلين ورحل إلى أمريكا عام 1934م، وهو ماركسي قام بدراسة عن ماركس وفرويد، وهو من أنصار حقوق الإنسان.

ماكدوغال، ولیم (1871-1938م) : طبيب وعالم نفس بريطاني أمريكي، عرف مذهبه بالسيكولوجية الهورمية، عمل طبيباً نفسانياً أرسى قواعد علم النفس التجريبي والفسيولوجي في إنجلترا، من أشهر آثاره (مقدمة لعلم النفس الاجتماعي) عام 1908.

ماكيا فيللي، نيقولا (1469-1527م) : مفكر وسياسي إيطالي، ولد في فلورنسا لعائلة فقيرة، وتولى فيما بعد مناصب إدارية وديبلوماسية رفيعة في الجمهورية الفلورنسية، اشتهر بنظريته السياسية المعروفة بالمكيا فيللية التي بسطها بكتابه (الأمير) عام 1513، والتي فحواها (الغاية تسوغ الوسيلة). (85-86-209)

مالتوس، توماس (1766-1834م) : اقتصادي إنكليزي، يرتبط باسمه مذهب المالتوسية، أكد أن مشكلات المجتمع الاقتصادية بسبب الزيادة السكانية المتسارعة. (210-436)

مالينوفسكي، برونيسلاف (1884-1942م) : انثربولوجي وسوسيولوجي إنكليزي، بولندي الأصل، من مؤسسي الوظيفة في الأنثروبولوجية، درس المجتمعات البدائية وتطور النظم. (230-233-286)

مورجان، لويس (1818-1881م) : مؤرخ وأثنوغرافي أمريكي، درس المجتمع البدائي وقال بالتقدم في التاريخ البشري، وأبرز في مسيرته مراحل ثلاث: الوحشية، فالبربرية، فالحضارة، وبرهن على تطور الملكية من الشكل الجماعي إلى الخاص، وعلى انتقال العائلة والزواج من الصيغة الجماعية إلى الفردية. (238-248-250-252-325-420-452)

مونتسكيو، شارل دو (1689-1755) : كاتب ومن أبرز الفلاسفة الفرنسيين السياسيين في القرن الثامن عشر هاجم الاستبداد ودافع عن مبدأ فصل السلطات سخر من المؤسسات الفرنسية الاجتماعية والسياسية في عصره وله كتاب (روح القوانين) عن طبيعة الدولة وعلم القوانين. (92-107-353-440)

ميد، جورج، هيربرت (1863-1931م) : فيلسوف وعالم نفس أمريكي، من أبرز أعلام البراغماتية، يفسر نشوء العقل البشري والنفس ووعي الذات، وأن الكائن الحي لا يملك عند الولادة نفساً، وأن النفس تنبثق من التفاعل البشري ودور اللغة المحكية. (392-330)

ميرتون، روبرت (1910-2003م) : سوسيولوجي أمريكي، من ممثلي (التحليل البنيوي- الوظيفي) طرح فكرة النظريات المتوسطة المدى التي يجب أن تربط بين الأبحاث التجريبية والنظريات السوسيولوجية العامة. وهذب مفهوم الأنوميا، أي السلوك المنحرف عن المعايير الاجتماعية. (231-232-233-234)

نيوتن، إسحق (1643-1727م) : فيزيائي ورياضي إنكليزي، ومن أبرز وجوه الثورة العلمية في القرن 17، التحق بجامعة كامبردج ثم بكلية الثالوث المقدس، اخترع التلسكوب العاكس ونظرية التفاضل والتكامل، وضع نظرية في الضوء وقانون الجاذبية العام وقوانين الحركة، أهم كتبه (علم البصريات).

هايدغير، مارتن (1889-1976م) : فيلسوف ألماني، يعد أحد أبرز ممثلي الفلسفة الوجودية، طّور جان بول سارتر بعض أفكاره، أشهر آثاره وأهمها (الوجود والزمن) عام 1927م وهو بحث فلسفي في معنى الوجود.

هيرماس، يوغن (1929م) : فيلسوف وعالم اجتماع ألماني، يعد من أبرز ممثلي مدرسة فرانكفورت، وخير منطقي يفهم الماركسية على أنها نظرية نقدية كبرى بشرط أن تكون أيضاً جدلية، عارض الوضعية بقوة، من أهم مؤلفاته البنية السلوكية للحياة العامة (النظرية والممارسة).

هوبز، توماس (1588-1679م) : فيلسوف إنكليزي، أيد الحكم المطلق، وقال: (الإنسان ذئب لأخيه الإنسان والكل في حرب ضد الكل)، وتلافياً للفوضى عليهم طاعة السلطان، من أهم آثاره (في المواطن) (في الجسد) (في الإنسان). (87-88-89-94-180-423)

هومانس، جورج (1910م) : سوسيولوجي أمريكي، من أنصار السلوكية الجديدة، ومن واضعي نظرية الجماعات الصغيرة. (145)

هيراقليط (388-312 ق.م) : فيلسوف وعالم فلك يوناني، كتب بأسلوب ملغز عرف بالغامض، وغلبت الكتابة على نظراته، فعرف بالفيلسوف الباكي، تأثر بأفكاره سقراط وأفلاطون وأرسطو، قال بأن النار هي الجوهر الأول ومنشأ الكون.

هيجل، ويلهلم جورج (1770-1831م) : فيلسوف ألماني، صاحب الديالكتيكية أو الجدلية، وخلاصتها أن كل فكرة تؤلف فكرة مناقضة، ومن تفاعل الفكرتين تنشأ فكرة جديدة تؤلف بينها، نادى بالمثالية المطلقة، وأكد على أن العالم انعكاس للعقل البشري. (92-121-123-124-126-256-333-380-461-464)

هيوم، ديفيد (1711-1776م) : فيلسوف واقتصادي ومنظر سياسي أسكتلندي، طور تجريبياً نية جون لوك إلى شك مطلق، وقال: إن الاختيار مصدر المعرفة كلها، وإن وجود الله وطبيعته وأصل الكون أمور لا سبيل إلى معرفتها، من أشهر آثاره (بحث في الفهم البشري) عام 1748.

وارد، لستر (1841-1913م) : عالم اجتماع أمريكي، أبو السوسيولوجيا في أمريكا، من أعلام التطورية السيكولوجية. (11-178 إلى 185)

ياسبرز، كارل (1883-1969م) : فيلسوف وطبيب نفسي ألماني، ومن أبرز وجوه الفلسفة الوجودية، وقال: إن وجود الإنسان يهيمن عليه بحثه الدائم لتحقيق وجوده الصحيح في سلسلة من الاختيارات التي تشكل مصيره، أهم كتبه (الفلسفة) عام 1932م.



ملاحظات عن حلقة البحث
استمارة بحث اجتماعي



إن أية حلقة بحث يمكن أن تكون نواة لكتاب، ومن الواجب أن تتوفر فيها

الشروط التالية:

- أن يكون موضوعها واضحاً وغايتها مفهومة من بداية البحث.
- أن يكون موضوعها مثيراً ومشوقاً وملفتاً للانتباه.
- أن تكون لغتها بسيطة ومفهومة لجميع الفئات، والابتعاد عن الكلمات الصعبة أو المعقدة أو غير المفهومة واستبدالها بكلمات متداولة.
- التزام قواعد اللغة العربية التي نكتب بها قدر الإمكان، والابتعاد عن الجمل الطويلة، فالجملة القصيرة أوضح للمعنى وأسهل في الكتابة.
- أن يستخدم فيها الطالب لغة موحدة للتخاطب، فلا يقال: أثناء بحثنا وجدت...
- اللغة العربية الفصحى ضرورية في التعبير عن ما نريد قوله.
- أن يتذكر كاتبها أن هناك من يريد قراءتها أو مناقشتها أمام الطلبة فيكون خطه مفهوماً وواضحاً، وهذه ضرورة جداً، فكل كلمة واحدة مبهمّة أو غير واضحة للقارئ قد تغير المعنى وتقلبه رأساً على عقب.
- الكتابة بالخط الأزرق فقط، والأفضل أن تكون مطبوعة.
- كتابة جميع المراجع، والدقة في نقل الأقوال المنقولة عنها.
- الرسالة والرسول والهدية تمثل صاحبها. وحلقة البحث تمثل صاحبها من حيث اختيار الورق والغلاف وطريقة الكتابة حتى اختيار الورقة الأولى التي نكتب عليها مخطط البحث.
- الصفحة الأولى من البحث يجب أن تحوي المعلومات التالية:

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم علم الاجتماع - مادة علم الاجتماع العام

إعداد الطالب : _____
إشراف : _____
عنوان الحلقة : _____
تاريخ إنجاز الحلقة : _____

شروط كتابة حلقة البحث :

- 1- لا يمكن استخدام مراجع من سنوات الدراسة الجامعية الأربع؛ وذلك لأن هذا الاستخدام يلغي الهدف الأساسي من حلقة البحث والذي هو الدخول إلى المكتبة والابتعاد عن إطار الكتاب الجامعي.
- 2- لا يجوز استخدام مراجع من مجلات غير متخصصة، فالمطلوب أن تتعمق أكثر من خلال حلقة البحث حول موضوع المادة، والمجلات غير المتخصصة لا تقيد في هذا المجال، ولا تعتمد في بحث أكاديمي. (وإن وجدت في مجلة فنية مثلاً موضوعاً عن الفارابي فإن المجلة الفنية لا تقدم جديداً عن الفارابي، ولا عمقاً في الدراسة، وليس ذلك مطلوباً منها أصلاً بسبب طبيعة قرائها).
- 3- لا تعتبر الجرائد أيضاً مراجع معتمدة لحلقة البحث ولأسباب السابقة.
- 4- أقل ما يمكن في عدد صفحات حلقة البحث هو عشر صفحات وعلى وجه واحد.
- 5- هناك 5 علامات على حضور جلسات حلقة البحث، ومثلها على المناقشة وحوار الطالب أثناء هذه الجلسات، ومثلها على الموضوع المكتوب، ومثلها على المقابلة التي يسأل فيها الطالب في نهاية الفصل عن أساسيات بحثه الذي تقدم به.

6- في حلقة البحث يجب أن يعتمد على أكثر من ثلاثة مراجع؛ لكي يستجمع أكثر من رأي حول المشكلة الواحدة. ولكي يكون قادراً على الربط بينها وإبداء الرأي الشخصي حول ذلك.

7- الاعتماد على مراجع بحسب الأفضلية: كتب ثم إنترنت. نكتب في أسفل كل صفحة من بحثنا المرجع الذي أخذنا منه بالتفصيل وبتوثيق حقيقي.

أصول التوثيق:

للكتاب: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، الترجمة، الناشر، رقم الطبعة، مكان النشر، تاريخ النشر، رقم الصفحة التي أخذنا منها.

للإنترنت: مثال www.sociological-uae.org.ae 15.9.2008

المواضيع المطلوبة:

إن كل ما يرتبط بموضوع علم الاجتماع ومجالات بحث علم الاجتماع كما هي مطروحة من خلال الكتاب يعد مقبولاً في حلقة البحث، ونضع هنا عدة موضوعات مقترحة ترتبط بموضوعات علم الاجتماع ومجالاته، ولم تبحث في الكتاب بالتفصيل، وإنما تركت لمناقشات حلقات البحث. وهذا بتصورنا الغاية من الاهتمام بحلقة البحث، ألا وهو كسر جمود فكرة الكتاب الوحيد، والانطلاق إلى سماء الفكر بالموضوعات والتي لا تنتهي التي ترتبط بالفكر الإنساني الذي لا يحده كتاب جامعي.

من هذه المواضيع: (المطلوب موضوع واحد فقط)

- الهجرة من الريف إلى المدينة - الهجرة الخارجية - هجرة العقول.
- أسباب التخلف في الوطن العربي.
- قضية وضع المرأة في المجتمع.
- مشكلات الأسرة العربية.
- المستقبلية في علم الاجتماع.
- مجال عمل علم الاجتماع - علم الاجتماع العربي.
- التخلف والتنمية.

- قضية المرأة.
- التغيرات في الأسرة - علم الاجتماع الأسري.
- القومية - الدولة.
- التحضر - الحضرية - المدينة.
- علم اجتماع اللغة - علم اجتماع الدين.
- علماء اجتماع:
- بورديو
- ابن خلدون
- تالكوت بارسونز
- ماكس فيبر
- أنتوني جينز
- روبرت ميرتون
- ج.ف.أوسيبوف
- مشكلات الشباب:
- وقت الفراغ
- المخدرات
- البطالة
- الهجرة
- الشباب واختيار المستقبل.

ملحق : استمارة بحث

جمعية تنظيم الأسرة السورية

« دراسة ميدانية في دمشق وريفها »

2006م

إعداد

الدكتور بلال عرابي

رقم الاستمارة : _____

ملاحظات حول ملء الاستمارة:

- 1- هذه الأسئلة سوف تستخدم لأغراض البحث العلمي فقط.
- 2- غير مطلوب كتابة الاسم أو أي رمز يدل عليه.
- 3- نتائج هذا البحث سوف تستخدم لمعرفة أوضاع المرأة الاجتماعية والقانونية في سورية لمصلحة البحث العلمي.
- 4- تدقق الاستمارة قبل العودة من الميدان والتدقيق بخط مغاير.
- 5- يرجى وضع إشارة × في المكان الموافق للإجابة.

اسم المدقق : _____

توقيعه :

تاريخ ملء الاستمارة : ٢٠٠ / /

اسم المدينة : _____

اسم القرية : _____

1- عمر المبحوثة الحالي :

☐ 45-41	☐ 40-36	☐ 35-31	☐ 30-25

2- منطقة السكن

☐ ريف	☐ مدينة	☐ سكن عشوائي

3- الحالة الزوجية

☐ عازبة	☐ متروجة	☐ مطلقة	☐ أرملة

4- الحالة التعليمية

☐ أمية	☐ ثانوية	☐ جامعية	☐ فوق الجامعية	☐ ابتدائية	☐ إعدادية

5- الحالة العملية

☐ ربة منزل	☐ موظفة	☐ عاملة	☐ ربة منزل	☐ تعمل في أرض غيرها	☐ تعمل في أرض غيرها

6- عمل الأب

☐ موظف	☐ عامل	☐ تاجر	☐ صاحب مهنة	☐ متقاعد	☐ صاحب أرض
☐ لا يعمل	☐ عمل آخر يذكر	☐ فلاح في أرضه	☐ فلاح لدى الآخرين	☐ عمل آخر يذكر	☐ عمل آخر يذكر

7- درجة تعليم الأب

☐ أمي	☐ ثانوي	☐ ملم	☐ جامعي	☐ ابتدائي	☐ فوق الجامعي	☐ إعدادي

8- عمل الأم

☐ ربة منزل	☐ موظفة	☐ عاملة	☐ ربة منزل	☐ تعمل في أرض غيرها	☐ تعمل في أرض غيرها

9- درجة تعليم الأم :

☐	إعدادية	☐	ابتدائية	☐	تقرأ وتكتب	☐	أمية
☐		☐	فوق الجامعية	☐	جامعية	☐	ثانوية

10- هل للذكر حرية أكثر من الأنثى في:

☐	النشاطات العامة	☐	التعليم	☐	الزواج	☐	العمل

11- هل تتمنين لو خلقت ذكراً ؟

☐	لا	☐	نعم

12- إذا كانت الإجابة (بنعم) فلماذا ؟

13- إلى من تتحدثين حول مشكلاتك الخاصة ؟

☐	والدي	☐	والدي	☐	لا أتحدث بها لأحد
☐		☐	صديقتي	☐	أخوتي

14- ما هي الطريقة الأفضل برأيك لاختيار الشريك ؟

☐	التعرف الشخصي	☐	تعيين منذ الصغر	☐	الخاطبة	☐	عن طريق الأهل

15- رتبي الصفات الثلاث الأولى التي تزينها أكثر أهمية في الزواج

☐	الثقافة	☐	التعليم	☐	المظهر	☐	الغنى
☐	الدين	☐	الأخلاق	☐	الحب	☐	الحسب والنسب

16- ما هو الحد الأعلى لحق المرأة في التعليم برأيك:

☐	التعليم الثانوي	☐	التعليم الإعدادي	☐	التعليم الابتدائي
☐	أي مستوى تستطيع الوصول إليه	☐		☐	التعليم الجامعي

17- هل تعتقدين أنه يحق للمرأة في سورية أن :

☐	ترث أرضاً زراعية	☐	ترشح نفسها لمجلس الشعب
☐	تفتح محلاً تجارياً باسمها	☐	ترث حصتها من عقارات

18- هل يحق للمرأة الاشتراط في عقد الزواج عدم الزواج من أخرى :

نعم ☐ لا ☐

19- هل تعتقدين بأن المرأة قادرة على تسلم منصب قيادي في مؤسسة فيها رجال ونساء:

نعم ☐ لا ☐

20- إذا حاول الأهل إجبارك على الزواج ممن لا تريدينه ماذا تفعلين:

تتبعين طريقة الحوار مع الأهل لإقناعهم ☐ تلجئين إلى أحد الأقارب ☐
تخضعين للأمر الواقع مسايرة للأهل ☐ مصارحة صاحب العلاقة ☐

كيف يتم اتخاذ القرارات في أسرتك (بيتك الحالي):

	7	6	5	4	3	2	1		
	الأسلوب المفضل	أخرى تذكر	قرار كلا الوالدين	قرار الأم	مشاركة الأسرة	قرار الأب	قرار شخصي		
1								تحديد عدد الأولاد	
2								تربية الأبناء	
3								مكافأة الأبناء	
4								معاقبة الأبناء	
5								اختيار أزواج البنات	
6								اختيار زوجات الأبناء	
7								متابعة تعليم الإناث	
8								متابعة تعليم الذكور	
9								تحديد ما يلزمك من ملابس	
10								عمل الإناث	
11								عمل الذكور	

ما رأيك بالمقولات التالية :

4	3	2	1	
محايدة	موافقة بشدة	موافقة	معارضة	
				1- تعدد الزوجات يزيد في المجتمع
				2- زواج الفتاة مبكراً أفضل لها
				3- تعيين زوج البنت منذ ولادتها
				4- زواج بنت العم أولى بابن عمها
				5- لا أهمية للشهادة الصحية قبل الزواج
				6- ضرورة إنشاء مركز فحص طبي للمقبلين على الزواج
				7- عمل المرأة المتزوجة خارج المنزل يضر بالأسرة

21- ما هي أهم مشكلة تتجم عن زواج الفتاة قبل السابعة عشر :

☐ مشكلات صحية	☐ زيادة عدد الأولاد	☐ عدم متابعة التعليم
☐ سهولة السيطرة عليها	☐ أخرى (تذكر)	

22- ما هو عمرك عند عقد القران

23- ما هو عمر زوجك عند عقد القران

24- ما عمل الزوج

☐ موظف	☐ عامل	☐ تاجر	☐ صاحب مهنة
☐ متقاعد	☐ فلاح في أرضه	☐ فلاح لدى الآخرين	☐ صاحب أرض
☐ لا يعمل	☐ عمل آخر يذكر		

25- ما درجة تعليم زوجك ؟

☐ أمي	☐ ملم	☐ ابتدائي	☐ إعدادي
☐ ثانوي	☐ جامعي	☐ فوق الجامعي	

26- كم عدد الأولاد :

ذكور ☐ إناث ☐

27- هل تعرضت لحالة إجهاض :

نعم ☐ لا ☐

(في حال الإجابة (بنعم) فما السبب :

1- عدد الأولاد الزائد ☐ 2- بناء على طلب الزوج ☐ 3- أسباب صحية ☐
4- برغبتك أنت ☐ 5- أسباب اقتصادية ☐ 6- إسقاط عفوي ☐
7- أسباب أخرى ☐

28- هل تتعرضين لأي شكل من أشكال العنف التالية :

إهانة	☐	طرد من المنزل	☐	بخل في المأكل والمصروف	☐
شتائم	☐	ضرب	☐	عدم الاهتمام بحاجاتك	☐
عدم الاستماع لرأيك	☐	حجز حرية	☐	إهمال لفترات طويلة	☐
قطع المصروف	☐	فرض رأي	☐	لا أتعرض لأي عنف	☐

29- لمن تلجئين في حال تعرضك للعنف من قبل الزوج أو الأب :

لا أحد	☐	الأهل	☐	الجيران	☐	الشرطة	☐
القضاء	☐	الطبيب	☐	الأصدقاء	☐	جهات أخرى	☐

30- ما السبب الذي يجعل الرجل عنيفاً :

مخالفة الرأي	☐	عدم الإنجاب	☐	تناول المسكرات	☐	تدخل الأهل	☐
اختلاف المستوى:	☐	الثقافي	☐	الاجتماعي	☐	الاقتصادي	☐

31- في حال تعرضك للعنف هل تطلين الطلاق ؟

نعم ☐ لا ☐

- 32- في حال عدم طلبك للطلاق على الرغم من تعرضك للعنف ما هو السبب :
1- عدم وجود معيل للزوجة
2- تجنب نظرة المجتمع للمطلقة
3- حرصاً على مصلحة الأطفال
4- صعوبة العودة إلى بيت الأهل
- 33- ما هي الأمور التي تساعد المرأة على الحصول على حقوقها وتمنع عنها أي أذى:

الهيئة المشرفة على البحث
تشكر لكم حسن تعاونكم



- الأخرس، محمد صفوح، علم الاجتماع العام، منشورات جامعة دمشق، 1981.
- إسكارييت، روبر، سيسولوجيا الأدب، ترجمة آمال أنطون عرموني، منشورات عويدات، ط2، بيروت، باريس، 1983.
- بالاندييه، جورج، الأنثروبولوجية السياسية، المنشورات الجامعية الفرنسية، فرنسا، 1969.
- بوتومور، توماس بيرتون، تمهيد في علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرين، دار المعارف، ط5، القاهرة، 1981.
- بولانتزاس، نيكوس، السلطة السياسية- الطبقات الاجتماعية، ترجمة عادل غنيم، ط1، منشورات دار الفارابي، بيروت، 1980.
- بيومي، محمد أحمد، أسس وموضوعات علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.
- بيومي، محمد أحمد، تاريخ الفكر الاجتماعي، الدار الجامعية، 1983.
- بيومي، محمد أحمد، محاضرات في تاريخ الفكر الاجتماعي، الدار الجامعية، القاهرة، 1982.
- بيومي، محمد خير، محاضرات في تاريخ الفكر الاجتماعي، الدار الجامعية، القاهرة، 1982.
- الجولاني، فاديا عمر، علم الاجتماع الحضري، دار عالم للكتب، الرياض، 1998.
- الجولاني، فاديا عمر، علم الاجتماع الحضري، دار عالم للكتب، الرياض، 1984.

- الجوهري، عبد الهادي، أسس علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، 1991.
- الجوهري، عبد الهادي، تاريخ الفكر الاجتماعي، نهضة الشرق، القاهرة، 1991.
- الجوهري، عبد الهادي، علم الاجتماع- نشأته وتطوره، نهضة الشرق، القاهرة، 1989.
- الحسن، إحسان محمد، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت، 1988.
- الحسيني، عبد المنعم علي، مدى مساهمة البحث الاجتماعي في دراسة واقع المجتمع العربي، مجلة العلوم الاجتماعية، عدد6، 1984.
- الحوات، علي، مسيرة التعليم العالي في ليبيا، دار بني ازنانسن للنشر، طرابلس الغرب، 2004.
- الخشاب، مصطفى، الاجتماع الحضري، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976.
- الخشاب، مصطفى، علم الاجتماع ومدارسه، (تاريخ التفكير الاجتماعي وتطوره)، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ط1، 1958.
- ديفرجيه، موريس، علم اجتماع السياسة، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية لدراسات ط1، بيروت، 1991.
- رشوان، حسين عبد الحميد أحمد، علم الاجتماع وميادينه- المكتب الجامعي الحديث 1997.
- رشوان، عبد الحميد أحمد، علم الاجتماع وميادينه، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ط2، 1993.
- رودجرز، روي، التفاعل والتعامل العائلي، ترجمة بونسو جرجوس، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1986.
- الزعبي، محمد أحمد، علم الاجتماع العام والبلدان النامية، جامعة دمشق، 1986.
- زيدان، عبد الباقي، علم الاجتماع الديني، مكتبة غريب، القاهرة، 1981.

- سواح، فراس، دين الإنسان، منشورات دار علاء الدين، ط2، 1998.
- السيد، فوزي، مبادئ علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعارف، 1968.
- شتا، علي، النظريات الاجتماعية، دار المعارف، السعودية، الرياض، 1977.
- صنادي، سعدي، مدخل إلى علم الاجتماع الأدبي، دار الفكر العربي، بيروت، 1994.
- عاطف، محمد غيث وآخرون، تاريخ الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1987.
- عبد أسعيد، محمد فايز، مدخل إلى علم الاجتماع، دار الفيصل الثقافية، الرياض، 1984.
- عبد الباسط، عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1981.
- عبد الباقي، زيدان، التفكير الاجتماعي، نشأته وتطوره، مكتبة القاهرة الحديثة، 1972.
- عبد الجواد، مصطفى خلف، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع - مترجم، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2002.
- عبد السلام، محمد السيد، التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي، مطابع الأنباء، الكويت، 1982.
- عبد الله عبد الدائم، الرؤيا المستقبلية للتربية في البلاد العربية، مجلة شؤون عربية، العدد 101، بيروت، 2000.
- عبيد، منى مكرم، إصلاح التعليم شرط ضروري لصحة عربية جديدة، مؤتمر قضايا الإصلاح العربي، مكتبة الاسكندرية، 2004.
- العبيدان، محمد، العنف أسبابه وعلاجه، دار العلم، القاهرة، 1976.
- عثمان، إبراهيم عيسى، كاظمة للنشر، الكويت، 1983.

- عرابي بلال ، أمل دكاك، علم الاجتماع التربوي، منشورات جامعة دمشق، دمشق 2006.
- عيسى، محمد طلعت، مدخل إلى علم الاجتماع، دار المعارف، لبنان، 1975.
- الغزوي، فهمي سليم وآخرون، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق للنشر، عمان، 1992.
- غولدمان، لوسيان، المنهجية في علم الاجتماع الأدبي، ترجمة مصطفى المساندي، دار الحداثة، بيروت، 1981.
- الفارابي، أبو نصر، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق نصر عازر، بيروت 1959
- فراس السواح، دين الإنسان، منشورات دار علاء الدين، ط2، 1998.
- فوزي، السيد محمد، مبادئ علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعارف، 1968.
- لطفي، عبد الحميد، علم الاجتماع، دار المعارف، مصر، 1982.
- ليفي، بريل وفلسفة أوغست كونت، ترجمة محمد قاسم والسيد محمد بدوي، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، 1952.
- مجموعة مؤلفين، نصوص في دينامية الجماعة، دار الحروف للنشر، المغرب، ط1، 2007.
- محمد، علي محمد، تاريخ علم الاجتماع ج1، دار المعرفة الجامعية، 1980.
- مسلم، عدنان، محاضرات في علم الاجتماع، منشورات جامعة دمشق، ط7، دمشق، 2003.
- معوض، خليل ميخائيل، علم النفس الاجتماعي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط1، 1982.
- مكاي، علي وآخرون، دراسات في علم الاجتماع الطبي، مؤسسة الأهرام، ط1، القاهرة، 1998.
- المكتب المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية، 1993، 2002، 2004، 2006، دمشق، سورية.
- نصر، ألبير، آراء أهل المدينة الفاضلة، الطبعة الكاثوليكية، بيروت 1980

- نيماشيف، نقولا، نظرية علم الاجتماع، طبيعتها وتطورها، ترجمة محمود عودة وآخرون، القاهرة، ط3، دار المعارف، 1974.
- هنا، غانم، بناء المجتمع ونظمه، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1982.
- الهيئة السورية لشؤون الأسرة، حالة سكان سورية 2008، دمشق، 2009.
- اليافي، عبد الكريم، فصول في المجتمع والنفس، جامعة دمشق، دمشق، 1974.
- يوسف، محمد حامد، علم الاجتماع النشأة والمجالات، المكتب العلمي، الإسكندرية، 1995.

- أورمسون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة فؤاد كامل وآخرين، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1963.
- بودون، بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم مراد، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1986.
- الجوهري عبد الهادي، قاموس علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق للنشر، القاهرة، ط2، 1983.
- حجازي، عزت، معجم مصطلحات علم الاجتماع، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة، 1971.
- الحنفي، عبد المنعم، مصطلحات فلسفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000م.
- الحنفي، عبد المنعم، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1978.
- الخازن، منير وهبة، معجم مصطلحات علم النفس، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1970.
- ذبيان، سامي وآخرون، قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية، مكتبة رياض الرئيس للكتب والنشر، القاهرة، 1989.
- رزق، أسعد، موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1979.
- زكي بدوي، أحمد، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة البيان، بيروت، 1986.

- زيدان، محمد مصطفى، معجم مصطلحات علم النفس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965.
- عاقل، فاخر، معجم مصطلحات علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، 1971.
- عبد القادر، فرج، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993.
- عبد الله، عبد الوهاب، مفردات علم الاجتماع، الخرطوم، 1953.
- عطية الله، أحمد، القاموس السياسي، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، ط3، 1968.
- عطية الله، أحمد، القاموس السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968.
- العمر، معن خليل، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشرق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2000.
- الكيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط2، 1991.
- مارشال، جوردون، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2000م.
- مبيض، عامر رشيد، موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية- مصطلحات ومفاهيم، دار المعارف للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، 2000.
- مجموعة من الأساتذة السوفييت، موجز القاموس الاقتصادي، مصطفى الدباس، دار الجماهير للنشر، ط1، د.ت.ن.
- ناتاليا، يغريموفا- توفيق سلوم، معجم العلوم الاجتماعية، مصطلحات وأعلام، دار التقدم، بيروت، ط1، 1992.
- اليافي، عبد الكريم، معجم مصطلحات التنمية الاجتماعية والعلوم المتصلة بها، إصدار جامعة الدول العربية، 1983.

1. Andre Gunder Frank , fonctionnalisme et dialectique , L'homme et la Societe , n. 12, 1969.
2. Bronislaw Malinowski , Une theorie scientifique de la culture , Maspero , Paris , 1968.
3. C. Wright Mills , L'imagination Sociologique , Maspero , 1971, Paris.
4. Emile Durkhem ,les, Rogles, dela. Mothode sociologique, Paris P.U.F 1963.
5. Gurvicv, la vocation actuelle de la sociologic, I: sociologie differentielle. 2ed, 1957.
6. Guy Rocher , L'organisation sociale , Op. Cite'
7. Henri Mendras , Elements de Sociologie , Armand Colin , 1975 , Paris.
8. M. Ginsberg. "the scope and methods of sociology" in the study of society, London. 1959.
9. Malinowski , Cite' in Robert Merton , Elements de theorie et de methode sociologique , Paris , Plan chapitre III.
10. Raif. Dohrendorle, live chances, Approaches to social and political, theory.
11. Raymond Boudon , Les M'ethodes en sociologie , Op. Cit'e
12. Robert Merton , Elements de theorie et de methode sociologique , Paris , Plan , 1965.
13. Simmel. "the number of member as determining the sociological from of the group", American journal of sociology, VII. 1902.
14. Talcott Parsons , An outline of the social system , cite' in , Birnbaum, Chazel , Theorie Sociologique , P.U.F. , Paris , 1975.

اللجنة العلمية

الدكتور أحمد الأصفر

الدكتور أديب عقيل

الدكتور بهاء الدين تركية

المدقق اللغوي

الدكتور أيمن الشوا

جامعة دمشق

Damascus University